سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الأولى- العدد الثاني- خريف 2003

المراسلات:

تلفاكس: 00447043129839

ايميل: info@www.sardam.net

موقع دار سردم على الإنترنيت: www.sardam.net

تصميم الغلاف: قادر ميرخان

المصمم المنفذ: جمال حسين

□

محتويات العدد

دراسات وبحوث

دراسات تأريخية

ندوة

ملف عن كركوك

ملف عن الشاعر شيركو بيكه س

قصة

محطات ثقافية

اصدارات

دار سردم للطباعة والنشر



www.sardam.net

تأملات حول هوية الكرد وكردستان

د. اسماعيل بيشكجي [*]

ترجمة: زهير عبد الملك

دكتوراه بعلم الاجتماع

مقدمة المترجم:

صدر كتاب Devletlerarasi Somurge Kurdistan أو "كردستان مستعمرة دولية" في اسطنبول عام 1990، ومؤلفه إسماعيل بيشكجي Ismail Besikci عالم اجتماع تركي بارز ومعروف بالتزامه بمنهج البحث العلمي، وبقضايا الشعوب والأمم المضطهدة، (انظر سيرته الذاتية في نهاية البحث). وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة ولا سيما في أوساط اليسار التركي، وصدمة في الفكر السياسي الكردي السائد في المنظمات والأحزاب السياسية الكردية على اختلاف اتجاهاتها.

ترجم الكتاب الى اللغة الألمانية بعنوان kurdistan International Kolonie وصدر في كولونيا عام 1991، ثم صدرت ترجمته الى اللغة الأسبانية بعنوان kurdistan Una Colnia International في مدريد عام 1992. وقد اطلعت عليه عام 1996، حيث أشرفت على ترجمته الى اللغة الفرنسية بعنوان kurdistan Una colonie International، ومنها نقلته بمطابقة الترجمات والنص الأصلي بمعونة عدد من المترجمين الأكفاء من التركية واليهما، متوخيا الدقة والأمانة المهنية في نقل أفكار المؤلف إلى اللغة العربية.

وقراء العربية كثيرون واطلاعهم على المسألة الكردية وتطوراتها ومتابعة نمو الوعي القومي في أوساط الشعب الكردي إنما يكتسي أهمية بالغة، نظرا للروابط التأريخية والحضارية التي تجمع ما بين الأمتين العربية الكردية وتجمع الكرد بالأمم الإسلامية الأخرى، ولأن الشعب الكردي يعول على دعم جميع هذه الأمم ومساعي مثقفيها وسياسييها

لإسناد قضيته العادلة في التحرر والانعتاق من نير العبودية. وقيام دولته المستقلة اسوة بالأمم الإسلامية الأخرى.

ومن المؤكد أن عنوان هذا الكتاب هو الذي اجتذبني لنقله إلى العربية وذلك لجرأته في تشخيص جوهر للمسألة الكردية يستحق كل اهتمام وإمعان في التفكير يتحليان بعنصري الموضوعية والانفتاح على آراء بيشكجي ووجهات نظره التي يصوغها بشفافية وصراحة تنال إعجاب، كل من يهتم بإيجاد مخرج لهذه المسألة التي ظلت مستعصية على الحل منذ نشأتها في مطلع القرن العشرين، والتي من المنتظر أن تتصدر قائمة المشكلات التي يعاني منها إقليما الشرقين الأدنى والأوسط في مطلع القرن الحادي والعشرين جراء تعقيداتها الداخلية والاقليمية والدولية الناجمة عن تقسيم كردستان بين دول الإقليم بإرادة المستعمرين ولاسيما البريطانيون ووفقا لمصالحهم المادية والسياسية والاستراتيجية، وبسبب أبعادها السوسيولوجية الناجمة عن وجود شعب سيصل تعداد نفوسه بحسب معدلات نموه التقريبية ومعدلات النمو الديمغرافي في الإقليم الى مايقدر بنحو 63 مليون نسمة في نهاية العقد الثاني من القرن القادم (اي القرن الحادي والعشرين)، منهم 32.3 مليون نسمة في تركيا و16.2 مليون نسمة في إيران و10.9 مليون نسمة في العراق و2.7 مليون نسمة في سوريا و900 ألف نسمة في بلدان رابطة الدول المستقلة (الاتحاد السوفيتي سابقا). (المصدر Mehnada R. Izady, The Kurds, P.119, Taylor & Fzancis Publisher, 1992).

ولا أكتم عن القارئ تجدد شعوري بالخوف، لأول مرة منذ زمن بعيد، من كلمة الاستعمار وامتعاضي من كلمة مستعمرة. ولربما مرد ذلك تلك الفترة التي عشتها أيام شبابي بظل الاستعمار البريطاني، وارتباط هذه الفكرة بالبريطانيين والفرنسيين حصرا ومن ثم الأمريكيين، والكفاح ضد هيمنتهم الاستعمارية وكفاح الشعب من أجل التحرر من الاستعمار وإحراز الاستقلال الوطني الناجز وإقامة نظام ديمقراطي متحرر. وتساءلت مع نفسي ترى كيف سيتلقى المثقف العربي أو الفارسي أو التركي فكرة أن بلاده إنما تستعمر جزءا من وطن الكرد، وكلها تستعمر كردستان مجتمعة؟!!

لكن مفهوم الاستعمار الداخلي مصطلح معروف في ادبيات علم الإجتماع السياسي لوصف النتائج المتفاوتة للتنمية على الصعيد الاقليمي. كما تستخدمه نظرية العلاقات العرقية في بيان حالة الحرمان والإستغلال التي تتعرض لهما الأقليمات في مجتمع ما. واستخدم الماركسيون هذا المفهوم في الإشارة الى حالة اللامساواة السياسية والإقتصادية فيما بين الأقاليم في المجتمع. ومن المكن ملاحظة العناصر المشتركة التالية بين جميع هذه المناهج:

1-انها ترفض الفرضية القائلة بأن التنمية الصناعية تؤدي على المدى البعيد إلى خلق مجتمع متكامل ومتماثل حضاريا ويتمتع بظله جميع السكان بحقوق متساوية في المواطنة.

2-إن التفاوت بين الأقاليم ظاهرة ليست عابرة وإنما ملازمة لتنمية المجتمع الصناعي. وإذا كانت العلاقة بين البلد المستعمر والمستعمر- في حالة الاستعمار الخارجي- تتسم باللامساواة والإستغلال فإن ذات العلاقة بين المركز والطرف تتسم باللامساواة أيضا. إن من شأن

الإستعمار الداخلي تحقيق ثروة لصالح المناطق الأكثر ارتباطا بالدولة من غيرها. وقد يتميز سكان المستعمرة الداخلية عن بقية السكان عرقيا أو دينيا أو لغويا أو بعوامل ثقافية اخرى. ويستثنى هؤلاء علانية أو ضمنيا من التمتع بأي وضع اجتماعي وسياسي (انظر The Penguin Dictionary of Sociology. 1984, P.112-113.

إلا انه، كما يقول المؤلف، لا ينبغي من جهة أخري، الخلط بين المعلومات التي نحصل عليها بشأن كردستان والمقترحات المقدمة لإيجاد حل للمسألة الكردية. من ذلك على سبيل المثال، استعمال مصطلح "المستعمرة" كمفهوم مهم في تفسير نمط التطور التأريخي للمجتمع الكردي. بيد أن بعض مجموعات اليسار التركي ترفض هذا المفهوم باعتباره يخلق الأسس المادية لقيام منظمة انفصالية. ويقول هؤلاء إن كردستان ليست مستعمرة. لكنهم هنا يرتكبون خطأ. ذلك لأنهم يرفضون مفهوما بإمكانه تفسير طبيعة هياكل المجتمع الكردي. يضاف إلى ذلك، أن كردستان مجتمع لايرقى حتى إلى مستوى المستعمرة.

إن ردود الفعل ستكون متباينة، ولربما يصعب التكهن بها ليس لدى مثقفي الأمم المجاورة فحسب وإنما في أوساط عدد كبير من المثقفين الكرد أنفسهم. ومع ذلك، يبقى كتاب إسماعيل بيشيكجي جديرا بالدراسة والتبحر في مضامين اطروحاته فيما يتعلق بسياسات الدول التي تقتسم كردستان ولاسيما الدولة التركية التي تنكر على الشعب الكردي هويته القومية وتعامله بالحديد والنار بطريقة عنصرية بشعة منذ ما يزيد على 70 عاما.

كتب إسماعيل بيشيكجي قبل 35 عاما يقول: "عندما وصلت إلى جنوب شرقي تركيا رأيت بعيني وشاهدت بنفسي شعبا له لغة وتأريخ وتقاليد تختلف عما لدينا نحن الأتراك، وهذا الشعب لا يحمل الاسم الذي يطلقه عليه الأتراك، فهو لايسمي نفسه أتراك الجبال وإنما يسمي نفسه نحن الأكراد".

ومن الحقائق الثابتة على امتداد التأريخ الكردستاني القديم والحديث والمعاصر حقيقة تتجسد في رفض الكرد الخضوع لسيطرة الدول المجاورة ولغيرهم، كما أنهم فشلوا في إحراز تحررهم السياسي وبناء دولتهم المستقلة في آن واحد، بل هم الأمة الوحيدة التي يتجاوز عدد سكانها 30مليون نسمة، "تقديرات 1996-المصدر السابق" لكنها لاتتمتع بكيان سياسي على الإطلاق في عالم اليوم.

يحلل إسماعيل بيشيكجي هذا الجانب تحليلا موضوعيا واضعا يده على جوانب الضعف والتمزق في المجتمع الكردستاني وتركيبته الطبقية وسلوكيات رموزه السياسية والدينية، ويلقي أضواء كاشفة على العوامل الخارجية والداخلية المتصلة بمأساة هذا الشعب المنكوب، ويحدد له طريق الخلاص من محنته المزمنة.

لقد بذلت جهدا كبيرا حتى يأتي النص العربي مطابقا ولا سيما للنص التركي الذي وضعه بيشيكجي، ولم يكن ذلك ممكنا لولا استشارتي وحواري مع العديد ممن يعنيهم موضوع هذا الكتاب من مختلف القوميات، ولولا جهود تصحيح المسودات التي أخذت من وقت السيدة ماجدة ماتيوني ومن أناة وصبر السيد هشام محجوب في طبعه وإخراجه على جهاز الكمبيوتر الشيء الكثير.

وأخيرا فهذا جهد متواضع أقدمه للمكتبة العربية بقصد إغناء الحوار وتعميقه والسير به الى أمام لما فيه خير الأمم التي يشاطرها الشعب الكردي آلامها وآمالها في كل الظروف والأحوال.

روما/صيف 1998

تأملات حول هوية الكرد وكردستان

مقدمة

كان عام 1971 في الشرق عام الاعتقالات الجماعية والمحاكمات، وكانت الرابطات الثقافية الثورية للشرق والحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا، هي المنظمات الرئيسة المثلة لأوسع الجماهير. وكانت السجون العسكرية مكتظة بعدد كبير من المعتقلين الذين ينتمون إلى مختلف طبقات المجتمع الكردي منهم التلاميذ والطلاب والمزارعون وأصحاب الورش والعمال وأصحاب المهن الحرة وصغار الموظفين الى جانب كبار ملاك الأراضي والشيوخ ورؤساء القبائل.. وكان الحكام العسكريون التابعون لقيادة الأركان في محافظتي ديار بكر وسيرت يوجهون اتهاماتهم بإصرار حتى تحولت بفعل الايديولوجية الرسمية الى صيغ معروفة جيدا تتكرر بلا ملل. وعلى الرغم من أن المتهمين لا يتكلمون سوى اللغة الكردية، ولا يفقهون كلمة تركية واحدة، يصر هؤلاء الحكام العسكريون والمحققون أنفسهم على اعتبارهم، فهم يدعون بعدم وجود لغة كردية، وأن اللغة المعروفة بهذا الاسم ليست سوى لهجة مشتقة من اللغة التركية.

ويبرر أساتذة وجامعيون بحماس وجهة نظر هؤلاء الحكام ممثلي الدولة، ويؤكدون على أن ما يقوله هؤلاء يعكس وجهة نظر علمية، وأن البحوث الحالية أوضحت بما فيه كفاية هذه الحقيقة. يعكس الجانب الرئيس لمحاكمات الشرق في 1971 التناقض الصارخ بين هذه التأكيدات والواقع الفعلي. ولهذا السبب لابد من اعتبار تلك المحاكمات أحد الأسباب التي مهدت لبداية مرحلة مهمة جدا في تأريخ الكرد. فمن خلال تلك المحاكمات، بدأ الكرد يعيدون التفكير بموضوع هويتهم وبالشعب الكردي وبالمجتمع الكردي ويتأملون في تأريخ الكرد ولغتهم وثقافتهم وآدابهم، ويفتكرون بكردستان ويقارنونها بمجتمعات مماثلة. ولم يعد بإمكان الاعتقالات الاحترازية والمحاكمات والسجون وقف عملية تنامي الوعي هذه وتبادل المعلومات بشأن تلك الموضوعات، وانما تكثفت على العكس من ذلك.

وفي عقد الثمانينيات تطور مستوى المعلومات المتاحة عن المجتمع الكردي بطريقة اتسمت بعمق أكبر وعلى أساس أوسع نطاقا. كما أثرت هذه المرحلة في طريقة تفكير الكرد ومواقفهم ونمط سلوكهم. ففي أثناء محاكمات 1971 حاول المعتقلون على سبيل المثال، إقناع هيئات الحاكم بأن اللغة الكردية لغة أخرى تختلف عن اللغة التركية. أما في الثمانينيات فكانوا يتحدثون باللغة الكردية مباشرة وفرضوا موقفهم بإصرار وحزم أمام تلك الهيئات.

إن هدف هذه الدراسة البحث المعمق في وضع المجتمع الكردي في تركيا وفي الشرق الأدنى والعالم. وستكشف هذه الدراسة حقيقة أن كردستان بلد لايتمتع حتى بصفة البلد المستعمر، وأن الأكراد شعب يجد نفسه في وضع أسوأ من حالة الشعوب المستعمرة الأخرى. وليس في نيتي بيان لماذا لم

تستعمر كردستان ولم يستعمر الشعب الكردي أو لماذا أقتحموا في وضع لم يصبحوا فيه مستعمرة. ولن يستطيعوا ذلك يوما ما ولاشك في ضرورة دراسة هذه الموضوعات لاحقا وبدقة أكبر. أما هذه الدراسة فتحاول جذب الاهتمام نحو بعض الأبعاد ذات الصلة بتلك الموضوعات والاكتفاء بطرح بعض الأسئلة.

تكوين المستعمرات في القرن التاسع عشر

شهد تاريخ الكولونيالية نشوء نوعين رئيسين من المستعمرات: المستعمرات وأشباه المستعمرات. فالمستعمرات مجتمعات لم تكن قد بلغت بعد مرحلة تأسيس دولة مستقلة. وفي هذه الحالة تربط الدولة الرأسمالية التي بلغت مرحلة التوسع واتخذت طابعا امبرياليا اقتصاد هذا المجتمع التقليدي التي استطاعت فرض هيمنتها عليه باقتصادها بحيث تجعله اقتصادا تابعا. ولكي تسهل سياسيا عملية استغلاله، تفرض نمط تنظيمها السياسي على البلد الذي استعمرته. ولاشك أن هذا التنظيم السياسي المفروض برمته من نتاج الدولة الامبريالية، أي الدولة المستعمرة. وهكذا تصبح المستعمرة خاضعة للبلد الامبريالي سياسيا وإداريا وعسكريا وثقافيا وسياسيا. ومن خلال هذا النمط من التنظيم تفرض على المستعمرة أجهزة الدولة المستعمرة وإدارتها. ويطلق على مسؤولي هذه الإدارات ألقاب الحاكم العام والكوميسير والوصي والحاكم العسكري وغير ذلك. غير أن هذا التنظيم يمارس سلطته في بلد ذي حدود مثبتة من ذي قبل. وبهذا المعنى يمكننا نعت هذا التنظيم بالدولة المستعمرة. ومن الأمثلة التي تنطبق عليها هذه الحالة علاقة إنجلترا ببلدان مثل الهند وسيلان وماليزيا وبورما، وعلاقتها مع عدد من البلدان الأفريقية مثل كينيا وأوغندا والصومال والسودان وتنزانيا، ومع بلد مثل هندوراس في أمريكا الجنوبية ونيوزلندا في أوسيانيا. وعلى نسق ذلك تنسحب علاقات فرنسا مع المغرب والجزائر وتونس والسنغال وغانا وموريتانيا وفولتا العليا وداهومي، وعلاقات بلجيكا مع زائير وعلاقات البرتغال مع أنغولا وموزامبيق وغينيا بيساو وأخيرا علاقات هولندا مع إندونيسيا.

ونظرا لأن المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية للبلد الامبريالي المستعمر قد أعيد استنساخها في البلد المستعمر، فقد ترتبت على ذلك الحاجة إلى أطر محلية. لكن هذه الأطر لم تكن الا من بين الأشخاص الذين تكونوا على صورة المستعمرين. فقد أعدوا لكي يدافعوا ويحموا في بلدانهم مصالح الدول الاستعمارية. فهم يمثلون إلى حد ما ملحقا للبلد الإمبريالي المستعمر في البلدان المستعمرة.

أما أشباه المستعمرات فهي مجتمعات ذات دول، تأسست وفقا لنظامها الاجتماعي ولها تاريخ طويل. فالصين والهند والامبراطورية العثمانية تمثل أشباه مستعمرات. وإزاء التأثير والضغط المتزايد للبلدان الإمبريالية خلال القرن التاسع عشر، شعرت هذه البلدان بالحاجة الى إعادة تكوين أطرها من كبار الموظفين، وإعادة تنظيم مؤسساتها الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية. لكن أياً من هذه المعطيات لاينطبق على الوضع في كردستان. فالكرد لم يقبلوا في أي مكان بصفتهم كرداً. فهم أتراك في تركيا، وإيرانيون في إيران وعرب في سورية. وهم بطبيعة الحال في هذه الحالة أتراك وإيرانيون وعرب من الدرجة الثانية. ولهذا السبب تمارس ضد الكرد سياسة مكثفة للتتريك والتفريس والتعريب. ويجري بإصرار إنكار هوية الكرد وكردستان.

أنشأ المستعمرون بعد الحرب العالمية الأولى، أي بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية دولا مستعمرة (بلدان تحت الانتداب)، كما هو الحال في العراق وسورية والأردن وفلسطين ولبنان. ولم يؤسسوا دولة لكردستان. إذ لم تؤسس مستعمرة بريطانية في كردستان، وعلى ذلك، لم تستعمر كردستان، وإنما جرى تقسيم الأمة الكردية وكل ما يمت بصلة إلى الكرد وكردستان كيما تختفي لغتهم من بين اللغات ويندثر تاريخهم. وهكذا وضع جزء من كردستان تحت نفوذ الدولة التركية، وألحق جزء آخر بالدولة العراقية المنتدبة تحت الوصاية البريطانية وجزء ثالث بسورية الخاضعة للانتداب الفرنسي.

أما كردستان الشرقية فقد ظلت خاضعة منذ القرن السابع عشر (1639م) للهيمنة الفارسية، وأخمدت انتفاضات الكرد ضد هذا الظلم ومن أجل الاستقلال ونيل حقوقهم القومية بلا رحمة. فقد قمعت الثورات التي نشبت في كردستان الجنوبية بقيادة الشيخ محمود برزنجي ومن بعده الملا مصطفى البارزاني، وفي كردستان الشرقية بقيادة سمكو ثم القاضي محمد، وكردستان الشمالية بقيادة الشيخ سعيد وإحسان نوري وسيد رضا. لقد قمعت كل هذه الانتفاضات في بحر من الدماء ولاسيما من خلال العمل المنسق والعمليات العسكرية المشتركة التي قادها الإمبرياليون البريطانيون وعملاؤهم الإقليميون في الشرق الأدنى. ولهذا السبب لم يعد بالإمكان الحديث عن حدود واضحة المعالم لكردستان. فمن خلال عمليات تهجير الكرد إلى بلدان وإقاليم أخرى، وعمليات الإبادة وسياسة استقبال المهاجرين من بلغاريا وأفغانستان، ومن خلال جهودها لتتريك الكرد وتعريبهم وتفريسهم استطاعت الدول التي تقتسم كردستان باعتبارها مستعمرة مشتركة تحقيق تحول عميق في الهيكل السكاني. كما استطاعت بإتباع هذه الوسائل نفسها إحداث تغييرات ملموسة في الحدود الطبيعية لكردستان.

وعندما يطرد الكرد من ديارهم، وتتخذ قراهم موطنا لفئات من الأتراك والعرب والفرس، وعندما تتولى المؤسسات الزراعية التابعة للدولة استغلال الأراضي الكردية الخصبة أو تنشئ فيها ثكنات عسكرية، فإن الأمر يتعلق دون شك بانتهاج سياسة معينة بتبصر وإصرار.

كما لا ينبغي أن ننسى ذلك الجزء الصغير من كردستان الملحق داخل حدود أرمينيا والاتحاد السوفيتي. فقد مورست في هذه الحالة أيضا سياسات

للتهجير القسري. ففي عام 1944 نظمت عملية تهجير قسري جماعي للكرد نحو آسيا الصغرى.

مزايا سياسة "فرق-تسد"

تحقق سياسة "فرق-تسد" سلسلة من المزايا لمن يطبقها. إذ متى ما كانت عدة بلدان تسعى لضمان مصالحها المشتركة في بلد آخر، فإن مثل هذه السياسة تساهم إلى حد كبير في الدفاع عن تلك المصالح، وتجعل من ممارسة مثل هذه السياسة أمرا ضروريا. وقد لا تؤدي الأطماع الإقليمية لتلك البلدان بالضرورة إلى صراعات فيما بينها. ولكي تتمكن تلك البلدان من تحقيق الحد الأقصى من مصالحها المشتركة تتجه لتنمية علاقات وثيقة فيما بينها، وتسعى قدر المستطاع للبحث عن الوسائل الكفيلة بتسوية خلافاتها. كما تستلزم مصالحها المشتركة بالضرورة استمرار العلاقات المتبادلة فيما بينها طيبة.

وفي سنوات 1915-1925 وقع صراع إمبريالي على كردستان. فقد اشتبك في معركة حامية ومفتوحة أولئك الذين يدعون لأنفسهم حقوقا في كردستان، ويسعون للحفاظ عليها. واتسمت هذه المرحلة بصدامات ونزاعات مسلحة، لكن الأطراف المتنازعة سرعان ما اختارت طريق التواطؤ على أطماعها ومصالحها في كردستان، الأمر الذي أدى إلى تجزئة كردستان وتقسيمها. أما المرحلة اللاحقة فقد اتسمت بالتعاون فيما بين تلك الأطراف. وكانت الدول التي قسمت كردستان واقتسمتها تدرك أن ضمان الحفاظ على مصالحها لا يتحقق إلا من خلال تكثيف التعاون فيما بينها.

وبإمكاننا استخلاص مؤشرات مهمة بهذا الصدد من خلال إجراء مقارنة بين السياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، وسياسة كل من إيران والعراق وتركيا وسورية إزاء الكرد. فمنذ بداية عام 1988، أخذت الصحافة التركية وشبكات التلفزيون التركي تنقل تقارير تتعلق، على سبيل المثال، بجميع تفاصيل الصراع بين الفلسطينيين وقوات الأمن الإسرائيلي، واستفاضت في نقل الصور وعرض الأفلام المتعلقة بتلك الأحداث. كما جرى تنظيم مظاهرات وعقد ندوات واجتماعات وجهت خلالها انتقادات للسياسة الإسرائيلية إزاء الفلسطينيين. ووجدت كل هذه الأنشطة صداها في الصحافة والإذاعة والتلفزيون التركي. وساهمت القوى السياسية التركية من اليمين واليسار على السواء في تلك المظاهرات، ووجدت في ذلك واجبا ينبغي القيام به مهما كلف الأمر. ومن المؤكد أن سلوك الصحافة اليومية والإذاعة والتلفزيون التركي سلوك عادي باستجابتها لهذه الأحداث. غير أن المشكلة ليست هنا، إنما تنعكس في الموقف التركي من الأحداث التي تقع في منطقة أخرى من اقليم الشرق الأدنى.

وفي منتصف مارس/آذار احتل المقاتلون الكرد (البيشمركه) المتعاونون مع إيران مدينة حلبجة بجنوب كردستان. إلا أن الحكومة العراقية الاستعمارية هاجمت المدينة بعد أن أجبرت المقاتلين الكرد على الخروج منها، ثم هاجمتها بالأسلحة

الكيمياوية. ووفقا للمعلومات التي أوردتها وكالات الأنباء أدى هذا الهجوم إلى قتل نحو 5000كردي وإلى جرح ما يزيد على 10000. وتؤكد مصادر الإعلام الكردية أن الخسائر البشرية التي نجمت عن هذا الهجوم تفوق هذه الأرقام بكثير. والعملية تتعلق دون ريب بعملية إبادة ضخمة ذهب ضحيتها الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ. ولنتتبع عن قرب الموقف الذي اتخذته الحكومة التركية والأحزاب السياسية والجامعات والكتاب والصحافة اليومية والتلفزيون والإذاعة التركية إزاء هذا العمل البربري. لقد التزمت كل هذه المؤسسات الصمت إزاء مذبحة ذهب ضحيتها نحو 5000 قتيل و10000جريح من الكرد وهي التي احتجت أثناء نشوب الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين علنا وبصوت عال على مقتل فلسطيني واحد.

لم تتجرأ الولايات المتحدة في حرب فيتنام على استخدام الغازات السامة ضد السكان. ولم يستخدم الاتحاد السوفيتي أثناء حربه في أفغانستان مثل هذه الأسلحة ضد المجاهدين. وليس بإمكان إسرائيل استخدام هذا السلاح ضد الفلسطينيين. وأيا كانت درجة الغضب الذي تستشعره إسرائيل ضد الفسلطينيين وضد منظمة التحرير الفلسطينية، فإنها لاتستطيع استخدام هذا السلاح. وحتى لو ارادت إسرائيل استعمال هذا السلاح في ظروف معينة، فإنها لن تستطيع موضوعيا أن تفعل ذلك، إذ لا تتوافر لدى إسرائيل الشجاعة على استخدام الأسلحة الكيمياوية خوفا من ردود فعل البلدان الإسلامية والعربية والبلدان المجاورة والرأي العام العالمي. كما أن إسرائيل لا تستطيع استعمال الأسلحة الكيمياوية خوفا من ردود فعل الرأي العام الإسرائيلي نفسه. ذلك لأننا يجب ألا ننسى أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع ديمقراطي. أما صدام حسين فإنه بإمكانه استخدام السلاح الكيمياوي بقدر كبير من السهولة، ذلك لأنه يعلم أن استعمال هذا السلاح ضد الكرد لن يثير انتقاد البلدان المجاورة ولا البلدان العربية ولا تركيا ولا البلدان الإسلامية. كما أنه بإمكانه أن يصم آذانه كي لا يسمع ردود فعل الرأي العام العالمي الديمقراطي. إن من الأسباب الرئيسة التي سمحت لصدام حسين أن يرتكب مثل هذه الجريمة الشنعاء تقديره لضعف ردود الفعل. والأمر يتعلق دون شك بإحدى المزايا التي تتيحها سياسة "فرق-تسد". ونلاحظ أن الأسلحة الكيمياوية قد استخدمت خلال الحرب العراقية-الإيرانية من قبل الطرفين المتصارعين ضد الكرد، الذين يواصلون بمفردهم كفاحهم من أجل استقلالهم الوطني.

قصف النظام الفاشستي الاستعماري العراقي مدينة حلبجة في كردستان الجنوبية بالأسلحة الكيمياوية يوم 1988/3/16. وانعقد مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت يوم 1988/3/20. وناقشت هذه القمة جميع الموضوعات، من المسألة الأفغانية إلى قضية الفلسطينيين ومن الحرب العراقية-الإيرانية إلى مسألة وجود الأتراك في بلغاريا المضطهدين بسبب انتمائهم العرقي. واتخذت القمة قرارات تتعلق بهذه

المسائل. لكن المجزرة التي ارتكبت بحق الكرد لم تكن على جدول أعمال المؤتمر. ولم يتداول المؤتمر بشأن هذه المسألة. ووجه المؤتمر احتجاجا الى الاتحاد السوفييتي بسبب وجوده في أفغانستان، والى إسرائيل بسبب سياستها الإرهابية ضد الفلسطينيين وإلى بلغاريا بسبب عزمها على تغيير أسماء الأتراك لتحويلهم إلى بلغاريين. ولم يطرأ على بال أحد من المؤتمرين أن يحتج على نظام صدام حسين أو مجرد الحديث عن الإبادة التي ذهب ضحيتها أكثر من 5000 طفل وامرأة وشيخ من الكرد وأكثر من 10000 جريح في حالة خطيرة. هذا هو السبب الأساسي الذي سمح لنظام صدام حسين أن يقوم بمثل هذه المجزرة دونما خوف أو وازع من ضمير. وعلى الرغم من شناعة هذا العمل لم تحتج المنظمات الدولية العربية والإسلامية، ولم تجرأ على مساءلته بشأن المجزرة. ولم يتسن طرح هذه المسألة أمام المؤسسات الدولية كما تقتضي الحال. وعلى كل حال، فقد بذلت كل الجهود المكنة للحيلولة دون تمثيل الكرد في مثل تلك المؤسسات. تلك هي المزايا التي تتيحها سياسة المستعمرين "فرق-تسد".

ولما كنا نعتبر كردستان "مستعمرة دولية" فإن بودنا الحديث عن جوانب أخرى نخص هذا الصنف من العلاقات.

الوضع السياسي لكردستان وللشعب الكردي

لا يماثل الوضع السياسي في كردستان وضع المستعمرات، كما لا يماثل الوضع في أشباه المستعمرات، فهو أدنى حتى من مستوى المستعمرة. وللشعب الكردي وضع لا يماثل وضع الشعب المستعمر. فالوضع السياسي لكردستان وللشعب الكردي أدنى بفارق كبير من وضع المستعمرات. وليس لكردستان وضع سياسي محدد، فهي لا تتمتع بأية هوية سياسية. والكرد شعب يريدون له أن ينحط إلى مستوى العبودية وتدمر هويته. وبكلمة أوضح يراد له أن يختفي من سطح الأرض بحضارته ولغته. والهدف النهائي أن يفنى هذا الشعب ويختفي من الوجود. غير أن الشعب الكردي لا يقبل بهذا الوضع أو بالأصح يرفض هذا الوضع الذي أقحمته فيه منذ الربع الأول من القرن العشرين الدول الإمبريالية والمتعاونون معها في الشرق الأدنى. ولكي يكتسب الشعب الكردي حريته يلجأ إلى استخدام جميع الوسائل المتاحة بما في ذلك الكفاح المسلح.

وهنا علينا أن نفسر المقصود بمفهوم " الدول الإمبريالية والمتعاونون معها". إن للدول التي تتعاون مع الدول الإمبريالية على تدمير كردستان واستعباد الشعب الكردي صفة الدولة المحتلة. وعلى خلاف التعاون بين مختلف البلدان والدول الإمبريالية في مجالات معينة، بما في تلك، إبرام أحلاف عسكرية معها، شأن ما فعل العديد من البلدان بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ذلك، على سبيل المثال. تعاون مصر مع الولايات المتحدة. لكن تعاون بلدان مثل تركيا والعراق وإيران وسورية يرتبط بصفة دائمة مع الدول الإمبريالية من خلال احتلالها لأراضي

كردستان. فهذه الدول إنما احتلت وألحقت أراضي كردستان بأراضيها.

ومما لا شك فيه أن الوقائع التالية تنطبق بدورها على وضع كردستان. يستفاد من الأقاليم المستعمرة كاحتياطات للمواد الأولية، حيث تستغل ثرواتها في باطن الأرض مثل النفط والنحاس والفحم والفوسفات وثرواتها الطبيعية الأخرى مثل الغابات والمياه. لكن في تشكل هذه الأقاليم المستعمرة سوقا للمنتجات النهائية. لكن في كردستان خصائص أخرى لا يمكن العثور عليها في المستعمرات التقليدية، وهذه الخصائص هي التي لعبت دورا أساسيا في تدهور مستوى الوضع في كردستان إلى ما دون وضع المستعمرة. ولا يمكن ملاحظة هذه الخصوصيات في المستعمرات التقليدية إلا أنها بادية للعيان في كردستان. ولنلق نظرة على العلاقات بين بريطانيا وأوغندا. ثمة بلد يسمى أوغندا. وهو بلد مستعمر، وحدود هذا البلد معروفة ومحددة. وثمة شعب يعيش في هذا البلد وهو شعب غير بريطاني، ولا تشكل اوغندا جزءا من بريطانيا. كما لا توجد محاولات لتحويل هذا الشعب إلى شعب بريطاني. وهذا أمر يدركه البريطانيون والأوغنديون على السواء. وعندما حصلت أوغندا على استقلالها من خلال المفاوضات الدستورية في نهاية الستينيات لم تتغير حدودها. لقد دشنت أوغندا حياة الاستقلال بحدودها المعروفة. وينطبق ذات الشيء على العلاقات فيما بين بريطانيا وكل من الهند ونيوزيلندا وكينيا والصومال وبوتسوانا. كما وأن بإمكاننا أن نعثر على هذا الخط الأحمر في علاقات فرنسا مع كل من تونس والجزائر والمغرب. لقد وجدت بلدان مستعمرة هي المغرب والجزائر وتونس وشعوب هذه المستعمرات ليسوا من الفرنسيين، ولا تبذل محاولات لجعلهم فرنسيين وهذه حقيقة يدركها الفرنسيون، ومواطنو هذه المستعمرات على السواء، وينطبق ذات الشيء على علاقات البرتغال مع كل من أنغولا وموزامبيق وغينيا-بيساو.

ثمة فوارق كبيرة في تقسيم أفريقيا بين البلدان الإمبريالية الأوربية مثل بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وألمانيا وتقسيم كردستان وتجزئتها في الربع الأول من القرن العشرين من قبل الدول الإمبريالية مثل فرنسا وبريطانيا بالتعاون مع الكماليين وإيران.

ويوجد حاليا في أفريقيا زهاء 50 بلدا مستقلا. وقد حصلت هذه البلدان التي رسمت الدول الإمبريالية حدودها عام 1885 على استقلالها في إطار تلك الحدود. لكن الأمة الكردية التي يبلغ تعدادها في الشرق الأوسط زهاء 30مليون نسمة، لم تحصل على الرغم من ذلك على وضع سياسي لائق. وقد توجب عليها أن تلجأ إلى الكفاح المسلح في محاولة للحفاظ على هويتها ورفض الصيغ الإمبريالية والاستعمارية والعنصرية التي فرضت عليها.

كذلك قسم الإمبرياليون في بداية القرن العشرين الأمة العربية إلا أنهم حرصوا على إنشاء دول عربية خاضعة للانتداب أي مستعمرات تابعة لهم، وفيما بعد الحرب العالمية الثانية نجحت كل هذه الدول

العربيـة في احـراز اسـتقلالها. وعنـد هـذا المسـتوى توجـد فـوارق كـبيرة بـين تقسـيم العـرب وتقسـيم الكرد وتشتيتهم. ومن الممكن النظر إلى تقسيم ألمانيا وكوريا وفيتنام بنفس هذه الطريقـة. وقـد وجـدت باسـتمرار أمـم خضعت للتقسـيم. أما فيما يخص كردسـتان فقـد قسـمت بعـد انحـلال الإمبراطوريـة العثمانية بين الدول التي أنشئت حديثا وإيران حتى يتسنى القضاء على هوية الكرد وكردستان بطريقة أسهل.

كردستان مستعمرة مشتركة

توجد في الشـرق الأدنـى فـوارق كـبيرة جـدا بـين حالـة فلسـطين وحالـة كردسـتان. فـالكرد محـاطون بـدول معاديـة. و علـى الكـرد الـدفاع عـن وجـودهم وكـأنهم في جحـيم، أمـا الفلسـطينيون فهـم محـاطون بـدول صـديقة أو تـدعي ذلـك في الأقـل. ولا يوجـد لفلسطين سوى عدو واحد هو إسرائيل. أما إسـرائيل فأعداؤها ليسوا الفلسطينيين وحـدهم بـل 42بلـدا إسـلاميا منهـا 22 دولـة عربيـة. وعلـى أيـة حـال لا يمكن الادعـاء بـأن هـذه الـدول ذات موقـف ودي مـن إسـرائيل. وفي حـين أدى تقسـيم كردسـتان وتقاسمها الى زيـادة عـدد أعـداء الكـرد وتـركهم دون أصـدقاء، لكننا أصبحنا نشهد منذ بضع سنوات أن للكرد أيضا أصدقاء، يتزايـد عـددهم باستمرار ألا أنهـم أصـدقاء هنا وهناك وكلهم بعيدون عن كردستان.

إن بإمكان الفلسطينيين وهم يخوضون كفاحهم ضد إسرائيل أن يعتمدوا باستمرار على الدعم المادي والمعنوي للبلدان العربية. وفي جميع الحالات الصعبة يمكـنهم أن يجـدوا عونـا في هـذه البلـدان ومواصـلة كفـاحهم السياسـي والعسـكري انطلاقـا منهـا. وهـم يستطيعون اللجوء الى مصر والأردن وسـورية ولبنـان والعراق وتونس والكويت والمملكة العربية السعودية والجزائـر والـيمن وفي منـاطق أخـرى. وأيـا كانـت طبيعـة العلاقـات بـين الفلسـطينيين وهـذه الـدول العربية، وأيا كان مستوى تلك العلاقات فهـم يجـدون أنفسهم من حيث المبدأ، في مكان أمين. ولكـي ترضـي الرأي العام في بلدانها، تجد تلك الـدول نفسها مجبرة علـى تـوفير الـدعم المـادي والسياسـي والمعنـوي للفلسطينيين ولمنظمـة التحريـر الفلسـطينية وعنـد ذلك تنسحب إلى المرتبـة الثانيـة حقيقـة مـا إذا كـان موقـف الفلسـطينيين إزاء إسـرائيل أو إزاء البلـدان الأخرى يرضي أو لا يرضي تلك الدول.

ونعلم بأن الكرد الذين اضطروا لـترك كردسـتان الجنوبية خوفا من القصف بالغازات السامة لجأوا إلى شمالي كردستان الخاضع لسيطرة الأتـراك. وحينمـا وصـلوا احتجـزتهم السـلطات التركيـة في معسـكرات مسيجة بالأسـلاك الشـائكة، ولا حاجـة للحـديث عـن المشكلات الصعبة الـتي واجهها أولئـك لـدى عبـورهم المنطقة الحدودية إلى تركيـا، فهـو أمـر معـروف علـى نطاق واسع. وفي الواقع، فقد استخدمت تـركيا جميع الوسائل الممكنة والمتصورة لتـدمير الحركـة الكرديـة. وعلـى ذلـك، فمـن الطبيعـي أن تتعـاون مـع العـراق. وهذه وجهة نظر موضوعية تعكس موقـف الأتـراك وسلوكهم إزاء الكرد.

وتظهر، من جهة أخرى، نتائج التجزئة والتقسيم بوضوح على صعيد السياسة الدولية إذ تعتبر المشكلة الفلسطينية مشكلة عربية تجد نفسها مجبرة بهذا القدر أو ذلك لتقديم دعم ملموس للفلسطينيين ولمنطقة التحرير الفلسطينية. أما المسألة الكردية فتبدو كأنها مسألة معادية للعرب. ولهذا السبب فإن الدول الراغبة في إقامة وتطوير علاقات جيدة مع العرب تفكر في أن عليها دعم السياسة العربية باتخاذ موقف معادٍ للكرد أي في صالح كل من العراق وسورية. كما أنها لا توجه أهتماما لا لحركة التحرير الوطنية للكرد ولا لكفاحهم من أجل البقاء. ولأن البلدان العربية غنية بثرواتها النفطية، فقد اصبح تكثيف التجارة مع العرب وزيادة حجم الصادرات الموجهة إلى البلدان العربية، والفوز بالمناقصات التي تعلنها واستثمار رؤوس الأموال وتصديرها إلى البلدان العربية نشاطا اقتصاديا وسياسيا رئيسا. يضاف إلى ذلك. أن كفاح الكرد لا يبدو وكأنه موجه ضد العرب فحسب وإنما أصبح في ذات الوقت كفاحا موجها ضد الأتراك والإيرانيين. ولهذا السبب فإن البلدان التي تتفاوض مع تركيا ومع إيران والتي تريد تطوير علاقاتها معهما لا تبدي تفهما إزاء الكفاح المشروع للكرد. وتقبل بالسياسة العنصرية والاستعمارية التي يتبعها كل من الأتراك والإيرانيين. ان لتطوير العلاقات الاقتصادية الأولوية على مفاهيم عامة مثل المفاهيم ذات الصلة بحقوق الإنسان والمساواة بين جميع الأمم. وأن بلدانا مثل تركيا وإيران والعراق وسورية تعرف كيف تستخدم حجم التجارة والاستثمارات والمناقصات التي تطرحها في الخارج كوسائل للضغط "إنكم لن تحصلوا على عروضنا إذا ما اتخذتم قرارات بشأن هذا الموضوع أو ذاك، أو إذا ما شاركتم في اتخاذ قرارات ضد مصلحتنا أثناء التصويت في المؤسسات الدولية.. وإذا ما امتنعتم عن اتخاذ موقف معاد لتركيا سنشتري منكم سربين من الطائرات".. الخ.

فعلى صعيد السياسة، وفي المؤسسات الدولية يجري بحرارة دعم قضية الفلسطينيين. وعلى العكس من ذلك، يرفضون كل عون للكرد، في حين أن كفاح الكرد مشروع شأنه شأن كفاح الفلسطينيين. كما يجري باستمرار تجاهل مشاكل الكرد. لقد بدأ كفاح منظمة التحرير الفلسطينية ضد إسرائيل في منتصف الستينيات. لكنها استطاعت بسرعة الحصول على صفة مراقب في المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة والمؤتمر الإسلامي. فقد أتيحت لهم فرصة تمثيل انفسهم. وكل ذلك يعزى الى ان للفلسطينيين الكثير من الأصدقاء المؤثرين في صعيد السياسة وفي المؤسسات الدولية. أما الكرد فلديهم الكثير من الأعداء. ويتردد أصدقاء الكرد في دعم كفاحهم المشروع ذلك لأنهم يضعون اعتبارات لأعداء الكرد. وهذا هو الموقف بالنسبة للدول ولبعض المؤسسات الدولية. لكن الرأي العام العالمي الديمقراطي يبدي اهتماما متزايدا بالمسألة الكردية.

ولبلدان مثل الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية ومنظمات مثل الاتحاد الأوربي اتجاه نحو

تطوير سياساتهم في الإطار المذكور. فهم يوازنون المسألة الكردية من زاوية الإمكانيات الاقتصادية والصناعية لما يزيد عن 100مليون عربي، ويطبقون نفس هذا المبدأ على سكان تركيا وإيران. وتتطور سياسات البلدان الاشتراكية والشيوعية في نفس هذا الإطار تقريبا. ذلك أن النظرة إلى المسألة الكردية من وجهة نظر المبادئ الأساسية للاشتراكية مثل حق الشعوب في تقرير مصيرها تعتبر محيرة إلى حد ما، ذلك لعدم وجود اختلاف كبير في الواقع، بين سياسة البلدان الاشتراكية والشيوعية وموقف البلدان الرأسمالية. فقد بات من المعروف أن الاشتراكيين والشيوعيين يمارسون بقدر متزايد من النجاح سياسة الإغفال والأذن الطرشاء. وبعد أن استخدم العراق السلاح الكيمياوي ضد الكرد في كردستان الجنوبية ظهرت بعض ردود فعل ضعيفة إلى حد كبير من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي ومن بعض الدول الأخرى. ولم تتخذ بلدان الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، أي موقف مهما كان بسيطا للاحتجاج على العراق. أما فيما يخص منظمة التحرير الفلسطينية، فقد سكتت بدورها ولم تقدم أي نقد أو احتجاج. وهو سلوك يؤسف عليه فقد تولد لدينا شعور بأنها تدعم المجازر وأعمال القتل الجماعي بدعمها للممارسات الاستعمارية والفاشية لصدام حسين. وتساهم هذه المواقف في تسهيل ممارسة صدام حسين لأعمال الإبادة. وتشجع الاتجاهات الفاشية والاستعمارية على الاستمرار. إن في قلب هذه المشكلة يكمن النظام الاستعماري العالمي المطبق في كردستان واستغلالها كمستعمرة مشتركة.

قلنا سابقا أنه ليس بمقدور إسرائيل استخدام الأسلحة الكيمياوية ضد الفلسطينيين، ولن تجرأ على مثل ذلك. والآن لنتصور افتراضا مهما كان ضعيفا بوقوع مثل هذا الحدث: سيضطرب المسرح السياسي برمته وستنظم مظاهرات في البلدان العربية والإسلامية وبلدان العالم الأخرى أمام مقرات المنظمات الدولية تستمر أياما واسابيع وأشهرا بكاملها، وستصدر تصريحات وتعقد ندوات ومؤتمرات واجتماعات توجه خلالها انتقادات واحتجاجات ضد إسرائيل تستنكر سياساتها هذه. وستصدر عن البرلمانات في العالم قرارات، وستدرج هذه الجريمة في جداول أعمال المؤسسات الدولية، وسيصدر مشروع قرار تلو الآخر. وستعزل إسرائيل على الصعيد العالمي. وستناقش موضوعات فرض حصار اقتصادي ومالي ودبلوماسي على إسرائيل. لكن عندما استخدمت الأسلحة الكيمياوية ضد الكرد لم يحدث أي شيء من هذا القبيل. إن صدور احتجاج أو احتجاجين ضعيفين لن يخيف أولئك الذين يغامرون بفكرة الإبادة الجماعية للجنس ويطبقونها.

هذه هي الحالة الفعلية التي نجمت عن تجزئة كردستان وتقسيمها. إن سياسة "فرق-تسد" تحمل مزايا كبيرة للذين يمارسونها. وان استغلال ثروات كردستان بصفتها مستعمرة مشتركة إنما يشجع التعاون فيما بين الدول التي تقتسمها.

ليست المسألة الكردية مسألة أقليات

يجدر بالتذكير في هذا المقام بأن الكرد ليسوا أقلية، فهم يعيشون في وطنهم وعلى ارضهم. وهم السكان الأصليون لهذه البلاد. ولم يأتوا إلى كردستان من إقليم أو منطقة أخرى. وعلى العكس من ذلك، لم يصل الأتراك، على سبيل المثال، إلى الأناضول إلا في القرن الحادي عشر الميلادي. فالكرد ينتمون، شأن العرب والفرس، إلى السكان الأصليين في الشرق الأدنى. وينفرد الكرد من بين هذه الشعوب في أنهم قسموا وشتتوا ووزعوا بمشيئة سياسة إمبريالية واستعمارية. وقد أدى هذا التقسيم وهذا التوزيع للأراضي الكردية بين مختلف البلدان إلى خفض نسبة السكان الكرد داخل حدود كل دولة. ويجدر التأكيد على أن من الصعوبة بمكان الحديث عن أقلية يتراوح عددها بحدود 30مليون نسمة.

وظهر في الآونة الأخيرة من يقول من بين السياسيين العنصريين والاستعماريين الأتراك مثل Bulent Ecevit أن الكرد ليسوا أقلية، فهم ينتمون، شأن جميع الأتراك، لأغلبية أسست الجمهورية التركية. ولهذا السبب لايحق للكرد المطالبة بحقوق لغوية وثقافية وقومية وديمقراطية. وإذ هم يطالبون بمثل هذه الحقوق إنما يدعون إلى إيجاد وضع خاص بهم وعلى ذلك، فهم انفصاليون، في حين هم شأن الأتراك شعب أسس الجمهورية التركية. ومن جهة أخرى، لا يعتبر Bulent Ecevit نعت "التركي" دلالة على مجموعة عرقية، وإنما اسم لأمة نشأت بعد تأسيس الجمهورية التركية داخل حدود الميثاق الوطني من خلال دمج وتذويب الأتراك والكرد والعرب والقوقاز وغيرهم.

ولا بد من تكذيب هذا التعريف الخاطئ ومعارضته، فأين يا ترى توجد أغلبية لا تتمتع حتى بحقوق الأقلية شأن الأرمن واليونانيين واليهود؟ ناهيك عن الاعتراف بالحقوق الديمقراطية والقومية للكرد. تستخدم تركيا المقولة الآتية: "لا توجد أمة كردية، إنهم جميعا من الأتراك"، وتنكر كل ما يخالف ذلك. وهذا يعني أنها تنكر وجود الكرد. وبإعلانها أنه جميع الأكراد أتراك تريد أن تقول أن من غير الممكن المطالبة بحقوق لأمة لا وجود لها. وثمة بعض من السياسيين العنصريين والاستعماريين الأتراك من أمثال Bulent Ecevit إلى جانب عدد كبير من المثقفين ممن يقولون "إن الأكراد هم على كل حال جزء من الأغلبية". لكنهم مع ذلك، يتخذون مواقف لاتحترم الحقوق القومية والديمقراطية للكرد. ولا فرق كبيرا بين هاتين الصيغتين للايديولوجية الرسمية للدولة. فهذه الأفكار ليست سوى نتاج لمفهوم في الديمقراطية يقتصر على الأتراك وحدهم، وقد أنشئ من أجلهم بطريقة تركية محضة. ولا يمكن للديمقراطية التي تتخذ مثل هذا الموقف العنصري والاستعماري أن تظهر بهذا الوجه، الا ان هؤلاء الاشخاص انفسهم سرعان ما يغضبون وتتسم ردود أفعالهم بالسخط إذا ما يكتب صحفي بلغاري عن الأقلية التركية في بلغاريا ويشرح أن

الـذنب لا يقـع علـى الأتـراك إن هـم لا يتكلمـون اللغـة البلغاريـة ذلـك لأن الدولـة لم تعلمهـم إياهـا. وهـذه النظرة تبرز حقيقة أن التكلم باللغة التركية وتعلمها حق من الحقوق الاساسية، وعندما يطالب المرء بشيء للأقلية الثقافية التي ينتمي إليها كأن تتحدث بلغتها وتمارس ثقافتها، ويرفض نفس هذا الحق لأمة أخرى أو لشعب آخر، فهذا هو عين العنصرية.

إن هذا الموقف هو بكل بساطة موقف عنصري خالص. وهذا الموقف العنصري والاستعماري يجعل الأفراد والمؤسسات تتصرف وتفكر وفقا لمبدأ الكيل بمكيالين.

وينتقـد سياسـيون ومثقفـون أتـراك مـن أمثـال Bulent Ecevit البلدان الغربية والرأي العام فيها على أخلاقياتهم ذات الوجه المزدوج، ذلك لأنهم لايحتجون بما فيه الكفاية ضد الظلم الذي يعاني منع الأتراك في بلغاريا. لكن هؤلاء لا يستطيعون حتـى مـن خـلال مثـل هـذه الاتهامـات إخفـاء أخلاقياتهم المزدوجة، ذلك لأن الاضطهاد والظلم الذي يعاني منهما الكرد في تركيا لا نظير لهما في أي مكان وهما أشد خطورة مما يعانيه الأتراك في بلغاريـا. وطالمـا لا يحـتج السياسـيون والمثقفـون الأتراك على الظلم والاضطهاد اللـذين تمارسـهما الدولـة التركيـة ضـد الكـرد، وطالمـا تخلفـوا عـن النضـــال ضـــد هـــذه الممارســـات العنصـــرية الاستعمارية المستخدمة ضدهم، وطالما انحازوا إلى سياسة الاضطهاد والظلم هذه، وطالما استمروا على تقديم البراهين على أخلاقياتهم المزدوجة، فلـن تؤخـذ علـى محمـل الجـد مطالبـاتهم بشـأن وضع الأتراك في بلغاريا من قبل الدول الغربيـة. لقد بدأ الغرب في السنوات الأخيرة يتفهم المسألة الكردية على نحو أفضل. ويتزايد الاهتمام الذي توليه المؤسسات الديمقراطية ويمنحه الرأي العام الديمقراطي في البلدان الغربية للمسألة الكرديـة ويقوي يوما بعد يوم.

إن المسألة الكردية ليست مسألة أقليات، والأمـر لا يتعلـق بحقـوق أقليـات. إن جـوهر المسـألة الكرديـة يكمن في حقيقة أن الأمة الكردية وبلادها كردستان قـد قسـمت ووزعـت مـن قبـل الـدول الإمبرياليـة وأعوانهـا في الشـرق الأدنـى. لقـد سـلبوا حـق الأمـة الكردية في تأسيس دولة مستقلة.

وبصدد هذا الموضوع يتوجب استرعاء الانتباه نحو مفهوم أخذ يـتردد كـثيرا في الأيـام الأخـيرة، منـذ ان بـدأ الممثلـون النموذجيـون للسياسـة الاسـتعمارية والعنصرية التركيـة المطبقـة في كردسـتان مـن أمثـال Erdal Inonu وCoskun Kirca بترويج مفهـوم Pan Kurdisme أي "جامعـة الـبلاد الكرديـة"، وقـال Erdal Inonu إنهـم لا يرغبـون في طـرح المسألة الكرديـة في برنـامج حـزبهم لأنهـم سـيدعون للانفصالية في هذه الحالـة. وإنـه لأمـر يـثير السخط بوجـه خـاص أن يـدعو هـؤلاء السياسـيون والكتـاب الأتراك العنصريون والاستعماريون إلى التوحيـد ولم الشمل وإلى اختراع مفهوم "جامعة الـبلاد الكرديـة"، في حــين يلــوذون بالصــمت إزاء حقيقــة تقســيم كردســتان وتقاسمهــا بالتعــاون مــع الإمبريــاليين

الفرنسيين والبريطانيين. إن ما يقترحه هؤلاء على الكرد ليس سوى وضع العبيد. ولهذا السبب استبعدوا من حزبهم سبعة برلمانيين من أصل كردي لأنهم شاركوا بباريس في أكتوبر/ تشرين الأول 1989 في مؤتمر "الأكراد: حقوق الإنسان والهوية الثقافية". وقبل ذلك، كانت تركيا قد نزعت عن أحد البرلمانيين الحصانة لأنه ألقى كلمة بخصوص الشعب الكردي أمام الهيئة البرلمانية للمجموعة الأوربية. إن سلوك الحزب الشعبي الديمقراطي الاجتماعي وهو الحزب الذي بعث العنصرية والنزعة الاستعمارية التركية ليس غريبا البتة، ذلك لأن سياسة الحزب المذكور هذه لا تأخذ بالاعتبار إرادة الشعب واحتياجاته. فهي تنسج على نهج الايديولوجية الرسمية و"الدوائر الحساسة". والجملة التالية تعكس بوضوح هذا الاتجاه "وحتى لوكان الأمر يتعلق بسبعة وخمسين برلمانيا وليس بسبعة برلمانيين ينبغي أن يستبعدوا من الحزب، وحتى لو رفض المشاركة كل البرلمانيين بعد ذلك فسنكون حتى في هذه الحالة مضطرين لاستبعادهم من الحزب".

إلا أن ما هو شنيع حقا، أن يشارك بعض من الكرد في تنفيذ هذه السياسة الاستعمارية والعنصرية ويدعموها. وهذا سلوك مهين يدنس الطبيعة البشرية. ومن الأمثلة الصارخة على مثل هذا السلوك موقف أعضاء الحزب الشعبي الديمقراطي الاجتماعي الذين شاركوا في ديسمبر/ كانون الأول 1989 بصفة مراقبين في اجتماعات البرلمان الأوربي ببروكسيل. فقد صدر عن البرلمان الأوربي القرار الآتي "ينبغي أن يتمتع الأكراد في كل بلد يعيشون فيه بالحكم الذاتي الإداري والثقافي" وهنا عارض أعضاء الحزب المذكور هذا القرار وحاولوا عرقلة الموافقة عليه، مؤكدين على أنهم يشعرون بالرضا في تركيا وأنهم لا يريدون الحكم الذاتي. وخالج شعورا بالازدراء البرلمانيون الأوربيون إزاء أعضاء الحزب الشعبي الديمقراطي-الاجتماعي هؤلاء الذين كرروا بإلحاح أنهم ليسوا بحاجة إلى الحكم الذاتي وأنهم يفضلون البقاء عبيدا. وعلقت صحيفة Cumhuriyet-التركية العدد الصادر يوم 1989/12/6 بالقول "وإنهم لم يتأخروا في تقديم درس إلى الأكراد في الديمقراطية والحربية" إن إيفاد برلمانيين من أصل كردي إلى مثل هذه الاجتماعات هو من إحدى السياسات الاستراتيجية للحزب الشعبي الديمقراطي-الاجتماعي، وهو مظهر مقزز للسياسة العنصرية والاستعمارية التركية. فالذين يطالبون بالحكم الذاتي للكرد ويرغبون في الاشتراك في اجتماعات تلقى خلالها كلمات مثل اجتماعات بروكسيل يطردون من الحزب. ويوفد أولئك الذين يصرحون بأنهم ليسوا بحاجة إلى الحكم الذاتي وأنهم يفضلون البقاء عبيدا إلى تلك الاجتماعات! وبحجة أنهم ديمقراطيون-اجتماعيون تفضل الحكومة أن تعهد بمثل هذه المهمات إلى الحزب المذكور.

ولا بد من التعليق ببضع كلمات على المسألة العنصرية، فالعنصرية التركية لا تشبه

العنصرية التي وجدت في الولايات المتحدة والتي كانت موجودة في جنوب أفريقيا، بأن يجري الفصل بين الأجناس على مستوى المحلة السكنية والمدارس والمقاهي أو على سواحل البحر، إذ أن للعنصرية التركية وجهاً آخر، فهي تستهدف تدمير الثقافة الكردية باستخدام عنف الدولة، وبأن تفرض على الكرد الثقافة التركية ولغتها. انهم يريدون إنكار وجود اللغة والأمة الكردية، وهم يعتبرون جميع السكان أتراكا. إن العالم برمته لم يشهد نظيرا لهذا النوع من العنصرية، إنها أكثر تدميرا ورجعية من السياسة الرجعية في جنوب أفريقيا، إنها عنصر ملازم للاستعمار التركي في كردستان.

انحلال المستعمرات التقليدية وكردستان

يوجد فرق مهم آخر بين المستعمرات التقليدية وكردستان، فعندما أنشئت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وفي إطار عصبة الأمم المستعمرات الجديدة أو بالاحرى لدى تحديد الوضع الجديد للمستعمرات، لم يكن من المعتقد أن ذلك سيكون بمثابة حل دائم، إذ بعد أن تتقوى الهياكل الاقتصادية والسياسية والإدارية للمستعمرة، ينسحب البلد الإمبريالي المستعمر ويمنح الاستقلال للمستعمرات. وحتى يتحقق ذلك، يكون المستعمر قد أنهى مهمته في "تمدين" الشعب. ففي أفريقيا، لايوجد سوى عدد قليل جدا من البلدان الأفريقية نالت استقلالها عبر الإجراءات الدستورية. أما بالنسبة إلى الكرد فإن الذي فرض عليهم حل نهائي، إذ تراد الأمة الكردية أن تبقى إلى الأبد دون هوية وفي وضع العبيد مقسمة ومجزأة ومشتتة. ومع ذلك، فإن الوضع السياسي لكردستان لا يرقى حتى إلى مستوى المستعمرة فكردستان ليست ولا حتى مستعمرة، ولا توجد هوية كردية إذ لا هوية لكردستان.

إن الأحداث التي آلت ولادة المستعمرات التقليدية تتعلق بكردستان أيضا. بيد أن المسألة الكردية لم تطرح آنذاك، فقد واجهت كردستان بمشكلات أخطر بكثير من المشكلات التي وجهت بها المستعمرات التقليدية. ولنتطلع الى القرن التاسع عشر. فقد تجمعت عوامل كثيرة أدت إلى ظهور عصر الاستعمار. فمن جهة، كانت البلدان الصناعية بحاجة إلى مواد أولية، مثل النفط والحديد والكروم والمطاط وغير ذلك، وهي متاحة في الشرق الأدنى والأقصى وفي أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وأفريقيا. ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بهذه الأقاليم. ومن جهة أخرى، كان لابد من إيجاد أسواق جديدة لتسويق منتجات البلدان الصناعية، بحيث تصبح البلدان التي تجهز المواد الأولية في الوقت ذاته أسواقا جديدة.

ونظرا لأن كل بلد صناعي كان يرغب في الوصول إلى تلك الأقاليم قبل غيره، فقد احتدم الصراع على أشده بين المتنافسين، وكان المبدأ التالي هو المبدأ الذي يوجه سلوك تلك البلدان: "ما لم أضمن هذا الإقليم لصالحي فإن الآخرين سيستحوذون عليه"، وهكذا حاولوا العمل لكي

يلحقوا تلك الأقاليم باسرع ما يمكن باقتصادهم. وبدأوا أولا بارسال الفنيين والموظفين الإداريين والأساتذة ورجال الدين ورجال الأمن..ألخ. وظهر آنذاك محفز مهم آخر ساهم في ظهور النظام الاستعماري. فقد ارتأت تلك الدول حماية مواطنيها من السكان "الأصليين" ومن آكلي اللحوم البشرية، وتبع ذلك تزايد عدد رجال الأمن المقيمين في تلك البلدان بسرعة ملحوظة.

ومن بين الأسباب التي أدت إلى استعمار إقليم ما أو إلحاقه بمنطقة التأثير الإمبريالي نذكر الأسباب الإستراتيجية أيضا. من ذلك، على سبيل المثال، ان المصلحة الرئيسة وراء العلاقات بين الولايات المتحدة وفيتنام خلال الستينيات لم تكن قائمة على استغلال الموارد الطبيعية، أو خلق أسواق إقليمية جديدة، وإنما المصالح الاستراتيجية الأمريكية. إن أية دولة تسيطر على فيتنام تتاح لها فرصة السيطرة على إقليم الشرق الأقصى برمته. وما لم تتمكن من السيطرة على فيتنام فإن تأثيرها سيضعف في كامل هذا الإقليم. وهو مبدأ يدعى في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بـ"نظرية الدومينو". ويعني هذا المبدأ أيضا أن في حالة ظهور حركة ثورية في أي بلد من بلدان جنوب شرقي آسيا، وإذا ما سيطر الثوريون أو الشيوعيون على فيتنام فإن حكومات البلدان الأخرى في الإقليم ستسقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي أولئك الثوريين. وبذلك تصاب السياسة الخارجية للولايات المتحدة بالشلل التام.

لقد أثرت هذه العوامل نفسها في عملية استعمار كردستان، وكان الاحتياطي النفطي في كردستان ومياهها ونحاسها وحديدها وفوسفاتها ومناجم الفحم فيها الى جانب موارد أخرى، ومبدأ "ما لم أمتلك أنا هذه الثروات فسيستحوذ عليها غيري"، وفكرة توفير الحماية للرعايا، من بين الدوافع المهمة جدا لاستعمار كردستان. ولكنه أليست هذه العوامل ولدوافع هي نفسها التي مازالت تقف اليوم وراء المسألة الكردية؟. تتضح الإجابة عن هذا السؤال من خلال تقسيم كردستان وتجزئتها، أي أن هناك سياسة استعمارية تنفذ بصفة مشتركة من قبل مختلف الدول التي تطمح في الحصول على منافع استراتيجية.

وعندما يمارس عدد من الدول بصفة مشتركة سياسة استعمارية وليس بلدا واحدا، فلا ينبغي الاعتقاد بأن الأمر يتعلق فقط بمشكلة كمية، فتطبيق السياسة الاستعمارية من قبل عدد من الدول-في حالة كردستان أربع دول- بصفة مشتركة يؤدي إلى تغيير نوعي في خصائص العلاقات ما بين الشعب المستعمر ومستعمريه. وهذا هو ما نريد التعبير عنه لدى قولنا ان "كردستان بلد لم يرق حتى إلى مستوى المستعمرة".

كما لاينبغي الخلط بين "سياسة البلقنة"، وتقسيم كردستان وتجزئتها، ذلك أن "البلقنة" هي بديل لسياسة "فرق-تسد": أن تثار أعمال عدوانية بين شعوب متجاورة بحيث تصبح المنطقة التي تعيش فيها تلك الشعوب غير مستقرة سياسيا. ففي

الوقت الذي تعيش فيه هذه الشعوب بأمان وحسن جوار في نفس المنطقة، تثار الخلافات فيما بينها وتغذى حتى تشتد حدة. وبذلك يسود العداء بين الشعوب، وهذا دليل على أن التناقض قد تفاقم بين مصالح الدول الإمبريالية في تلك المنطقة.

أما ما حدث في كردستان لدى تجزئتها وتقسيمها فكان على العكس تماما من ذلك. فقد أخطرت الدول التي تستغل كردستان بصفتها مستعمرة مشتركة إلى التعاون فيما بينها حتى تحمي مصالحها. وإذا ما حدث تناقض بين القوى الوطنية الكردية وهذه البلدان المستعمرة، تتخذ حالة عدم الاستقرار سمة مختلفة تماما. فهذه الحالة تنشأ بغض النظر وعلى الرغم من رغبات الدول المستعمرة الأربع وإجراءاتها.

السيرة الذاتية للمؤلف

ولد اسماعيل بيشكجي عام 1939 في Isklip بالقرب من محافظة Corum بتركيا, و فيها اكمل دراسته الإبتدائية و الثانوية. و من جامعة انقرة حصل على ليسانس في العلوم السياسية, و حصل على الدكتوراه بعلم الإجتماع من جامعة اتاتورك في ارضروم عام 1967 تعرف بيشكجي على الشعب الكردي اثناء فترة خدمته العسكرية بين عامي 1962 و 1964 في منطقتي بدليس و هكاري الكرديتين. و كتب بعد ذلك يقول:

حينما وصلت الى جنوب شرقي تركيا لأداء خدمتي العسكرية رأيت بعيني و شاهدت بنفسي شعبا له لغة و تأريخ و تقاليد تختلف عما لدينا نحن الأتراك. و هذا الشعب لا يحمل الإسم الذي يطلقه عليه الأتراك, فهو لا يسمي نفسه: اتراك الجبال و انما يسمي نفسه: نحن الكرد.

كرس بيشكجي منذ ذلك الوقت جهوده الفكرية و نشاطه العلمي من اجل الشعب الكردي دارسا اوضاعه و تاريخه و مدافعا عن حقوقه القومية و الديمقراطية و خصوصيته الحضارية محاولا إفهام المثقفين الأتراك الحقائق الناصعة التي ادركها و التي يتنكر لها الكثيرون منهم, كما ترفض الدولة التركية التسليم بها و تواجهها بالحديد و النار دونما جدوى منذ ما يزيد على 70 عاما.

و نشر لابلاغ رسالته هذه 31 دراسة و بحثا منها على سبيل المثال لا الحصر:

-"التنظيم الإجتماعي لاحدى العشائر الكردية المتنقلة التي تقطن منطقة سيلفان في الشتاء و ترحل صيف الى جبال نمرود و صوفان" (رسالة الدكتوراه, 1967)

-"التغييرات الإجتماعية التي طرأت على العشائر الكردية المتنقلة شرق الأنضول". و أخرى بعنوان: "تحليل تظاهرات الشرق", 1968.

-"التغيير في الشرق و المشكلات الهيكلية" (عشيرة عليخان الكردية المتنقلة), 1969.

-"النظام الإجتماعي في شرق الأناضول", 1969.

-"الأسس الإجتماعية و الإقتصادية للمجموعات العرقية", 1969.

-"المنهج العلمي المطبق في تركيا - اولاً: تهجير الأكراد", حيث صودر الكتاب و احيل الى المحاكم, 1977.

-"المنهج العلمي المطبق في تركيا - ثانياً: حول النظرية التركية للتاريخ, نظرية لغة الشمس. كتاب عن المسألة الكردية", و قد صودر و أحيل المؤلف الى المحاكم.

-"المنهج العلمي المطبق في تركيا - ثالثاً: النظام الداخلي للحزب الشعبي الجمهوري (1927)", و كتاب عن المسألة الكردية, حكم بسببه بالسجن لمدة 3 سنوات بتهمة جرح المشاعر الوطنية, 1978.

-"كردستان مستعمرة دولية", حيث صودر الكتاب و أودع المؤلف السجن بإنتظار المحكمة, و أطلق سراحه مؤقتا في يوليو/ تموز. و بعده صدر كتابه "العلم و الايديولوجية الرسمية و الدولة: الديمقراطية و المسألة الكردية". نشر كتابه "المثقف و المنظمة و المسألة الكردية" في اسطنبول و وزع في جميع ارجاء تركيا, 1990.

لقد جعلت هذه البحوث و الدراسات من بيشكجي اقدم سجين سياسي في الدولة التركية "العلمانية" و "الديمقراطية" متهم بالمس بكرامة الدولة و شرفها لأنه بحث في المسألة الكردية التي تعتبرها الدولة التركية من المحرمات التي لا يتوجب البحث فيها و الحديث بشأنها. اما هو فيقول: "انني اخوض نضالا سلميا حتى يفسحوا المجال للمناقشات العلمية التي ترفض المحرمات و الرقابة و تستند الى حرية التعبير عن الرأي و إحترام حقوق الإنسان من أجل إنقاذ الشرف التركي".

عرف بيشكجي طريقه أمام المحاكم المدنية و العسكرية و وراء القضبان في السجون التركية منذ عام 1971 و قد بلغ مجموع الأحكام التي صدرت بحقه حتى الآن سجنا اكثر من قرنين و نصف, قضى منها 15 عاما و نصف. و هو الآن نزيل السجن المركزي الخاص في انقرة.

يحتل بيشكجي مكانة مرموقة بين المثقفين الأتراك و يحظى بحب كبير من لدن ابناء الشعب الكردي و بإحترام مثقفي الإقليم من مختلف القوميات, و بشهرة عالمية, حيث انبرى للدفاع عنه و إطلاق سراحه من سجون تركيا مرات عديدة عدد كبير من المثقفين و السياسيين الأوروبيين و الأمريكيين. و تنظم في العواصم الأوربية ندوات كل عام لدراسة أفكاره و نظرياته و للدفاع عنه.

و منحت جوائز علمية و أدبية عرضتها عليه عدة منظمات أوربية غير حكومية, الا انه لم يقبل سوى جائزة اتحاد الكتاب النرويجيين قائلا لأن الدول الإسكندنافية لا تبيع السلاح الى تركيا. و قال في رفضه للجوائز الأخرى: إنني أرفض نفاق الدول التي تمول تركيا و تبيع حكوماتها السلاح لهذه الدولة المسؤولة عن تدمير كيان كردستان و الشعب الكردي. و امتنع عن تسلم جوائز المنظمات غير الحكومية لأنها لا تقدمها الا لكي تزيل الشعور بالذنب عن كاهلها من خلال مكافأة ضحايا السياسة البشعة للدولة التركية.

*كتب اسماعيل بيشكجي قبل 35 عاما يقول: "عندما وصلت الى جنوب شرقي تركيا رأيت بعيني و شاهدت بنفسي شعبا له لغة و تاريخ و تقاليد تختلف عما لدينا نحن الأتراك, و هذا الشعب لا يحمل الاسم الذي يطلقه عليه الأتراك, فهو لا يسمي نفسه أتراك الجبال و انما يسمي نفسه نحن الأكراد".

و من الحقائق الثابتة على امتداد التاريخ الكردستاني القديم و الحديث و المعاصر حقيقة تتجسد في رفض الأكراد الخضوع لسيطرة الدول المجاورة و لغيرهم, كما انهم فشلوا في احراز تحررهم السياسي و بناء دولتهم المستقلة في آن واحد, بل هم الأمة الوحيدة التي يتجاوز عدد سكانها 30 مليون نسمة, "لكنها لا تتمتع بكيان سياسي على الإطلاق في عالم اليوم.

يحلل اسماعيل بيشكجي هذا الجانب تحليلاً موضوعياً واضعا يده على جوانب الضعف و التمزق في المجتمع الكردستاني و تركيبته الطبقية و سلوكيات رموزه السياسية و الدينية, و يلقي أضواء كاشفة على العوامل الخارجية و الداخلية المتصلة بمأساة هذا الشعب المنكوب, و يحدد له طريق الخلاص من محنته المزمنة.

* فصول من كتاب لاسماعيل بيشكجي بعنوان (كردستان مستعمرة دولية) , ترجمة: زهير عبدالملك , دار APEC للطباعة و النشر – سويد , 1998 .

في العدد القادم :

الانفال و الحداثة

مريوان وريا قانع

ترجمة: عبدالله علي سعيد

دوائر الصراع
و
إستراتيجية الامن القومي الكردي

• تأليف: محمود ملا عزت

➢ قراءة: مصطفى صالح كريم

هذا الكتاب صدرت منه ثلاث طبعات باللغة الكردية الأولى في الخارج و الثانية و الثالثة في السليمانية بكردستان العراق عام1998 و 1999 و هو مقسم الى اربعة فصول, الفصل الأول "الجذور التاريخية لمحاولات تعريق الكرد و مسألة كردستان" الفصل الثاني "الكرد و الصراع و استراتيجية الأمن القومي", الفصل الثالث "جرائم النظام العراقي في عمليات الأنفال و الإبادة ضد الكرد", الفصل الرابع "من الإبادة الجماعية الى كردستان فيدرالية".

و يشرح المؤلف في الفصل الأول الجذور التاريخية لتعريق الكرد و مسألة كردستان, موضحاً بأن فكرة ربط كردستان بالعراق و ربط المسألة القومية للكرد بالحدود السياسية و الجغرافية للدولة العراقية الحديثة التأسيس و محاولات تعريق الشعب الكردي و اهدافه المرحلية الاستراتيجية ليست ظاهرة جديدة و لا هي وليدة ايامنا هذه, بل ان لها قواعد و اسسا اقتصادية متريالية و تاريخية خاصة ان تلك الأراء و المخططات و المحاولات ظهرت خلال المسار المتتالي في سنوات ما قبل و ما بعد الحرب الكونية الأولى و تنامت و مهدت لها الأرضية و القاعدة و الحدود السياسية و الجغرافية, ثم جرت محاولات تثبيتها و تقويتها بهدف جعلها شيئاً ازلياً, الى جانب خلق ظروف مواتية لإدامتها. و في فترة لاحقة ضمن هذه الظواهر برزت على مسرح الأحداث ظاهرة

التعريب –اي جعل الكرد عرباً- و محاولات الصهر القومي للكرد بشكل فاقت مسألة التعريق بل وقفت ضدها, عدا الفترات التي كان عموم الشعب العراقي بمن فيهم الكرد و جميع حدود العراق الحالية و من ضمنها كردستان اعتبروها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي, لأن ذلك كان مسنداً هاماً في خدمة ستراتيجيتها, و ضمن هذه الظواهر ظهرت صراعات و نضالات متعددة ضد تلك المحاولات, و كان الوقوف بحزم بوجه تلك الظواهر انعكاساً لتطلعات و طموحات الشعب الكردي للإستقلال, و كانت قوة متريالية راسخة داخل صراع صعب و غير متكافئ تواصل نضالها ضد المحتل و تنفذ مخططاتها لتبلغ الى هذا المستوى الذي عليها الآن.

في القسم الأول من هذا الفصل المعنون بـ(التفافة ابعد الى التأريخ السياسي و الجغرافي للمنطقة) يرد موجز تأريخ المنطقة منذ نشوء الإمبراطورية العربية الإسلامية و غزو منطقة الشرق الأوسط و التغيرات الكبيرة التي حدثت منذ تأسيس الدولة الأموية في الشام (661-750 م) و التي بدأت بفرض سلطة الارستقراطية العربية و محاربة الأقوام الأخرى و ثقافتها و تراثها, مما ادى الى ان تبدأ الشعوب غير العربية بالتحرك و خاصة بعد سقوط هذه الدولةو تأسيس الدولة العباسية 750-1258 و في القرون الحادية عشرة الى الرابعة عشرة شهدت المنطقة صراعات و حروب, و رغم ان الكرد لم يكن باستطاعتهم تأدية دور بمستوى الادوار التي قام بها العرب و الفرس إلا أنهم مع ذلك استطاعوا تأسيس دول و امارات مستقلة او شبه مستقلة منها الدولة الهزيانية (907 م) و الدولة الحسنوية (959-1015 م) و الدولة الدوستكية (982-1086 م) و الشدادية (1951-1164 م) و في القرن الثاني عشر بدأت دولة اردلان تتعاظم الى درجة لم يكن باستطاعة جنكيز خان اجراء المبادلات فيها و كما قال لونگريك اضطر الى الاعتراف بها و لاشك بأن الأيوبيين و الدولة الايوبية (1171-1250 م) بدءاً من صلاح الدين كان لها دور هام, هذا عدا نشوء عدد من الأمارات الهامة في الحقبات التاريخية اللاحقة, مثل بوتان و اردلان و سوران و بابان.. و عندما تأسست الدولة العثمانية (1299) و الصفوية (1502) كل في منطقة صغيرة من بلاد الفرس و الأناضول ثم بدأت النمو و الإزدهار حتى اصبحت دولتين عظيمتي الشأن مالبث ان اشتد الصراع بينهما, و كان من نتائج هذه الصراعات تقسيم كردستان, لأن ايا من تلك الأمارات لم يكن باستطاعتها الوقوف امامهما, و حين انتهت معركة چالديران (1514) بانتصار العثمانيين اصبح اول تقسيم لكردستان بصورة رسمية كأحد اهم نتائجها ضمن المعاهدات و البروتوكولات.

و يشير المؤلف الى تقسيم العراق الى ولايات و يقول "عندما عين مدحت باشا واليا على بغداد عام 1869 لترسيخ و توطيد اركان السلطة العثمانية في المنطقة و القضاء على روح التمرد و العصيان و الإمتناع عن دفع الضرائب, بدأ

مدحت باشا بتطبيق قانون الولايات تسهيلاً لأمور أدارة عموم المنطقة و الولايات و قسمها الى ولايتين:

الاولى – ولاية بغداد التي تضمنت الوية بغداد و الحلة و كربلاء و متصرفية البصرة و الكويت و النجد و الاحساء, و فيما بعد انفصلت ولاية البصرة عن ولاية بغداد.

الثانية- ولاية الموصل و التي تشكلت من ولايتى الموصل و شهرزور على النحو الآتي:

أ-لواء الموصل و تضمن الموصل و اقضية العمادية و زاخو و دهوك و عقرة و سنجار.

ب-ولاية شهرزور و تألفت من:

-لواء كركوك: كركوك و اقضية رواندوز و اربيل و الصلاحية (كفري) و كويسنجق و رانية.

-لواء السليمانية – تشكلت من اقضية السليمانية, گول عنبر, بازيان, قرەداغ, شهربازار, مەرگە, قضاء جاف.

-لواء اربيل – تشكلت من مركز قضاء اربيل و مخمور و كويسنجق و رواندوز و رانية و زيبار.

و يذكر ان ولاية شهرزور قبل هذه التغييرات كانت تتضمن الوية السليمانية و كركوك و اربيل, و كانت مدينة كركوك مركز الولاية, و لكن بعد هذا لم يبق اسم هذه الولاية بصورة رسمية في الدولة. و في القسم الثاني من هذا الفصل و الموسوم بـ(الاستعمار البريطاني يرفع راية تأسيس الدولة العراقية) يشير المؤلف الى مسألة اعلان الحكومة البريطانية عن تشكيل الدولة العراقية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كما يشرح امورا هامة منها منابع النفط و احتياطي النفط العراقي, و تهديد الدولة الكمالية الجديدة في تركيا للمنطقة, و القضاء على حكومة كردستان التي يزعمها الشيخ محمود الحفيد, و بحسب المؤلف ان ما ذكرناه كان من جملة العوامل التي دفعت بالحكومة البريطانية للتفكير باعلان دولة عراقية و كذلك القضاء على التطلعات الكردية و قد كشفت هذه النوايا ابان انعقاد مؤتمر السلام في باريس, و الحكومة البريطانية حققت اهدافها هذه بشتى الوسائل منها القوة, و الأسلوب الدبلوماسي و الخداع.

و تطرق الباحث في القسم الثالث من هذا الفصل الذي يحمل عنوان (تشابك مصالح بريطانيا مع مصالح البورجوازية العربية و البورجوازية العربية العراقية) الى محاولات البريطانيون لأن تكون الدولة العراقية وفق رغبات واضعي الاستراتيجية البريطانية و يتناول المؤلف الاعتقاد الخاطئ لبنية هذه الدولة من قبل بريطانيا التي ظنت بأن الكرد و العرب و الأقليات ستنصهر في بوتقة هذه الدولة و تتخذ هوية جديدة و هي الهوية العراقية, و نتج عن هذا الاعتقاد الخاطئ المفهوم الخاطئ الذي صار شعاراً لبعض الفئات و هو "العراق جزء من الأمة العربية" و الذي اصبح فيما بعد شعاراً للرجعية العربية في العراق, و يقول المؤلف بهذا الصدد "لكن الكرد لم يرضخوا لهذا كما لم يستطع الانجليز تحقيق اهدافهم في حينه, فيما فشلت الهيئة الحاكمة في العراق رغم وجود عناصر كردية في تركيبها في

ما كانت بريطانيا تصبو اليه" لهذا وقفت الجماهير الكردية ضد جميع تلك الخطوات, و برز ذلك في مقاطعة اهالي السليمانية الاستفتاء الذي جرى لتنصيب فيصل الأول ملكاً على عرش العراق, كما وقفت كركوك ضد الاستفتاء و اشترطت الموصل و اربيل شروطاً خاصة تتعلق بعملية الاستفتاء.

و تطرق المؤلف الى اخماد ثورة الشيخ محمود و ضرب ثورات البارزاني بمباركة الطبقة البورجوازية و الارستقراطية في العراق, و لينتقل المؤلف الى تشكيل الأحزاب البورجوازية العراقية التي وفق منظوره لم تعر القضية الكردية اهتمامها بل اعتبرتها قضية ثانوية و كان حزب الاستقلال يمثل علنا تيار القومية العربية و تبني الاتجاه الرجعي و حتى الفاشية احياناً, و كان بنظر المؤلف افضل حزب يمثل البورجوازية الوطنية العراقية هو (الحزب الوطني الديموقراطي) الذي كانت له رؤيا وطنية في تعريف المسألة الكردية و التي وضع لها قوالب نظرية و مفاهيم المساواة و المواطنة و آمن بأن العراق هو ميدان للتعاون الحر بين الكرد و العرب و الأقليات التي يتكون منها العرق و يقول المؤلف و بين الأحزاب الوطنية العراقية التي اهتمت بالقضية الكردية برز حزب الشعب الذي جاء بمنظور عراقي جديد و اعتقاد راسخ بأن الحركة الكردية لا تضر بمصالح القضية العربية. و اشار الكاتب الى دور الحزب الشيوعي العراقي في بداية تأسيسه عندما عرف بـ(لجنة مكافحة الاستعمار و الاستثمار) الذي خلق اتجاهاً يسارياً جديداً و ناضل بشكل سري بقيادة سكرتيره عاصم فليح و كان موقفه ازاء القضية الكردية يتلخص بشعار (حق استقلال كردستان) ثم تغير اسم الحزب في عام 1935 الى الحزب الشيوعي العراقي و لخص اراءه ازاء المسألة الكردية في ادبياته و دورياته بصورة مطاطية مع انه اتخذ موقفاً علمياً جديداً ازاء المشكلة الكردية في الكونفرانس الذي عقده عام 1956 و لخص المؤلف افكاره بهذا الصدد في ظهور ثلاثة اتجاهات رئيسة حول جعل كردستان عراقية بحتة و اعتبار قضيتها القومية امراً تخدم مصالح الامبريالية و لعب كل اتجاه بحسب المؤلف دوره في فترات تاريخية مختلفة و بعض منهم استمر على لعب دوره هذا:

1-تعريق الكرد بالطريقة الانكليزية, و لعب في هذا الاتجاه عدد من القوميين العرب و العراقيين.

2-تعريق الكرد باسلوب (البرجوازية الوطنية العراقية) و عمل في هذا الاتجاه اناس من ذوي الفكر اليساري و اليميني و كانت لهم وجهات نظر مختلفة تجاه المسألة الكردية و في المراحل المختلفة اتخذ كل واحد منهم منحاه الخاص و بدأ و بالتناحر فيما بينهم من جهة و معاداة الكرد جميعاً من جهة اخرى..

3-عراقية ذوي الافكار اليسارية و التقدمية و المتمثلة في حملة الافكار الاشتراكية العراقية و الماركسيين.." ص 39.. و كيف ان القوميين العرب المتمثلين في البرجوازية العربية العراقية حاولوا صهر القومية الكردية في الكيان الذي اصطنعه

الانگليز و ان التيار القومي العربي المتشدد ضد الكرد اعلن عن نفسه في معاداة حركة بكر صدقي عام 1936 و مواقف قادة حركة مايس عام 1941 و كذلك ظهرت بدايات عمليات تهجير الكرد على يد هؤلاء و خاصة في منطقة خانقين, ثم يتطرق المؤلف في محور آخر الى الانقلاب الأسود للبعثيين في عام 1963 و كيف حاول البعثيون معاداة القضية الكردية و الوجود الكردي و مقاومتها بالحديد و النار و احراق الاخضر و اليابس و خلال عمرهم القصير استخدموا ابشع الوسائل الاجرامية من القتل و الدمار و تهجير الكرد من مناطق سكناهم مثل تدمير (21) قرية كردية فقط من منطقة (دوبز), و بعد اسقاط حكم البعث في نفس العام عاد شعار القوميين العرب. بجعل كردستان عراقية و المتمثل ايضاً في شعار البرجوازية العربية و استمر الحال عند عودة البعثيين للمرة الثانية عام 1968 و كان بيان الحادي عشر من اذار عام 1970 رغم جوانبه الايجابية المهمة, احدى الاعيبهم الخبيثة لضرب الحركة القومية الكردية و لم يكن حلاً لقضيتها العادلة رغم وجود جوانب ايجابية هامة فيه، حيث بدأت عمليات الترحيل و التعريب في كردستان و خاصة بعد انهيار ثورة ايلول عام (1975) و التفكير في تدمير البنى التحتيه لاقتصاد كردستان, و يبين المؤلف بأن هذه السياسة الفاشستية للبعث لم تكن اعتباطية بل جاءت وفق اهداف و طموحات الشوفينية العربية و لأطماعها في خيرات كردستان و الاحتياطي الكبير للبترول في حقول بابا گرگر و خانقين و اربيل قائلاً: "ان حزب البعث في العراق بالاستفادة في تجارب عشرات الدول الشرقية منها و الغربية, من ذوات الخبرة في الشرق الاوسط, و من خلال اعماله العدوانية, فقد سلك جميع السبل للقضاء على الكرد و اتمام عملية التعريب و تشويه المعالم القومية الكردية و اذابتها نهائياً.. ". ص47.

و في المحور الرابع من هذا الفصل يعرج المؤلف الى موضوعة (الكرد ضمن الصراع و امام معترض الطرق).. يتناول مسألة تأثير الحركات الكردية السابقة في حركات الشعب الكردي و خاصة في كردستان الجنوبية اضافة الى وجود عوامل اخرى و منها انتشار الصحافة الكردية و اعلان دول الحلفاء حول تحرر الشعوب و من هذه الحركات: انتفاضات الكرد في الموصل و ارضروم و تبليس عام 1907, و حركة الملا سليم البدليسي عام 1913, و حركة عبد السلام البارزاني عام 1914, و انتفاضات مناطق موكريان و اروميه و هورامان و مناطق منگور اعوام 1918, 1920, 1925, 1930,.. و حركة اسماعيل خان شكاك (سمكو) 1920-1930, و ثورات الشيخ محمود الحفيد 1918-1931 و انتفاضة الأيزديين 1935, و ثورة ابراهيم خان و دلويي في كفري عام 1920 و انتفاضة عشيرة پشدر و انتفاضة كريم بگ همووندي عام 1921-1922,.. و اصبحت هذه الحركات دافعاً جيداً و بارقة امل للشعب الكردي في جنوب كردستان بحيث دفعت

بالشيخ محمود الحفيد لاعلان الملكية في كردستان عام 1922 و التي اصبحت فيما بعد صفحات مشرقة من تأريخ الكرد المعاصر. و كذلك يكشف الكاتب الاعيب و خدع الديبلوماسية البريطانية بهدف معاداة الكرد و مساندتها للحكم العراقي و تزويدها لوسائل البقاء, و كما يبين نقاط الضعف في الحركة التحررية الكردية و منها:

-عدم وجود استراتيجية عسكرية ملائمة تجاه عدم التكافؤ في القوة و السلاح و المعدات الحربية.

-الخلافات بين صفوف الكرد و عدم استعداد بعض رؤساء العشائر للقبول بقيادة الشيخ محمود.

-اصرار قائد الثورة و حاكم و ملك كردستان على توسيع مناطق نفوذه و دولته الى تلك المناطق التي لم يفكر فيها الانكليز لكي تقع ضمن سلطة قائد مثل الشيخ محمود, و بالاخص اصراره على ضم مدينة كركوك و مهاجمة المنطقة لتحريرها, و الذي ازعج الانكليز لانهم لم يقبلوا بوقوع نفط كركوك في حوزة الكرد و كانت اهداف الشيخ محمود مخالفة لاهداف الانكليز..

-عدم فهم افكار و مواقف جميع الضباط و النظر اليهم بنظرة واحدة في خضم تلك الظروف المعقدة.. و يشير ايضاً الى ان حركة بكر صدقي كانت اتجاهاً جديداً ضد الرجعية العربية و اعداء الكرد, لكن الشوفينيين و عملاء الانكليز قاموا باغتياله في مدينة الموصل, و ان المسألة الوحيدة التي كانت سبباً في عدم تقوية ذلك الكيان الذي صنعه الانكليز هي المسألة الكردية. و كما يكتب المؤلف بأن بدل قيام او بالاحرى تأسيس دولة كردية و حالة اليأس التي دبت بين القادة العسكريين و المثقفين حول هذه النقطة, بادرت هذه النخب الكردية الى تأسيس جمعيات ادبية و ثقافية و الاحزاب السياسية مثل جمعية (برايتي) عام 1938 و حزب (هيوا) عام 1939 و حزب (رزگارى) عام (1944) و حزب (شورش) و اندمج هذان الحزبان لتأسيس الحزب الديموقراطي الكردستاني عام 1946 عند تأسسه, هذا اضافة الى عشرات المنظمات و الجمعات الاخرى و كان هدفها تعريف القضية الكردية و تأجيج الروح القومية لدى الشباب الكرد و الإعداد للمراحل النضالية المقبلة و النتيجة كانت اندلاع ثورة ايلول 1961 في كردستان العراق بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني, و يكتب المؤلف في حصيلة هذا الفصل: "باختصار ان الدولة العراقية المصطنعة من قبل الانكليز تأسست بشكل غير اعتيادي و غير طبيعي و غير اصيل لذا بقيت هزيلة تنخرها الصراعات و لانها استمرت تعمل بعكس طموحات و متطلبات الشعب الكردي و الجماهير العراقية, لذلك بقيت على هذه الحال من دون تغيير يذكر, تعتمد على الانكليز دون الالتفات الى المطاليب الاساسية للشعب بل مقاومتها بالإعتماد على قوة و سلاح الاستعمار و استمرارها على هذا النهج".ص 62. و يكتب ايضاً في فقرة اخرى: "ان الشعب الكردي متعطش لحياة الحرية و ليس للخراب و سفك الدماء و الحرب, متلهف للحياة في وطنه لكن بالحرية و الاستقلال. رغم انه لم يتخل يوماً ما عن

حياة المطالبة و الاستقلال و تأسيس الدولة القومية و لم يتخل عنها, و ناضل ببسالة في سبيلها و وقف في هذا الميدان صلب المراس و قاتل بشجاعة, لتحقيق الحياة التي يريدها و الحرية التي يناضل من اجلها و ضمان الحياة الديمقراطية و السعيدة له كي لا يتعرض للتهديد و تصاف كرامته القومية و يزال على عاتقه الاحتلال و المآسي و بقي كذلك متشوقاً اكثر من أي شعب اخر لتهيئة و تحقيق هذه الظروف و الحياة".

الفصل الثاني

"الكرد و الصراع و استراتيج الأمن القومي"

تناول المؤلف في هذا الفصل عدة محاور منها "استراتيجية الأمن القومي, المعنى و الهدف, الأرضية و الأساس, الكرد ضمن الصراع و التهديد بالفناء, و ستراتيجة الأمن القومي الكردي, الأسس و المضمون و الهدف, الصراع. كتب بايجاز فشل سياسة التكريس لعراقية كردستان و تعريف القومية الكردية و محاولات الشوفينية العربية لتنفيذ خططها الاحتلالية و الخطوات الخطرة في هذا المجال تحت غطاء (استراتيجية الأمن القومي العربي) و تصدي الكرد لهذه المخططات بالكفاح المسلح, و يشرح مفهوم الأمن القومي و الهدف منه و كيفية التعامل معه باعتبار هذا الأمن يحظى الدول و منها الدولة الحاكمة, و كان الكرد محقين في التفكير بذلك و تهيئة القوة و مستلزمات الغطاء الاقتصادي و الحياتي و الصناعي و الأفكار و التوجهات السياسية و الدبلوماسية المرتبطة بالوقائع و الأحداث. و اشار الى تعرض الشعب الكردي في العراق الى الإضطهاد و حملات الإبادة في زمن البعث تحت غطاء المحافظة على الأمن القومي العربي و كذلك في تركيا تحت نفس الغطاء و كذلك في ايران و ذكر المؤلف ان الكرد لم يستطيعوا تحقيق اهدافهم الرئيسة و تأسيس دولتهم المستقلة رغم الأحداث و الثورات التي خاضوها لعشرات السنين او حتى تحقيق حقوقهم القومية و الوطنية و ذلك للطبيعة غير الإنسانية للمحتل و عدم وجود مساندة و دعم للحركات القومية للشعوب المستعمرة, و بالعكس فقد تعرض الكرد دوماً الى المضايقات وخنق الحريات و صودرت امنهم و استقرارهم و تعقدت حالتهم المعاشية اكثر عدا المحاولات التي جرت لصهرهم و بالتالي افنائهم باستخدام الضغط و القمع و القهر, و مع هذا فقد استطاع هذا الشعب كما يذكر المؤلف ان يحافظ على وجوده و ينمي لغته و ادبه و ثقافته و تراثه برغم كل المآسي التي تعرض لها.

و استطاع فخوراً المحافظة على وطنه و الاعتزاز به و السر الاساسي لهذه الظاهرة هو الشعور القومي و حب الوطن و ربط الفرد نفسه بالقرى و المدن و المناطق التي ترعرع فيها و التي اصبحت مصدراً لحياته. و ان الصراع المستمر و النضال الدؤوب لهذه الامة منذ مئات بل الاف السنين هو انعكاس لهذه الظاهرة و اكثر من هذا, العوامل الجغرافية و الاقتصادية و وعورة المنطقة و بناء الابراج و القلاع و تناثر القرى و ثرواتها الغنية من حيث مستلزمات الحياة و كثرة الأنهار و مصادر

المياه و الطقس المختلف و المنعزل للمنطقة وقلة الطرق و المواصلات لعبت دوراً كبيراً في هذه العملية". و من السياسات الاقليمية المعادية للكرد يتطرق الى سياسات اخرى فقد استخدمت الحكومة السورية سياسة الحزام الامني في اكثرية المناطق الكردية لتعريبها, و حتى الدولة السوفيتية السابقة قامت في عهد ستالين باكبر عملية لصهر القوميات و منها الصهر القومي للكرد و توزيعهم على ما كانت تدعى بجمهوريات الاتحاد السوفيتي آنذاك.

و في المحور الثاني بعنوان (الكرد ضمن الصراع و التهديد بالفناء) يتناول المؤلف بالتفصيل محاولات حزب البعث في العراق خلال فترتي 1963 و التي استمرت بضعة اشهر ثم منذ عام 1968 و لحد الان و بعد ان قام باضعاف جميع القوى السياسية المناوئة لمنهج حزب البعث بدأ بحملة التبعيث و تعريب كردستان و مؤامرته الدنيئة في الجزائر و كيف اعطى جزءاً من وطنه لشاه ايران في سبيل القضاء على الثورة الكردية عام 1975 و هذا كله ضمن تطبيقه لاستراتيجية الأمن القومي العربي: و يقول السيد المؤلف ضمن هذا السياق العام: "في مسيرة الحرب العنصرية ضد الأمة الكردية و خاصة في السنوات الأخيرة و الذي اصبح تهديد و خطر حزب البعث في العراق لا يشمل الشعب الكردي فحسب, بل ان تلك الصراعات الدموية هددت المنطقة باسرها.. ثم ظهرت موجة اخرى للتهجير و الاحتلال, الذي كان فيما سبق باسم الاسلام و الديانة, لكن هذه المرة و دون غطاء و بشكل علني هو باسم العروبة, و اذا كان في السابق بواسطة السيف و الرماح و السهام, و الآن بواسطة احدث الاسلحة للقوى العظمى و بمعاونتها و مساندتها.. و رغم ان الخطر كان يواجه الكرد, لكن اثبتت الحرب العراقية الايرانية بأن هذا النظام هو ايضاً تهديد لجميع الشعوب و الامارات و دول المنطقة". و كيف ان القوميين العرب و من خلال فكر البعث في العراق يقفون ضد الاقليات القومية حسب نهج استراتيجيتهم الامنية القومية مثل القومية الزنجية في جنوب السودان و الامازيغ في شمال افريقياو الارتيريين و الخوزستانيين في جنوب ايران و في الصومال و جيبوتي و جزر القمر و قسم مهم من كردستان الشمالية و الغربية و الجنوبية و اعتبارها جزءاً من الوطن العربي, و تعود جذور هذه الفكرة العنصرية الى العهدين الاموي و العباسي و اعتبار غير العرب من الموالي او من اهل الذمة و بعد سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو عام (1258م) و قعت كردستان تحت سيطرة الكرد و قام بتأسيس الدول في المناطق التي وقعت تحت سلطته و من ثم بدأ تأريخ صراع دموي طويل, وسادت الفوضى في المنطقة و خاصة بعد تأسيس الدولتين العثمانية و الصفوية.. الى الفترة الاخيرة, حيث يحدد المؤلف نقطة مهمة في هذا المجال, بأن المنطقة التي سميت بمنطقة (الحكم الذاتي) توزعت على المناطق الكردية الخالية من حقول النفط و المناطق

الاستراتيجية المهمة, و قام النظام باعادة التوزيع الاداري الجديد لكردستان بحيث استقطع هذه المناطق المهمة و الاستراتيجية و الحقها بالمناطق التي تم تعريبها, و تم فك ارتباط اكثرية اقضية و نواحي محافظة كركوك و ربطها بمحافظة صلاح الدين و في نفس المنوال جرى ربط قضاء جمجمال و كلار بمحافظة السليمانية, و الجانب الثاني من هذه العملية هو تسهيل مهمة تعريب كردستان كما تبينها الجداول المدرجة ادناه.

مساحة الاراضي الكردية بالكيلومترا في محافظة	مجموعة مساحة المحافظة	نسبة اراضي الكرد حسب مساحة المحافظة	نسبتها حسب مساحة جنوب كردستان
كركوك 10391	10391	٪100	٪12.8
نينوى 15192	37698	٪40	٪17.68
صلاح الدين 4019	29004	٪12.26	٪4.67
ديالى 13884	19292	٪17.97	٪ 19.14
الواسط 3740	17308	٪21.61	٪4.35
ميسان 22240	12103	٪15.27	٪2.59

نسبة مساحة الاراضي التي الحقت بالمحافظات خارج (منطقة الحكم الذاتي)

للدخول في اعماق خطة البعثيين في اجراء التغييرات الجغرافية و تشويه التركيبة السكانية لمركز المحافظة و الأقضية, انظر التقسيمات الادارية و الناحية الجغرافية و مساحة كل محافظة في عهدين مختلفين و قارن بينهما.

	المساحة حسب الاحصاء السنوي للعام 1984 بالكيلومترات المربعة	المساحة وفق احصائية مديرية المساحة العامة قبل تموز عام 1958 بالكيلومترات المربعة	المساحة وفق احصاء السير آرنست دارشي البريطاني من قبل تموز عام 1958 بالكيلومترات المربعة
كركوك	10391	20800	19890
نينوى	27698	45800	50478
اربيل	14471	16484	16600
السليمانية	15756	9373	9500
ديالى	19292	15938	16200

اقضية المحافظات في ذلك العهد

المحافظة	قبل الرابع العشر من تموز عام 1958	في سنة 1984
نينوى/ الموصل	قضاء الموصل	قضاء نينوى
	قضاء شيخان	قضاء الشرقاط
	قضاء دهوك	قضاء الحمدانية
	قضاء العمادية	قضاء تلكيف
	قضاء زاخو	قضاء سنجار
	قضاء تلعفر	قضاء تلعفر
المحافظة	قبل الرابع العشر من تموز عام 1958	في سنة 1984
	قضاء سنجار	قضاء شيخان
	قضاء عقرة	قضاء حضر
		قضاء البعاج
		قضاء عقرة
		قضاء تكريت
	لبعضها لم يكن وجود	قضاء سامراء
		قضاء البلد
		قضاء بيجي
		قضاء الدور
كركوك – (التأميم)	قضاء كركوك	قضاء كركوك
	قضاء كفري	قضاء الحويجة
	قضاء (داقوق)	قضاء دبس
	قضاء جم جمال	
دهوك		قضاء دهوك
	لم تكن موجودة	قضاء العمادية
		قضاء زاخو
		قضاء سميل
اربيل	مركز اربيل	قضاء اربيل
	قضاء مخمور	قضاء مخمور
	قضاء كويسنجق	قضاء كويسنجق
	قضاء رواندوز	قضاء الصديق
	قضاء رانية	قضاء زيبار
	قضاء زيبار	قضاء شقلاوة
		قضاء جومان
السليمانية	قضاء السليمانية	قضاء السليمانية
	قضاء حلبجة	قضاء حلبجة
	قضاء شهربازار	قضاء بنجوين
	قضاء بشدر	قضاء شهربازار

قضاء پشدر		
قضاء رانية		
قضاء دوكان		
قضاء دربندخان		
قضاء جم جمال		
قضاء كلار		
قضاء بعقوبة	مركز بعقوبة	ديالى
قضاء المقدادية	قضاء مندلي	
قضاء خالص	قضاء خانقين	
قضاء خانقين	قضاء خالص	
قضاء مندلي		
قضاء كفري		

جدول توزيع السكان حسب اللغة في لواء كركوك حسب الاحصائية الرسمية لعام 1957

اللغة	مدينة كركوك	لواء كركوك	مجموع لواء كركوك
العرب	27137	82493	109620
الكرد	40047	147546	187593
التركمان	45306	38065	83371
كلدان و سريان	1509	96	1605

حسب احصائية ذلك العام و عام 1977 و نسبة التغيرات في محافظة كركوك على الشكل الاتي:

اللغة	احصائية عام 1957	احصائية 1977
الكرد	48.2%	37.53%
العرب	38.2%	44.41%
التركمان	31.4%	16.31%

هذا الجدول خاصة بولاية الموصل

	التقويم الرسمي لولاية الموصل	احصاء النفوس التركية الذي قدم في لوزان	تقدير الضباط البريطانيين سنة (1919)	تقدير الضباط البريطانيين لسنة 1921	احصاء النفوس العراقية الاخير لسنة 1922-1924
الاكراد	-	263.830	-	424.730	494.007
العرب	-	43.210	بني هذا التقدير على اساس الدين و ليس على اساس القومية	185.764	166.941
الاتراك	-	146.960		65.895	38.652
المسيحيون	-	31.000		62.225	61.336
اليهود	-	-		1 6.865	1 1.897
الأيزديين	-	18.000		30.000	36.257
السكان المستقرون	-	503.000		-	-
الرحل	-	170.000			
المجموع	828.000	673.000	703.378	785.498	799.900

لمزيد من التفصيل انظر: الدكتور فاضل حسين مشكلة الموصل طبعة بغداد 1955 ص 82.

بالنسبة للواء الموصل

الاكراد	-	104.000	بني هذا التقدير على اساس الدين و ليس على اساس القومية	149.820	87.900
العرب	-	28.000		170.663	119.537
الاتراك	-	35.000		14.895	9.757
المسيحيون اليهود	- -	31.000		57.425 9.665	54.934 3.579
اليزيديون	-	18.000		30.000	20.257
السكان المستقرون	-	216.000		-	-
الرحل	-	؟		-	
المجموع	-	؟	350.378	433.468	295.964

و الى جانب كل ذلك يشير المؤلف الى السموم التي يبثها منظرو معهد الدراسات القومية و الاشتراكية, حيث يقولون: "ان العربي هو ذلك الشخص الذي يتكلم اللغة العربية و يعيش على الارض العربية او يريد ان يعيش عليها, و هذا يمهد الطريق لتعميق صهر الاقليات القومية الصغيرة داخل الامة العربية, لكن القوميات التي لها ثقلها السكاني مثل القومية الكردية, يجب قبول خصوصياتها المنطقية, و في نفس الوقت من الخطأ اعتبارها قومية مختلفة عن القومية العربية". هذا هو المنطق العدائي للشوفينية العربية في كل مكان و كيف ساندت

عمليات الصهر القومي للكرد في العراق و سوريا داخل القومية العربية و مما دفع بنظام البعث الى استخدام اكبر عملية التطهير العرقي و الإبادة الجماعية في كردستان العراق ضد الكرد بمباركة الأبواق العربية في مصر و الاردن و لبنان و سوريا و بعض الدول العربية الأخرى..

و في جانب اخر يذكر المؤلف المحاولات الاستعمارية و الدول المحتلة لكردستان للوقوف بوجه الحركة التحررية الكردية و ذلك بعد احتلال جنوب كردستان و ربطه بالدولة العراقية الجديدة المصطنعة و لأجل ذلك وقعوا عدة معاهدات تعاونية و عسكرية منها:

-معاهدة 1936/5/11 بين بريطانيا و العراق و تركيا.

-معاهدة حسن الجوار بين العراق و تركيا في 1926/6/7.

-معاهدة تبادل المجرمين بين تركيا و العراق في 1932/1/9.

-معاهدة تحديد الحدود بين العراق و ايران في 1937/7/4.

-معاهدة سعد آباد بين تركيا و العراق و ايران في تموز عام 1937.

-معاهدة حسن الجوار بين تركيا و العراق و عدة بروتوكولات اخرى عام 1946.

-اتفاقية تركيا و العراق لتنفيذ بنود معاهدة 1946.

-حلف بغداد بين العراق و تركيا و ايران و باكستان عام 1955.

-حلف السنتو و الذي صاغ عبارة على اعضاء الحلف – يجب ان يقفوا ضد فكر اثبات الحقوق القومية للكرد في جميع الدول الاعضاء في ذلك الحلف.

-اتفاقية اذار عام 1975 في الجزائر بين العراق و ايران.

-الاتفاقية بين تركيا و العراق عام 1976 لترحيل سكان القرى الحدودية.

-الاتفاقية بين تركيا و العراق عام 1984..

و في المحور الثالث بعنوان (استراتيجية الأمن القومي الكردي, الاساس و المضمون و الهدف) يتناول هذا الموضوع بصورة مختصرة في صفحتين و يقول المؤلف: "أن مضمون الفكر الاستراتيجي للأمن القومي الكردي و محافظة الكيان القومي و الحياة الطبيعية داخل وطنه, مثل اية ضرورة حياتية اخرى و ظروف التطور, و ظواهر و احداث كردستان و محيطها, فقد خلقتها عملية التمسك بالحياة الحرة و عدم الاستسلام و الخضوع و جعلها انعكاساً لواقعية حياة النضال لهذا العصر و عمل مقاومة خطط العدو المحتل و المتمثل في الحركة المسلحة و النهضة و الثورة لكي تتحول الى بديل ملائم للدولة و الكيان السياسي و العلاقات الدولية و القانون المعترف به دولياً لأن تلك الاستراتيجية تظهر من خلال الثورة و القوة المسلحة و الحرب الوطنية, عندها تتجسد الحياة في خطتها و تحقق

العمل الفعّال, و خاصة ان العدو دائماً يلجأ الى القوة المسلحة و يستخدم السلاح ضد الشعب الكردي لتنفيذ خطته العدوانية, لذا يجب الأخذ بنظر الاعتبار اكثر من هذا و دائماً, العمل الشجاع و المبادرة و الخطوات الخلاقة للاستفادة من الفرص المتاحة و التغييرات المفاجأة و يعتمد عليها, و في هذا يجب أن تكون مصلحة الخطة و مكتسبات الشعب الكردي مقياساً و رائداً لهذه الاستفادة, و من الضروري أن تكون مآسي هذه الفترة, حكمة لكسر طوق الخوف و الوضع النفسي و تفسيرات مليئة بالريبة و التردد و تعقيد الحالة النفسية و القلق غير المشروع ناهيك عن الاقاويل الجانبية غير المسؤولة البعيدة عن ميدان النضال و مآسي الثورة"..

و في المحور الرابع من هذا الفصل يأتي المؤلف الى مسألة الصراع المسلح, و في هذا المبحث يتناول نقاط الضعف في ظروف نضال الحركة التحررية الكردية للحفاظ على الكيان القومي و وضع استراتيجية للأمن القومي لتحقيق الأهداف التأريخية و يبين جملة من المعوقات و المسببات داخل هذه الحركة التحررية و التي لا تحصى, مثل تقسيم كردستان و تفتيت قوة و طاقات الامة, و عدم وجود الكيان السياسي, و من دون حليف استراتيجي, كثرة الاعداء و السياسة السيئة للقوى العظمى و عنصرية محتلي كردستان و اصرارهم على الاضطهاد و الظلم و عدم حل المسألة القومية الكردية بالطرق الديموقراطية و السلمية و الخلافات بين صفوف الشعب و عدم تكوين جبهة راسخة في كردستان و استمرار الاقتتال الداخلي و بقاء الروح العشائرية.. الخ.

ثم التطرق الى الاسس و الظروف المساعدة لاستراتيجية الأمن القومي الكردي و منها الخطط الاحتلالية و التصرفات العنصرية و الأعمال العدوانية و الرجعية لجميع حكام العراق المتتالية عامة و نظام حزب البعث في العراق بصورة خاصة, مما دفعت بالشعب الكردي الى مفترق الطرق و جعله بين الحانة و المانة او اختيار طريق الكفاح المسلح، حيث وجد هذا الشعب نفسه ضمن حياة النضال المسلح و من اجل الحرية, و هذا بالطبع كان له سلبياته منها حرب غير متكافئة و خلق حالة حرب طويلة الأمد مع عدو شرس لا يتورع في استخدام جميع الاسلحة لإخماد الثورة الكردية مثلما حصل في عام 1988.

ثم هناك ايضاً الأسس الاستراتيجية المصيرية, ثم الوضع الديموغرافي لكردستان و دوره في الخارطة الاستراتيجية و يستخدم المؤلف عدة جداول حول ديموغرافية اجزاء كردستان و مقارنة بكردستان الكبيرة:

مساحة كردستان بالكيلومترات

الدولة	جميع السكان	كردستان	النسبة المئوية
تركيا	47.200.000	12.400.000	٪24
ايران	41.500.000	6.600.000	٪16
العراق	14.500.000	3.900.000	٪27
سوريا	10.000.000	900.000	٪9
الاتحاد السوفيتي	286.500.870	350.000	٪1.3

		24.150.000	

احصائية سكان كردستان الى عام 1983

الدولة	المقياس	كردستان	النسبة
تركيا	780.000	230.000	%30
ايران	1648.000	170.000	%10
العراق	444.000	70.000	%17
سوريا	185.000	15.000	%8
مجموع مساحة كردستان		490.000	

عددنفوس الكرد و الاقليات القومية في كردستان

كردستان	سكان كردستان	عدد نفوس الكرد في كردستان	عدد نفوس الاقليات	الكرد في الخارج
الشمالية	9.700.000	8.200.000	1.500.000	3.200.000
الشرقية	6.400.000	5.700.000	700.000	900.000
الجنوبية	3.700.000	3.000.000	700.000	900.000
الغربية	800.000	700.000	100.000	200.000
	20.600.000	17.600.000	3.000.000	5.200.000

ملاحظة: يقول المؤلف بان هذه الارقام تمت استخراجها بالمقارنة و التخمين، حيث لا توجد احصاءات موثوقة للاسباب المعروفة.

ثم يتطرق بصورة موجزة الى موقع كردستان الجغرافي و اهميته و الواردات و الحياة المعيشية فيها بجميع مفاصلها المعروفة, ثم يتناول الخلافات و الصراعات بين الدول المحتلة لكردستان, تركيا و العراق و ايران و سوريا و يذكر نقاط الاتفاق و نقاط الخلاف فيما بينهم حول القضية الكردية, مثلا نقاط الاتفاق بين تركيا و العراق, احتلال كردستان من قبل كليهما, مواقفهما الايديولوجية و الانتماء القومي و علمانية دولتيهما و الخوف من احياء المذهب الشيعي في كلتا الدولتين و خوفهما من الاتحاد السوفيتي نظراً لأيديولوجيتهما القومية, و مسألة الوصول الى المياه الدافئة, و نقاط الخلاف هي: مسألة الفكر القومي و تهديدهما لبعضهما البعض, و احتلال اسكندرونة من قبل تركيا, ولاية الموصل و نفط كركوك, مياه نهري الدجلة و الفرات. و نقاط الاتفاق و الخلاف بين تركيا و سوريا, من نقاط الاتفاق, مشروع خط السلام لمد انبوب للمياه العذبة الى السعودية من داخل سوريا, و مشروع لمد انبوب للمياه العذبة الى المشيخات العربية في الخليج, و جود القومية الكردية و جزء من كردستان في كل منهما, و نقاط الخلاف, العداء التقليدي بين النظامين, احتلال اسكندرونة من قبل تركيا و رغبة العرب في تحريرها, مشاريع المياه على نهر الفرات, مساندة تركيا لاخوان المسلمين و الخلاف المذهبي, و مساعدة سوريا لبعض المنظمات الارمنية و الكردية, مشاكل حدودية للبلدين على مسافة 900 كيلومتر طول, مشكلة الكرد المشردين الى سوريافي عهد اتاتورك, عضوية تركيا في حلف الناتو و الضغط على سوريا, قضية فلسطين و صداقة تركيا مع اسرائيل و نقاط الاتفاق و الخلاف بين تركيا و ايران, منها الحذر و الخوف من التهديد السوفيتي لهما, معاداة كل محاوله كردية لتأسيس الدولة, مد انبوب نفط الايراني الى البحر المتوسط,

وجود القومية الكردية و جزء منها داخل كليهما, و نقاط الخلاف: العداء التقليدي منذ مئات السنين, مساعدة الجمهورية الاسلامية الايرانية للكرد في العراق, وجود اقلية تركمانية و الاعتماد على الشعب الازري للاستفادة من الخلافات المستقبلية, العلمانية السنية التركية و القومية المتشددة مقابل تهديد الأكثرية الشيعية.

كذلك هناك نقاط مشابهة للاتفاق و الخلاف بين ايران و العراق و سوريا, ثم الصراع بين امريكا و الاتحاد السوفيتي السابق في المنطقة بخصوص السيطرة على مواردها و و يبين المؤلف رجحان كف و سياسة الولايات المتحدة و الاستمرار في توسيع و تقوية مراكز نفوذها على حساب مصالح السوفيت و شعوب المنطقة مما تسببت اضراراً كبيرة في كثير من الاحداث في المنطقة و بخاصة مالحقت بالشعب الكردي الذي دفع ضريبة باهضة لهذا الصراع و اصبحت ثوراته كبش فداء له.. ثم هناك عدة خرائط تبين موقع كردستان الجنوبية و منطقة (الحكم الذاتي) الكارتوني البائد, و المناطق النفطية في كردستان العراق و المناطق المهجرة من كردستان.

بهدف بيان تنفيذ اجزاء مهمة من سياسات تعريق كردستان و هدم الكيان الاقتصادي ثم الاستمرار في هدم الكيان القومي لكرد العراق..

و في الفصل الثالث الذي هو جزء ملخص للكتاب, يعود الأستاذ محمود ملا عزت الى موضوعه جريمة العراق في عمليات الانفال و الابادة الجماعية ضد الكرد، حيث يذكر منها:

-الاعدام رمياً بالرصاص للكرد و ابادتهم بصورة جماعية دون التمييز بين المقاتل و المواطن الأعزل و الطفل و الشيخ و المرأة في صحاري العراق و دفنهم في مقابر جماعية..

-افناء و محو آثار الحياة لآلاف من الناس غير المقاتليين من النساء و الاطفال و الشيوخ.

-تدمير آلاف القرى و القصبات و التي تجاوزت اكثر من اربعة الاف قرية.

-نهب و سلب املاك المواطنين..

-استخدام السلاح الكيمياوي و غاز موستار, و سارين, و سيانيد و الخردل ضد القرى و القصبات الكردية.

-اختطاف المصابين بالسلاح الكيمياوي من المستشفيات و اخفائهم او اعدامهم..

-الاغتصاب الجماعي و تسجيل مشاهدها

-اعتقال عشرات الآلاف من اهالي القرى و تشريدهم الى جنوب العراق.

-احتجاز و اعتقال الاطفال و النساء و الشيوخ و زجهم في سجون نقرة السلمان و السلامية, و طوبزاوه و في عشرات الاماكن الاخرى.

-تدمير البنية التحتية لاقتصاد كردستان و تعطيل الاف الناس عن العمل.

-اصدار قرار العفو المزور و اعدام الذين كانوا يصدقون هذا العفو و يسلمون انفسهم الى السلطات العسكرية.

-اسكان العرب في المناطق التي تم تهجير الكرد منها.

-خرق جميع القوانين و الاخلاقيات و الاعراف الدولية امام انظار العالم

-اسكان المواطنين الكرد في المجمعات القسرية التى لم تكن تتلاءم لحياتهم التي اعتادوا عليها.

-اختطاف اهالي المدن او اغتيالهم.

-تعطيش و تجويع المعتقلين و استخدام ابشع الاساليب ضدهم في القتل و عمليات الدفن و هم احياء. و يذكر المؤلف مراحل عمليات الأنفال التي بدأت في عام 1988 و التي شملت ثماني مراحل. كما يذكر جرائم نظام البعث كما ورد على السنة المسؤولين انفسهم و في كتبهم الرسمية و استشهد المؤلف بروايات شهود عيان حول هذه الجرائم التي لم يسبق لها مثيل سوى جرائم هولوكوست النازية في المانيا. ثم يتطرق الى قصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيمياوي في 1988/3/16 و ذكر اماكن اخرى من كردستان التي تعرضت للسلاح الكيمياوي, ثم انتفاضة اذار عام 1991 بعد هزيمة الجيش العراقي في الكويت, كما يورد جرائم الابادة الجماعية للمؤنفلين في الصحارى الغربية و صحارى وسط العراق و جنوبه على حدود الكويت و السعودية و صحراء (عرعر)..

و في الفصل الرابع و الاخير يبين لنا المؤلف محصلة الانتقال من سياسات الابادة الجماعية الى كردستان فيدرالية. حيث و في بداية الفصل هناك نظرة الى الماضي القريب و تلك الاحداث التي كانت ضد ارادة و رغبات الشعب الكردي مثل: ثورة اكتوبر عام 1917 و تخلي روسيا عن جزء من كردستان الذي كان من حصتها حسب اتفاقية سايكس - بيكو, و سقوط الدولة العثمانية و ظهور اتاتورك بين انقاض جيش مهزوم و مشتت و الذي اصبح عدواً شرساً للكرد و تجميد بنود اتفاقية (سيفر) و استبدالها بأخرى (لوزان) و عدم شمول الكرد بحق تقرير المصير كما جاء في بنود (ولسن) الاربعة عشرة, و تراجع الانكليز عن تعهداتهم للكرد, ثما معاداة حكم و ملكية الشيخ محمود..الخ.

ثم يورد في فقرة اخرى بعنوان "نحو تقييم مسيرة النضال و الكارثة" عدة اسباب و عوامل للكوارث و النكسات الكردية منها موضوعية و منها ذاتية, ثم التطرق الى موضوعة احتلال الكويت من قبل النظام العراقي و هزيمة العراق في حرب عاصفة الصحراء و صدور "قرار (688) من مجلس الامن حول حقوق الانسان في العراق و خلق المناطق الآمنة في كردستان, و يتناول الخصائص الاساسية لإنتفاضة اذار عام 1991, و الاهمية السياسية و القانونية الدولية لفيدرالية كردستان و الافق الذي امام فيدرالية كردستان, و مستقبل كردستان الفيدرالية في مستقبل التخمينات و التوقعات..

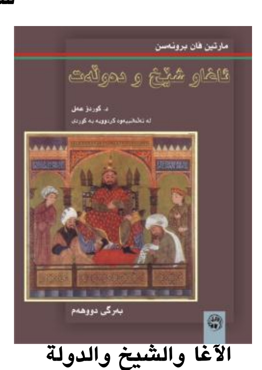
رغم ان الكتاب يتحدث عن بعض الأمور التي تتعلق بنظام البعث الذي اسقطت قوات التحالف، حيث ازيل قسم كبير من هم هائل على صدور الكرد و نال هذا النظام المجرم جزاءه على يد قوات التحالف و اليوم الكرد يحاول اندمال جراحهم و

ذلك بازالة تلك الظروف و ينادي بعراق جديد ديمقراطي فيدرالي بعيد عن تلك المآسي و الويلات التي مرت بها جماهير الشعب العراقي.. ومع ذلك ستبقى تلك الجرائم للشوفينية العربية ماثلة للعيان و تدون في تاريخ البشرية و تبقى ازلية و عمله هذا على اكمل وجه, و نحن من هنا اعتمدنا في كتابتنا هذه على الطبعة الاولى و التي هي من ضمن منشورات منتدى گلاويژ الأدبي و الثقافي في السليمانية..

و يبقى هذا المؤلف بنظري من الكتب الثمينة التي تسد فراغاً كبيراً في المكتبة الكردية، حيث لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه. يذكر ان الأستاذ محمود ملا عزت كرس جل وقته خلال الأربعين سنة الماضية للتاريخ الكردي الحديث و ثوراته و ربما ستكون عاملاً مهما و مبرراً لتثبيت حالة فيدرالية كردستان بعد زوال النظام البعثي الوحشي في العراق و تشكيل حكومة عراقية ديمقراطية فيدرالية. و المؤلف اعتمد على عشرات المصادر الكردية و العربية و وثائق و شهود عيان لاتمام انتفاضاته و عوامل نشوبها و فشلها كما كتب مؤلفات عديدة حول جمهورية كردستان كبحوث تاريخية و سياسية و وثائقية و بحوثاً عديدة حول تأريخ الفلسفة و نضال العمال و دبلوماسية الحركة الكردية و من بين تلك المؤلفات الجزء الاول من مذكراته عن فترة سجنه في كركوك و بغداد 1980-1981 حيث يروي المآسي التي مرت عليه و على السجناء السياسيين الكرد باسلوب أدبي و غيره.

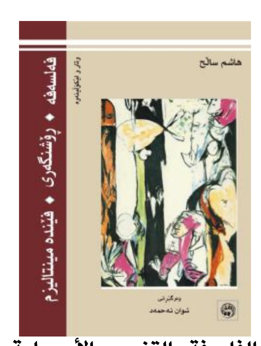
من اصدارات دار سردم للطباعة والنشر

سلسلة كتب سردم



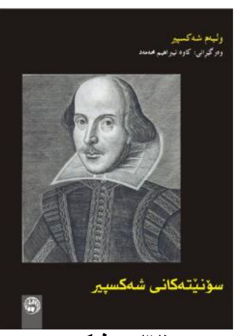
الآغا والشيخ والدولة

ترجمه عن الانكليزية: د. كوردو علي



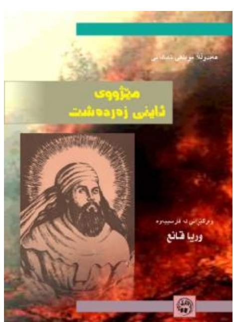
الفلسفة، التنوير، الأصولية

هاشم صالح، ترجمة: شوان احمد



سوناتات شكسبير

ترجمه عن الانكليزية: كاوه ابراهيم



تأريخ الديانة الزردشتية

ترجمة: وريا قانع

الدولة الفيدرالية

د. محمد هماوندي*

لم يتفق فقه القانون العام العربي على مصطلح موحد يقابل المصطلح الانجليزى State Federal او الفرنسي (Etat Federal) فهناك من يطلق عليه (الدولة الاتحادية)[1] او (الاتحاد المركزي)[2] و (الدولة الفيدرالية)[3] (الاتحاد الفيدرالي)[4] و (الاتحاد الدستوري)[5] و (الدولة التعاهدية)[6].

و فكرة الفيدرالية باعتبارها, اساساً للحكم عن طريق اتحاد عدد من الولايات او الاقاليم او الدول تتعايش معا دون انفصال و دون وحدة[7], هي فكرة قديمة للغاية تعود الى العهد الاغريقى القديم. حيث ظهرت عندئذ دول تجسدت فيها بوضوح هذه الفكرة منها إئتلاف الولايات الاغريقية باشراف (مجلس الامفكتيويين). و عصبة الايخائية التي كانت عبارة عن مجموعة من المدن الاغريقية المؤتلفة[8], و اتحاد اثينا و ديليا Athenia & Dillia[9], و اتحاد (Achean League) في (146-281) قبل الميلاد[10], و الحال كذلك في اتحاد المدن و الولايات في الهند القديمة, الذي كان يضم عددا من الولايات المتحدة مثل: Panchjananah, Soptajanah, Virat و على اساس فيدرالي, اذ كانت دولة الهند القديمة مزيجة من الفيدرالية و الاقطاعية[11].

كذلك فكرة الفيدرالية من حيث التطبيق الفعلي عرفها ايضا التاريخ الاسلامى, اذ ان نظام الحكم الاسلامي لم يكن بعيدا عنها[12].

غير ان النظام الفيدرالي, بشكله القانوني الحالي, مفهوم حديث, لا يتعدى تاريخه التطبيقي نظام الحكم الفيدرالي للولايات المتحدة الامريكية, الذي ظهر الى الوجود عقب مؤتمر فيلادلفيا عام 1787, و الذي مهد له مؤتمر انا بوليس سنة 1786 الذي عقد لبحث الشؤون التجارية بين الولايات الامريكية[13].

اما عن تعريف الفيدرالية:

فيذكر الدكتور محمد عبد العزيز نصر: ان مصطلح (الفيدرالية - Federalism) ذاته مشتق من

الكلمة اللاتينية Foedus و معناه (المعاهدة او الاتفاق) فالحكومة الفيدرالية تخرج الى الوجود نتيجة للقوى المركزية الجاذبة, او القوى المركزية الطاردة[14].

اما الفقيهان (Grenstien & Palsby) فيذهبان الى القول بأن كلمة (Federalism) ترجع الى الكلمة اللاتينية (Foedus) و معناها حسب قاموس (لويس اللاتيني) عصبة (Legue) او اتفاق بين طرفين او اكثر (Treaty) او ميثاق (ompact) او تحالف (Alliance) او عقد - (Contract) او عقد زواج (Marriage Contract) و الكلمة اللاتينية (Foedus) من اصل مشترك لكلمة (Fides) اي الثقة, و لكلمة الارتباط (Bind) الانجليزية, و من الواضح ان اصل (Foedus) نوع من الاتفاق يعتمد على الثقة المتبادلة بين الاطراف, او تعهد موثوق به (Trusting Promise) و بخصوص السياسات الدولية يكون المتفقون هم الحكومات و الاتفاق بينهم هو اتحاد فيدرالي[15].

و يشير الدكتور عبد الرحمن البزاز: الى انه استنادا الى (Encclopedia of the Social Science) ان لمصطلح (Federation) معاني عديدة تتصف بالغموض و عدم الوضوح, فهو يستخدم غالبا في اربعة معان اساسية هي:

1-التحالف Alliance.

2-العصبة او الجامعة League.

3-الدول المتفقة (الاتحاد الاستقلالي).

4-و اخيراً الاتحاد بمعناه الادق Federa (tion)[15].

و يرى الاستاذ الدكتور محمد طه بدوي ان "الفيدرالية تعني في مدلولها الواسع, ظاهرة تحرك الجماعات الانسانية المتميزة نحو التجمع, بحركة تقدمية تفضى الى التوفيق بين اتجاهين متناقضين, بين الحرص على ذاتيتها Autonomie من ناحية و بين الشعور الى تنظيم جماعي يشملها"[17].

و الدولة الفيدرالية, "هي دولة واحدة, تتضمن كيانات دستورية متعددة, لكل منها نظامها القانونى الخاص و استقلالها الذاتي, و تخضع في مجموعها للدستور الفيدرالي, باعتباره المنشئ لها و المنظم لبنائها القانونى و السياسي, و هي بذلك عبارة عن نظام دستورى و سياسي مركب"[18] لذا يؤكد الفقيه Hauria بقوله ان: "للدستور الفيدرالي جانبين فهو القانون الاساسي للدولة الفيدرالية من جانب, و من جانب آخر هو عقد سياسي بين الولايات الاعضاء"[19], و في المعنى ذاته يشير الفقيه Durand الى ان "النظام الفيدرالي ما هو اطار قانوني لظاهرة سياسية"[20], غير ان الاستاذ الراحل الدكتور احمد سويلم العمري, يصف الدولة الفيدرالية بأنها "نظام سياسي و اداري"[21], الا ان هذا الربط بين مفهومي "الادارة" و "السياسة" يمكن نقده, لأن في النظام الفيدرالي لا تقتصر وظيفة حكومات الولايات على الاختصاصات الادارية, بل تتعداها الى جميع اختصاصات الدولة التشريعية و التنفيذية و القضائية, لذا فان وصف الدولة الفيدرالية بأنها

نظام قانوني و سياسي مركب ادق من الناحية العملية.

اما انها نظام دستوري, فلكونها تتحقق بالدستور, ايا كانت الطريقة التي اتبعت في انشائها لأنها لا تنشأ عن طريق وثيقة دولية (معاهدة او تحالف دولي) كما هو الحال في بقية الاتحادات الدولية, فهي اذاً نتاج عمل قانوني داخلي, باعتباره الاساس القانوني لهذا النظام, و القانون الاعلى للدولة[22] La Loi Supreme Du Pays الذي تتقيد به جميع التشريعات الاخرى سواء المركزية منها او الاقليمية[23].

و هذا ما نصت عليه الدساتير الفيدرالية و منها دستور الاتحاد السوفيتي سنة 1977 الذي يتضمن ان له قوة القانون الاعلى و ان جميع القوانين الاخرى يجب ان تصدر على اساسه و وفقا له[24]. و كذلك الحال بالنسبة للدستور الفيدرالي للولايات المتحدة الامريكية سنة 1787 بمقتضاه تعتبر تشريعات هيئات الدولة المركزية و الاقليمية باطلة اذا تعارضت مع احكامه[25]. و يرجع هذا الامر الى اتسام الدستور الفيدرالي بالسمو و العلو من الناحيتين الموضوعية و الشكلية.

فالدستور الفيدرالي يستمد سموه الموضوعي من كونه تعبيرا عن ارادة مواطني الدولة الفيدرالية, و يتضمن القواعد العامة التي تحدد المبادئ الاساسية للتشريع و ما يتعلق بالبناء السياسي للدولة, و يتضمن ايضا نصوصا لتوزيع الاختصاصات بين الهيئات الفيدرالية و الهيئات الاقليمية للولايات[26].

اما سموه الشكلي فيستند الى طبيعة الاجراءات اللازمة لتعديله, لأن تعديله, لا يتم في الواقع الا باجراءات معينة و معقدة, و تتضح هذه الحقيقة في اغلب الدساتير الفيدرالية, مثل دستور الولايات المتحدة الامريكية, الذى لا يتم تعديله الا بناء على اقتراح ثلثي اعضاء الكونجرس, هذا اذا كان الكونجرس هو الذى اعد نص التعديل, اما اذا كانت الهيئات التشريعية للولايات الاعضاء هي التي اقترحت التعديل فإنه يجب ان تتم الموافقة عليه من ثلاثة ارباع الولايات[27], و ينص ايضا دستور الاتحاد السوفيتى سنة 1977 في المادة 174 منه على ان "يعدل دستور الاتحاد السوفيتي, بقرار من السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتى تتخذه اكثرية لا تقل عن ثلثي عدد النواب الاجمالي في كل من مجلسيه". و هذا التعقيد في تعديل نصوص الدساتير الفيدرالية, يرجع الى انها الاساس القانوني للنظام الفيدرالي و كل تعديل فيه لا شك انه يمس حقوق الولايات الاعضاء و استقلالها الذاتي, لذا فانها تواجه كل محاولة للتعديل بحذر شديد[28] فاتباع هذه الاجراءات الشكلية يعد وسيلة لمساعدة تلك الولايات التي تتميز في الغالب باختلافات متباينة كالاختلاف القومي او قلة السكان او صغر المساحة للوقوف على قدم المساواة مع بقية الولايات في داخل الدولة الفيدرالية.

و اما ان الدولة الفيدرالية نظام سياسي مركب[29], فهذا يتضح من ظاهرة تعدد السلطة السياسية و المؤسسات الدستورية فيها, حيث تتوزع

السلطات في دولة الحكومة الفيدرالية و حكومات الولايات, فالحكومة الفيدرالية هي التي تتولى الشؤون العامة للدولة, و لها سلطات مباشرة اختصاصاتها في اقليم الدولة بأسره, دون ان تعتمد في ذلك على موافقة حكومات الولايات[30], و من جانب آخر فإن كل ولاية من هذه الولايات تتمتع باستقلال ذاتي اقليمي, و من مظاهر هذا الاستقلال وجود السلطة التأسيسة التي تقر دستور الولاية دون التدخل من الحكومة الفيدرالية[31], و منها ايضا وجود حكومة ذاتية مستقلة, تباشر سلطاتها على مواطني الولاية, عن طريق هيئاتها الدستورية (التشريعية و التنفيذية و القضائية)[32]. و بتعبير آخر فإن كل ولاية تتمتع باستقلال دستوري و تنظيم ذاتي Auto Organisation[33], و فوق كل ذلك نجد ان الاستقلال الداخلي للولايات لا يمكن ان تمسه الحكومة المركزية حتى و ان تعللت بوجود مصلحة عامة بالغة الاهمية[34].

نشأة الدولة الفيدرالية:

يثير البحث في الدولة الفيدرالية, باعتبارها دولة اتحادية؛ مسألة كيفية نشأتها, و من الدراسة المقارنة يتبين ان الدولة الفيدرالية يمكن ان تنشأ باحدى طريقتين:

الاولى: تفكك دولة بسيطة موحدة الى عدة وحدات ذات كيانات دستورية مستقلة, ثم بناءً على الدستور الفيدرالي يتم توحيد هذه الولايات ثانية على اساس آخر و هو الدولة الفيدرالية, و يعتبر كل من الاتحاد السوفيتي سنة 1922 و البرازيل سنة 1891 و الارجنتين سنة 1860 و المكسيك وفق دستور سنة 1857 المعدل سنة 1917 و تشيكوسلوفاكيا سنة 1969, من الدول الفيدرالية التي نشأت بهذه الطريقة.

الثانية: انضمام عدة ولايات او دول مستقلة يتنازل كل منها عن بعض سلطاتها الداخلية, و عن سيادتها الخارجية ثم تتوحد ثانية لتكون الدولة الفيدرالية على اساس الدستور الفيدرالي, و من امثلتها الولايات المتحدة الامريكية عام 1787 و جمهورية المانيا الاتحادية عام 1949 و الاتحاد السويسري عام 1874. و اتحاد الامارات العربية عام 1971.

و اذا نظرنا الى فكرة الفيدرالية في ذاتها, وجدناها تقوم على اساس عنصرين متناقضين هما "الاستقلال الذاتي" و "الاتحاد" و ان الترابط بين هذين العنصرين بعلاقتهما المتبادلة, و المتعارضة يشكل وحدة المفهوم الحقيقي للدولة الفيدرالية, التي هي نتاج التوفيق بين رغبتين متعارضتين: تكوين دولة واحدة من ناحية, و المحافظة على اكبر قدر من الاستقلال الذاتي للولايات الاعضاء من ناحية اخرى.

غير ان المضمون السياسي لفكرة الفيدرالية, هو الذي يلعب دورا اساسيا في انشاء و وجود الدولة الفيدرالية, و ما القواعد التشريعية المنظمة لها الا اطار قانوني لهذا المضمون السياسي الذي يعطي

الاهمية و المدلول العلمي لفكرة الفيدرالية و يعتبر اساس وجودها الفعلي[35].

و يتبين من هذا ان الدولة الفيدرالية هي نتاج الجمع بين المحتوى السياسي لفكرة الفيدرالية و بين الاطار القانوني لهذه الفكرة, و يبرز هذا المضمون السياسي بوضوح في عنصري الدولة الفيدرالية "الاتحاد" و "الاستقلال الذاتي".

اولاً - عنصر الاتحاد: يبرز الطابع السياسي لعنصر الاتحاد في حالة نشأة الدولة الفيدرالية عن طريق (الانضمام), فهناك عدد من الولايات و الدول التي لا تتمتع بمفردها بقوة ذاتية كافية لحماية نفسها من المخاطر الخارجية, و تكون غير قادرة على تحقيق مصالحها الاقتصادية و الاجتماعية فتنضم هذه الوحدات بعضها الى بعض و يكون اتحادها معا ضرورة ملحة لابد منها لإستقرارها سياسيا و اقتصاديا و الامثلة على ذلك: نجد ان سويسرا في بداية نشأتها كانت تتكون من اتحادات ثلاثة هي: مقاطعات صوابيا Subia و الالب و شمالي ايطاليا, و كانت قد انشئت للدفاع عن استقلالها ضد اسرة هابسبرج Habsburg و اباطرة رومان, كما ان الاتحاد الهولندي كان ضد فرع اسرة هابسبرج في اسبانيا Habsburg Spanish و الاتحاد اوتريخت (Utrecht) سنة 1579.

و يمكن القول بأن اساس تكوين الدولة الفيدرالية يرجع الى ضرورة مصالح مشتركة بين الولايات المكونة لها, و هذه المصالح قد تكون اقتصادية او اجتماعية او سياسية, فالمصلحة الاقتصادية التي ادت الى اتحاد زولفرين (Zolleverein) كانت البداية لتوحيد المانيا في عهد بسمارك, و المصلحة السياسية و الاجتماعية واضحة في قيام الولايات المتحدة الامريكية[36], و اتحاد الإمارات العربية.

ثانيا - عنصر الاستقلال: و يتجسد المضمون السياسي لهذا العنصر بوضوح, في حالة تكوين الدولة الفيدرالية عن طريق (تفكك) دولة موحدة بسيطة و لاسيما في الدول التي تتميز بواقع التعدد اذا وصلت قومياتها المتباينة الى مرحلة من الوعي السياسي و النضج الاجتماعي تقتنع فيها بأن الاخذ بالنظام الفيدرالي هو الاساس السليم لحل المسألة القومية, ذلك لأنه يعمل على اتاحة الفرصة للتعبير عن مشاعر مواطني الاقاليم المتميزة.

هذا و ان كان العنصران: "الميول الاتحادية" و "نزعة الاستقلال" متلازمين و لابد من توافرهما لقيام الدولة الفيدرالية و بقائها, غير ان العنصر الاول اكثر قوة و تفوقا على العنصر الثاني, و اشد دفعا لبناء الدولة الفيدرالية و اكثر ضمانا لبقائها[37].

خصائص الدولة الفيدرالية:

هنا نحاول ان نستعرض الخصائص الاساسية للدولة الفيدرالية التي يمكن حصرها في ثلاثة مظاهر و هي الاتحاد و الاستقلال الذاتي و الاشتراك.

اولاً: مظهر الا تحاد

في الدولة الفيدرالية

ان فكرة "الاتحاد" تعتبر الأساس الأول الذي ترتكز عليه الدولة الفيدرالية, و الغاية التي ترمي اليها الولايات او الدول عندما تأخذ بفكرة الفيدرالية لبناء الدولة الجديدة. و تظهر هذه الفكرة بوضوح في كيان النظام الفيدرالي, و لاسيما في التنظيم القانوني و السياسي في شكل - وحدة الشعب و الجيش و الاقليم و الجنسية - و في طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية و حكومات الولايات الأعضاء, و كذلك في السياسة الخارجية للدولة الفيدرالية.

من المسلم به ان قيام الهيئات الدستورية للدولة بصورة عامة, عملية صعبة و دقيقة و هذه العملية تتخذ طابعا خاصا عند بناء الدولة الفيدرالية, و ذلك لما لها من طبيعة قانونية متميزة (وحدة الاقليم و ثنائية الهيئات العامة) و بغية توضيح فكرة الاتحاد الا اننا نقوم بدراسة الهيئات الدستورية العليا للدولة الفيدرالية التي تتجلى فيها ظاهرة الاتحاد بكامل ابعادها, فضلاً عن اشارة موجزة لمظهر الاتحاد في المجال الدولي.

1-السلطة التشريعية الفيدرالية:

درجت معظم الدساتير الفيدرالية في تنظيمها للسلطة التشريعية على الأخذ بنظام المجلسين دون نظام المجلس الواحد لأن نظام المجلسين يتلاءم و طبيعة التكوين القانوني و السياسي للدولة الفيدرالية[38], و يطلق على احد المجلسين اسم المجلس الأعلى[39] و يمثل الولايات الأعضاء, و تتساوى الولايات غالباً في نسبة التمثيل في هذا المجلس تطبيقا لمبدأ التمثيل المتساوي الذي يمنع طغيان احدهما على الآخر بسبب التفوق السكاني او الاقتصادى او غيرهما. و يطلق على المجلس الآخر اسم المجلس الأدنى[40]. و هو مجلس منتخب عن طريق الاقتراع العام, و توزع مقاعده على اساس عدد السكان لكل ولاية, و يمثل الشعب في الدولة الفيدرالية بأكمله لذلك يتفاوت عدد الأعضاء الذين يمثلون كل ولاية وفقا لعدد سكانها[41].

هناك تباين ملحوظ بين الدول الفيدرالية فيما يتعلق بتشكيل المجلس الأعلى, و قد اختلفت الدساتير الفيدرالية في تكوينه بشكل يلفت النظر. ففي كندا يتم اختيار اعضاء مجلس الولايات عن طريق التعيين و لمدى الحياة[42].

اما الدساتير التي تأخذ بنظام الانتخاب اساسا لاختيار اعضاء مجلس الولايات, فهي ايضا على قدر من الاختلاف فبعضها يتبع اسلوب الانتخاب المباشر عن طريق الاقتراع العام, و هذا ما يحدث على سبيل المثال في الولايات المتحدة الامريكية, و الاتحاد السوفيتي و استراليا, و بعضها الآخر يتم انتخابهم من بين اعضاء المجالس التشريعية للولايات مثل فنزويلا[43].

اما الدستورالفيدرالي لالمانيا الاتحادية سنة 1949 فقد نص على ان المجلس الأعلى يتكون من اعضاء يمثلون حكومة الولايات, فكل ولاية يمثلها عدد من وزرائها[44].

و بالنسبة لمبدأ التمثيل المتساوي لم تأخذ به جميع المجالس التشريعية الفيدرالية, فمن الدول التي راعت تطبيقه الولايات المتحدة الامريكية اذ يمثل كل ولاية في مجلس الشيوخ عضوان, و في الاتحاد السوفيتي يمثل كل جمهورية فيدرالية في مجلس القوميات اثنان و ثلاثون نائبا[45].

و من الدول التي لم تحرص على تطبيق مبدأ التمثيل المتساوي الهندي, حيث يقوم التمثيل في مجلس الولايات على اساس عدد سكان كل ولاية و مساحتها و ليس على اساس فكرة المساواة القانونية بين الولايات الأعضاء و كذلك الحال في جمهورية المانيا الاتحادية, حيث ان عدد ممثلي الولايات في مجلس Bundesrat يتراوح بين 3-5 تبعا لعدد سكان كل ولاية و مساحتها[46].

و مما هو جدير بالذكر ان جانبا من الفقه المقارن[47] قد ذهب الى ان المجلس الأدنى الذي يمثل الشعب الفيدرالي في مجموعه هو الذي يعبر عن مظهر الاتحاد, اما مجلس الولايات فهو على العكس من ذلك يعبر عن مظهر الاستقلال. و لكن يبدو لنا ان مجلس الولايات و ان كان يمثل الولايات, الا انه لا يمكن ان يعبر عن مظهر الاستقلال ذلك لأن وجوده داخل البرلمان الفيدرالي بجانب المجلس الأدنى هو تمثيل للولايات الأعضاء جميعها و ليس لولاية معينة. ثم ان اتخاذ التشريعات الفيدرالية يتم بموافقة الأغلبية[48] بمعنى ان اية ولاية لا تستأثر وحدها بهذا الاختصاص و لهذا قد يتعارض عمل قانوني صادر عن هذا المجلس مع مصالح ولاية معينة, و اخيرا فإن البرلمان الفيدرالي يباشر اختصاصاته بمجلسيه الأعلى و الأدنى و تسري سلطاته على اقليم الدولة بأسره فمجلس الولايات جزء متم للجهاز التشريعي الفيدرالي الذي تشترك جميع الولايات في بنائه[49] و لهذا كان وجوده و دوره في العمل بهذا الشكل, يؤكد انه يعبر عن مظهر الاشتراك و ليس عن مظهر الاستقلال الا انه لا جدال في ان الجهاز التشريعي الاقليمي يمثل مظهر الاستقلال للولايات في حقيقته.

2- **السلطة التنفيذية الفيدرالية:**

يختلف تنظيم السلطة التنفيذية في الدولة الفيدرالية باختلاف شكل نظام الحكم الذي تأخذ به, و مدى تطبيقه لمبدأ فصل السلطات. و من المعروف ان الأشكال الرئيسة للحكم في الدول المعاصرة هي "النظام الرئاسي, و نظام حكومة الجمعية, و النظام البرلماني".

ففيما يتعلق بالنظام الرئاسي, نجد انه في الولايات المتحدة الامريكية تتكون السلطة التنفيذية من رئيس الجمهورية و هو الرئيس الأعلى للدولة و يساعده نائبه و عدد من المستشارين. و ينتخب الرئيس من قبل الشعب وفق نظام انتخابي خاص مميز, يمر بمرحلتين، الأولى: و هي مرحلة اختيار المرشحين عن طريق المؤتمرات الحزبية, اما في الثانية: فيتم اختيار الرئيس من بين هؤلاء المرشحين, و الرئيس هو الذي يختار و يعين المستشارين, و كبار موظفي الدولة, و قضاة المحكمة العليا, و ذلك بمشورة مجلس الشيوخ و بموافقته[50].

كما ان مبدأ الفصل بين السلطات يظهر بوضوح في النظام الفيدرالي الأمريكي, حيث ان اعضاء الحكومة ليسوا بأعضاء في البرلمان الفيدرالي, و بالتالي فهم غير مسؤولين امامه بل امام الرئيس[51].

و هناك دول فيدرالية تأخذ بالنظام الرئاسي الا انها تتبع نظام الانتخاب المباشر لاختيار رئيس الدولة كما هو الحال في كل من البرازيل و المكسيك[52].

و من امثلة نظام حكومة الجمعية نظام الاتحاد السويسري[53] فالمجلس الفيدرالي الذي يتولى اختصاص السلطة التنفيذية. يتألف من سبعة اعضاء منتخبين بالأكثرية المطلقة من قبل الجمعية الفيدرالية و مدة ولاية المجلس الفيدرالي اربع سنوات, و تختار الجمعية الفيدرالية احد اعضاء المجلس الفيدرالي رئيسا للاتحاد لمدة سنة واحدة. و لا نجد في هذا النظام اثرا واضحا لمبدأ الفصل بين السلطات, لأن المجلس الفيدرالي هو الجهاز التنفيذي و ينتخب من قبل البرلمان و يحق لأعضائه دخول المجلسين و الاشتراك في المناقشات[54].

و فيما يختص بالنظام البرلماني نجد من امثلته, نظام الحكم في جمهورية المانيا الاتحادية, اذ يتولى السلطة التنفيذية فيها رئيس الدولة و يساعده اعضاء الحكومة الفيدرالية, و ينتخب الرئيس بواسطة "مؤتمر" يضم اعضاء المجلس التشريعي الأدنى و عددا مساويا من اعضاء تختارهم المجالس التشريعية للولايات.. و يقوم البرلمان الفيدرالي بانتخاب رئيس الحكومة الفيدرالية بناء على اقتراح من رئيس الدولة. اما الوزراء فيتم تعيينهم من قبل رئيس الدولة استناداً الى اقتراح رئيس الحكومة[55].

و من الثابت ان اعضاء السلطة التنفيذية هم الذين يتولون الوظيفة الادارية على نطاق اقليم الدولة الفيدرالية, و ذلك تأكيد لمظهر الوحدة فيها. و يتم ذلك اما بأسلوب الادارة المباشرة و اما باسلوب الادارة غير المباشرة. و اما بطريق يجمع بين هذين الاسلوبين و نوضح هذه الاساليب فيما يأتي:

أ-اسلوب الادارة المباشرة: تقوم السلطة التنفيذية الفيدرالية وفقا لهذا الاسلوب بتنفيذ القوانين و القرارات المركزية بنفسها, و ذلك عن طريق ادارات خاصة تابعة لها في الولايات, و يتميز هذا الاسلوب بامكانية تنفيذ القرارات الفيدرالية بشكل سليم, و على وجه الدقة و السرعة, الا انه من ناحية اخرى يرهق ميزانية الدولة[56], و يثير النزاع بين الحكومة المركزية و حكومات الولايات من حيث كيفية التنفيذ و الجهة المعينة له[57].

ب-اسلوب الادارة غير المباشرة: "هيئة التنفيذ او الادارة الاتحادية الوسطى"[58], و فيه لا تملك الحكومة المركزية ادارات خاصة تابعة لها في الولايات, لذلك تقوم بأداء نشاطها الاداري عن طريق الهيئات التنفيذية للولايات و تحت اشراف و رقابة الحكومة الفيدرالية.

يذهب اغلب الفقهاء[59], الى ان من شأن هذا الاسلوب تحقيق الانسجام بين الحكومة الفيدرالية و حكومات الولايات و تقليل نفقات التنفيذ, الا اننا لا نؤيد هذا الاتجاه, حيث ان هذا الاسلوب قد يؤدي الى

توسيع سلطات الاشراف و الرقابة المركزية على حكومات الولايات, و الى تقييد مجال الاستقلال الذاتي للولايات, و بالتالي يثير نوعا من عدم الانسجام و البطء في التنفيذ. و اخيراً نرى ان ايكال هذه المهام الى الولايات قد تؤدي الى زيادة مرافقها و مؤسساتها و بالتالي زيادة في نفقاتها.

ج-اسلوب الادارة المختلطة: يجمع هذا الاسلوب بين الطريقتين السابقتين, و يتم بموجبه تنفيذ القرارات الفيدرالية من قبل الموظفين الفيدراليين بالاشتراك مع موظفي الولايات, و يكون لموظفي الحكومة المركزية تنفيذ المسائل الهامة التي تحتاج الى سرعة التنفيذ و ما عداها يوكل امر تنفيذها الى الولايات و يلمس مثل هذا التعاون في خدمات بوليس الولايات المتحدة الأمريكية, هناك بوليس فيدرالي لتنفيذ القوانين الفيدرالية و هناك بوليس تابع للولايات لتنفيذ قوانينها[60].

3-الهيئة القضائية الفيدرالية:

يتم توزيع الاختصاصات بين الهيئات الفيدرالية و هيئات الولايات وفق نصوص دستورية صريحة لتحقيق التعاون و الانسجام بين الطرفين, و لكن - و وفقا لطبائع الأشياء - يحتمل حدوث منازعات بين الحكومة الفيدرالية و حكومات الولايات, او بين بعضها و بعض, او بين افراد ينتمون الى ولايات مختلفة, فهذه المنازعات لا يمكن ان تعتبر محلية, لانها لا تقتصر على حدود ولاية معينة, و انما تتجاوزها الى غيرها, ثم ان الولايات الأعضاء ليست تابعة للحكومة المركزية عن طريق التسلسل الاداري و لذلك لايمكن ان تحسم هذه المنازعات وفق قواعد القانون الاداري, كما انه من الصعب الفصل فيها بناء على قواعد القانون الدولي, لأنها منازعات داخلية تدخل في نطاق القانون الداخلي (القانون الدستوري)[61].

هذه المسائل القانونية و غيرها من الأمور القضائية تحتم وجود نظام قضائي ذي طابع خاص تمثله هيئة قضائية فيدرالية تشمل الدولة كلها, و تكفل الحدود الفاصلة بين الحكومة المركزية و حكومات الولايات او بين الولايات بعضها و بعض, و تحدد مجالات نشاطها, و تحسم النزاع الحاصل بين الأفراد الذين ينتمون الى ولايات مختلفة.

و لذلك نجد ان اغلب الدساتير الفيدرالية تنص على تنظيم القضاء الفيدرالي, و تقرر السلطة التشريعية المركزية بقانون فيدرالي شكله, و درجات محاكمة, و اختصاصاته[62]. و تطلق عليه في الغالب المحكمة العليا كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية و كندا و الهند. و في سويسرا تسمى المحكمة الاتحادية, اما في المانيا الاتحادية فتسمى المحكمة الدستورية الاتحادية[63].

و على سبيل المثال نلاحظ ان القضاء الفيدرالي في الولايات المتحدة الأمريكية يقوم على ثلاثة مستويات: محاكم الدرجة الأولى و هي محاكم المقاطعات District-Court تليها محاكم الاستئناف الاقليمية Courts of Appeals, ثم المحكمة العليا Suprem Court. و هي المحكمة الوحيدة انشأها

الدستور الفيدرالي. اما سائر المحاكم الفيدرالية فقد انشأتها قوانين الكونجرس تنفيذا للدستور و تتألف المحكمة العليا منذ سنة 1969 من تسعة قضاة بجانبهم رئيس المحكمة Chief Justice و هذا العدد حدده الكونجرس و يتم تعيينهم لمدى الحياة من قبل رئيس الجمهورية بالاتفاق مع مجلس الشيوخ[64]. غير ان الهند على الرغم من تطبيقها للنظام الفيدرالي و مبدأ ازدواجية السلطة السياسية, فإن نظامه القضائي نظام موحد و ليس ثنائيا, هذا و لا يقتصر الاختلاف بين النظم الفيدرالية على وجود القضاء الفيدرالي او عدم وجوده بل يتعداه احيانا الى اختصاصات المحكمة الفيدرالية العليا, فنلاحظ ان المحكمة الاتحادية في سويسرا ليس لها الحق في الغاء القوانين المركزية على حين لها ان تحكم ببطلان القوانين المحلية. اما في الولايات المتحدة الامريكية فتشمل سلطات المحكمة العليا التشريعات الصادرة عن الكونجرس الفيدرالي و التشريعات الاقليمية.

4-مظهر الا تحاد في المجال الدولي:

ان من اهم ما يترتب على قيام الدولة الفيدرالية ما يأتي:

أ-فناء الشخصية القانونية الدولية للولايات او الدولي الأعضاء المكونة لها.

ب- ظهور الدولة الفيدرالية في نطاق القانون الدولى العام بطابع الوحدة و المركزية.

فالدولة الفيدرالية هي التي تملك وحدها الشخصية الدولية, و تتحمل المسؤولية الدولية عن الولايات, و لا تدع الدساتير الفيدرالية غالبا للولايات الأعضاء حق التمثيل الدبلوماسي او سلطة اعلان الحرب او ابرام المعاهدات و لا يخاطب القانون الدولي العام الولايات لانه ليس لأي من الولايات الشخصية الدولية.

و ما هو جدير بالاشارة اليه ان في الاتحاد السوفيتي للولايات الأعضاء في الدولة الفيدرالية اقامة العلاقات الدبلوماسية, فان كلا من جمهوريات الاتحاد السوفيتي لها هذا الحق "يحق للجمهورية المتحدة ان تقيم علاقات مع الدول الأجنبية و تعقد معها المعاهدات و تتبادل و اياها الممثلين الدبلوماسيين و القنصليين, و تشارك في نشاط المنظمات الدولية" المادة 79 من دستور الاتحاد السوفيتي لسنة 1977, هذا وقد مارسته فعلا جمهورية روسيا البيضاء (بيلورسيا) و جمهورية (اوكرانيا) و الى حد وجودهما كأعضاء في هيئة الأمم المتحدة, و منظماتها المتخصصة.

و ينتج عن هذا ان الولايات لا تستطيع ان تتمسك بقواعد القانون الدولي للدفاع عن استقلالها و امتيازاتها و هذا الأمر يتفق مع التكوين القانوني للدولة الفيدرالية باعتبارها دولة واحدة و تقوم على اساس قواعد القانون الدستوري و ليس على قواعد القانون الدولي. هذا الى ان العلاقات الخارجية متعلقة بمصالح الشعب الفيدرالي في مجموعه, لهذا لابد من ان تواجه بشكل من المركزية و الوحدة, بعيدا عن التردد و التناقض[65].

و عند النظر في تطبيق النظام الفيدرالي نجد ان بعض الولايات في الدولة الفيدرالية تتمتع ببعض

الحقـوق الدوليـة, كحـق ابـرام المعاهـدات غـير السياسـية[66] و لكـن ذلـك لا يجعـل منهـا شخصـية دوليـة مسـتقلة ذات سـيادة, نظـرا لأنهـا تخضـع في مباشرتها لهذه الاختصاصات الدولية لقواعد القانون الـداخلي "الدسـتور الفيـدرالي" أي ان هـذه الحقـوق مسـتمدة و محـددة في القـانون الـداخلي و لـيس في القانون الدولي[67] على ذلك فان الحكومةالفيدرالية تحـتفظ لنفسـها في جميـع الحـالات بحـق ممارسـة الاختصاصات الدولية عن طريق هيئاتها الفيدرالية, باعتبارها حقوقا ثابتة ممنوحة لها دستوريا و هي لا تخضـع في ممارسـتها اياهـا لاي قيـد عـدا الحـدود المرسومة لها في الدستور الفيدرالي.

ثانياً: الاستقلال الذاتي

ان مظهـر الاسـتقلال الـذاتي الاقليمـي للولايـات يبرز المقومات الخاصة و الخصائص الذاتية للولايات, و يعمل على اقرارها و تثبيتها, ومـن ثـم المحافظة عليها و حمايتها[68] و يفرض هذا المظهر و جوده في كلتا الحـالتين اللـتين تنشـأ فيهمـا الدولـة الفيدراليـة حالة التكتل و حالة التفكك.

ففي حالة تكوين الدولـة الفيدراليـة عـن طريـق انضمام عدة دول او ولايات كانـت في الأصـل مسـتقلة عن بعضها, نجد ان كلا منها تـدافع عـن اسـتقلالها و تهدف الى ان لا تنـال الدولـة الجديـدة منهـا الا القـدر الضـــروري لبنائهـــا و بقائهـــا[69], و امـــا مظهـــر الاسـتقلال الـذاتي في حالـة انشـاء الدولـة الفيدراليـة عن طريق تفكك دولة موحـدة الى ولايـات فيدراليـة فـان الدولـة الموحـدة مـا كانـت لترضـى بالتفكـك الا اسـتجابة لرغبـة سـكان تلـك الولايـات في الاسـتقلال الذاتي و الابتعاد عـن نظـام المركزيـة و بالتـالي فـإن هذه الولايات لا تقبل اية سيطرة او تقيد لاستقلالها الا بنص قانوني و في الحدود الضرورية للحفاظ على بقـاء الدولـة الفيدراليـة و اسـتمرارها. و الـركن الأساسـي في هـذا الاسـتقلال, ان تكـون للولايـات الفيدرالية هيئاتها الدستورية الخاصة بها, بمعنـى ان تكـون مسـتقلة عـن الهيئـات المركزيـة بحيـث لا تسـتطيع ان تعينهـا او تعزلهـا او توجههـا مـا دامـت تباشر اختصاصاتها وفقا لهذا الاستقلال[70]. و على هذا الأساس تتمتع كل ولايـة مـن الولايـات الاعضاء باسـتقلال دسـتوري و تنظـيم ذاتـي. (Auto Organization).

فبالنسبة للاستقلال الدستورى فانـه يتجسـد في وجـود سـلطة تأسيسـية[71] تقـوم بوضـع الدسـتور الاقليمـي لاسـتقلال تـام دون الحاجـة الى تصـديق الحكومـة المركزيـة[72], ففـي الولايـات المتحـدة الامريكية تنشأ السلطة التأسيسية امـا مـن المجلس التشـريعي الاقليمـي ذاتـه (Provincal Congress). و امـا عـن طريـق انتخابـات خاصـة, تهـدف الى تكـوين جمعية تأسيسية داخل المجلس التشريعي الاقليمي[73] و في جمهوريـات الاتحـاد السـوفيتي للسـوفيت الأعلـى للاقليم الفيدرالي وحده ان يشرع دستور الاقليـم[74]. و مع ذلك فان هذا الوضع لـيس بقاعـدة مطلقـة, بـل في بعـض الـدول الفيدراليـة يضـيق هـذا الاسـتقلال الدسـتوري, كمـا هـو الحـال في كنـدا فيـذكر الفقيـه (Dicey. P. 34) انه في كندا - يجوز للبرلـان الاقليمـي,

تعـديل دسـتور الولايـة ذاتهـا بقـانون, و لكـن هـذا التعـديل يخضـع - شـأنه شـأن التشـريعات الاقليميـة الأخرى - لتصديق الحكومة الفيدرالية و التي لها عدم اقرار التعديل ذلك بمقتضى الفقرة الاولى مـن المادة 92 من قانون 1867.

امـا بالنسـبة للتنظـيم الـذاتي, فـنلاحظ ان مـا يترتب على هذا الاسـتقلال الـذاتي هـو تمتـع ولايـات الدولة الفيدراليـة بسلطات في مجـالات مختلفـة مثـل (التشـريع, الادارة, القضـاء) و تباشـرها عـن طريـق هيئاتهـا الدسـتورية التشـريعية و التنفيذيـة و القضائية على النحو الآتي:

1-الهيئة التشريعية الاقليمية:

الى جانب البرلمان الفيـدرالي توجـد في كـل ولايـة فيدراليـة هيئـة تشـريعية اقليميـة, ففـي الولايـات المتحدة الأمريكيـة تملـك كـل ولايـة هيئـة تشـريعية يطلق عليها اسـم المجلس التشـريعي, و هـذه الهيئـة غالبـا مـا تتكـون مـن مجلسـين: مجلـس الشـيوخ و مجلـس النـواب, اذ تـنص الفقـرة الـ(1) مـن المـادة الرابعـة مـن دسـتور ولايـة كاليفورنيـا سـنة 1879 المعـدل في سـنة 1966 علـى ان " The Legislative Power of this State is Vested in The California Legistature Which Consists of The Senate And Assembly.." الا انــه تشــذ (ولايــة نبراســكا) في الولايـات المتحـدة الامريكيـة عـن هـذا الوضـع, حيـث تأخذ بنظام المجلس الواحد.

اما الدسـتور الهنـدي سـنة 1949 فالمـادة 168 منــه تــنص علــى ان لكـل ولايـة هيئـة تشـريعية اقليميـة, تتكـون في بعـض الولايـات مـن المجلسـين, الجمعيــة التشــريعية (Legislative Assembly) و المجلــس التشــريعي (Legislative Council) و في بعضها الآخر من المجلس الواحد و يطلق عليه اسم الجمعية التشريعية. و يـتم اختيـار اعضاء الهيئـة التشــريعية علــى اســاس الانتخــاب العــام المباشــر. (المادة. 17).

2-الهيئة التنفيذية الاقليمية:

الى جانـب الهيئـة التشـريعية الاقليميـة, للولايـة هيئة تنفيذية تتولى توجيه شـؤون الادارة و تنفيـذ التشــريعات المركزيــة و القــوانين المحليــة. و يــتم اختيار اعضاء هـذه الهيئـة غالبـاً بالانتخـاب, و ذلـك اما عن طريق المجالس التشـريعية في الولايـات, و امـا عن طريق انتخـاب منـدوبين داخـل الولايـة[75] و في احيان اخرى تقوم الحكومة المركزية بتعـيين رؤسـاء و اعضاء الهيئـات التنفيذيـة الاقليميـة, جـاء في المـادة (155) مـن دسـتور الهنـد 1949 مـا يـأتي "يعـين الـرئيس حــاكم الولايــة بـبراءة يصـدرها ممهـوره بإمضائه و خاتمه".

ففــي الولايــات المتحــدة الامريكيــة للســلطة التنفيذية في كل ولاية رئيس يسمى الحاكم, و يعـين الحـاكم في بعـض الولايـات عـن طريـق الانتخـاب مـن قبـل المجلـس التشـريعي للولايـة, و في بعضـها الآخـر عن طريق انتخاب منـدوبين, اذ جـاء في الفقـرة (1) من المادة (5) من دسـتور كاليفورنيـا 1879 المعـدل 1966 ما يلي: " The Supreme Exccutive Power of this State is Vested in the Governer" و في

الهند لكل ولاية هيئة تنفيذية, تتكون من حاكم الولاية و يعاونه عدد من الوزراء, يرأسهم الوزراء. و فقا للمادة (153) من الدستور الهندي سنة 1949 يعين الحاكم من قبل رئيس الجمهورية, و ليس ثمة ما يمنع من تعيين شخص واحد حاكما لولايتين او اكثر, و رئيس وزراء الولاية يتم تعيينه من قبل حاكم الولاية, اما الوزراء فيتم تعيينهم من قبل الحاكم بناء على مشورة رئيس الوزراء (المادتان 158 و 164 من دستور الهند 1949) و في فنزويلا يعهد بتعيين المحافظين و اعضاء الهيئات التنفيذية للولايات الى رئيس الجمهورية[76] و من غير شك ان قيام الحكومة المركزية بتعيين رئيس الهيئة التنفيذية. او اعضاء الهيئة التنفيذية الاقليمية, لا يخلو من خطر على الاستقلال الذاتي للولايات, ذلك ان الحكومة المركزية في حالة تدخلها في اختيار اعضاء الهيئة التنفيذية المحلية قد تؤثر في انتخاب اعضاء الهيئة التشريعية, الأمر الذي تترتب عليه خطورة تهدد كيان الولايات الأعضاء. و تغير الفكرة المعتادة عن الدولة الفيدرالية التي تقوم اساسا على ضمان استقلال داخلي للولايات.

3-**القضاء الاقليمي:**

اما فيما يتعلق بالقضاء الاقليمي في الدول الفيدرالية, فيلاحظ ان لكل اقليم نظامه القضائي الخاص, وفقا لدستوره, و لاشك ان المعيار الحاسم في وجود الاستقلال القضائي (Autonomie Juridiction) يكمن في استطاعة محاكم الولايات اصدار احكام لا يمكن الطعن فيها امام اية محكمة اخرى خارج حدودها. و هذا ما نلمسه في الولايات المتحدة الامريكية, حيث ان السلطة القضائية في الولاية تتولاها المحكمة العليا, و محاكم الاستئناف, و المحاكم الرئيسة, و المحلية, و محاكم البوليس, فالمادة السادسة من دستور ولاية كاليفورنيا سنة 1979 المعدل تقضي ما يأتي: الفقرة الـ(2) "تتكون المحكمة العليا من كبير قضاة كاليفورنيا و يساعده ستة من القضاة و يدعو رئيس المحكمة - المحكمة للانعقاد في أي وقت.. و تصدر الأحكام بأغلبية اربعة اصوات.. الفقرة الـ(3)" تقسم الهيئة التشريعية الولاية الى دوائر تتضمن محكمة استئنافية من قسم واحد او متعددة الأقسام. و يتكون كل قسم من رئيس محكمة و عضوية قاضيين. و تكون لكل قسم سلطة المحكمة الاستئنافية و تعمل بنظام المحكمة التي تشكل من ثلاثة قضاة, و تصدر الأحكام بأغلبية صوتين, الفقرة الـ(4) تنشأ محكمة رئيسة في كل مدينة و تشكل من قاض واحد او اكثر. و الفقرة الـ(5) ينص التشريع على المحاكم المحلية و محاكم البوليس, و تكون للمدينة محكمتها, و يجوز ان تشكل المحكمة المحلية او محاكم البوليس من قاض واحد او اكثر, و تنشأ محكمة محلية في كل ضاحية تعدادها 40 الف نسمة و كذلك تنشأ محكمة بوليس لنفس العدد او اقل و وفقا لما يحدده التشريع"[77].

و كذلك الحال في الاتحاد السويسري فبجانب المحكمة الفيدرالية هناك لكل مقاطعة محاكمها و نظامها القضائي الخاص. و بصورة عامة فان لكل

مقاطعة محكمة عليا, و محكمة مدنية و محكمة جنائية, هذا الى جانب وجود المدعي العام و قاض للتحقيق.

ثالثاً: مظهر الاشتراك في الدولة الفيدرالية

ان مظهر الاشتراك في الدولة الفيدرالية, ما هو الا مجمل العوامل و الظروف التي تدعو الى تحقيق الانسجام و توثيق الارتباط بين عنصري الفيدرالية "الاتحاد و الاستقلال الذاتي" كما تساعد على تنظيم الدولة الفيدرالية على نمط يظهرها بشكل دولة واحدة.

و هذا المظهر ما هو الا تعبير عن جوهر الدولة الفيدرالية كدولة واحدة. حيث يترتب على غيابه تحول الدولة الفيدرالية الى دولة موحدة, بسيطة او الى اي شكل آخر من اتحادات الدول.

و يبدو مظهر الاشتراك كمبدأ اساسي في تنظيم الدولة الفيدرالية في المجالات الآتية:

اولاً: قيام كل ولاية بممارسة سلطات الدولة بالاشتراك مع الحكومة المركزية و اشتراكهما معها في تكوين الادارة العليا للدولة الفيدرالية, و ذلك عن طريق اسهامها في وضع القوانين و القرارات المركزية بواسطة مجلس الولايات داخل البرلمان الفيدرالي, و يبرز هذا المظهر بوضوح عند الاخذ في تكوين مجلس الولايات بمبدأ التمثيل المتساوي و التقيد بشرط الاجماع عند اصدار التشريعات و القرارات المركزية و عدم الاكتفاء بصفة الأغلبية(78).

ثانياً: مشاركة الولايات عند تعديل الدستور الفيدرالي, فان اغلب الدساتير الفيدرالية تشترط مشاركة الولايات و اخذ موافقتها في تعديل دستور الدولة, فضلا عن موافقة البرلمان الفيدرالي بمجلسيه, و ذلك للحيلولة دون تغيير النظام القانوني و الكيان السياسي للولايات عن طريق التفسير المتحيز لصالح الحكومة الفيدرالية.

ثالثاً: لا ينص الدستور الفيدرالي في الغالب على اقامة جهاز منفصل لاجراء الانتخابات العامة, و يتم اختيار مرشحي رئاسة الدولة و نوابهم و اعضاء البرلمان المركزي في انتخابات عامة تجري في جميع الولايات. معنى ذلك ان حكومات الولايات و مواطنيها تشارك في قيام موسسات الدولة الدستورية(79).

رابعاً: تشارك الولايات الأعضاء في بناء كيان الدولة, و ذلك عن طريق تزويد هيئاتها و مؤسساتها و دوائرها المركزية بالموظفين و العاملين(80).

الهوامش:

1-الدكتور السيد صبري, النظم الدستورية في البلاد العربية, القسم الثالث, القاهرة, 1964, الدكتور عبد الرحمن البزاز, الدولة الموحدة و الدولة الاتحادية, بيروت, 1970, الدكتور محمد حافظ غانم, المرجع السابق, ص 169, الدكتور حامد سلطان, ص 100.

2-الدكتور عثمان خليل عثمان, اللامركزية و نظام مجالس المديريات في مصر, رسالة دكتوراه, جامعة القاهرة, 1939, و الدكتور محسن خليل, النظم السياسية و الدستور اللبناني, القاهرة, 1975, ص 86, و الدكتور محمد كامل ليلة, النظم السياسية, الدولة و الحكومة, القاهرة, 1971, ص 124, الدكتور طعيمة الجرف, نظرية الدولة, 1978, ص 178, الدكتور ثروت بدوي, النظم السياسية, ص.72.

3-الدكتور منذر الشاوي, في الدولة, ص .82

4 و 5-الدكتور الشافعي محمد بشير ص .112

6-الدكتور محمود سامي جنينة, القانون الدولي العام, ص 2 القاهرة 1938, ص 12, و الدكتور علي صادق ابو هيف, ص .127

7-Joshi (G.N)., P 22, 27

8-هاملتن, ماوسن, جاي, الدولة الاتحادية, اسسها و دستورها, ترجمة جمال محمد احمد, مراجعة الدكتور احسان عباس, بيروت 1959, ص 172-.174

10,9- Greenstein (F.l) And Polsby (N. W), Governmental institions And modern Governments, Theory California Processes Madan Copal Gupt 1975. P. 64 And Practice Allahbad. 1969. P. 92.

11-قول Beni Prasad ذكره الاستاذ كوبتا gupta., P. 93.

12-الدكتور احمد سويلم العمري, ص .67

13-الدكتور محمد انور عبد السلام, التجربة الاتحادية الأمريكية و قيمتها للوحدة العربية, القاهرة, 1974 ص 98, و انظر هاملتن, مادسن, جاي المرجع السابق, ص 29-.39

14-الدكتور محمد عبد العزيز نصر: في النظريات و النظم السياسية, القاهرة, 1973, ص 473. Gupto.

15- Greenstein And Polsby., P. 299, GUPtA., P. 95.

16-الدكتور عبد الرحمن البزاز, الدولة الموحدة و الدولة الاتحادية, بيروت, 1960, ص .67

17-الدكتور طه بدوي, اصول علوم السياسة, الاسكندرية, 1965, ص .18

18-محمد الهماوندي, ص .119

19- Huriou (A)., Droit Constiutionel Et Institutions Polititques. Paris. 1970. P. 492.

20-Durand., Op. Cit. 21-22.

21-الأستاذ الدكتور الراحل احمد سويلم العمري, ص .7

22-قول للفقيه (Dicey) ذكره الفقيه Burdeau., Le De Science Politique T, ll, Paris. 1980. P 448. Joshi., OP. Cit. 22.

23- Pritchett. (C. Herman)., The federal System Constitutional Law. Newjersey . 1978. P. 274.

24-نظرا للأهمية البالغة للدستور الفيدرالي في كيان الدولة الفيدرالية و حياتها نجد ان الدكتور الشافعي محمد بشير "المرجع السابق". ص 113 يطلق مصطلح (الاتحاد الدستوري) عليها. وا نظر كذلك J.D Less, R.A. maidment & m. Tappi American Poletics Today. Manchester. 1985. P. 16-17.

25-الفقرة الـ(2) من المادة (6) من دستور الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1787 و كذلك انظر Dicey (A.V.)., Law of the constitution. London, 1908, P. 479.

26-Joshi., Op. Cit. P. 35, Burdeau., Op. 479.

27- Bowie & Friedrch., Sur le Federalisme. Paris. 1960 P. 104-105.

28- Ferguson & Mchenry., Elements of American Government. New York. 1958. P 48.

29-Joshi, Op. Cit. P. 22., - Haurious, Op. Cit. P. 44.

30-الدكتور اسماعيل ميرزا المرجع السابق. ص 183.

31-Pritchett (C. Herman)., P 272.

32-القضاء موحد في التطبيق الفيدرالي لدولة الهند, حيث ان المحكمة العليا في العاصمة و المحاكم الادنى في الولايات تشكل في مجموعها سلطة قضائية واحدة.

Joshi, Op. Cit. P. 477.

33-الدكتور ثروت بدوي: المرجع السابق. ص 89. و الدكتور منذر الشاوي: المرجع السابق, ص 27.

34-Durand., Op. Cit. P. 20-40.

35-Durand., Op. Cit. P. 20.

36-الدكتور محمد كامل ليلة: المرجع السابق. ص 129, الراحل الدكتور العمري, ص 10.

Greenstein & Polsby., Op. Cit. P. 95-96. Joshi., P. 23

37-الدكتور ثروت بدوي: النظم السياسية: المرجع السابق. ص 80, و الدكتور طعيمة الجرف: المرجع السابق. ص 181.

Joshi., Op. Cit. P 24

38-Bowie & Friedrch., Op. Cit. P 12.

39-يطلق على هذا المجلس اسم مجلس الولايات "Le Bundesrat" في المانيا الاتحادية و مجلس الشيوخ (Senate) في الولايات المتحدة الأمريكية. و مجلس القوميات في الاتحاد السوفيتي, و مجلس المقاطعات في سويسرا "Le Conseil des Etats".

40-يطلق على هذا المجلس اسم النواب في كل من الولايات المتحدة الأمريكية House of Representatives و المانيا الاتحادية (Le Bundestag) و مجلس الاتحاد في الاتحاد السوفيتي و المجلس الوطني (Le Conseil National) في سويسرا.

41-المادة (110) من دستور الاتحاد السوفيتي سنة 1977, و الفقرة الـ(2) من المادة الـ(1) من دستور الولايات المتحدة الأمريكية, و المادة (38) من دستور المانيا الاتحادية سنة 1949.

42-الدكتور الشافعي محمد بشير المرجع السابق ص 137.

Durand., Op. Cit. P. 57., Bowie., Op. Cit. P 68

43-Durand., Op. Cit. P. 76

44-الدكتور محمد كامل ليلة: المرجع السابق ص 136, و المادة (51) من دستور المانيا الاتحادية سنة 1949.

45-الفقرة الثالثة من المادة الاولى من دستور الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1878, و المادة (11) من دستور الاتحاد السوفيتي سنة 1977.

46-الفقرة الثانية من المادة 51 دستور المانيا الاتحادية سنة 1949 و الفقرة الثانية من المادة 81 من دستور الهند 1949.

47-الدكتور ثروت بدوي: المرجع السابق ص 77.

Durand., Op. Cit. P. 15.

48-الــدكتور كمــال غــالي: مبــادئ القــانون الدستوري و النظم السياسية الجزء الثاني, مطبعة جامعة دمشق سـنة 1967-1968, ص 78-80, و الدكتور محمد كامل ليلة: المرجع السابق, ص 138 و الفقرة الـ(3) مـن المادة (52) مـن دسـتور المانيا الاتحادية سنة 1949.

Brahim Darwish., Op. Cit. 207-220.

50-الفقـرة الأولى مـن المادة الثانيـة دسـتور الولايـات المتحدة الأمريكية سنة 1878.

51-Bowie & Friedrich., Op. Cit. 117.

و الفقرة الـ(4) من المادة الثانية من دستور الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1878.

52-الدكتور محمد كامل ليلة: المرجع السابق. ص 139.

53-انظر في تفصيل ذلك, فرناس عبد الباسط البنا, رئاسة الدولة في الاتحاد السويسري, جامعة الأزهر فـرع دمنهور, 1986.

54-Hauriou(A)., Op. Cit. P. 445.

55-الـدكتور اسماعيـل مـيرزا: المرجـع السـابق ص 278 و المـواد مـن دسـتور جمهوريـة المانيـا الاتحاديـة سنة 1949.

56-الـدكتور محمـد كامـل ليلـة: المرجـع السـابق 141 و الـدكتور طعيمـة الجـرف: المرجـع السـابق, ص 185.

57- Dit Execution au Administration Federal Mediate

Durand., Op. Cit, 62.

58-الدكتور محمد كامل ليلة/ المرجع السابق 141, و الــدكتور طعيمــة الجــرف: المرجــع الســابق, ص 181, و الدكتور اسماعيل ميرزا: المرجع السابق, ص 201.

59-Bowie & Friedrch., Op Cit. 140

60- Wheare (K.C)., Federal Government, London. P. 276.

61-ديران, المرجع السابق, ص 65-67.

62-الدكتور محمد انور عبد السلام, المرجع السابق, ص 125.

63-الدكتور اسماعيل ميرزا, المرجع السابق, ص 198.

64-الـدكتور حسـن زكريـا: مقـال بعنـوان "المحكمـة العليـا الأمريكيـة" مجلـة ديـوان التـدوين القـانوني العـدد الأول, حزيران 1966, بغداد ص 1-34.

65-Durand., Op. Cit. P. 39

66-الفقـرة الــ(3) مــن المـادة 32 في دسـتور المانيـا الاتحادية سنة 1949.

67-الشـافعي محمـد بشـير, المرجـع السـابق, ص 118-148.

68-الـدكتور محمـد حسـن الابيـاري, المنظمـات الدوليـة الحديثـة و فكـرة الحكومـة العالميـة, الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب, القاهرة, سنة 1978, ص 157.

69-Joshi., Op. Cit. P. 24.

70-Durand., Op. Cit. P. 23.

71-الـدكتور اسماعيـل مـيرزا: المرجـع السـابق, ص 203.

Durand., Op. Cit. P. 32.

72- Hauriou (A)., Op. Cit. P. 155.

73-Denisov., Op. Cit. P. 100.

الكرد في سوريا

بقلم/ مصطفى نازدار

ترجمة/ آزاد برزنجي

بالامكان العثور على مقالات عديدة عن كرد سوريا و(الجزيرة) في كتابات المؤلفين العرب والمسلمين في العصور الوسطى. ولكن المقالات المكتوبة حديثا بهذا الصدد، لا يتجاوز عددها اصابع اليد.

فيما يخص عدد كرد سوريا لايتوفر احصاء رسمي، وحتى اذا ماتوفر فليس موضعاً للاعتماد. ويضطر الفرد الى تخمينات والى الاستفادة القصوى من المعلومات المتناثرة هنا وهناك. وتأسيسا على هذا نستطيع القول ان هناك زهاء (825) الف كردي يعيشون في سوريا ويشكلون (11٪) من اجمالي السكان (7.5 مليون نسمة) (في عام 1976).

ويتوزع الكرد جغرافيا على الشكل الآتي:

مجموع كرد سوريا حسب المناطق

كردداغ	290000
جبل سمعان وعزاز	30000
عين العرب (كوباني)	60000
الجزيرة الشمالية	360000
الجزيرة الجنوبية	10000
حلب	10000
حماه	5000
دمشق	3000
المدن والمناطق الأخرى	3000
المجموع الكلي	825000

يقطن ثلث الكرد الموجودين في العاصمة في اقسام مختلفة منها، والبقية تقطن في (حي الاكراد) الواقع عند سفح جبل قاسيون. وماعدا الساكنين في مدن ومناطق عربية (سائر المدن والمناطق المدرجة اسماؤها في الجدول اعلاه)، هناك ثلاث مناطق كردية في شمال البلاد. يشكل الكرد الذين يعيشون

في هذه المناطق (ويبلغ عددهم 740الف) 10٪من اجمالي سكان الجمهورية السورية.

تقع كرداغ في شمال غرب مدينة حلب وتتاخم حدود انطاكية وسهل اسكندرونة. ان هذه المنطقة العامرة بالسكان تنتشر فيها (360) قرية وتعد اقصى غرب كردستان، وهي المنطقة الجبلية الوحيدة التي يقطنها الكرد في سوريا. ومن محصولاتها الحبوب والعنب والتين والتوت. وتغطي اشجار البلوط مساحات واسعة منها، كما تنتشر اشجار الزيتون في المناطق القريبة من البحر المتوسط. وبالاضافة الى الكرد الساكنين في هذه المنطقة والبالغ عددهم (290) الف نسمة، هناك زهاء (30) الف كردي آخر يسكنون في ضواحٍ شبه جبلية كجبل سمعان وعزاز الواقعين مقابل وادي نهر شرين.

وتمتد سلسلة جبال الكرد (كرداغ) شمالا حتى تنتهي بسلسلة جبال (طوروس) في كردستان تركيا. تقع منطقة عين العرب (كوباني) في شمال شرق حلب، او بالأحرى شرقي المنطقة التي يدخل عندها نهر الفرات اراضي سوريا. وهناك (120) قرية كردية منتشرة في الارجاء المختلفة لهذه المنطقة. كان علماء الاسلام في الجغرافية في العصور الوسطى لا يعتبرون هذه المنطقة جزءا من سوريا (الشام)، بل يعتبرونها مدخلا لـ(الجزيرة)، والمقصود بها الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وهكذا عدوها جزءا من القسم الاعلى لـ(مابين النهرين)،كما اطلق اسم العراق على القسم الاسفل منها، أي المنطقة التي تنتهي حدودها بين بغداد وتكريت. وكانت كردستان الجنوبية، أي شمالي العراق كما يسمونها اليوم تعد قسما من الاراضي الايرانية. يتمركز معظم الكرد في القسم الشمالي لاقليم الجزيرة، حيث يبلغ عددهم حوالي (360) الف نسمة، اما المجموع العام لكرد الجزيرة فيبلغ (450) الف نسمة. يتاخم القسم الشمالي للجزيرة وعلى امتداد (280كم) الحدود العراقية، ويبلغ عرض مساحتها 20كم، ويتسع هذا العرض ليبلغ (60كم) في بعض المناطق، وتحتل الجزيرة القسم الاعظم من منقار البط (اشارة الى خارطة سوريا) في الشمال الشرقي للبلاد. توجد في هذه المنطقة (700) قرية، كلهم من الكرد، لأن عرب المنطقة يعيشون في خيام. كانت هذه الضواحي غداة حكم العثمانيين محط رحال لقبائل عربية تعيش في خيام كقبائل الشمر والطي والبكارة، حيث ينصبون خيامهم بجوار خيام قبائل كردية نازحة من جبال (طوروس) الى هناك للاصطياف كقبائل ميللي وداكوري وهافركان. كانت هذه الضواحي مرتعا خصبا ترعى فيها القبائل العربية جمالها، ومنذ عام 1920 وبعد انتكاسة ثورة الكرد ضد الكماليين، بدأت القبائل الكردية النازحة من قرى ومدن كردستان تركيا بالاستيطان في هذا القسم من الجزيرة. واستطاعت هذه القبائل ان تؤسس علاقات ودية مع قبائل عربية كانت تعيش هناك في مخيمات. ولم تمض فترة طويلة حتى تأسست قصبات ومراكز للتعامل التجاري في هذه المنطقة وانتشرت فيها مزارع الحنطة، وبمرور عدة عقود

من السنين تحولت الجزيرة شيئا فشيئا الى مركز رئيس لانتاج الحبوب في سوريا.

وتقع مدينة (الحسكة) في القسم الجنوبي لـ(الجزيرة)، ويبلغ سكانها اكثر من (100) الف نسمة، ويشكل العرب البدو معظم السكان، ويعيش فيها (10) آلاف كردي بينهم (7-5) آلاف ايزدي يقطنون في اطراف بحيرة (خاتون). وتعتبر هذه الجماعة الايزدية إمتدادا للايزديين المقيمين في جبل سنجار الواقع في كردستان العراق.

ترى هل تعد مناطق كرداغ وعين العرب والقسم الشمالي للجزيرة جزءا من كردستان؟ هل تشكل هذه المناطق كردستان تركيا ام هي اجزاء من اراضي سوريا استوطنها الكرد مصادفة؟ وبصرف النظر عن تسميات علماء الاسلام في الجغرافيا، فإن هذه الاراضي لاتختلف عن دمشق من الناحية الجغرافية، لكنها من حيث الخاصية القومية تعتبر امتدادا لاراضي كردستان تركيا. كما ان حدود الجزيرة تتاخم كردستان العراق.

ان الاتفاقية التي تم توقيعها في 9 آذار 1921 في لندن بين فرنسا ودولة كمال اتاتورك لم تنص على رسم الحدود بين تركيا وسوريا طبقا للاختلاف القومي بين الكرد والعرب، وحسب هذه الاتفاقية فقد حصلت سوريا على ثلاث مناطق كردية، في الوقت الذي تم إلحاق الاراضي الواقعة في جنوب حران في الشمال، والتي يشكل العرب غالبية سكانها. تم الحاقها بتركيا بإعتبارها جزءا من كردستان تركيا، وكذلك المنطقة الواقعة شرقي كيليس التي يسكنها الكرد والعرب معاً، علاوة على هذا، قام مصطفى كمال في عام 1938 باحتلال اسكندرونة التي تضم سهول انطاكية، حيث يتكون سكانها ايضا من الكرد والعرب، وتعرف هذه المنطقة بـ(هتاي). تفصل بين هذه المناطق الكردية في سوريا ومناطق يسكنها العرب. وهكذا اصبحت كردستان سوريا تبدو وكأنها منطقة غير موحدة ومفككة، احرى بها أن نسميها المناطق الكردية في سوريا، ولكن الحقيقة التي لاتنكر هي ان الكرد يشكلون 10٪من المجموع الكلي لسكان سوريا ويستوطنون اراضي معينة في شمالها، وانهم محرومون من حقوقهم القومية والثقافية. ان كرد سوريا يمتهنون الزراعة، ويرعون الماشية، وتتوفر لديهم منتوجات الالبان، ويصنعون الطنافس. كما يصنع كرد (كرداغ) زيت الزيتون والفحم و يصدرونها الى حلب.

وساكنو المدن الذين يشكلون 20٪ من مجموع سكانها، مشغولون بالمعاملات التجارية والصناعات اليدوية.

توجد في سوريا ست مدن كردية تقع اربع منها في الجزيرة وهي على التوالي: قامشلي (20 الف نسمة) عامودة (15 الف نسمة) درباسية (15 الف نسمة) ديرك (6 آلاف نسمة) عين العرب (عين بينار) (8آلاف نسمة) واخيرا (عفرين) المدينة الرئيسة في كردكوه أو كرداغ _حوالي 20 الف نسمة). تقع المدن الثلاث الاولى

بالقرب من الحدود التركية، وتقع ديرك بالقرب من الحدود العراقية.

كرد سوريا في العصور الوسطى

يقول (رنية دوسو) في بحثه الموسوم (الطوبوگرافيا التأريخية لسوريا القديمة وسوريا العصور الوسطى) ان كرداغ (كردكوه) وسهل انطاكية (كانا موطن الكرد منذ القدم) وكذلك يقول (كلود كاهن) استاذ الدراسات الاسلامية في سوربون حاليا: ان مدينة (حماه) كانت ضمن الاراضي التي يحكمها علي بن وفا المعروف بـ(علي كورد) الذي توفي عام 1114. وكانت عائلة علي كورد تحكم رافانية وحماه والمناطق الجبلية التي تفصلها من طرابلس واللاذقية. يصف (نيكيتا اليسيف) استاذ الدراسات الاسلامية في جامعة ليون في كتابه الضخم (نورالدين: الامير الكبير في عصر الحروب الصليبية) يصف البنيات الاجتماعية المكونة للمجتمع السوري ويقول: (اذا استندنا الى المقولات الاجتماعية القديمة في تحليلنا للمجتمع؛ يكون الهرم الاجتماعي لدينا كالآتي: على رأس الهرم هناك النبلاء الكرد والترك الذين كانوا يعيشون مع ممثلي الدولة واصحاب المناصب الرفيعة في المدن، هذا بالاضافة الى (الاجانب)ـ المسلمون اصحاب الامتيازات، أي اولئك الذين كانوا يدعون انهم اسياد، فهؤلاء ايضا كانوا يقيمون في المدن وبعكس الكرد، كان انصار الترك او التركمان كنورالدين زنگى (المعروف لدى الصليبيين بـ(نورالدين) وتوغ تكين من القادمين الجدد في المنطقة وكان العرب الذين يشكلون غالبية السكان يعانون من الضعف في قدراتهم العسكرية وكانوا يلجأون الى الامراء الكرد والترك في الدفاع عن الوطن ازاء الهجمات الصليبية.

يعود بناء (قلعة الفرسان) الى الكرد، هذه القلعة التي سقطت في ايدي الصليبيين والتي تبعد قليلا عن مصياف. يقول كلود كاهن: (نتيجة الائتلافات المتكررة بين شمالي سورية والجزيرة، استقرت المماليك والجماعات العسكرية في هذه الضاحية وفي القرن الحادي عشر قامت احدى هذه الجماعات بتشييد (حصن الاكراد) او ما يسمى بـ(قلعة الفرسان)).

اقام المحاربون الصليبيون وقبل احتلالهم للقدس في الاقسام الساحلية، ولاسيما في انطاكية وطرابلس وكانت الخلافات قائمة بين مسلمي سوريا (العرب البدو والكرد والتركمان يتقاتلون فيما بينهم) و(النزاعات على اشدها بين الشيعة والسنة) وفجأة ظهر امامهم عدو مشترك، (الفرانكيون) من الخارج والحشاشون من الداخل.

لم تكن لدى خليفة بغداد العباسي قوة اخرى عدا نفوذه الاخلاقي. واراد مسلمو مابين النهرين وايران مساعدة هذا الرجل وانقاذه، لكن السوريين ساورهم الخوف من ان يحتلوا بلدهم لهذا لم يتردد امراء تركمان حلب ودمشق في عقد اتفاقية تعاون مع الفرانكيين.

في عام 1148 احرز المسلمون وللمرة الاولى النصر على الفرانكيين. وكان (الجهاد) بقيادة نورالدين زنگى الامير التركماني الموصلي، وكما

يقول اليسيف: (كان الامير زنگى بإمرته العديد من الامراء الكرد والترك. وكان الجيش المكون من الكرد والترك غريبا على السوريين)، مكث زنگى نفسه بالموصل. وارسل جيشا بقيادة قائدين كرديين من قبيلة راوند الى سوريا و كان هذان القائدان نجم الدين أيوب وشيركو، الاول والد صلاح الدين الكبير والثاني عمه. وصلاح الدين نفسه كان يومئذ شابا يرافقهما. تمكن شيركو وايوب من الاستيلاء على حلب وارغموا توغ تكين على الفرار من دمشق. فعين ايوب نائبا لملك سوريا وشيركو قائدا للجيش. فأرسلهما نورالدين فيما بعد لاحتلال مصر واسقاط الحكومة الفاطمية التي كانت تنافس بغداد.

فتوفي شيركو في القاهرة واختير ابن اخيه بعده قائدا للجيش، حيث رشحه امراء الجيش لذلك المنصب ورغما عن امراء التركمان، وكان عمر صلاح الدين آنذاك (37) سنة، فانقلب وفي وقت قصير على نورالدين واصبح منافسا له. وغدا جيشه مكونا من (الكرد والترك) لا (الترك والكرد) وكانت المناصب الكبيرة في الجيش موزعة على الامراء الكرد وابان عودته الى سوريا حصل على لقب السلطان من الخليفة العباسي وألحق الهزيمة بالفرانكيين في حطين واطاح بحكومتهم في 1187 في القدس وسبق له ان قام باحتلال ليبيا والسودان والحجاز واليمن، وبايعه الامراء الكرد الحاكمون في دياربكر والموصل ووقف وقفة صمود في فلسطين ابان الحرب الصليبية الثالثة بإشتراك فيليب اوغسطوس ملك فرنسا، وفريدريك ذي اللحية الحمراء. وقاد جيش المسلمين في حرب آكري في الرابع من تشرين الاول عام 1189 وبرفقته 14 اميرا نصفهم من الكرد. وقبل مصرعه على يد احد مماليك الكرد المدعو تورانشاه الذي كان ملكا على مصر وسوريا ووارث صلاح الدين الوحيد تمكن (أي صلاح الدين) من اسر ملك فرنسا (سانت لويس).

الأسس (القانونية) و(الفكرية) للقمع والاضطهاد

كانت العلاقات العربية-الكردية في عهد العثمانيين تتسم بالودية. واستمرت هذه الحالة حتى بعد خروج القوات البريطانية والفرنسية وحصول سوريا على الاستقلال عام 1946 ولكن الوضع تغير في ظل الدولة البورجوازية العربية ابان استقلال سوريا واتخاذ سياسة (العروبة) في كنف (الجبهة القومية) التي كان دعاتها ملاكين للاراضي. كبقية الدول العربية الاخرى بدأت الحكومة السورية تتنكر لحقوق الاقليات القومية والدينية كبرابرة شمالي أفريقيا أو قبطيي مصر أو مارونيي لبنان ودروز وعلويي سورية وكذلك الكرد، حيث لم تعترف الحكومة بهم كأقلية قومية رغم انهم لم يكونوا هدفا مباشرا للنظام.

وفي الفترة الواقعة بين 1946 و1962 كان (جگر خوين) الشاعر حراً ويكتب قصائده بالحروف اللاتينية ويطبعها بلغته الام ومع ان اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية في المدارس الموجودة في المدن

الكردية كقاميشلي وعمودة وعفرين، غير ان كتبا كردية كانت تطبع دون قيود.

في عام 1957 بدأت جماعة من المثقفين والعمال والفلاحين بتشكيل الحزب الديمقراطي الكردستاني السوري على غرار الحزب الديمقراطي الكردستانى العراقي. كان هدف هذا الحزب يتركز في الحصول على كسب الاعتراف الرسمي بالوجود الكردي والاعتراف بحقوقه القومية والثقافية، ومن اهدافه الاخرى النضال المشترك مع الاحزاب والمنظمات الاخرى من اجل اقامة حكومة ديموقراطية والقيام باصلاحات زراعية في البلاد.

في 1959 القي القبض على قياديي الحزب وحصل هذا غداة الوحدة مع مصر وباشراف العقيد سراج الذي كان يتلقى أوامرة من عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة. وفي تشرين الثاني للعام 1961 انفصلت سوريا من مصر واستطاعت البورجوازية المكونة من كبار الملاكين وبقيادة قدسي وعظم من الصعود الى سدة الحكم، فبدأت الحكومة الجديدة بسياسة الاضطهاد القومي ولاسيما ضد الكرد، حيث اتهمتهم الحكومة بمعاداتهم للعرب وتحالفهم مع كرد العراق الذين ثاروا ضد النظام في عام 1961 مطالبين بالحكم الذاتي.

في 23 حزيران 1961 اعلنت الدولة قيامها بتعداد عام لسكان الجزيرة و كانت الدولة تدعي ان كرد كردستان تركيا يجتازون الحدود التركية-السورية ويدخلون سوريا بطرق غير قانونية ويريدون (القضاء على الطبيعة العربية للبلد) اجري هذا التعداد في ايلول نفس العام، وعند الاعلان عن نتائج التعداد تم شطب اسماء حوالي (120) الف كردي من قائمة الاحصاء بذريعة (اجانب) وحرمتهم الدولة من التجنس بالجنسية السورية. وفي عام 1962 وضعت الحكومة برنامجا باسم (الحزام العربي) يهدف الى محاربة (الخطر الكردي) و(انقاذ العروبة) وطرد الكرد الساكنين على الشريط الحدودي مع تركيا واسكان العرب هناك بدلا منهم. وربما كانت لاكتشاف النفط في (قره جوك) التي تقع في وسط الجزيرة، علاقة بهذه السياسة التي اتبعتها الحكومة في المنطقة.

في آذار 1963 تسلم حزب البعث بزعامة ميشيل عفلق السلطة واتضح فيما بعد ان اشتراكية عفلق لاتعدو نسخة اخرى من (سياسة قومية متطرفة) فازدادت اوضاع كرد سوريا سوءاً. قامت الحكومة في تشرين الثاني عام 1963 في دمشق بنشر كراس كتب بقلم (محمد طالب هلال) رئيس شرطة المنطقة تحت عنوان: (بحث في الجوانب القومية والسياسية والاجتماعية لاقليم الجزيرة) وكان هذا الكتيب وراء ترقية مؤلفه الى مقام محافظ (حماه) ومن ثم وزيرٍ لشؤون الدفاع في الحكومة السورية برئاسة زعين.

يحاول هلال في كراسه هذا جهد الامكان (اثبات ان (الكرد ليسوا شعبا) استنادا الى تحقيقات (انثروبولوجية) و(ركائز علمية) واستخلص الى ان (الكرد ليس لهم تاريخ وحضارة ولغة، انهم عديمو

الاصل والفصل والخصوصيات التي يتميزون بها اكتسبوها نتيجة حياتهم القاسية والصعبة، وهذه كلها من مميزات الناس الجبليين) وفوق هذا (يعيش الاكراد طفيليين على حضارة وتاريخ الشعوب الاخرى، ولايشاركون تلك الشعوب بناء حضارتها وتاريخها) اقترح هلال، هذا القومي المتطرف في كتيبه برنامجا يتضمن (12) مادة لانتهاجه من قبل الدولة ضد كرد الجزيرة. والمواد هي:

1-سياسة البطر او سلب الملكية وتنص على القيام بنقلهم من اماكنهم الاصلية وتوزيعهم في اماكن اخرى.

2-التجهيل، ويعني حرمان الكرد من جميع انواع التعليم، حتى من تعلم اللغة العربية.

3-التجويع أي حرمان الكرد من حق العمل.

4-الاسترداد، ويعني اعادة الكرد النازحين من تركيا ابان الثورات الكردية هناك الى الحكومة التركية.

5-التفرقة، أي احداث التفرقة بين الجماعات الكردية المختلفة واشعال فتيل نار الحرب بين الكرد انفسهم.

6-سياسة اقامة الحزام او النطاق على غرار ماحصل في عام 1962.

7-الاسكان ويعني اسكان القوميين المتطرفين من العرب في المناطق الكردية.

8-اقامة الوحدات العسكرية، أي (تواجد وحدات عسكرية في منطقة الشريط الحزامي) ومهمة هذه الوحدات (مراقبة عملية تشتيت الكرد والعمل على استقرار العوائل العربية طبقا للخطة التي تنظمها الدولة).

9-تشجيع العرب على الانتماء الاجتماعي وذلك من خلال اقامة مزارع جماعية للعرب الموجودين في المنطقة، ويقتضي بموجب هذه المادة ان يتلقى القادمون الجدد من العرب التعليم العسكري وان يتم تجهيزهم بالاسلحة والعتاد.

10-حرمان جميع الافراد المتكلمين بغير العربية من حق ابداء الرأي وحق العمل.

11-ارسال علماء الدين الكرد الى الجنوب وتبديلهم بعلماء دين عرب.

12-القيام بحملة دعائية مضادة للكرد بين العرب.

الضغوطات الناجمة عن سياسة القمع والاضطهاد

ان معظم الاجراءات السالف ذكرها قد تم تنفيذها بحق الكرد. وقد عانى الكرد الذين اعتبروا (غير سوريين) في التعداد المذكور معاناة قاسية. هؤلاء الذين كانوا يعاملون في بلدهم كما يعامل الاجانب والمشبوهون، كان عليهم ان يخدموا في الجيش وان يذهبوا الى جبهات القتال في ارتفاعات جولان، ولكنهم كانوا محرومين من جميع الحقوق فلا يحق لهم الزواج قانونا او حتى الدخول الى المستشفيات او ادخال اطفالهم في المدارس.

استمرت الخطة المسماة من باب حسن التعبير بـ(خطة اقامة المزارع الحكومية في اقليم الجزيرة) وبرنامج (الحزام العربي) لعديد من السنوات وتبعا لهذا البرنامج المخطط له تحت غطاء الاصلاحات الزراعية، كان من المقرر ان يتم طرد (140) الف قروي كردي واسكان القرويين العرب عوضا عنهم،

وكانت الدولة في عام 1966 تأمل في ان تستمر في تنفيذ برنامجها الذي كان يشمل كرداغ ايضا.

ولكن القرويين الكرد لم ينفذوا الامر وأبوا مغادرة قراهم. وفي عام 1967 ابلغت الدولة سكان قرى منطقة (الحزام) بتأميمها لاراضيهم، وقامت فعلا بارسال جماعات لانشاء مايسمى بالمزارع النموذجية الى ان اجبرتها حربها مع اسرائيل على وقف تنفيذ هذه الخطة مؤقتا.

اثناء البدء بمشروع بناء سد (طبقة) على نهر الفرات تم تقديم اقتراح ينص على اسكان العوائل العربية التي اغرقت الطوفان قراهم، في اقليم الجزيرة وفي عام 1975 انجزت الدولة بناء (40) (قرية نموذجية) في منطقة (الحزام) بين عمودة في الغرب وديرك في الشرق وبضمنها منطقة قاميشلي. وتم فيها اسكان (7) آلاف عائلة عربية مجهزة بالاسلحة والعتاد. ولعدم لفت انظار الدول الخارجية فقد اجري تنفيذ البرنامج بصورة تدريجية. واصبح الكرد معرضين للضغط الاداري ومداهمات الشرطة وهجمات رجال الدولة ومصادرة ممتلكاتهم. كما تم فرض الحظر على المطبوعات الادبية الكردية والاستماع الى الاغاني الكردية في الاماكن العامة. والغي الاسم الكردي لمدينة ديرك وسميت بـ(المالكية)، وكما قلنا سابقا فقد القي القبض على قياديي الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا متهمين بارتكابهم (اعمالا تتنافى والعروبة) واضطر في السنوات العشر الاخيرة (30) الف كردي من كرد الجزيرة الى مغادرة مواطنهم متوجهين الى لبنان او مدن اخرى بعيدة بحثا عن العمل والامان. وبسبب انعدام الامن والاستقرار في كرداغ (كردكوه)، يضطر الكثير من الكرد الساكنين هناك الى مغادرة ديارهم والاقامة في حلب.

واما منذ عام 1967 فصاعدا فقد اصدر الرئيس الاسد امرا بوقف تنفيذ برنامج التهجير هذا، وترك (الاوضاع باقية على حالها)، كما اصدر قرارا بعدم الحاق الاذى بكرد الجزيرة وعدم بناء قرى عربية اخرى في اراضيهم ولكن القرى التي سبق ان تم بناؤها في تلك الاراضي فستبقى كما هي، وكذلك القرويون الذين تم اسكانهم هناك. واليوم تبث الاذاعة اغاني كردية ويشعر الكرد بإطمئنان اكثر.

*المقال مترجم عن الفارسية.

*المصدر: (كردها أي الأكراد) تأليف: كندال، عصمت شريف وانلي، مصطفى نازدار، تقديم: ماكسيم رودنسون، ترجمة ابراهيم يونسي-تهران 1372 (أي 1993م).

الكرد: نبذة وجيزة

تأليف: مهرداد أيزدي
ترجمة عن الأنكليزية: هادي محمد

المقدمة

لقد كانت المناطق الجبلية الواقعة في شمال الشرق الأوسط و منذ ما قبل فجر التأريخ المدوَّن، موطناً لشعب متميز يشكل تقليده الحضاري أكثر التقاليد الحضارية صدقاً و أصالة في العالم. فمن الممكن حقاً عزو بعض الآثار المتبقية للحياة و الحضارة الكرديتين الى طقوس الدفن التي مورست قبل 50.000 عام مضت من قبل أناس قاطنين في كهوف شانيدار التي تقع إلى مقربة من أربيل في كردستان المركزية.

فعلى الرغم من قِدمهم و حيويتهم الحضارية، هناك اليوم عدد ضئيل جداً من الأعمال التي يمكن استخدامها كمراجع عن الكرد. و يكمن أحد الأسباب الرئيسة لفجوة كتلك في حقيقة أن الكرد قد افتقروا الى الجهاز المنظم الذي يتمثل في الدولة صاحبة السيادة، و التي فسحت المجال لكل من تركيا و سوريا و العراق و ايران لاستحداث تبريرات بحوثية (مبنية على البحث العلمي – المترجم-) رمزية تؤيد هوياتهم القومية الجماعية "المتميزة" في عين الغرباء. و بدورها استطاعت هذه الأعمال توليد المفخرة التي لعبت كعامل ربط ساعدت في خلق "أمَم" من عناصر متباينة وجدوا ضمن حدودهم حين برزوا الى حيز الوجود.

لقد حاولت الدول القومية على نفس المنحى إيقاف نمو الشعب الكردي ككيان قومي متميز و مستقل، و غالباً ما حاولوا التخلص منهم جملةً و تفصيلا.

انهم موَّهوا الماضي الكردي جاحدين بذلك هذه الحضارة العريقة، حائلين دون إجراء أي بحث أصيل عن أي موضوع يخص الأهمية القومية للعرق الكردي. لقد اختلقوا و قدموا هويات مزيفة للكرد، كنعوت من قبيل "أتراك الجبل" في تركيا و "عرب أمَيّة" في سوريا و العراق للكراد الأيزديين. انهم و بكل بساطة منعوا الكرد من التمتع بوجود أثني مستقل في ايران و آذربيجان السوفيتية و تركمانستان. و بفعلتهم تلك، استطاعت تلكم الدول القومية عمل الكثير لإرباك حتى الكرد أنفسهم.

انها لحقيقة مثيرة للدهشة، ان لم تكن محرجة صراحة، أن لا تعين هوية أية قطعة أثرية في أي متحف من متاحف العالم حتى الآن بأنها كردية، و لا حتى رأس سهم مكسور، أو قطعة من آنية فخارية أو قطعة موزايك. أن ما جعل من هذا الأغفال أكثر صراخة، هو الحقيقة التي تتمثل في أنه كانت لكل جماعة أثنوغرافية أخرى من الناس، من ضمنهم حضارات العصر الحجري و حضارات أمريكا الشمالية لعصر ما-قبل الكولومبية و حضارة أستراليا و جزر محيط الهادي و أفريقيا، قطع أثرية تأريخية في سائر المتاحف عينت هويتها بأنها تعود اليهم.

فبإستثناء السجادات، و (في عهد حديث جدا) اللوحات، تتواصل هذه المعاملة المتسمة بالأغفال لتشمل النماذج الحديثة أيضاً للإبداع الفني الكردي. فعلى الرغم من الأصل الكردي الذي تنتمي اليه السجادات و الكليمات (kilims) المصنوعة يدوياً و التي تم إنتاجها في تركيا المعاصرة، و لا عينة منها قد عينت و حددت هويتها حقاً بأنها كردية ضمن نطاق حدود تلك الدولة.

لقد حاولت خلال عملي هذا أن أحدد هوية و أصور بدقة تراث الكرد، التراث المغمور برمته في النماذج المقبولة و المتيسرة (القياسية –المترجم-) لتقسيم الحضارة الشرق أوسطية، و التي لا يعتزم أي منها استيعاب الكرد، الذين لا دولة لهم.

و فيما يتعلق بمن هو كردي و من ليس بكردي، فإن هذا العمل يُكن احتراماً لادعاء كل من يسمي نفسه كردياً بغض النظر عن اللهجة التي يتكلمها و الدين الذي يمارسه و الدولة التي يعيش فيها. و فيما يتعلق بمن هم الكرد، سأتعامل مع كل مجتمع كمجتمع كردي، قطَن في أيما وقت مضى في أراضي كردستان و لم يحصلوا على هوية مستقلة حتى يومنا هذا، أو اقترنوا على نحو لا لبس فيه بأمة معروفة أخرى يعيش معظمها الآن، أو كانت تعيش خارج أراضي كردستان. , أن ذلك في اتساق مع ما تم قبوله بالإجماع حول تحديد هوية المصريين أم اليونانيين القدماء و العلاقة التي تربطهم بالمصريين و اليونانيين في عصرنا هذا.

و بنفس التوكيد الذي نقبل بموجبه قاطنوا مصر الفرعونية كأسلاف لا يرقى اليهم الشك للمصريين في عصرنا هذا، على الرغم من الحقيقة التي مفادها أنهم تحدثوا لغة مختلفة، و مارسوا دينا مختلفاً، و اتسموا بميزات عرقية مختلفة، بنفس التوكيد، ينبغي أن نعامل الكرد على قدم المساواة كأسلاف لكرد عصرنا هذا. تم توضيح هذا الموضوع في الفصل الذي يعالج الهوية القومية.

أعد هذا الكتاب ليكون بمثابة كتيب يستخدم كمرجع ليطرح تبصراً موجزاً على نحو معقول، و لكن مدعوما بوثائق عن مسائل تخص الكرد، بدءاً بخلفيتهم التأريخية دائماً و وضعهم الجغرافي اذا ما كان ذلك وثيق الصلة بالموضوع. و ما تمت مناقشته هنا، هو النقاط الرئيسة و الأسباب و النتائج ذات الأهمية فقط. كما هو متوقع، فما من شعب يمكن وصفه تماما ضمن طيات مجلد واحد، و لكن حتى أكثر المعلومات اساسية عن الكرد، معلومات غير وافية بالغرض. فلا أحد حتى الآن و في نهاية الألفية الثانية و عصر رحلات الفضاء متأكد كم من الكرد هناك. و يؤمل أن يكون هذا الكتاب اسهاما ذا فائدة و يشكل أساسا لإجراء بحوث أخرى.

ان هذا العمل موجه الى أوسع جمهور ممكن و عامة الناس، الصحافة، اساتذة، دارسين و باحثين و حتى المسافرين. ان الكتاب مصدر حري به أن يستخدم للتحقق السريع من البيانات المتوفرة لدى احدهم أو ببساطة تزويد احدهم لأول مرة بنبذة عن شعب و أرض كردستان.

ان مرجعا/ كتيبا أكثر اجمالا يحمل عنوان دراسة أساسية عن أرض و شعب كردستان (A Basic Study of the Land and People of Kurdistan) قيد الاعداد من قبل هذا المؤلف. و يؤمل أن يزود القراء برؤية اكثر تفصيلا بكثير عن الأكراد أرضا و تأريخا و حضارة. و أن أطلسا باسم (أطلس الأكراد) مرفق بالكتاب هو قيد الاعداد أيضا.

بينما كانت تجري التنقيحات التحريرية الأخيرة لهذا العمل التحقق الإتحاد السوفيتي، آخر الإمبراطوريات الأوروبية العظيمة، بركب التأريخ. بما انه سوف يستغرق وقتا طويلا قبل أن تتولى دولة بديلة مستقرة زمام الأمور في الأقاليم السوفيتية سابقا، فإن الأسم "الإتحاد السوفيتي" و النعت "السوفيتي" يستخدمان في هذا العمل لما كانا يمثلانها قبل التحولات التي حدثت مؤخراً.

كامبرج

كانون الأول 1991

ملاحظات حول المصادر و الإملاء و تعليقات أخرى

ان المسارد المدونة بالكتب المتصلة بالموضوع و القراءات الاضافية المقترحة المقدمة بعد كل مدخل من هذا العمل، تتضمن المصادر التي استخدمت في اعداده و مصادر أخرى أيضاً تعد ذات قيمة. الا انه لن الأهمية الحاسمة بمكان ان نلاحظ ان تلك المصادر ليست بأي حال من الأحوال فقط الأعمال التي تتفق و آراء أو تؤيد وجهات النظر التي تم التفكير فيها في هذا الكتيب. على العكس من ذلك و نظراً لحداثة العهد النسبية التي يتسم بها حقل الدراسات الكردية، فكثير من هذه المصادر تتبنى مواقف حتى بشأن المسائل الجوهرية، هي على تعارض مع تلك المستعرضة هنا و في احوال كثيرة

مع بعضها البعض. فعلى سبيل المثال، كتب اللغوي ديفيد ن. مكنزي العام 1961 بشأن مسالة مهمة ألا وهي أصول اللغة الكردية الحديثة مفيداً أنه لاحظ وجود ارتباطات بينها (اللغة الكردية) و اللغة الميدية، فقط ليعود و يناقض نفسه العام 1989 في ملاحظة هامشية ليس أكثر. ان المصادر التي تعد ذات قيمة تم ثبتها هنا بغض النظر عن المواقف التي يرتأونها و ذلك لمساعدة القارئ في تفحص جميع المواقف و الافتراضات الموجودة بشأن أي موضوع معين. ان الاستشهاد بمصدر ما في متن هذا الكتيب ينحو نفس هذا المنحى أيضاً.

تم ايراد بعض الكتب في نهاية كل موضوع مع بعض الملاحظات المتعلقة بالموضوع تخص فوائد تلك الكتب. و بذلنا جهداً كبيراً كي نزود المصادر باللغة الإنكليزية فقط عند الاقتضاء، و حين لم يكن ذلك ممكناً، أوردنا بعض المصادر المهمة بالفرنسية و الألمانية و الروسية أيضاً. لا تتضمن مسارد الكتب المدونة مصادر بلغات الشرق الأوسط نظراً لأن ذلك يعد ضرباً من اللاجدوى لمعظم القراء. و من جهة أخرى فإن أعمال الكُتاب الأغريق و الرومان و الكتاب الإسلاميين القروسطيين أكثر شهرة من أن يخصص لهم دخل منفصل ضمن المسارد الواردة في هذا العمل.

و قد أستثنيت من الأغفال الذي لاقته المصادر المكتوبة بلغات الشرق الأوسط ضمن القراءات المقترحة، الخرائط المرسومة محلياً و بيانات الإحصاء و الأطالس.

و أوردنا أسماء ناشري الكتب التي تم نشرها خلال الأعوام الثلاثين الماضية فقط، أو تلك التي نشرت من قبل عدة ناشرين في أوقات مختلفة. و تم إيراد الكتب التي نشرها ناشرو الجامعات و المتاحف دائماً بأسماء ناشريها نظراً لكون تلك المؤسسات تتوفر لديها عادةً الكتب للبيع لفترة أطول بكثير مما للناشرين التجاريين. و تم دائماً ذكر مدن و بلدان نشرت فيها مجلات و دوريات تتمتع بشهرة أقل من غيرها.

إن الخرائط و الأرقام و الجداول الواردة في هذا البحث جميعها أصلية و تم توثيق المصادر الأولية للبيانات (الخرائط و الجداول – المترجم_) على نحو واف أسفل كل خارطة أو جدول، ما لم تكن البيانات قد صنفت و ترجمت من قبلي من مصادر مختلفة و ذلك بغية رسم الخارطة أو الجدول أو ايراد الأرقام. لأن هذه المصادر هي تلك الموجودة ضمن مسارد الكتب المثبتة في نهاية كل مدخل ذات صلة. إن تخوم كردستان مبنية على أساس مصادر موثوق بها و أولية كما أشرنا الى ذلك في الفصل الذي يحمل عنوان "جغرافيا".

و أوردنا مراجع مشابهة الى حدما بسخاء، و أحث القراء على الاستفادة منها. ان تلك المصادر لا تساعد على اجراء بحوث معمقة فحسب، بل تنحى في بعض الأحيان منحى اقتصادياً تماما بغية إيضاح الأبعاد الكاملة لأي موضوع ما.

بما أنه من المستحيل لقارئ غير مطلع على لغات الكرد و الفرس و العرب و الأتراك، أن يتحقق من

التلفظ الصحيح لأسماء الأعلام عن طريق أي نظام نقحرة "transliteration"(نقل حروف كلمة ما الى حروف لغة أخرى – المترجم -) الذي يمكن استحداثه هنا، و بما أن هكذا محاولة ستكون في غير محلها في كل الأحوال ضمن هذا العمل الذي لا يمت بصلة لا الى فقه اللغة و لا الى علم اللغة، امتنع عن أثقال كاهل القارئ بأي توضيح مفرط لخصوصيات ضبط التهجئة (الإملاء –المترجم_).

و أتبعت في ترجمتي للأسماء التهجئة الإنكليزية الأمريكية الفصحى بدقة قدر الإمكان للأصوات المألوفة الا و هي: الأصوات الصحيحة (الساكنة-المترجم-) و الاصوات المعلولة (اللينة-المترجم-) و الأصوات المعلولة المشتركة (Diphthongs).

و قد ابقينا على علامة صوتية مميزة واحدة فقط و هي الحرف (â) والذي يمثل الصوت (a) في الكلمات الإنكليزية car, bar, far و الحرف (a) بدون العلامة الصوتية المميزة يلفظ كـ(a) في الكلمة الإنكليزية add, bad, sad.

و تمت تهجئة أسماء الأماكن كلها كما يلفظها الكرد، باستثناء المواقع غير الكردية أو تلك التي كردية ولكنها لها تهجئات قياسية و مقبولة كأربيل و مهاباد، و هما مدينتان كرديتان رئيسيتان و تسميان بالكردية (هەولێر) و (سابلاّخ) على التوالي من قبل الكرد أنفسهم. و من أجل مساعدة القراء أوردنا اختلافات التهجئة الشائعة لأسماء البلدان و المدن تحت المدخل المعنون: "التحضر و المراكز الحضرية".

و ترجمت الأسماء الخاصة بالعشائر ترجمة قريبة قدر الامكان من تلك الواردة في الكردية الكلاسيكية المبينة من قبل المؤرخ الكردي شرفخان بدليسي من القرن السادس عشر أو سابقاتها من أعمال الكتاب الإسلاميين القروسطيين. لعل مرد ذلك هو أشكال التلفظ و بالتالي أشكال الإملاء المتنوعة لنفس اسم العشيرة و المتبعة من قبل التشعبات المختلفة للعشيرة، خصوصاً إذا كانت التشعبات تفصلها عن بعضها البعض مسافات طويلة. فمثلاً عشيرة (رَشوَند) المتواجدون الآن من الساحل المتوسطي الى القفقاز و آسيا الوسطى السوفيتية، يطلق عليهم الآن تسميات مختلفة مثل: رَشوين و رَشويند و ريشوَن و ريشوَند و ريشكان و رَشكان. و عن طريق الإبقاء على هذه الخلافات سنكون قد أضفينا دون تعمد الوحدة المتأصلة للعشيرة و تأريخها الحافل بالأحداث التي شتت من شمل أعضائها على امتداد منطقة تبلغ اتساعها 2000 ميل.

و تم الابقاء على التهجئات المثبتة حسب القياسات المبينة في الموسوعة الاسلامية (Encyclopedia of Islam) و التي تعد مرجعا شائعا و مألوفا للمؤرخين الاسلاميين الكلاسيكيين و الجغرافيين و أصحاب الاختصاصات البارزين و ذلك بغية الاتساق و التماثل معهم. ان هذا الآ حالات قليلة، و ان التهجئة واضحة بما فيه الكفاية لأولئك الذين ليسوا على أطلاع جيد بتعقيدات نظام النقحرة التي تتبعها الموسوعة الاسلامية.

الفصل الأول
الجغرافيا

التخوم و الجغرافيا السياسية

يتألف الوطن الكردي الشاسع مما يقارب 200.000 ميل مربع من الأراضي تساوي مساحته تقريباً مساحة فرنسا أو ولايتي كاليفورنيا و نيويورك مجتمعتين.

تفَرشِح كردستان طرفيها على التخوم الشمالية الجبلية للشرق الأوسط مفصلةً المنطقة من الاتحاد السوفيتي سابقا. انها أشبه ما يكون بالحرف (V) المقلوبة، حيث تشير قمتها الى القفقاز و طرفاه البحر الأبيض المتوسط و الخليج الفارسي.

و في غياب دولة مستقلة يمكن تعريف كردستان بأنها المناطق التي يشكل فيها الكرد الأغلبية الأثنية اليوم. ان مناطق نفوذ (domains) العرق الكردي متاخمة استراتيجيا لأراضي ثلاث جماعات اثنية رئيسة أخرى في الشرق الأوسط الا و هي: العرب جنوبا و الفرس شرقا و الأتراك غربا. فضلا عن هذه الجماعات الاثنية الرئيسة الجارة، هناك عدة جماعات اثنيا أصغر حجما تتاخم مناطقهم مناطق الكرد تلك، كالجورجيين (من ضمنهم اللاز) و الأرمن شمالا و الآزر في الشمال الشرقي و اللور في الجنوب الشرقي و التركمان في الجنوب الغربي.

تأريخيا يذبذب نطاق مساحة الأراضي التي ساد فيها السكان الكرد. فقد تقلصت قدر ما توسعت مناطق النفوذ الإقليمية للعرق الكردي و ذلك وفق الظروف الديموغرافية و التأريخية و الاقتصادية لأقاليم معينة من كردستان. و قد ورد تحليل مفصل حول عمليات الهجرة و الترحيل و عملية الدمج (integration) و الصَهر (assimilation) تحت المدخل المعنون بالجغرافيا الإنسانية.

يشغل الكرد الآن في شمال كردستان تقريبا نصف ما كان تقليديا موطنا للأرمن، أي المناطق التي تقع مباشرة حول شواطئ و شمال بحيرة (وان) في تركيا المعاصرة. و من جهة أخرى، فقد فُقدت طوال القرن التاسع و حتى القرن السادس عشر أراضي الكرد القريبة من بُنطس و كَبَدوقية و كوماجينا و كيليكيا الشرقية، فُقدت شيئا فشيئا لصالح الأغريق البيزنطيين و الآراميين السوريين، و فيما بعد للتركمان و الأتراك. الا أن هذا التيار الأخير بدأ يتحرك في الإتجاه المعاكس في قرننا الحالي.

فقد فقدت شيئا فشيئا و على الدوام مناطق شاسعة من كردستان جنوبي زاگروس و التي تمتد من اقليم كرمانشاه الى شيراز (في بلاد الفارس/ الپارس: الپيرسس) و ما وراء شيراز بفعل اجتماع عاملين الا و هما النزوح الكبير للكرد باتجاه الشمال الغربي و المسخ العرقي الذي تعرض له الكثير من الكرد في تحولهم الى اللور و قبائل أخرى منذ بداية القرن التاسع الميلادي. فعملية الصَهر مستمرة اليوم و من المكن ملاحظتها على سبيل المثال بين اللك (Laks) الذين على الرغم من أنهم ما زالوا يتحدثون لهجة كردية (أنظر اللكية Laki) و

يمارسون دينا كرديا محليا (أنظر اليارسانية Yarsanism) فقد كانوا على ارتباط أوثق مع قبائل اللور المجاورة مما كانوا عليه مع الكرد الآخرين. سيبقى التمييز بين الكرد و بين الأعراق المجاورة لهم من أكثر المسائل عتامة في كردستان الجنوبية، في المنطقة التي يجاورون فيها اللور أي تلك الواقعة على محور همدان – كرمانشاه – عيلام. فقد توسعت كردستان المتصلة (الكبيرة أو الموحدة كما يتم تداولها الآن – المترجم -) و منذ القرن السادس عشر بفعل محوطتين (محوطة = enclave= بلاد أو مقاطعة محاطة بأرض أجنبية) منفصلتين و مؤلفتين بشكل رئيس من كرد مرَحَّلين. محوطة أناضول المركزية التي تشتمل على المنطقة الواقعة حول مدن يوناك (Yunak) و هيمانا (Haymana) و جيهانبيلي (Cihanbeyli) جنوبي العاصمة التركية أنقرة (أي موقع كبدوقية القديمة). أنها تمتد الى المناطق الجبلية لأناضول المركزية الشمالية (موقع بنطس القديمة), حيث تحيط بها مدن توكات (Tokat) و يوزگات (Yozgat) و چروم (Corum) و آماسيا (Amasya) في حوض نهر يزيلرماق (Yizilirmaq). ان الجزء المتمثل في أناضول المركزية الشمالية للمحوطة و المتسعة بسرعة يسكنها الآن عدد أكثر من الكرد مما كان يسكن الجزء الأقدم لأناضول المركزية. أنه لأمر مشكوك فيه، باستثناء بعض الجيوب الصغيرة جدا و المتحدثة بالدملية (Dimili)، ان يكون المستوطن يؤوي أيا من الكرد البنطسيين القدماء الذين عاشوا هنا حتى عمليات الترحيل البيزنطية في القرن التاسع.

تتمركز محوطة شمال خراسان في شرق ايران حول مدن قوچان (Quchan) و بنجرد (Bunjurd) و برزت الى حيز الوجود في المقام الأول كنتيجة لعمليات الترحيل و اعادة الاسكان (resettlements) التي أجريت من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر في بلاد الفارس.

تم تقسيم كردستان و منذ الحرب العالمية الأولى على خمس دول ذات سيادة (أنظر التأريخ الحديث)، حيث كان الجزء الأكبر من نصيب تركيا الذي يشكل 43٪ ثم تليه ايران بنسبة 31٪ و العراق بنسبة 18٪ و سوريا 6٪ ثم الاتحاد السوفيتي سابقاً بنسبة 2٪. فقد قسمت تلك الدول كردستان الى أجزاء أصغر في مراحل مختلفة الى وحدات ادارية و مقاطعات لا تعد و لا تحصى. و في غرب ايران فقط، تم الابقاء على التسمية الكردية التأريخية، رغم ابتذالها، في اقليم "كردستان" حيث عاصمته سنندج.

ان نتاجاً ثانوياً، نوعاً ما فريداً من نوعه و مربكاً لتقسيم كردستان بين الدول المتنافسة و تكتلات القوى الجيوسياسية (أنظر الجغرافيا السياسية) هو مناطقها الزمنية (مناطق التوقيت أي Time Zone-المترجم-) الأربعة (لا بل الخمسة اذا أخذنا خراسان و تركمانستان بالحسبان)، فالولايات المتحدة القارية و التي تفوق كردستان حجماً خمس

عشرة مرة، لها أربع مناطق زمنية أيضاً. جغرافياً، منطقة زمنية واحدة تناسب كردستان على الوجة الأكمل، و هي منطقة زمنية تتقدم على توقيت گرينتش أنگلترا بثلاث ساعات. يمكن تعريف المنطقة الزمنية القياسية ذات الثلاث ساعات بالمنطقة التي تقع بين 35 و 50 درجة الى الشرق من گرينتش. و بما أن حدودها الغربية و الشرقية تقع على 36 و 49 درجة شرقا على التوالي، فينبغي طبيعياً أن تقع كردستان ضمن منطقة زمنية واحدة فقط.

تعيين مواقع التوزيع الجغرافي للكرد

ان مسألة حجم المناطق التي يشكل فيها الكرد الأغلبية، شأنها شأن الأوجه الكثيرة لوجودهم و هويتهم القومية، هي مسألة موضع جدال. فبينما تستخف الجماعات الاثنية المجاورة بثبات في تقدير حجم المناطق التي يشكل فيها الكرد الأغلبية، و على وجه الخصوص الجماعات الاثنية التي تتبوأ مواقع الحكم، نزع الكرد غالباً الى المبالغة في تقديرها. و قد أثرت هذه المشكلة في أعمال الباحثين غير المحليين أيضاً.

ليس من الصعوبة بمكان، و هو أمر مثير للدهشة، تعيين حجم الأراضي الكردية على الخارطة، فهناك قدر وافر من بيانات أولية متوفرة قديمة و حديثة يعول عليها لهكذا محاولة.

فقد وفر باحثون و مؤسسات كثيرة جديرة بالثقة في القرن الماضي و النصف الأول من القرن الحالي قوائم مفصلة بأسماء العشائر الكردية و مواقعهم و توزيعاتهم و تعداد سكانهم في مختلف أرجاء كردستان (أنظر العشائر). و كانت هناك محاولات لتعيين تلك الاحصائيات و القوائم على الخرائط. و كانت احدى أفضل النتائج المتأتية خارطة اثنية كبيرة متعددة الألوان لهذه المنطقة أعدتها الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية تحمل عنوان خارطة تركيا الشرقية في آسيا و سوريا و غرب بلاد الفارس (أثنوغرافية) 1906، و التي تمركزت مصادفة حول كردستان. ينبغي اجراء بعض تغييرات قليلة اليوم لهذه الخارطة القيمة للغاية، بالطبع باستثناء الأخذ بالحسبان طمس عنصر العرق الأرمني من حول بحيرة وان و أرجاء أخرى من أناضول الشرقية، كنتيجة للحرب العالمية الأولى.

في غضون الستينيات من هذا القرن، باشرت الحكومة التركية مشروعاً بعنوان دراسات مسح القرى (Village Inventory Studies) و الذي أحبط فيما بعد و تم حظره بعد العام 1967. و مع ذلك، وفر البحث قدراً وفيراً من المعلومات عن التركيبة العرقية لتركيا نزولاً الى مستوى القرى. و في عمل غني بالبيانات، أورد (نيستمان) في كتابه الموسوم (الجماعات الاثنية في الجمهورية التركية، ب. أندروس طبعة 1989)خارطة اثنية مقنعة لكردستان تركيا (مستثنياً محوطة أناضول المركزية) مستخدماً مسح القرى نفسه. ان بيانات المسح تدعم بدقة الوصف الذي ورد لأناضول في

خارطة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية للعام 1906 المذكورة آنفاً. و الاختلاف الوحيد، و هو اختلاف مثير للدهشة، هو أن المسح يرسم منطقة نفوذ العرق الكردي أوسع حتى مما ترسمه الخارطة البريطانية. قد يكون ذلك انعكاسا غير مقصود لعمليات الترحيل و اعادة الاسكان الواسعة النطاق التي أجريت ضد الكرد في تركيا خلال الأعوام 1928 – 1938 و الثورة الديموغرافية الكردية الحديثة نسبياً (أنظر عمليات الترحيل و عادة الاسكان القسرية و الديموغرافيا).

نفذ المكتب الجغرافي للقوات المسلحة الايرانية مشروعاً مشابهاً في الأربعينيات من هذا القرن، حيث ظهرت النتائج في قاموس ايران الجغرافي المؤلف من عشرة مجلدات (-A. Razmara. Ed. 1949 1951) و قد أضيف اليه فيما بعد معجم قرى ايران الجغرافي (Iranian Statistical Center Pr. -1968). وفرت حكومة الانتداب البريطانية الكولونيالية في العراق و الحكومة الفرنسية في سوريا (التي اشتملت على منطقة أنطاكية قبل انتقال ملكيتها الى تركيا العام 1938) بيانات وافية عن التصنيف الاثني لتلك المناطق و ذلك بغية تشذيب تخوم و حجم (امتداد –المترجم-) كردستان.

الخرائط الروسية أيضاً، المرسومة في الستينيات و باستخدام نفس البيانات الأولية تلك فقط، تجري ترسيمة لحدود المناطق الكردية و قد استخدمت منذ ذلك الحين كنماذج يقتدي بها الآخرون، من ضمنها الخرائط الاثنية المنشورة للمنطقة من قبل وكالة المخابرات المركزية (CIA). و يمكن ايجاد أفضل مادة سوفيتية في أعمال بروك (Bruk) في عمله الموسوم (Narody Peredney Azii 1960) مرفقة بخارطة مرسومة بقياس 1 :5.000,000 و في العمل المشترك لبروك و أبينتشينكو (Apenchenko) الموسوم (Atlas Naradov Mira 1964). العملان كلاهما أيضاً يوفران أرقاماً عن السكان لمختلف أجزاء كردستان. ان الخرائط التي تم توفيرها لهذا البحث قائمة على تلك المصادر الموثوق بها.

تقسيمات فرعية داخلية
(تقسيمات أصغر –المترجم-)

تأريخيا يمكن تقسيم كردستان و على أسس سوسيو - اقتصادية و حضارية و سياسية الى تقسيمات فرعية رئيسة خمسة: كردستان الجنوبية و المتمركزة تأريخيا حول مدينة كرمانشاه، كردستان المركزية و المتمركزة حول أربيل، كردستان الشرقية المتمركزة حول مهاباد، كردستان الشمالية المتمركزة حول بايزيد و كردستان الغربية و المتمركزة حول دياربكر. و تستحق المحوطتان الكرديتان الكبيرتان المنفصلتان في خراسان و أناضول المركزية معالجة منفصلة.

توجد هناك سجلات "مُستحجَرة" لتقسيمين فرعيين تأريخيين رئيسين لكردستان كل تلا عهد من التجنسة (homogenization) الاثنية. فقد تركا آثارهما على اللهجات التي يتحدثها الكرد و

على حضارتهم المادية و عناصر معتقداتهم الدينية و رؤيتهم إزاء العالم. وردت تحليلات مفصلة عن العوامل التي تسببت و تلك التي أعاقت حدوث انقسامات فرعية داخلية معاصرة و تلك التي حدثت في أوقات سابقة أيضاً، وردت في الأقسام التي تعالج اللغة، الدين، التحضر و المراكز الحضرية، الهجرات التأريخية، عمليات الترحيل و اعادة الاسكان القسرية.

ان حادثا ما بارزاً و طويل الأمد ألا و هو هجرة الكرد من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي جعل من المجتمع الكردي مجتمعاً متجانساً من الناحية الحضارية (الثقافية –المترجم-) في نهاية القرن الثالث للميلاد. و من ثم وهن هذا التجانس بفعل انفصال كردستان الشمالية و الغربية في اناضول و التي كانت قد وقعت ضمن نطاق السلطة أو / و النفوذ البيزنطيين، من البقية الباقية لكردستان في مناطق نفوذ الاسلام (أنظر التأريخ القروسطي). و أدى ذلك في نهاية المطاف الى الانقسام شمال – جنوب الحديث بين الجماعات المتحدثة باللهجة الكرمانجية, حيث يحدد نهر الزاب الأكبر في العراق التخوم اللغوية الحالية و تلك الحضارية القديمة.

و ثبت أن التخوم المرسومة بين الأقاليم الفارسية و تلك العثمانية خلال القرن السادس عشر ثابتة و دائمة – و مُقسّمة للكرد – قدر ثبوت و دوام التخوم القديمة بين البيزنطيين و المسلمين. و النتيجة الآن هي انقسام الشرق – الغرب الواضح جداً، الذي يمتد من بحيرة أرومية، و يتقاطع مع تقسيم الشمال -الجنوب القديم، و يتجه جنوبا على طول الحدود الايرانية – العراقية الحالية.

كردستان الجنوبية، كردستان الجنوبية هي الآن آخر منطقة نفوذ اللغة الـگورانية-اللكية (Gurani-Laki) و مركز الدين اليارساني (Yarsan). هنا تشكل الكرمانجية الجنوبية لغة أقلية نوعا ما صغيرة و قد تكون في الحقيقة أقل شيوعاً من الفارسية التي هي غير لغتهم الأم (أي لغتهم الثانية –المترجم-). المنطقة متمدنة و أناسه متحررون من الأحقاد القومية و المحلية (cosmopolitan). و لقاطنيها احساس قوي بالتأريخ و مرد أحساسهم هذا في المقام الأول هو الرباط الوثيق الذي يربط كردستان الجنوبية بالحضارة الفارسية طوال القرون الخمسة المنصرمة.

كردستان الشرقية، كانت اجزاء شاسعة من كردستان الشرقية، و على وجه الخصوص جنوب محور بيجار-مريوان، كانت حضارياً جزءاً من كردستان الجنوبية حتى عهد قريب. و الكرمانجية الجنوبية هي تقريبا الآن اللغة الوحيدة المستخدمة هناك، كما يشكل الاسلام السنة دين أغلبية واسعة من السكان. ان أهل الريف، بخلفيتهم البدوية، مغايرون بشكل ملحوظ لأهل المدن، مما أدى الى إنشاء شخصية مزدوجة. فبينما تتصف مدن كسنندج و بيجار و مريوان بأجواء كردستان الجنوبية و ثقافتها المنفتحة، تنزع المناطق الريفية الى المحافظة

و التصلب. يمكن عزو فشل كثير من الأحزاب السياسية التي تشكلت في هذه المنطقة الى الصعوبة التي لاقتها تلك الأحزاب في كسب ولاء قطاعي مجتمعهم المحلي كليهما. من المؤكد أن مصدر الهامهم الحضاري هو ايران، و لكن الروابط ليست بتلك القوة التي وجدناها في كردستان الجنوبية، و بالأخص فيما يتعلق بأهل الريف.

كردستان المركزية، لقد نزعت كردستان المركزية دوما نحو ميزوپوتاميا و يرتبط تأريخه بهذه المنطقة. مثلها مثل كردستان الجنوبية، لها ماض ذو توجه مدني و لكن مناخها و تضاريسها لا يشابه كثيرا مناخ و تضاريس كردستان الجنوبية. تعد كردستان الجنوبية أقل أجزاء كردستان جبلية و أكثرها حرارة بشكل عام. و في الواقع، غالبا ما يشار اليها بـ(گرمسير) أو "المناطق الحارة". الا أن كردستان المركزية و تلك الجنوبية تعدان حضاريا و من نواحٍ عديدة امتداد لبعضهما البعض على الرغم من خمسة قرون من الحكم السياسي الفارسي لكردستان الجنوبية (قبل التقسيم الفارسي – العثماني و منذ بدء التأريخ المدون، أبدت كردستان الجنوبية نزوعا حضاريا نحو ميزوپوتاميا).

بينما يشكل الاسلام السنة دين الأغلبية في كردستان المركزية، فإن للاسلام الشيعة و اليارسانية و العلوية و الأيزدية و المسيحية و اليهودية، حضورها أيضا. فضلا عن ذلك تستخدم كل لهجة رئيسة للغة الكردية هناك، مما جعلها المنطقة الوحيدة التي تربط حضاريا و جغرافيا ما بين جميع التقسيمات الفرعية (التقسيمات الأصغر - المترجم) لكردستان.

كردستان الغربية، تعد كردستان الغربية متوسطية الرؤية، رغم أنها جغرافيا تمتد من سواحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من اسكندرونة الى المرتفعات الجبلية التي تصل ألى أكثر من 11000 قدم و التي تقع مباشرة الى الشمال من درسيم. أنها تتسم برمتها باعتدال مناخها و غزارة زراعتها و وفرة غاباتها.

لقد كانت تأريخيا حضرية التوجه و كانت مدنها الكبيرة الواسعة مكتظة بالسكان و ذات نزعة دنيوية حياتية، تتطلع نحو الغرب و البلدان المتوسطية للاستلهام، سواء كانت أنطاكية أم روما أم بيزنطية أم أسطنبول.

هناك تقريبا من معتنقي العلوية في هذا التقسيم (أي كردستان الغربية) بقدر ما هناك من مسلمي السنة. لغوياً، تنقسم المنطقة بين متحدثي الدملية (Dimili) و الكرمانجية الشمالية، و لكن نظراً لأن هناك الآن ارتباطا متبادلا ضعيفا فقط بين اللغة و الدين، فإن الخلافات الداخلية لم تبد للعيان انقسامات ثقافية و أجتماعية واضحة المعالم.

طبيعياً، كردستان الغربية منعزلة عن سائر كردستان على الرغم من تخومها الطويلة مع كردستان الشمالية و ذلك ناجم عن الطبيعة المقفرة

لكردستان الشمالية و الجبال التي تفصل بين المنطقتين.

كردستان الشمالية، تعد أرض و مناخ كردستان الشمالية أكثرها قسوة و وحشة (أي متصفة بصفات لا تساعد على العيش أو التماس المأوى –المترجم_) بين أجزاء كردستان المتصلة. تعد اجزاء واسعة من هذا التقسيم، على وجه الخصوص شواطئ بحيرة "وان" و المنطقة الواقعة شمالها، تعد أرمينياً تأريخياً. انهم اكتسبوا سجيتهم الكردية الخالصة تقريبا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى فقط. كان للمنطقة في سالف الزمان قطاع زراعي متين و اقتصاد قائم على التجارة متمركزا في المدن و الذي أصابه الخراب بفعل حروب و عمليات ترحيل و مجازر القرون الخمسة المنصرمة. كما أنه أيضا بفعل اساءة استخدام البيئة (أنظر التأريخ الحديث المبكر، الأرض و البيئة). ان القاطنين هناك منطوون على أنفسهم، قبليون بتحمس، و اقل تطوراً اقتصاديا و تكنولوجيا في كردستان.

على الرغم من أن بلدة "وان" هي الكبرى في المنطقة، الا أنه مضلل بعض الشيء أن نشير الى مدينة ما بأنها مركز أو قطب الرحى لكردستان الشمالية. ليست هناك من مدن نابهة لذكر في المنطقة، و لكن هناك بقايا (خرائب-المترجم-) متعددة لمدن. ان كردستان الشمالية موطن لمراكز حضارية غابرة عظيمة عدة، حتى بلدة صغيرة كـ (بايزيد) (دوگوبايزيد الحديثة) كانت ذات مرة مدينة ذات شأن و مركزا حضاريا، حيث ولد أحمد خاني، لعله أعظم شاعر كردي و الذي نظم ملحمة (مَم و زين) القومية شعراً (أنظر الأدب).

خراسان، تدين احدى المحوطتين المنفصلتين الكبيرتين للكرد، و التي تقع في شمال شرق ايران في أقليم خراسان، تدين بوجودها لعمليات الترحيل التي أجريت على الأغلب من كردستان الشمالية و الغربية للقرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر من قبل الشاهات الصفوية. تتجاوز هذه المحوطة الحدود الايرانية الى داخل جمهورية تركمانستان و الى المرتفعات المطلة على أشخباد؛ عاصمة تركمانستان. ان هذه المحوطة واسعة المساحة اتساع كردستان الشرقية، بينما يشكل سكانها نصف سكانها.

المنطقة أكثر لطافة و أسيء استخدامها بيئيا أقل مما هو عليه كردستان الشمالية، و لها عدد من المدن لا يستهان بها نظرا لحجمها (أي حجم المحوطة – المترجم-)، من ضمنها قوچان و شيروان و بُنجرد كما لها زراعة وافرة. لقد كان لها أيضا تأريخ أقل صخبا في القرون القليلة المنصرمة مما كان لكردستان الشمالية (most of its inhabitants left behind).[1]

يحتفظ المجتمع الكردي الخراساني بتقاليد تعد الآن زائلة بالنسبة لموطنها الأصلي، بما ان ترحيلهم تزامن مع بداية عمليات عيث و تخريب عسكرية جائحية (أي عنيفة و مفاجئة –المترجم-)

لكردستان الشمالية من قبل الأمبراطوريات الفارسية و العثمانية. تحتفظ العادات الأكثر لطافة و الأزياء المتعقدة، تحتفظ للاخلاف بلمحة عما كان ستكون عليها كردستان الشمالية لو كانت قد أكفيت شر هذا الدمار.

لذلك يتحدث جميع سكان خراسان الكرد تقريبا الكرمانجية الشمالية، و لكن تعرضهم لقرون مضت لمجتمع خراسان الفارسي الشيعي و كونهم على مقربة من مدينة مشهد الشيعية المقدسة، جعل من المجتمع خليطا من المسلمين السنة و الشيعة اضافة الى نثار من أنصار العلوية.

تعد المحوطة الخراسانية موطنا لبضعة مجتمعات أصغر حجما لكرد يارسانيين متحدثين باللكية أيضا. أنهم رُحّلوا الى هنا من كردستان الجنوبية أثناء فترة حكم الملوك الأفشاريين (Afsharids) في ايران في أواسط القرن الثامن عشر. حقا أن كريم خان نفسه، مؤسس سلالة زند الحاكمة في ايران و الذي تلا الأفشاريين، ابن لعائلة تنتمي الى مرحَلي اللك (من عشيرة زند). و بعد تسنمه عرش الطاوس أعاد معظم أبناء شعبه الى موطنهم الأصلي. و الذين اختاروا البقاء هناك هم أسلاف اللَّك المعاصرين في المحوطة الخراسانية و بيرجند في كوهستان.

أناضول المركزية، ان المحوطة في اناضول المركزية و شمال اناضول المركزية في تركيا كيان ذو فصين بشخصيتين. يقع الفص الجنوبي على الأراضي الواقعة غربي بحيرة توز گولو (Tuz Golu) (جنوبي أنقرة) و الذي يمتاز بجدبه و قفره, حيث تشكل بلدات جيهانبيلي (Cihanbeyli) و يوناك (Yunak) و هيمانا (Haymana) الفقيرة فقرا مدقعا، كبرى مستوطناتها الحضرية. بينما يقع الفص الشمالي على النقيض من الفص الجنوبي على الأراضي المرتفعة العامرة و الوافرة الزراعة، على شكل مربع (او مستطيل) و سط بلدات توكات (Tokat) و يوزگات (Yozgat) و چـُروم (Corum) و آماسيا (Amasya). رغم أن سكان الكرد لا يشكلون أغلبية بعد في مدن توكات و يوزگات، الا أن هذه البلدات تعد البؤر المركزية للفص الشمالي.

يدين الفص الجنوبي بوجوده لنفس عمليات الترحيل التي أجريت في القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر و التي أنشأت المجتمع الكردي في خراسان، بينما برز الفص الشمالي الى حيز الوجود نتيجة لهجرة طبيعية و مستمرة للكرد الى المنطقة من كردستان المتصلة. يتسم الفص الشمالي بالنشاط و الحركة و الديناميكية و التي تشكل المستويات المعيشية الكلية فيها الأعلى بين الكرد. انها تتوسع اليوم على وتيرة سريعة.

تتحدث الأغلبية الساحقة للكرد في محوطة أناضول المركزية الكرمانجية الشمالية و لكن 10٪ من سكان هذا المجتمع يتحدثون الدملية أيضا. ربما يشكل المذهب السني الاسلامي دين أغلبية هؤلاء الكرد، بينما تحتفظ العلوية بأقلية كبيرة نوعا ما.

كل من التقسيمات الفرعية الداخلية الرئيسية التي ذكرنا وصفها آنفا بدقة تنقسم بدورها الى أجزاء أصغر و تتم ادارتها بشكل غير رسمي من قبل مجموعة من التنظيمات العشيرية ذات جذور تأريخية عميقة. و في غياب حكومة كردية ذات سيادة يمكن ملاحظة التقسيمات الفرعية الداخلية التقليدية و مناطق النفوذ العشيرية الواسعة، يمكن ملاحظتها بدقة و كأنها تقوم مقام بديل كردي قومي (وطني –المترجم) للوحدات الادارية اشبه ما يكون بالكيانات الأقليمية المألوفة المبتكرة لإدارة الدول الحديثة (modern states). برغم كل شيء، فقد برزت هذه الوحدات الى حيز الوجود على أساس حقائق الواقع التاريخية و الحضارية يبلغ عمرها بضعة آلاف من السنين. (أنظر العشائر)

توضيح من المترجم:

تقسيمات كردستان تشمل على المدن المدونة أدناه كما جاءت في الخارطة المرفقة في النص الأصلي:-

كردستان الغربية تشمل على (درسيم و موس و بتليس و سيرت و دهوك قاميشلي و ملاطية و ئيلازيگ و بينگول و ماردين و باتمان و دياربكر و..ألخ.)

كردستان الشمالية تشمل على (آردهان و آگرى و بايزيد و وان و هكارى و رواندوز و أروميه و.. الخ.)

كردستان الشرقية تشمل على (مهاباد و بيجار و سنندج و همدان و...الخ.)

كردستان الجنوبية تشمل على (خانقين و ملاير و عيلام و كرمنشاه و.. ال.خ)

كردستان المركزية تشمل على (الموصل و اربيل و كركوك و سليمانية و كفري و.. الخ.)

محوطة أناضول المركزية تشمل على(يوزگات و هيمانا و جيهانبيلي و.. الخ.)

محوطة خراسان تشمل على (بُنجَرد و شيروان و قوچان و.. الخ.)

الهامش :

1-تأتي هذه العبارة بعد الجملة التي تسبقها مباشرة و التي لاتمت بصلة بتلك الجملة اطلاقا و لا تضيف شيئا الى المعنى بل تربكها على ما أعتقد، لذا آثرت و ضعها كما هي. و اذا ما قد أسأت فهمها فأعتذر من المؤلف و القارئ. (المترجم)

المصدر:

The Kurds: A Concise Handbook,
By Mehrdad Izady,
Department of Near Eastern Languages and Civilizaations
Harvard University
Taylor and Francis International Publishers\
Washington – Philadelphia - London

صورة الكرد

أمام القراءات الإستشراقية, العروبية, الدينية(*)

ندوة مجلة "رەهەند"

ترجمة و تلخيص: شاهو سعيد

دأبـت مجلـة "رەهەنـد" الكرديـة, و هـي مجلـة فكرية ثقافية تصدر عن مركز "رەهەنـد – البُعـد" للدراسـات الكرديـة في اوربـا.. علـى نشـر دراسـات و مواضيع فكرية جادة افتقرت اليها الثقافة الكرديـة و حقولها الـتي مازالـت أسـيرة التصـورات المؤدلجـة المهيمنة على جوانب الحياة الكردية و شؤونها.

و في هذه الندوة التي نشرتها المجلة في العـدد (2-1997) تحت عنـوان (الصـورة و المأسـاة), يـثير كـل مـن بختيـار علـي و آراس فتـاح و مريـوان وريـا تساؤلات حول الموقع و الزمن الكرديين أمـام الفضـاء العـالمي المخيـف, و الـزمن الخـارجي الـذي يلـتهم كـل الجماعات التي تعـيش علـى هـامش الـزمن العـالمي. و تتمحـور آراء المـثقفين الثلاثـة في القسـم الأول مـن الندوة حول القراءات الكارثية التي نظر مـن خلالها العالم الخارجي الى قضية الشعب الكـردي مـن ثـلاث زوايا مختلفة (الاستشراقية و العروبيـة و الدينيـة), لأن كارثية تلك القراءات تكمن في أنها مازالت تـؤطر آلية رؤى العوالم الغربيـة و العربيـة و الاسلامية في تقيـيم قضـية الشـعب الكـردي أمـام غيـاب الفكـر الكـردي في هـذا الميـدان, و بالتـالي أمـام عـدم بلـورة قراءة كردية لتلك القضية.

إن هـذه النـدوة و غيرهـا مـن التسـاؤلات الجـادة الـتي تثيرهـا مجلـة "رەهەنـد" بمثابـة خطـوة نحـو بلـورة تلـك القـراءة الكرديـة الـتي تفجـر المكبوتـات

الفكرية و الثقافية و التي أصبحت الثقافة الكردية بحاجة ماسة اليها الآن أكثر من أي وقت مضى.

القراءة الاستشراقية

بختيار علي:

في البدء, أود التطرق الى أنه لا يمكن الحديث عن قضية الشعب الكردي في الوقت الراهن, دون استيعاب أبعادها التاريخية و دراسة القراءات التي قيم بها العالم الخارجي, من زوايا مختلفة, قضية هذا الشعب. إن المأساة الكردية تكمن بالدرجة الأساس في كون الشعب الكردي ضحية دائمة لتقييمات انتجت أشكالاً مختلفة لصورة الكرد لأغراض و أهداف آيديولوجية مختلفة, حيث لا يمكن الحديث عن المأساة الكردية دون التطرق الى صورة الكرد أمام العالم الخارجي.

إن أصحاب أقدم تلك القراءات – عدا المؤرخين العرب و الإسلاميين – هم المستشرقون, الذين وضعوا اللبنات الأولى لقراءة غربية ذات أهمية استراتيجية لتلك القضية, أقول ذات أهمية استراتيجية, لأن العالم الغربي لازال يعيد رؤى هؤلاء في النظر الى الكرد و تقييم قضيتهم. و هنا لابد من الإشارة الى أن التقييم الغربي / الاستشراقي للآخرين بما يحمله من تناقضات و جوانب القصور شمل الكرد ايضاً, و خاصة في الوقت الراهن, حيث تحتل القضية الكردية مساحة في قضايا الشرق الأوسط.. تلك القضايا التي تحتل بدورها جانباً كبيراً من السياسة الغربية.

و هذا ما يجعل القراءات الاستشراقية القديمة للكورد قراءات ذات أهمية, خاصة و أن كتاب ادوارد سعيد (الاستشراق) الذي يعد كتاباً كلاسيكياً قياساً الى ما يثار حول هذا الموضوع في الوقت الراهن – جعل من المواجهة الفكرية بين النظرية الاستشراقية في تقييم قضايا الشرق من جهة, و الفكر الشرقي الذي يحاول إعادة تصوير نفسه من منظور شرقي مستقل من جهة أخرى.. مواجهة في غاية السخونة, في وقت نفتقر نحن الكرد الى قراءة كردية لفهم الذات و الآخر, و نعاني من إفرازات غياب خطاب فكري لقراءة نظرية الاستشراق و العالم الخارجي عموماً. و إن الوضع المتأزم الذي تمر به القضية الكردية حالياً انعكاس لغياب ذلك الخطاب الفكري لقراءة العالم الغربي و الطرف (الآخر) عموماً.

و بغية الحديث عن الوضع المتأزم الراهن.. من الأهمية بمكان الاشارة الى النظرة الغربية للآخر – الكردي, تلك النظرة التي انحصرت في تصوير الكرد شعباً مؤلفاً من المحاربين الرماحين و المسلحين. و أعتقد أن هذه الصورة للكورد مازالت تعيد إنتاج نفسها في المنظور الغربي الذي يصور الكرد كميليشيات و محاربين ليس بمقدورهم التكيف مع بعضهم و مع العالم الخارجي. و لا شك أن لهذه الصورة تداعيات مستمرة و متتالية في الذهنية الغربية.

آراس فتاح:

بما أن الاستشراق مفهوم أنتجه الفكر الغربي لقراءة الشرق – الآخر, فانه بالتالي جزء من القراءة الغربية التي كان حضورها مرتبطاً بشكل مباشر بالحضور الاستعماري الغربي في الشرق... و

قد تمثل ذلك الحضور في صور مختلفة, من صورة الجنـرال الى الكاتـب المستشـرق, و بالتـالي تجسـد حضور المشروع الغربي لكشف (الآخر) أمام غياب مشروع شرقي من هكذا نوع. من هنا فإذا كان الحضـور الغربـي في الشـرق دلـيلاً علـى الهيمنـة الغربية, فان غياب المشروع الشرقي لقراءة و كشف الذات دليل على قبول الشرق لتلك الهيمنة. و يبدو أن محاولات غربنـة أجهـزة و مؤسسات المجتمعات الشـرقية و الترويـج لها مـن قبـل أقصـى حركـات الـيمين الى أقصـى اليسـار أكـبر دليـل علـى غيـاب المشروع الشرقي في مواجهة تلك الهيمنة.

و نحن الآن بصدد الحديث عن صورة الكرد, تلك الصورة التي لم تتعد كونها جزءاً من صورة الشـرقي في الذهنية الغربية, غير أنها تجسدت بشكل أدق في النظرة الخيالية للأدب الغربي, و خاصة في حكايات (كـارل مـاي) الـتي يطغـى عليهـا طـابع خيـالي مغامراتي, الى أن تشمل تلك النظرة أديباً كبيراً مثل (غوته) الذي يحدثنا عن شعوب ما وراء تركيا و هي شعوب تعيش في حالة حرب و تشرذم مستمرة. تلك الشعوب التي يعتبرها (هيغل) الشعوب الطبيعية التي تفتقر الى العقل كنظام في ممارسة الحياة, و كذلك الحـال بالنسـبة الى (مـاركس) الـذي كانـت فلسـفته بمثابة إعلان عن القطيعة التامة مع الفكر الغربي المتقوقع داخل ذاته, إلا أنه لم يسلم أيضاً خلال مراحل من حياته من تداعيات تلك النظرة الغربية الـتي اعتـبرت الحركـة الاسـتعمارية حركـة تقدميـة لتحطيم الأصول التقليدية و البطريركية في الشرق, و أن مكانـة الكـردي أمـام تلـك النظـرة الغربيـة المهيمنة لم تتعد مكانة موقع شعب محارب مجزأ بين عدد من الدول مع الاشارة الى تميزه بصفات قروية كالشرف و الكرم و حسن الضيافة.. الخ, و المرتبطة بتراثهم الشعبي.

من هنا و عند دراسة النظرة الاستشراقية الى الكرد, لا نجد نظاماً معرفياً غربياً, بل إن ما نجده هو نوع من المسح الميداني لجماعة بشرية تعيش في ظل أجواء تراثية معينة و ضمن مساحة جغرافية معينة, ذلك المسح الذي يدخل في المحصلة النهائية ضمن مشاريع الحركة الاستعمارية التي تلجأ الى اختراق البنى المنغلقة.

مريوان وريا:

أود جلب انتباهكم الى نقطة هامة, و هي أن للنظرة الاستشراقية, رغم كونها نظرة ضيقة, و خاصة في قراءتها لتحديد هوية الآخرين, و التي تعتبر في المحصلة النهائية الوجه السلبي الآخر لنظرية الاستشراق – تلك النظرية التي لا ترى سوى الصور المختلفة عن صورها و لا تقيم القضايا الا من خلال منظورها الغربي, تأثيرا مباشرا على الحركة القومية الكردية, حيث كشفت نظرية الاستشراق النقاب عن خصائص اللغة الكردية و التاريخ و العالم الخاص بالكرد و عن المرأة الكردية و غيرها من الخصائص التي تميز الكرد عن الشعوب الأخرى المجاورة لهم, و أن الشعور بالتميّز عن الآخرين و رؤية الذات المختلفة عن الآخرين كانا عاملين هامين لبلورة الخصوصية القومية, و كان

للخطاب الاستشراقي دور هام في عملية البلورة تلك, التي تعد بمثابة وضع اللبنة الأولى لبروز أي حركة قومية, و تزامناً مع ظهور ذلك الخطاب الاستشراقي الذي تناول الحديث عن المساحات التي يقطنها الكرد.. نما الاحساس لدى الانسان الكردي بانتمائه الى لغة و أرض و منطقة معينة, و بالتالي انتمائه الى خارطة تحدّد المساحات التي يقطنها.

الأهم من ذلك هو الاحصائيات التقديرية التي اجرتها السلطات الاستعمارية في المنطقة, و التي تزامنت مع ابحاث المستشرقين حول عدد الكرد في المنطقة كشعب ذي خصوصية, و التي نمّت إحساساً لدى الفرد الكردي, و أدرك من خلالها أن هناك جماعات أخرى من بني قومه تعيش في مدن و قرى أخرى, و كان إدراكه لوجود جماعات كردية أخرى غير الجماعات المنعزلة الي انتمى اليها كل فرد كردي ضمن مساحة جغرافية محددة عاملاً آخر في ولادة و بلورة الخصوصية القومية.

إن هذه الحالة لا تقتصر على الكرد فحسب, بل إن بروز الخطاب القومي في الغرب و خارجه تزامن – في الأصل – مع بروز البوادر الأولى لمشاريع الاستشراق الغربي الهادف الى معرفة الذات و الآخرين. و لكن النقطة الهامة تكمن في أن الكرد – و تزامناً مع ظهور التباشير الأولى لتلك المشاريع – برز لديهم إحساس بأنهم يشكلون جماعة أكبر من القبيلة و أن المساحات التي يقطنونها أكبر من المساحات التي تقطنها القبيلة, و بالتالي أبلغنا الخطاب الاستشراقي بأننا لا نشكل قبيلة أو قبائل معينة, بل نشكل وحدة سكانية أكبر و هي الأمة.

بختيار علي:

و لكن هل تعتقد بأن الخطاب الاستشراقي تمكن من اختراق وعي الانسان الكردي الى هذه الدرجة؟ في الحقيقة أنا أشك في ذلك, لأنه لو كان الأمر هكذا.. لكانت الحركة القومية الكردية بدعة غربية, في حين أن تلك الحركة هي وليدة واقع تاريخي أقدم.

مريوان وريا:

لا شك أن الخطاب الاستشراقي لم يخترق وعي الانسان الكردي فرداً فرداً, و لكن لا يمكن نكران حقيقة أن ذلك الخطاب اخترق وعي النخبة السياسية الكردية التي رفعت راية القومية, و أن الحركات القومية هي في الأساس وليدة الوعي النخبوي الذي يوجه الوعي الجماعي, أي ان عملية نمو ذلك الوعي كانت عملية فوقية من النخبة السياسية الى عامة الشعب. حيث أن عدداً من النخبة المثقفة الكردية الذين كانوا يعيشون في المنفى أوائل هذا القرن حاولوا من خلال نشاطاتهم الثقافية و السياسية و الصحافية إبلاغ رسالة الى العالم مفادها أن الكرد يشكلون شعباً مؤلفاً من عدة ملايين و أن لهم خصوصيات تاريخية و لغوية. و لا زال الكرد حتى هذا اليوم يحاولون إبلاغ رسالتهم تلك التي اسميها بـ(خطاب التمايز), ذلك الخطاب الذي برز خلال المنعطفات التاريخية التي قلبت المعادلات في المنطقة منذ انحلال الامبراطورية العثمانية الى الحربين العالميتين و

حتى حرب الخليج الثانية و تفكك الاتحاد السوفيتي, و السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ألم يحن الوقت لنكف عن إبلاغ تلك الرسالة أو ذلك الخطاب الموجه الى الآخرين.

أقول: يبدو أنه ليس في جعبة الكرد مشروع جديد سوى التأكيد على خصوصية الهوية القومية للكورد, أي مشروع تأكيد الذات.. ذلك المشروع الذي يجسد الكرد في صورة ضحية, و بالتالي يحاول كسب الدعم السياسي من خلال إثارة الضمير الانساني.

آراس فتاح:

أتفق معك فيما تطرقت اليه بصدد المحاولات الكردية المتواصلة للظهور في صورة (ضحية) أمام الرأي العام العالمي, و لكن القضية الكردية ذات ابعاد أنسانية و سياسية في آن واحد, و لا يمكن فصل أي من تلك الأبعاد عن بعضها البعض و التي تشكل في مجملها وحدة موضوعية. و لا يمكن تناسي أهمية الخطاب الاستشراقي حتى و إن كانت قراءته للقضية الكردية من زاوية إنسانية, و لا أعني بذلك أن التقييم الاستشراقي لتلك القضية تقييم موضوعي شامل, فرغم الجوانب السياسية الايجابية للخطاب الاستشراقي, فهو يفتقر الى المنهجية المعرفية.

بختيار علي:

أرى أن جوهر القضية عبارة عن صراع محتوم بين ما هو (مرئي) و ما هو (غير مرئي). إذ أن الكرد لا زالوا منهمكين في محاولاتهم المستميتة لإظهار أنفسهم ككل مرئي أمام العالم, و أن تلك المحاولات ليست وليدة المرحلة الطبيعية لتعريف الذات بالعالم.. بل أصبحت تحرك آلية المشروع الكردي الذي لا يجد بديلاً لتلك الآلية المتمثلة في الصراع بين المرئي / و غير المرئي, و أن تلك الإشكالية في المشروع الكردي مردها الخوف الأزلي الكردي من مخاطر الفناء أمام الأعداء الخارجيين.

من هنا فإن المقاطع التاريخية التي يرى الشعب الكردي نفسه من خلالها كائناً مرئياً هي مقاطع ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهم.

فأهمية الهجرة الجماعية في 1991 عند الكرد – مثلاً – تكمن في أن تلك الهجرة أظهرت الكرد ككائن مرئي أمام العالم الذي بدأ يقرأه في تلك الفترة بعد سنوات طوال من الاهمال و التناسي.

و ما زالت تلك الآلية توجه المشروع السياسي الكردي الذي يفتقر الى قنوات حقيقية لمخاطبة العالم.

القراءة العروبية

بختيار علي:

كما قلنا, فإن الصورة التي رسمها العالم الغربي للكورد تجسدت في شكل (ضحية), و التي التفت اليها أحياناً دون أن يجعل منها شغله الشاغل, غير أن النظرة الغالبة لشعوب المنطقة و حكوماتها و حتى الناس البسطاء تجاه الكرد جسدت الصورة في شكل المتمرد أو الباغي أو المرتد العميل, و يتجلى هذا بوضوح في موقف معظم المثقفين العرب الذين يرفضون حتى الآن النظر الى الكرد باعتبارهم

ضحية. و قد قرأنا و تابعنا العديد من المواضيع و المقالات التي نشرتها الصحف العربية التي تناولت القضية الكردية من زاوية واحدة, و انصبت معظمها في ترديد اسطوانة علاقة الحركة الكردية بإسرائيل و ذلك من أجل نقل الحقد الذي يكنه العرب تجاه إسرائيل الى الكرد, في حين أن العلاقات الكردية الاسرائيلية كانت محدودة بشكل لا يمكن وصفها بالعلاقة, في وقت دخلت الحكومات العربية و بضمنها منظمة التحرير الفلسطينية في لعبة غير متكافئة مع اسرائيل, من هنا فإن المسألة لا تستهدف تحريم أو تجريم العلاقة مع اسرائيل بقدر ما تستهدف توجيه اتهامات دائمة الى الكرد, فعدا مؤلفات و كتابات كنعان مكية و حازم صاغية و نخبة قليلة من المثقفين العرب.. إن ما كتب في السنوات الأخيرة بمثابة تهرب المثقف العربي من التعامل الموضوعي مع القضية الكردية, اذ تناسى المثقف العربي تدمير كردستان و مخططات إبادة الانسان الكردي و مسخ هويته من قبل السلطة الفاشية في العراق, لذا فإن فتح قنوات الحوار مع هكذا عقلية أمر صعب جداً.

إن ما يحدث في كردستان يتحمل المثقف العربي جزءاً كبيراً من مسؤوليته, و علينا كمثقفين كرد أن نؤكد على ضرورة صياغة مشروع ثقافي عربي شامل لطلب الصفح من الكرد, على أن يطهر الضمير العربي نفسه من مخلفات الفاشية, اذ لا يمكن أن نحاور عقلية لزمت الصمت حيال جرائم الأنفال. و على المثقف العربي أن يعترف بارتكابه جريمة الصمت و جريمة ايجاد التبرير لما حدث في كردستان, و إلا فإن الحديث عن أي حوار عربي/ كردي حقيقي هو ضرب من الخيال.

مريوان وريا :

إن المسألة مرتبطة بالفضاء الذي خلقته الحركة القومية العربية لنفسها, ذلك الفضاء الذي يشبه اسطورة مليئة بالأعداء الوهميين, و كان أحد هؤلاء الأعداء الوهميين – و لسوء الحظ هو الشعب الكردي الذي دخلت الحركة العربية في معركة طاحنة معه منذ بداية هذا القرن, حيث شكلت صورة الكرد في ذهنية تلك الحركة صورة الباغي الذي يهدد باستمرار – على الصعيد الداخلي – وحدة صفوف الشعب و وحدة أراضي الوطن و خارطته السياسية, و يتحالف – على الصعيد الخارجي – مع أعداء الأمن القومي.

إن تلك الصورة الكردية هي بدعة تاريخية اختلقتها تلك النظرة الضيقة, و الأسوأ من ذلك, أن أصحاب تلك النظرة حاولوا تحويل تلك البدعة الى حقيقة مجسدة في ظل غياب الرؤيا للحركة الكردية, التي لم تتمكن من أن ترفض قبول أي من تلك الصور التي رسمتها لها النظرة العروبية, أي أن الحركة الكردية وقعت طواعية أو مكرهة وثيقة استسلامها و قبولها بمخطط مسخ الهوية الكردية.. و إلا قد واجهت تلك المخططات على أرض الواقع لتستهدف الكيان الكردي من خلال الحروب و عمليات التدمير و حملات الانفال و الابادة الجماعية, و بالتالي كانت المعالجة العروبية المطروحة أمام الكرد هي أن يسلكوا طريقين لا ثالث

لهمـا, و كلاهمـا يـؤدي الى جحـيم واحـدة, أو أن يتجرعوا مـرارة إحدى القارورتين الملوءتين بنـوع واحد من السم, و الكارثة الحقيقية هي هيمنة تلك المعالجة على البنيـة الثقافيـة العربيـة, و عليه فـإن إنتقاد تلك البنية المنغمسة في إيمانها المطلق بالمعالجة العروبية, و العمل على إحداث شرخ فيها هـي مهمـة ثقافية و ضرورة تاريخيـة... و ينبغـي العمل بهذا الاتجاه...

بختيار علي:

تمـر الحركـة العربيـة في الوقـت الـراهن بأزمـة صـعبة, و إن حجـم المـؤامرات الـتي تتخيلـها تلـك الحركة أكبر من الماضـي, و تـرى أن الحركـة الكرديـة تتحمل مسؤولية قسط مـن وضعها المتأزم, و تراها في شـكل المـؤامرة المبطنـة أو الجهـة الـتي تمـرر المؤامرات. قـرأت مقـالاً لـ(غسان إمـام) يشبه العـراق بمنطاد في داخله قنبلة موقوتـة و تلك القنبلة هـي بالتأكيـد الحركـة الكرديـة. هـذه هـي نظـرة المثقـف العربي الى الكرد الذي يتجسد, في ذهنيته على هيئـة قنبلة موقوتة داخل منطاد.

آراس فتاح:

أعتقد أن الدول القطرية العربية تمر الآن بأزمة تاريخية عميقة و هـي أزمـة الشـرعية. فبعـد حـرب الخليج الثانيـة بـرز الى السطح مـن جديـد التساؤل حـول شـرعية دول قطريـة كـالعراق.. نفـس الأزمـة التي مر بها الملك فيصل عنـد تأسيس دولـة العـراق ذات البنية الطبوغرافية الغريبة و المعقدة مـن قبـل الاستعمار الانكليزي. حيث كان ملكاً لدولة في غياب شـعب ينتمـي الى تلـك الدولـة. و قـد حـاول صـدام حسين معالجة تلك المشكلة مـن خـلال اتبـاع اقسى الوسـائل التوتاليتاريـة العسـكرية لقلـب المعـادلات لصالحه و في محاولة لتشكيل دولـة متماسـكة, و هنـا خسرت النظرة العروبية مصداقية مشاريعها المبنيـة على معاداة الاستعمار و الامبرياليـة عنـدما أصبحت هـي نفسـها مشـاريع توتاليتاريـة و شـوفينية تعتـبر الكرد جسماً غريباً و مخيفاً في جسد الأمـة العربيـة, و تقـوم بإسـكات أي صـوت معـارض باعتبـار أن مصدره خارجي, و بالتالي أوجدت تبريراتها المعهودة لكبـت تلـك الأصـوات و قمـع أصـحابها. أي أن تلـك النظرة لا تقبل بوجود كردي الا اذا قبل انتمـاءه الى مجتمـع عربـي, أمـا إذا تحـدث عـن شـرعية كونـه كرديـاً, فإنـه يـدخل في خانـة الأعـداء. أي أن صـورة الكـرد لا تكـون مقبولـة إلا إذا إنصـهرت في بودقـة الصـورة العربيـة, و لكـن كـل حـديث عـن الشـرعية التاريخية لتمـايز الصـورة الكرديـة يحولها الى صـورة العدو.

مريوان وريا:

إن خطـاب التمـايز الـذي تبنتـه الحركـة الكرديـة داخـل الدولـة القطريـة, و الـذي حتمـه الواقـع التـاريخي و الاجتمـاعي.. اصـطدام بوجـود سـلطة الدولة المركزية التي قتلت الحلم الكردي, ذلك الحلـم الذي وصل عند بعض الشعراء الكـرد حـداً طوباويـاً بحيـث يحلـم الشـاعر أحمـد مختـار بايصـال السـكك الحديد الى جبال هورامان, فيما يتخيل (قانع) إقامة نظـام اشـتراكي في كردسـتان, أي اصـطدام خطـاب

التمايز القومي الكردي (الطوباوي) بواقع الخطاب العروبي, و هنا حدثت المواجهة.

و استغل الخطاب العروبي وجود اسرائيل "العدو الخارجي", و الاقليات – و منها الشعب الكردي, "العدو الداخلي" – و قام بتضخيم هذين العدوين ليؤسس ركائز أيديولوجيته القومية و يمنح شرعية القيادة الى النخبة الحاكمة. و الكارثة هي أن المثقف العربي ينزلق هو الآخر الى هاوية اللعبة المعدة فصولها مسبقاً من قبل ذلك الخطاب, و يصل هذا الانزلاق حداً من الخطورة يبارك معه المثقف العربي الممارسات الوحشية للنخبة المتسلطة تجاه الكرد. و لو قارنا علاقة الطرف الكردي بالطرف الآخر من خلال القراءتين الاستشراقية و العروبية لصورة الكرد.. يتبين أن هناك علاقتين غير متكافئتين, حيث تشبه علاقة الكرد مع الغرب العلاقة بين الأصم و الأبكم, فيما تشبه علاقة الكرد مع العرب العلاقة بين الجلاد و الضحية.

بختيار علي:

الكارثة الحقيقية هي أن المثقف العربي يتخذ أحياناً نفس الموقف الذي يتخذه الجلاد تجاه الضحية, فتصبح الرموز المقدسة لدى الشوفينية العربية رموزاً مقدسة لدى المثقفين ايضاً, و يشارك المثقفون العرب من أقصى اليمين الى أقصى اليسار في عملية تقديس معالجات الخطاب الشوفيني.. و لا شك أن تقديس الحدود العراقية التي لا يمكن المساس بها بأي شكل من الأشكال بمثابة مباركة عملية الابادة الجماعية للكورد, في وقت يتجاهل المثقف العربي ما حدث على أرض الواقع من مجازر رهيبة بحق الكرد. و هذا ما يجعل الحوار مع المثقفين العرب أمراً غير ممكن الى أن يبين المثقف العربي موقفه بوضوح, و يبرئ ساحته من طروحات الخطاب الشوفيني.

آراس فتاح:

كما يقول (جورج قرم) فان المثقفين العرب يدافعون عن السكون و الثبات بدل الدعوة الى التغيير و الحدوث. و أن خطاب السكون و الثبات تحول الى خطاب آيديولوجي ثابت لديهم. إن المثقفين العرب سواء كانوا في الجبهة الأصولية – المحافظة أو في الجبهة العلمانية, في جبهة اليسار أو في جبهة اليمين.. يدافعون عن إبقاء الوضع القائم الذي يمر بأزمة حقيقية, و يدافعون عن الحدود القائمة كحدود مقدسة. و لا أرى اختلافاً جوهرياً بين ما يحدث في كردستان و ما يشهده جنوب السودان و غيرها من المناطق, حيث يواجهون جميعاً قساوة الخطاب العروبي الشوفيني المتنكر لحقوقهم الثقافية و التاريخية, و إن المثقفين العرب لا يجرؤون على إثارة هذه القضايا, لأنها في نظرهم بمثابة دق ناقوس الخطر الذي يهدد العالم العربي.. العالم الذي (لم يطرح حتى الآن) أي مشروع إنساني متحضر لحل تلك القضايا, من هنا فإن المثقفين العرب يشاركون بكامل وعيهم في إنزال الكوارث بتلك الشعوب.

و على المثقف العربي أن لا يعتمد الخطاب الذي يعتبر كل كردي أو أعجمي في البلدان العربية عميلاً لأميركا و الامبريالية و الصهيونية, صحيح أن أميركا, و في إطار حماية مصالحها تقيم القضية الكردية من منظور إنساني, غير أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال القول: بأن القضية الكردية دخلت مثل القضية الفلسطينية في الاستراتيجية الأميركية.

مريوان وريا:

إن المعالجة الأميركية للقضية الكردية ليست معالجة سياسية في وقت تساند أميركا الى حد كبير دولاً عربية قطرية, بشكل لا يمكن مقارنة هذه المساندة بأي حال من الأحوال بالمعالجة الأميركية الانسانية البحتة للقضية الكردية.. و في هذه الأثناء نرى المثقف العربي يدخل في عملية دفاع مستميتة عن تلك الدول القطرية, و الحالة تعني في النتيجة الدفاع عن المصالح الأمريكية.

آراس فتاح:

المثقف العربي يعيش في دوامة فكرية كبيرة عند دفاعه عن الخطاب العروبي, ففي الوقت الذي يدعو الى معالجة عدد من القضايا الخارجية من منظور تقدمي, ينظر الى القضايا الداخلية كقضية الشعوب غير العربية في البلدان القطرية بمنظار ذلك الخطاب الشوفيني, و هذا ما خلق أزمة حقيقية في رؤية المثقفين العرب.

بختيار علي:

إن الصورة الحقيقية للكورد لا يمكن تجسيدها في ذهنية المثقف العربي الا من خلال تحميل الضمير العربي مسؤولية ما ارتكب من جرائم رهيبة تجاه الكرد, غير أن المثقف العربي لا يجرؤ على ذلك.. كما أن الضمير العربي مازال عاجزاً عن مشاهدة ذنوبه أمام مرآة التاريخ, و يبرر بأنه هو الآخر ضحية أمام إسرائيل.. أي أنه يمنح نفسه الحق بأن يكون جلاداً أمام الكرد طالما هو ضحية أمام جلاد آخر, و انعكس الأمر تماماً على المثقف العربي الذي ليس بامكانه تحطيم تلك الأسطورة المزدوجة.. فيرى نفسه ضحية أمام إسرائيل, في حين يلزم الصمت تجاه حقيقة كون الكرد ضحية.

مريوان وريا:

إن اللعبة بين الكرد و تلك الأنظمة تعدت كونها لعبة بين (العبد و السيد) بمعناها الهيغلي, بل أصبحت لعبة بين القاضي و المتهم, و هذه لعبة مرعبة.. لأن المتهم يفقد حقوقه كإنسان في انتظار الحكم الذي يصدر بحقه.

بختيار علي:

إن الثقافة التي تعجز عن بلورة خطاب إنساني.. تتجه صوب بلورة خطاب شوفيني/ فاشي. و إن الثقافة العربية لم تنتج حتى الآن خطاباً إنسانياً, و رغم أنها ثقافة غنية غير أن مفهومي (الحرية) و (الانسان) مازالا غائبين و مجهولين في بنيتها, و بالتالي فإن الموقف تجاه الكردي كإنسان غائب في بنية الثقافة العربية, لأن الموقف العام تجاه الانسان غائب.

القراءة الدينية

مريوان وريا:

إن القراءة التي قيم بها الخطاب الديني القضية الكردية, و رسم من خلالها صورة الكرد, لها تأثير مباشر على خلق الاشكاليات المتعلقة بالمأساة الكردية.. لا يقل عن التأثيرات التي خلفتها القراءة الاستشراقية – الغربية و قراءة دول المنطقة للصورة الكردية. فإذا طرحنا جانباً ما تناوله المؤرخون الاسلاميون الذين اعتبر بعضهم الكرد من سلالة الجن, فإن دين الاسلام ذو دعوة عالمية و ليس في جعبته مشروع خاص تجاه الكرد أو أي قضية قومية معينة, و عجزت الجماعات العرقية الصغيرة من أن تحفظ بمواقعها و تدافع عن حقوقها السياسية و الثقافية أمام سطوة الجماعات و الأقوام الكبيرة التي اختارت الإسلام كآيديولوجيا سلطوية, حيث يحدثنا التاريخ كثيراً عن الجماعات العرقية الصغيرة التي انقرضت في بوتقة الدولة الإسلامية. و الأصولية الحديثة باختلاف اتجاهاتها من التجربة الايرانية حتى التجربة الاربكانية, و الى تجارب جميع الأحزاب الإسلامية العراقية تجمع على كون الكردي (أخاً مسلماً), تلك الجملة التي تغيب من ورائها جميع الحقوق القومية. من هنا فإن المعالجة الأصولية للقضية الكردية ليست أكثر راديكالية من المعالجة البعثية العراقية, بل ينحصر خطابها في شعارات دعت اليها التجربة البعثية تحت مسميات أخرى, و فيما يتعلق بالأحزاب الإسلامية الكردية فإنني استبعد كونها أحزاباً ذات استقلالية, بل انها أحزاب تتلقى الدعم من دول وجهات خارجية مثل ايران و السعودية و جماعة اربكان, عدا ذلك فان الصورة التي رسمتها الأصولية للكورد تقف في جوانب عديدة مع ما رسمه الخطاب العروبي و الاقليمي, بل أن الأصولية شكلت في احايين كثيرة البنى التحتية لذلك الخطاب.

بختيار علي:

ليست هناك سمة واضحة تميز الخطاب الديني عن الخطاب القومي لدول المنطقة, فاذا أخذنا تجربة أربكان على سبيل المثال تتجلى هذه الحقيقة بوضوح, فمع مجيء أربكان بدأت مرحلة جديدة من المؤامرات ضد الكرد.. و يشبه مجيئه الى حد ما مجيء (كمال أتاتورك), حيث لعب الكرد دوراً كبيراً في دعم و نصرة كليهما, غير أن نتيجة كلتا التجربتين كانت دراماتيكية. إن استراتيجية (نجم الدين أربكان) كانت عبارة عن اتخاذ الاسلام وسيلة لتطوير و تطعيم الطورانية, مثلما استخدم الخطاب الديني في ايران لصالح الخطاب القومي الفارسي.

إن الاسلام هو الوجه الآخر للخطاب القومي, حيث نلاحظ أن الحركات الاسلامية الفلسطينية هي التي تحرك الآن بعد اتفاقية (أوسلو) المشاعر القومية لدى العرب, و أثناء حرب الخليج لجأ (صدام حسين) الى الدين لنفس الغرض, أي أن الاسلام لم يعد آيديولوجيا دينية فقط, بل أصبح ملجأ يلجأ اليه القوميون في المنطقة بعد انهيار الخطابات الآيديولوجية العلمانية.

و لذلك, لا يمكن اعتبار الاسلام السياسي حامل خطاب ديني, بل أصبح جناحاً مبطناً داخل الحركات

القوميــة, و أن موقــع الانســان الكــردي في النظــرة الأصولية لا يختلف عـن موقعـه عنـد الأنظمـة القوميـة العربية أو التركيـة أو الفارسـية, و أن مـا يسمى بعالميـة الاسـلام لـيس سـوى عمليـة صـهر للأقـوام الصـغيرة في بوتقة الأقوام الكبيرة, و بمعنى آخر: الحركات القوميـة هي التي توجه الأصولية, و ليس العكس.

آراس فتاح:

إذا ما طرحنا جانباً العوامل الخارجية في تشكيل الأحـزاب الإسـلامية الكرديـة, كـالثورة الإيرانيـة و الحـرب الأفغانيـة و التجربـة الأربكانيـة و الحركـة الوهابية و غيرها من الحركات الأصولية التي دعمت تشـكيل تلـك الأحـزاب, فـإن المجتمـع الكـردي الـذي وجهته في السابق النخب القومية, يشعر الآن بوجـود فراغ أحدثـه فشـل الخطـاب القـومي الكـردي.. و قـد رأى الأصوليون في ذلك الفراغ فرصة ذهبية لاختراق المجتمـع الكـردي, ناهيـك عـن المغريـات الروحيـة الكبيرة الـتي يطرحهـا الاسـلام مـن خـلال معالجاتـه الغيبيـة لجميـع المشـاكل السياسـية و الاجتماعيـة و الحياتيــة اليوميــة.. و لا شــك أن تــأثيرات القــيم الروحية الدينية عنـد الانسـان الكـردي العـادي أكـبر بكثير من تأثيرات القـيم الدنيويـة الـتي تـدعو اليهـا الحركــات القوميــة العلمانيــة, مــن هنــا انصــبت اهتمامات الأصوليين الكرد بدرجة كبيرة على الناس البسـطاء, فعـدا المغريـات الروحيـة حركـوا المشـاعر القوميـة لـديهم مـن خـلال الاعـلان عـن كردسـتانية تلك الحركات الدينية.

مريوان وريا:

السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هنـا: هـل يمكـن أن يصـبح الخطـاب الـديني مرشـداً للحركـة القوميـة الكردية؟

بختيار علي:

قطعاً لا يمكـن ذلـك, لأن الاسـلام يمثـل الحركـات القوميـة للشـعوب الحاكمـة في المنطقـة, و لم يصـبح يوماً ديناً للكورد, بل هو دين في الكرد, و هناك فرق كـبير بـين الحـالتين. إن الحركـات الإسـلامية في كردسـتان تشـكلت بـدعم مـن الحركـات القوميـة التابعـة للـدول الحاكمـة في المنطقـة كـي تكـون بـديل المشروع القومي في كردستان, و تأريخ تلـك الحركـات يثبـت أن تأسيسـها مـرتبط بالتـدخلات السياسـية الواسعة التي أفرزتها تناقضات الوضع في الثمانينـات, حيـث اسـتجدت في تلـك السـنوات أوضـاع لم يكـن للكورد بها عهـد.. وضعت المجتمـع الكـردي في مهـب رياح خطيرة. و إن الثغـرات الـتي اسـتغلتها الحركـات الإسـلامية لاخـتراق المجتمـع الكـردي تعـدت كونهـا مجـرد ثغـرات بـل أصبحت جـزءاً مـن بنيـة المجتمـع الكردي. فمثلاً, أن ظاهرة تشكيل أفـواج المرتزقـة و الجحوش في تلك السنوات باتـت ظـاهرة اجتماعيـة, بحيث لم تعجز الانتفاضة عن إزاحتها فحسـب.. بـل أن بعض الأحزاب الكردسـتانية تسابقت فيمـا بينهـا لاسـتيعاب ذلـك الحشـد الكـبير مـن المرتزقـة في صـفوفها. إن زرع الأجسـام الغريبـة في بنيـة المجتمـع الكردي كان مخططاً ضمن المخططـات الاسـتراتيجية لدول المنطقة.

و رغم أن الحركات القومية الكردية كان يقودها في الماضي شخصيات دينية, غير أن أياً من تلك الحركات لم تعتمد خطاباً دينياً. من هنا فإن تشكيل تلك الحركات وسط تراكمات الانهيارات الاجتماعية و التدخلات الخارجية يبين أن الخطاب الديني الكردي لا يصبح مرشداً للحركة القومية.. بل إنه امتداد و وجه آخر للحركات القومية لدول المنطقة. عدا ذلك فان الإسلام كدين له أرضية مهيأة للنشأة و التنامي داخل المجتمع الكردي و أن الاسلام السياسي عندما يعلن دعوته يصطبغ بألوان مختلفة و يتموه بشكل يصعب تفريقه عن الاسلام كدين.

آراس فتاح:

لقد اغتنمت الحركات الإسلامية فرصة جيدة لصالحها أثناء الحرب الداخلية في كردستان.. حيث كانت تلك الحركات تطمح الى أن تكون قوة ثالثة في الساحة الكردستانية الى جانب القوتين اللتين تدعي كل منهما شرعيتها لقيادة الحركة القومية, غير أن إشكالية دعوة تلك الحركات تكمن في أنها مبنية على تناقض جوهري بين الدعوة الى تمثيل الحركة القومية من جهة و بين دعوتها العالمية, باعتبارها جزءاً من الحركات الإسلامية العالمية ذات الاستراتيجية الواحدة, من جهة أخرى.

بختيار علي:

يتنامى الإسلام السياسي في الأجواء المشحونة بالكوارث, و في الفضاءات التي تنعدم فيها الآيديولوجيات. إن الآيديولوجيات القومية تعاني من أزمة كبيرة, و إن الآيديولوجيات الماركسية ضعيفة جداً في الوقت الراهن, إضافة الى تنامي حركة إسلامية على مستوى عالمي.

أنا لا أرى وجود حركة إسلامية كردية بمعنى الكلمة, لأن أهداف أي حركة من هذا القبيل تنصب في تغيير صورة الكردي الى صورة المسلم فقط, و هنا يعيد تأريخ القرن الثامن عشر و التاسع عشر نفسه عندما كان الكردي يرى صورته كمسلم لا ككردي ذي انتماء قومي, و بكلمة أخرى, فإن الإسلام السياسي هو محاولة لإفراغ النضال الكردي من دلالته القومية.

*سبق أن نشرت مجلة النهج في عددها (58- ربيع 2000) هذه الترجمة, لكنها حذفت مقاطع هامة منها اثناء النشر" لذلك, و نظراً لأهمية موضوعها رأينا إعادة نشرها.

ملف العدد

كركوك

(كركوك) مدينة اصبحت عنواناً للغبن التاريخي و الجغرافي و الديموغرافي, تعرضت في تأريخ العراق الحديث و خصوصاً منذ تسلم الشوفينيين و البعثيين مقاليد السلطة في العراق لحملات وحشية منظمة استهدفت تشويه واقعها الكردستاني من خلال الترحيل الإجباري لسكانها الكرد و التركمان الأصليين و توطين العرب مكانهم, كما استهدفت تطهير جميع القرى الكردية المحيطة بها و تسويتها مع الارض.. و يجمع المراقبون على ان حل مشكلة كركوك هو مفتاح حل المشكلة العراقية , و خصوصاً اذا اريد لعراق المستقبل ان يكون موطناً للتعايش السلمي بين القوميات و الأعراق و الأديان و المذاهب المختلفة.

منطقة كركوك
و محاولات تغيير واقعها القومي

الدكتور نوري طالباني

المقدمة

كانت منطقة كركوك الغنية بحقولها النفطية و سهولها الواسعة الخصبة, أحدى العراقيل أمام إيجاد حل سلمي للمسألة الكردية في العراق. و اذا كان موقعها الجغرافي و وقوعها في الطريق الرئيسي الذي يربط الأناضول بايران سبباً أساسياً لتوطين التركمان فيها من قبل الدول التي حكمت المنطقة سابقاً, بهدف حماية الطريق الاستراتيجي و التجاري المذكور, فإن اكتشاف النفط فيها بكميات كبيرة بعد الحرب العالمية الأولى في مقدمة أسباب ضمها كجزء من ولاية الموصل العثمانية العراقية التي تأسست عام 1921. و كانت هذه الاسباب جميعاً وراء المحاولات المستمرة التي استهدفت تغيير الواقع السكاني فيها فيما بعد, و بصورة أخص منذ سنة 1963.

لدراسة المحاولات السابقة و الممارسات اللاحقة لتغيير الحالة القومية لمنطقة كركوك, ينبغي الاشارة أولاً, و لو بصورة مختصرة, الى جغرافية المنطقة و ما شهدت من تغييرات عبر التأريخ و اعطاء فكرة عن الحالة السكانية فيها. و يؤدي إجراء مقارنة بين ما كان عليه الوضع سابقاً, و ما آل اليه بعد تلك المحاولات و الممارسات الى اعطاء فكرة حقيقة عنها. لقد اعتمدنا في سرد المعلومات عن تأريخ المنطقة و ماضيها و جغرافيتها على المصادر المعروفة بموضوعيتها و علميتها الخالصة, تركية كانت أم عربية أو كردية أو غربية. أن مؤلف الموسوعة العثمانية (قاموس الاعلام) المؤرخ و الرحالة التركي شمس الدين سامي زار المنطقة قبل قرن من الزمان و دوّن معلومات دقيقة عنها لا يمكن أن يكون مناصراً للكرد. و كذلك الأمر بالنسبة

للباحث العراقي شاكر خصباك المعروف بنزاهته العلمية التي يصعب التشكيك بها, أو بالنسبة للعديد من البحاثة الغربيين الذين الفوا القسم الخاص بكركوك في دائرة المعارف الاسلامية باللغة الفرنسية, بعد تدقيقهم و تمحيصهم لاراء الكثيرين من المؤرخين و المختصين الآخرين, القدامى منهم و المحدثين. و يصح القول ذاته بالنسبة للعالمين الكرديين المرحومين محمد امين زكي و توفيق وهبي. هذا فيما يتعلق بالقسم الاول من هذه الدراسة الذي حاولت فيه إعطاء فكرة سريعة عن تأريخ المنطقة و جغرافيتها و الاوضاع السكانية و الادارية فيها قبل المباشرة بتغيير الاوضاع السكانية فيها فيما بعد.

أما القسم الآخر من الدراسة فهو مخصص لبيان ممارسات الأنظمة التي حاولت بصورة جدية و مكشوفة العمل على تغيير الواقع السكاني فيها. لقد وجدت في البداية, و الحق يقال, بعض المصاعب في جمع المعلومات الدقيقة عن تلك الممارسات, خاصة خلال العقدين الأخيرين, بسبب صعوبة الحصول على الوثائق الرسمية السرية التي تكشف عنها. و لكن انتمائي للمنطقة و لمدينة كركوك بالذات, و متابعتي لتلك الممارسات منذ بدأ النظام العراقي الحالي بتنفيذ سياسته في هذا المجال, فضلاً عن أنها كانت تنفذ علناً و جهاراً و تصدر بشأنها قرارات رسمية تنشر أغلبها في (الجريدة الرسمية) للحكومة العراقية, بالاضافة الى اطلاعي على العديد من الوثائق الاخرى السرية, بما فيها الاحصاءات عن العراق و عن المنطقة, و حصولي على بعض الدراسات التي هيئها عن المنطقة الكردية باحثون و هيئات كردية, ذللت لي الكثير من تلك الصعوبات و العراقيل.

لقد حاول النظام إبقاء الوثائق و الأوامر و التوجيهات الصادرة عن الجهات العليا في الدولة سرية بعيدة عن متناول يد الأشخاص الذين لا يعتبرون جزءاً منه, لذلك بقيت معظم تلك القرارات و الأوامر السرية الصادرة عن مؤسسات (مجلس قيادة الثورة) و (لجنة شؤون الشمال) و (مجلس الامن القومي) و أجهزة الامن و المخابرات و الاستخبارات العسكرية و الأجهزة الحزبية و الادارية في المنطقة بعيدة عن متناول الآخرين, باستثناء الجزء اليسير منها الذي تسرت بصورة أو أخرى الى علم التنظيمات السياسية الكردية, و لكن الرياح تجري أحياناً بما لا تشتهي السفن. فقد انتقلت الى حيازة (البيشمرگه) الكرد معظم الوثائق و التقارير و الاحصاءات السرية التي كانت محفوظة لدى إندلاع انتفاضة آذار (مارس) 1991, في خزائن تلك الأجهزة و مؤسساتها في كردستان. و قد قدرت أوزان تلك الوثائق و الملفات الخاصة بالاحزاب و المنظمات الكردية السرية منها و العلنية و بالافراد, للفترة من 1946 حتى نهاية 1990, بعشرات الأطنان, وصل أكثر من عشرين طنا منها الى مكتبة الكونگريس الامريكي قبل سنتين, بهدف توثيقها تحت أشراف منظمة Middle East Watch و مراقبين من الكرد. و قد بلغ عددها بعد تدقيقها و توثيقها أكثر من

خمسة ملايين صفحة. و يبين من الدراسات الاولية لتلك الوثائق التي أجرتها المنظمة المذكورة و المتعلقة بوجه خاص بعمليات (الأنفال) السيئة الصيت, أنها تضم معلومات مذهلة عن ممارسات النظام, ليس فقط بشأن أعمالها و اجراءاتها الهادفة الى تغيير الحالة القومية في منطقة كركوك و المناطق الكردية الاخرى في محافظتي الموصل و ديالى, بل كذلك عن جرائم منظمة ارتكبها النظام تدخل ضمن مفهوم جريمة الابادة البشرية التي نظمت أحكامها اتفاقية باريس المبرمة في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) 1948.

أما الاحصاءات الخاصة بعدد القرى الكردية التي جرى تدميرها فيما بعد و عن المنشآت التي كانت موجودة فيها, من مساجد و مدارس و مراكز صحية, بالاضافة الى عدد البيوت في كل قرية أو قصبة, و عن الأحياء العديدة التي بناها النظام في مدينة كركوك لإسكان الوافدين اليها - و هو المصطلح الذي يطلق عادة على عشرات الالوف من العوائل العربية التي جلبت من وسط و جنوب العراق لتوطينها فيها - فهي مستمدة من الوثائق الحكومية الرسمية و الدراسات التي أعدت على ضوئها من قبل هيئات كردية.

و يجب عليّ القول منذ الآن ان هذه الدراسة ماكان لها أن تظهر, لولا المساعدات و الملاحظات القيمة التي أبداها لي العديد من الاصدقاء من مختلف الاتجاهات السياسية و من مختلف القوميات. كما أتوجه بالشكر و الامتنان للهيئات الكردية التي قدمت لي الكثير من الوثائق السرية, فلولاها لتعذر علي تقديم هذه الدراسة بهذه الصورة المقترنة بالاحصاءات. و أخيراً أتوجه الى القاريء العزيز لاعتذر له مسبقاً عن النواقص التي يجدها في ثنايا هذه الدراسة المتواضعة, و التي أرجو أن تكون بداية لدراسات أخرى تكتب عن المنطقة من قبل باحثين و مختصين آخرين, و الله من وراء القصد...

لندن في 1995/8/1

1-نبذة عن تأريخ و جغرافية منطقة كركوك

تعتبر منطقة كركوك الواقعة بين جبال زاگروس و نهري الزاب الصغير و دجلة و سلسلة جبال حمرين و نهر سيروان (ديالى), نفس المنطقة التي كانت تعرف في العهد الساساني بـ(گەرمەكان - Garmakan) أي بلاد أو موطن الـ(گەرم) أي الحار.

ووردت التسمية ذاتها في المصادر السريانية تحت اسم (بيث گرماى - Beth Garmai) المخفف الى (باگرمى), المعرب الى (باجرمى) أو (حرمقان), و تعني الـ(گەرم) أو بلاد الـ(گەرم) ايضاً[1]. و كانت المنطقة موضع اهتمام خاص من جميع القوى و الامبراطوريات التي احتلتها, لان طريق المواصلات و التجارة المار في سهولها الفسيحة كان يؤمن لها الاتصال بالعالم الخارجي. و حيث ان الطريق المذكور لم يكن بعيداً عن الممرات و المضائق الجبلية المحاذية له, كمضايق (بازيان) و (باسەرە) و (سەگرمە) و غيرها, لذلك اهتمت تلك القوى ببناء

المواقع العسكرية في القصبات القريبة من الطريق, خاصة في مواقع (كفري) و (دوز خورماتو) و (داقوق) و (جمجمال) و (التون كوبرى). بالاضافة الى مدينة كركوك ذاتها. و وضعت تلك الامبراطوريات حاميات عسكرية في تلك المدن و القصبات بهدف الدفاع عنها و المحافظة على طرق المواصلات بينها. و كانت تلك القلاع العسكرية تستخدم ايضاً كقواعد لحركات جيوش تلك الدول ضد اعدائها, كما اتخذت من تلك المواقع مراكز لجباية الرسوم الكمركية من القوافل التجارية المارة عبر ذلك الطريق الآتية من غرب الاناضول أو من سوريا, و المتجهة صوب المدن الواقعة في جنوب غرب ايران, كمدن سنه (سنندج) و (كرمنشاه) و (همدان) و غيرها و بالعكس.

يحدد (قاموس الاعلام) الذي يعتبر موسوعة تأريخية و جغرافية عثمانية هامة, نشر في الاستانة عام 1315هـ/1896م, يحدد لنا موقع مدينة كركوك, مراكز هذه المدينة على الوجه الآتي:

(تقع ضمن ولاية الموصل التابعة لكردستان و على بعد 160 كيلومتراً من الجنوب الشرقي لمدينة الموصل, وسط تلول عديدة متحاذية و بجانب واد وسيع يسمى وادى (ادهم). و هي مركز إيالة سنجاق (شهرزور), و لها من النفوس (30000) نسمة, و فيها قلعة و 36 جامعاً و مسجداً و (7) مدارس و (15) تكية و زاوية و (12) خاناً و (1282) دكاناً و حانوتاً و (8) حمامات...)[2].

و تشير دائرة المعارف الاسلامية (Encylopedie de IIslam) التي الف ما يتعلق بـ(كركوك Kirkuk) في الجزء الخامس منها, المستشرق كرامرز (G.H.Kramers), ثم اضاف اليها المستشرق (توما بوا - Thomas bois) ملاحظات هامة, قبل اعادة طبعها ثانية, تشير الى حدود منطقة كركوك كالآتي:

(يحدها من الشمال الغربي نهر الزاب الصغير, و في الجنوب الغربي جبل حمرين, و من الجنوب الشرقي نهر ديالى, و تقع جبال زاگروس على حدودها الشمالية الشرقية)[3].

و في اشارتها الى آراء المؤرخين و المختصين الذين تطرقوا الى اسم كركوك, وردت الموسوعة المذكورة أن كلاً من (جاد S.H.Gadd) و (سدني سميث S.Smith) يعتقدان إن مدينة (أرفا Arrafa) القديمة كانت تحتل موقع مدينة كركوك الحالي[4]. ثم تضيف ان الساسانيين كانوا يطلقون عليها اسم (گەرمەكان Garmakan) الذي سبقت الاشارة اليه. و جاء فيها ايضاً ان المنطقة تعرضت في العهود الامبراطوريتين البابلية و الاشورية الى هجمات الشعوب الجبلية الساكنة في شمالها الغربي و قد عاش الگوتيون في المنطقة ذاتها و اتخذوا من مدينة (ارابخا) مركزاً لهم, و يعتقد أنها مدينة كركوك الحالية[5]. و الراجح ان الگوتيين اجتاحوا اولاً بلاد الآشور ثم اندفعوا نحو الجنوب حيث مركز الامبراطورية الأكدية, و لكن حكمهم اقتصر في نهاية الأمر على المناطق الشمالية من هذه البلاد. و يعتقد

السيد عبد الرزاق الحسني ان الذي أنشأ مدينة كركوك هو (سردنابال) ملك الآشوريين, مستنداً في ذلك على بعض المصادر السريانية, في حين يذهب الدكتور شاكر خصباك الى ان الگوتيين هم الذين شيدوا هذه المدينة[6].

و هناك آراء عديدة و مختلفة بشأن أصل تسمية كركوك و إشتقاقها. فيذهب الاثاريان العراقيان طه باقر و فؤاد سفر, الى ان اسم كركوك انحدر من (گرگر), و يؤيد هذا الرأي ايضاً الدكتور جمال رشيد احمد. فقد ذهب هذان العالمان الآثاريان الى (ان اسم كركوك ذو صلة بكلمة "گرگر", و هي اسم بقعة النار الملتهبة خارج كركوك).

و وردت في المصادر الآرامية اشارة الى اصل تسمية كركوك بصورة (كرخا -د- بيث سلوخ Garkha de beth selook) أي مدينة السلوقيين. و لكن الدكتور جمال رشيد احمد يذهب الى الاعتقاد ان تسمية كركوك لا يمكن ان تعتبر اختزالاً للتسمية الأرامية المذكورة التي تطورت في العهد الاسلامي الى (كرخيني), لأن هذه المدينة وجدت قبل هذا التأريخ بأسم (گرگر) كتقليد لصوت نيران منابع النفط الموجودة في هذه المنطقة التي سميت فيما بعد (بابا گرگر) التي كانت محيطة بمعبد (أناهيتا Anahita) قديماً[8].

أما المؤرخون العرب القدامى, فلم يشر احدهم الى اسم كركوك, باستثناء ياقوت الحموي الذي أشار الى قلعة باسم (كرخيني)[9]. و قد ذكر المؤرخ الاسلامي ابن الاثير في كتابه (الكامل) اسم بلد باسم (كرخيني) ايضاً. و يذهب العلامة توفيق وهبي الى ان كركوك مدينة قديمة, و هي اقدم ذكراً في المسمارية من مدينة اربيل, و ان أقدم ما لدينا من المعلومات الخاصة بكركوك هو ما جاء في التقويم الجغرافي المشهور عن ممتلكات سرجون الأكدي (2473-2530 ق.م) أسم بلاد (أربخ) و قد شخصت بمدينة كركوك, و أن أسم كركوك بقي بهذا الشكل الى عهد الماديين. و يرى بعض المؤرخين ان ذكر مدينة كركوك (أربخ) جاء ضمن المدن التي مر بها اسكندر اثناء زحفه من اربيل الى بابل (330 ق.م), و من الكتاب القدماء الذين دونوا وصف منطقة كركوك, (سترابو 63-19 ق.م) الذي اورد اسم الاقليم (ارتگينى), الا أن بعض المفسرين يرون ان الاسم المذكور استنساخ مغلوط لـ(اديابيني), بل اظنه استنساخاً مغلوطاً لكلمة اخرى هي (گركينى) التي كانت في زمن (سترابو) على ما ارى مملكة عاصمتها التي نسميها اليوم (كركوك). و ارى ايضاً ان الاسم (گركينى) الذي لا أشك انه منحوت, يعود للدور الاغريقي, و انه مشتق من اسم (گرك) و كان موجوداً قبل زمن (سترابو) ولأن (سلوقس) الذي أدخل اسمه عند الآراميين في تركيب (كرخ -د- سلوخ) يجب ان يكون احد السلوقيين الاربعة الذين حكموا بين (312-175 ق.م). ان التسمية ربما كانت وضعت في زمن (سلوقوس كالينكوس) (226 ق.م) الذي من المحتمل ان يكون قد حصن كركوك أو أعاد تحصينها, الا انه كانت هناك حوالي الربع الاخير من القرن الثاني قبل الميلاد اسرة سكائية

حاكمة عاصمتها تسمى (كرك) أو (كرخ)، و هي المذكورة في السجلات الكنسية بـ(كرخ -د- بيث سلوخ) و المعروفة اليوم بـ(كركوك)، و ان منطقة كركوك لابد كانت تسمى في تلك القرون بأسم (گركينى)، من "گرك"، باضافة ادارة (يني ene) اليه و ذلك أثناء العهد المسيحي حيث كانت هناك مملكتان متجاورتان تملكان استقلالاً داخلياً ضمن الامبراطورية الفرثية: مملكة (اديا بيني) و عاصمتها اربيل و مملكة (گركينى) و عاصمتها (كرك) أي كركوك، و كانت المملكتان موجودتين في بداية الحكم الساساني (النصف الاول من القرن الثالث الميلادي). و يبدو ان منطقة كركوك كانت تسمى (كركيني) و بلفظ (كرخيني) الآرامي الذي كان بصيغة (كرخيني) في القرن السابع الهجري، فذكره ياقوت (1228 م) بهذا الاسم ثم يضيف العلامة وهبي (ان اسم كركوك كان (كرك)، بالارامية (كرخ)، و ان (كى رەك) مشتق من لفظ (كار) الاشوري و معناه (القلعة، القرية، المحوطة) و من اللاحقة (ak) المعروفة. فيظهر ان (الماد) هم الذين شكلوا كلمة (كى ر - ە ك) بمعنى (القرية المحوطة بالمواد المكونة أي بالسور) تلفظها الاراميون بعد ذلك بشكل (كرخ)، و كانت تسمى بذلك الاسم حتى العهد الاسلامي)[10]. ثم يقول العلامة وهبي ان اول من اعلن وجود تقارب بين (كرخينى) و (كركوك) هو العالم الالماني (هوفمان Hoffman) دون ان يذكر كيفية اشتقاق الاسمين من بعضهما البعض[11]. و يشير الاستاذ توفيق وهبي ايضاً الى محاولة العلامة مصطفى جواد في استنباط اسم كركوك الذي يقول (اما بكركوك فالظاهر انها انتقلت من صورة (كرخيني) الى (كركي) ثم صغرت على الطريقة الفارسية فاصبحت (كريك) و انتقلت الى (كركوك). و يلخص العلامة وهبي رأيه بشأن اشتقاق كركوك بما يلي:

(اسم كركوك مشتق من (كەرەك - القلعة) باضافة اللاحقة (uk) اليها بصورة مضاعفة، و اوضحنا الاشتقاق الاول الذي كان في شكل (كەرەك)، و اما الاشتقاق الآخر الذي حدث بمرور الزمن باضافة اللاحقة (uk) المذكورة التي تستعمل للتصغير و التحبب و الدلالة، أي اللفظ المشتق الاول (كى رەك)، فاستقر اسم كركوك بشكله الحالي على هذا الاساس)[12] و يسرد كثير من المؤرخين معلومات عن هذه المدينة منذ العهد الساساني حتى غزو (تيمورلنگ) لها الذي فتك بالكرد و غيرهم، و دمر جميع المناطق التي مر بها مع جيشه[13]. و بعد وفاة هذا الطاغية، قضى (الاق قوينلو) التركمان على بقايا حكومة (قەرەقوينلو) التركمانية ايضاً، ثم سيطروا على المناطق الواقعة تحت نفوذهم، و منها منطقة كردستان، ثم استولى الصفويون على كردستان، فكان ذلك في عهد الشاه اسماعيل الصفوي، فكان عهد الصفويون مثل عهدي (الآق قوينلو) و (قەرە قوينلو) التركمان، عهد ظلم و تدمير للمنطقة. لقد حاولت جميع هذه القوى الاجنبية التي احتلت كردستان القضاء على الامارات الكردية

الموجودة فيها الواحدة بعد الاخرى. و حاولت هذه القوى التي كانت تدين بالمذهب الشيعي (القزلباشي) الباطني احلال هذا المذهب في كردستان, خاصة ان الكرد كانوا من اهل السنة, فلم يكونوا محل ثقتهم[14].و يمكن اعتبار تأريخ احتلال كردستان من قبل هذه القوى بداية لعملية توطين التركمان في المنطقة. اما الاتراك العثمانيون الذين احتلوا المنطقة بعد طرد الصفويين منها, فكانت سياستهم تميل في البداية الى ارضاء الكرد بقصد اثارتهم ضد الصفويين الشيعة, لذلك استطاع الامراء بعد وقوع كردستان تحت النفوذ العثماني استرداد معظم المناطق من بينها منطقتي اربيل و كركوك, حيث استردهما سيد بگ شاه علي امير امارة سوران[15].

لقد كانت كردستان خلال فترة طويلة مسرحاً للقتال و الحروب التي وقعت بين الصفويين و الشيعة الذين كانوا يتخذون من تبريز عاصمة لهم, و العثمانيين السنة خاصة في عهد الشاه طهماساب و الشاه عباس و الشاه طهماسب قلي خان المعروف بـ(نادر شاه). السلطانين العثمانيين سليمان قانوني و مراد الرابع. و كان موقع كركوك الجغرافي الهام وقت السلم و الحرب معاً سبباً اساسياً لاحتلالها او محاولة استردادها من قبل تلك القوى التي تتابعت على احتلال المنطقة.

2-تأريخ توطين التركمان في المنطقة

لقد شعر الباب العالي في الاستانة, كما شعر الصفويون من قبلهم بعد احتلالهم لكردستان, بأهمية خط المواصلات و التجارة الرئيسي الذي. كان يربط الاستانة و الاناضول بايران, المار عبر كركوك[16]. لذلك حاول الطرفان السيطرة على هذا الخط لأهميته السوقية وقت الحرب, و لأهميته التجارية وقت السلم و فترات الصلح بين الامبراطوريتين المتنازعتين. و قد شجع كل طرف منهما رعاياه من الجنود و غيرهم على الاستقرار في المدن و القصبات الموجودة على جانبي الخط المذكور, و التي تتواجد منها المواقع و الحاميات العسكرية. و يبدأ هذا الخط شمالاً من (تلعفر) و الموصل ثم يمر عبر أربيل - التون كوبري -كركوك- و داقوق و كفري, و ينتهي بمدينتي خانقين و مندلي بالقرب من الحدود العراقية - الايرانية الحالية. ثم يستمر الخط ذاته داخل الحدود الايرانية حتى كرمنشاه و همدان و غيرهما من المدن الايرانية. و يقول المؤرخ العراقي السيد عبد الرزاق الحسني ان تركمان هذه المناطق هم "من جملة القوات التي كانت في جيش السلطان مراد الرابع من الصفويين سنة 1638 م, و قد مكثوا في هذه البقاع لمحافظة خط الاتصال بين الايالات التركية الجنوبية و ايالاتهم الشمالية"[17] و الملاحظ ان الانسكلوبيديا التركية تستعمل كلمة (الاتراك) بدلاً عن (التركمان) الذين يقطنون هذه المناطق[18].

لقد كان الحكم في معظم هذه المناطق بيد العسكر الذين لم تكن تربطهم صلة مباشرة بسكانها الاصليين من الكرد. و اخذ البعض من افراد هذه الحاميات العسكرية الذين استقروا نهائياً مع

عوائلهم في تلك المدن و القصبات, يتعاطى التجارة فيها أو يمارس الحرف التي كان يمتهنها. و قد سهل وجود السلطة بأيديهم عملية توطينهم و استحواذهم على الاراضي الزراعية او ممارسة صنوف التجارة او الحرف اليدوية. و ادى استقرارهم في تلك المدن و القصبات الى اختلاطهم بالسكان و اقتباس عاداتهم في تلك المدن و القصبات الى اختلاطهم بالسكان و اقتباس عاداتهم و تقاليدهم, فتأثروا بهم و أثروا بدورهم فيهم, خاصة بعد نشوء علاقات المصاهرة و الزواج بينهم. و هناك رأي آخر يذهب الى القول ان تركمان العراق يمكن أن يكونوا من بقايا الجنود التركمان الذين خدموا العباسيين و الاتابكيين و العثمانيين[19]. أما التركمان انفسهم فيقولون ان تأريخ نزوحهم الى العراق يعود الى العهدين الأموي و العباسي, و قد تم استخدامهم بسبب مقدرتهم العالية في القتال, و لكنهم يقرون بأن هذه المرحلة كانت مرحلة اتصال بالعراق و ليس استيطان فيه, لذلك انصهر التركمان الذين نزحوا خلالها بين الاقوام المحيطة بهم[20]. ثم يضيفون ان مرحلة استيطانهم الحقيقية في العراق بدأت في العهد السلجوقي, ثم اتسعت في العهد العثماني, و لكن لا يمكن اعتبار العهد السلجوقي, ثم اتسعت في العهد العثماني. و لكن لا يمكن اعتبار العهد السلجوقي مرحلة استيطان للتركمان في المنطقة لأن دولاً و امارات كثيرة, معظمها كردية, تأسست فيها بعد زوال حكم السلاجقة, مما ادى الى انحسار بقاياهم في المنطقة بصورة كبيرة. و لكن دائرة المعارف الاسلامية, بعد اشارتها لمختلف القوى و الامبراطوريات التي تتابعت على حكم هذه المنطقة تقول: "ان السادة الحقيقيين لهذه المنطقة كانوا رؤساءها الكرد المحليين لمنطقة (اردلان), و ان السلطة العثمانية استطاعت فيما بعد فرض سيطرتها على هذه المدينة - أي مدينة كركوك - بالاعتماد على نشاط باشاوات إيالة شهرزور"[21].

و تتطرق دائرة المعارف الاسلامية بعد ذلك الى الحالة الادارية للمنطقة خلال فترة الحكم العثماني لها "و نذكر ان الإيالة كانت تتكون من (32) سنجقاًو و اصبحت كركوك التي كانت واحدة من الإيالات العثمانية مقر إقامة (باشا) شهرزور, بعد ان دمر الشاه اسماعيل الصفوي (1571-1642) القصر المسمى باسم هذه المدينة. و في 1732 حاصر (نادر شاه) مدينة كركوك عبثاً, و في السنة التالية حدثت معركة كبيرة بالقرب من المدينة هزم فيها الاتراك بشكل مدمر.. و في المعركة عام 1743 وقعت كركوك مرة اخرى في ايدي الصفويين, الا انها عادت الى الاتراك بعد إبرام صلح عام 1746. و بقيت المدينة ضمن الامبراطورية العثمانية حتى اواخر الحرب العالمية الاولى. و قد احتلها البريطانيون في مايس (أيار) 1918"[22].

لقدحاولت بقايا السلطة العثمانية في المناطق الحدودية من ولاية الموصل العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى, انشاء علاقات مع الزعماء الكرد و التركمان الموجودين في المنطقة, بهدف استعادة نفوذها و هيمنتها على الولاية المذكورة,

فارسلت العديد من المبعوثين و الموفدين من الضباط الذين كانوا يعملون في صفوف الجيش العثماني و ينتسبون في اصولهم الى المنطقة الكردية, للإتصال بالزعماء الكرد, و خاصة الشيخ محمود الحفيد الذي كان يسيطر على أجزاء واسعة من جنوبي كردستان, و بالوجهاء التركمان في كركوك الذين شكلوا جمعية لهذا الغرض, بهدف استمالتهم و إقناعهم بالبقاء ضمن الدولية). و كان الكرد يسعون خلال هذه الفترة الى الحصول على قرار من الدول الغربية يتضمن تنفيذ نصوص معاهدة (سيفر Sevres) المبرمة في 10 اب (أغسطس) 1920, التي أقرت أنشاء كيان كردي في كردستان العثمانية بمرحلتين متعاقبتين, و كانوا قد ارسلوا سابقاً مبعوثاً كرديا هو الجنرال شريف باشا الى باريس للاتصال بقادة الدول المشاركة في اجتماعات مؤتمر (فرساي) الذي انعقد بعيد انتهاء الحرب العالمية الاولى.

و لكن حدث في هذه الفترة تغيير كبير في السياسة البريطانية, لأنها بدأت تعمل على إلحاق ولاية الموصل العثمانية بالملكة العراقية المستحدثة و التي كانت تضم ولايتي بغداد و البصرة. لذلك نظمت الادارة البريطانية المنتدبة على العراق و كردستان استفتاء عام 1921 حول قبول الامير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. و قد رفضت منطقة كركوك, التي كانت تدار مباشرة من قبل ضباط سياسيين بريطانيين, باكثرية ساحقة قبول الامير فيصل ملكاً على العراق, بينما قاطعت المناطق الكردية الاخرى, خاصة منطقة السليمانية, الاشتراك في عملية الاستفتاء. و لم تصبح كركوك جزءاً من المملكة العراقية الا فيما بعد, حين ارسلت عصبة الامم لجنة لتقصي الحقائق في ولاية الموصل. اتخذها بعدها مجلس العصبة قراراً في اجتماع السابع و الثلاثين المنعقد في جنيف في 16 كانون الأول (ديسمبر) 1924, اعطى بموجبه جميع الاراضي الواقعة جنوب الخط المسمى بخط بروكسل الى الدولة العراقية الجديدة, فاصبحت كركوك بعد تنفيذ ذلك القرار الدولي جزءاً من العراق[24]. و تتطرق دائرة المعارف الاسلامية الى الحالة القومية في منطقة كركوك و الى وضع التركمان فيها, و تقول "ان التركمان الساكنين في بعض القرى ينتمون الى مذهب بدعي و باطني (قزلباشي)". و تقول "ان حضورهم العابر في كركوك و اصل هذا الحضور بين اغلبية كردية يعود برأي البعض الى زمن سابق على فتح المدينة من قبل السلاطين العثمانيين, فيجب البحث عن ذلك في الحامية التركية التي اقامها الخليفة في المدينة منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي, او في هجرة السلجوقيين و البكتيين و الاتابكيين في اربيل. و أياً كان الرأي حول مجيئهم الى المنطقة, فقد قدموا دعماً مستمراً للامبراطورية العثمانية و ثقافتها, و كانوا مصدراً خصباً لتزويدهم بالموظفين"[25]. و جاء في هذه الموسوعة بصدد الحالة الادارية في منطقة كركوك خلال الفترة الاخيرة من الحكم العثماني مايلي: "كانت كركوك مركزاً لإيالة شهرزور في القرن الثامن العشر التي كانت تضم الألوية الحديثة التالية: كركوك و

اربيل و السليمانية, ثم اطلق اسم (شهرزور) على سنجاق كركوك و ألحق به لواء كركوك, في حين ظل شهرزور التأريخي (أي السليمانية) خارج السنجاق الجديد. و شكلت ولاية الموصل عام 1879, و بقيت كركوك مدينة عسكرية مهمة". ثم تضيف ان ولاية الموصل العثمانية "كانت تتكون من ثلاثة سنجاق أو ألوية هي: الموصل و كركوك و السليمانية. و في عام 1918 فصلت ثلاثة اقضية في شمال نهر الزاب الصغير عن كركوك ليتشكل منها لواء اربيل"[26]. و بعد تشكيل الدولة العراقية عام 1921, ثم الحاق ولاية الموصل بها عام 1925, اصبحت كركوك لواء - أي محافظة تضم اربعة اقضية هي: قضاء مركز كركوك و كفري و جمچمال و گل.

يمكننا الاستنتاج من كل ما تقدم ان تناوب الدولتين الصفوية و العثمانية, و من قبلهما (الأق قوينلو) و (قەرەقوينلو) في احتلال المنطقة بوجه عام و لقرون عديدة, و سعيهما لتوطين مجموعات سكانية من رعاياها في المدن و القصبات الواقعة على جانبي خط البريد و القوافل التجارية بين الاناضول و ايران, بسبب النزاع المستمر الموجود بينهما, يعتبر السبب الاساس لوجود التجمعات التركمانية فيها و يؤيد وجهة نظرنا هذه عدم وجود تجمعات تركمانية اخرى خارج هذه المدن و القصبات الواقعة على جانبي الخط. أما القول "بأن هذه المناطق - أي المناطق الواقعة بين تلعفر و مندلي - كانت مكونة قبلاً من قبل التركمان بمئات السنين, و ان التفسير الوحيد لسكناهم في هذه المناطق بالذات يكمن في رغبتهم المتأصلة في اختيار الارض التي تناسب اهواءهم" فلا يستند الى أي سند تأريخي أو حجة منطقية. فلا يعقل ان الكرد المتوطنين في هذه المناطق قبل احتلالها من قبل السلاجقة و المغول و التتر, قد تنازلوا عنها لبقائهم في هذه المناطق "لأنها تناسب أهوائهم, لأن المعروف عنهم - أي عن التركمان - أنهم يسكنون السهول السريعة الخصبة ذات الماء الوفير نسبياً.."[27].

ان إلقاء نظرة سريعة على التجمعات التركمانية التي تعيش في المدن و القصبات الواقعة على جانبي خط المواصلات و التجارة المشار اليه آنفاً, يوضح لنا طبيعة هذه التجمعات و الاماكن التي نزحوا منها. أن اقل من نصف التركمان المستقرين في هذه المدن و القصبات يدينون بالمذهب الشيعي القزلباشي الذي كان يدين به الصفويون. اما القسم الآخر منهم فيدينون بالمذهب السني (الحنفي), و هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية. اما الكرد من ابناء المنطقة فيدينون جميعاً بالمذهب السني (الشافعي). كذلك يلاحظ ان للتركمان الشيعة عادات و تقاليد خاصة بهم, و هي تختلف كلياً عن العادات و التقاليد الخاصة بالتركمان السنة, كما ان لابناء هاتين الطائفتين لهجة خاصة بكل منهما, و تميل اللهجة التي يتكلم بها التركمان الشيعة الى الآذرية, لغة سكان آذربيجان. و يمكننا إجمالاً إبداء الملاحظات التالية بشأن الأقلية

التركمانية, السنية منها و الشيعية الموجودة في المنطقة:

أولاً- تقدير عدد نفوس التركمان في العراق

ان التقديرات المعلنة عن عدد نفوس التركمان في العراق في العشرينات و الثلاثينات, تتراوح بين 2.1٪ الى 2.4٪ من مجموع سكان العراق جميعاً[28]. و قد إحتفظ التركمان في الاحصاء الرسمي الذي نظم في العراق عام 1957 بنسبتهم السكانية السابقة مع زيادة قليلة, نسبتهم 2.16٪ من مجموع نفوس العراق[29]. و لكن هذه النسبة انخفضت فيما بعد بسبب أن الاحصائيات اللاحقة تعمدت إهمال إنتمائهم القومي و اعتبرت الكثير منهم عرباً, فاصبحت نسبتهم في الاحصاء الرسمي لعام 1977 (1.15٪) من مجموع سكان العراق[30].

و قد شمل الانخفاض المذكور عدد التركمان في محافظة كركوك و المحافظات الاخرى التي يعيشون فيها, خاصة في محافظة الموصل (نينوى). فبعد أن كانت نسبتهم تشكل 21.4٪ من مجموع سكان محافظة كركوك في احصاء عام 1957, انخفضت تلك النسبة الى 16.75٪ في احصاء عام 1977 [31]. و انخفضت نسبتهم في محافظة الموصل ايضا. فبعد ان كانت تشكل 4.8٪ في احصاء عام 1957 اصبحت تشكل 0.99٪ من مجموع نفوس سكان المحافظة في احصاء عام 1977 [32]. كل ذلك يكشف بوضوح عن طبيعة سياسة التعريب التي مارسها النظام العراقي تجاه السكان غير العرب, و بخاصة الكرد و التركمان منهم خلال السنوات الاخيرة.

ثانياً - التوزيع الجغرافي الطائفي للتركمان

يلاحظ ان معظم التركمان السنة يعيشون في مدينة كركوك[33]. اما التركمان الشيعة, فيعيش معظمهم في البلدات الصغيرة التي تشكل في الاغلب مراكز للأقضية و النواحي في المحافظة, و في عدد محدود جداً من القرى القريبة من بعض تلك البلدات.

و يعيش التركمان السنة ايضاً, في كل من مدينة اربيل - عاصمة اقليم كردستان - و في بلدتي (التون كوبري) و كفري الواقعتين ضمن محافظة كركوك, و لكن بنسبة قليلة. فقد شكلوا نسبة أقل من 5٪ من مجموع نفوس محافظة اربيل, بموجب احصاء عام 1957. و تراوحت هذه النسبة بين الارتفاع و الانخفاض في الاحصاءات التي جرت فيما بعد. فبعد ان كانت نسبتهم تشكل 6٪ من مجموع سكان المحافظة بموجب احصاء عام 1965, ارتفعت النسبة الى 6.5٪ في احصاء عام 1977. و حصل الشيء نفسه تقريباً في بلدة كفري ايضاً. فبعد ان كانت نسبة التركمان تشكل حوالي 7.7٪ من مجموع سكانها في احصاء عام 1965, انخفضت النسبة الى 5.7٪ في احصاء عام 79 [34]. و توجد في بلدة (التون كوبري) - و هي مركز ناحية تابعة لمركز قضاء كركوك - نسبة قليلة من التركمان السنة. و يشكل التركمان السنة الاغلبية السكانية في قرى (يايچى) و (تؤبزاوه) و (بلاوه) القريبة من مدينة

كركوك. و قد اصبحت الاخيرة جزءاً من مدينة كركوك, بعد توسيع نطاق دائرة بلدية المركز فيها.

أما التركمان الشيعة فيعيش معظمهم في مراكز الاقضية و النواحي التابعة للمحافظة, و في عدد قليل جداً من القرى القريبة من تلك البلدات او القصبات, كقرية (تسن) المعربة الى (تسعين) القريبة من كركوك التي اصبحت فيما بعد جزءاً منها. و يعيشون أيضاً في قصبة (ليلان) - و هي مركز ناحية - تقع جنوب شرقي مدينة كركوك بمسافة (20) كيلومتراً تقريباً, و في قصبة (تازه خورماتو) - و هي حالياً مركز ناحية - تقع جنوبي مدينة كركوك بحوالي عشرة كيلومترات, بالقرب من الطريق العام بين كركوك - بغداد, و بعض القرى التابعة لها. و تتواجد ايضاً اغلبية تركمانية شيعية في بلدة (داقوق/ طاووق) التي تقع جنوبي كركوك بمسافة 30 كيلومتراً, على الطريق العام بين كركوك - بغداد.

و قد بلغ مجموع نفوس هذه البلدة في احصاء عام 1957, (1926) نسمة, شكل التركمان الشيعة اكثرية سكانها.

و يعيش التركمان الشيعة ايضاً في بلدة (دوزخورماتو), و يشكلون حالياً حوالي ثلث سكانها, و قد اصبحت هذه البلدة مركزاً للقضاء, الذي ألحق مع معظم النواحي و القرى التابعة له بمحافظة صلاح الدين (تكريت) من قبل النظام عام 1976, رغم بعده الكبير عنها, و ذلك بهدف سلخه من محافظة كركوك تنفيذاً لسياسة النظام القائمة على تقليص نسبة السكان الكرد في محافظة كركوك, و توزيع الكرد على المحافظات الاخرى المجاورة لها.

و ترتبط بقضاء (دوزخورماتو) ناحيتا (سليمان بگ) و (أمرلي) المستحدثتان من قبل النظام. اللتان يعيش في قراهما ابناء عشيرة (البيات) المغولية الأصل الذين فقد الكثيرون منهم لغتهم الأصلية بسبب إختلاطهم بالعشائر العربية في جنوبي جبال حمرين. و يعيش التركمان الشيعة ايضاً في قصبة (قەرەتەپە) العائدة لقضاء كفري, و هي تشكل مركزاً للناحية تتبعها مجموعة من القرى الكردية و العربية.

ثالثاً – مهن التركمان

يمتهن معظم التركمان الشيعة الزراعة بالدرجة الاساس, و بعض الحرف اليدوية في البلدات و القصبات التي يعيشون فيها. و لم تكن السلطة العثمانية تهتم بهم, لذلك لم تتح لهم مجال العمل في الوظائف الحكومية فبقيت مستويات معيشتهم ادنى من مستويات معيشة التركمان السنة, و في ذلك يشبهون الكرد رغم كونهم من السنة. و هذا بخلاف التركمان السنة الذين كانوا لا يزالون يتمتعون بحالة معيشية افضل من غيرهم, ساعد ذلك بالاضافة الى وجودهم في المدن, على إتاحة فرص التعليم لابنائهم في المدارس التي كانت موجودة سابقاً في المدن الكبيرة وحدها. و كانوا يشغلون معظم الوظائف الحكومية في جميع العهود, العثمانية و الملكية العراقية و الجمهورية. و لكن عندما بدأ النظام يعمل منذ

نهاية السبعينات على حصر الوظائف في مدينة كركوك و محافظتها بالعرب وحدهم, تم نقل العديد منهم الى المحافظات الاخرى. و مع ذلك لايزال التركمان السنة يهيمنون على التجارة و الاسواق داخل مدينة كركوك و بعض البلدات الاخرى التابعة للمحافظة. و كانوا يشغلون ايضاً وظائف أرفع في شركة نفط العراق I.P.C. التي تقوم باستخراج النفط من حقول كركوك, بعكس الكرد الذين كانوا يشغلون, قبل تسريحهم تدريجياً, وظائف ثانوية في منشآت الشركة. و قد ادى تأميم شركة نفط العراق مع الشركات النفطية الاخرى العاملة في العراق في الإول من حزيران (يونيو) 1972, الى الاسراع بتسريح الموظفين و العمال الكرد و من ثم معظم التركمان ايضاً.

رابعاً – تغيير الهوية القومية لبعض الكرد و العرب و التركمان

ترتب على اشغال التركمان السنة لاكثر الوظائف الحكومية في العهدين العثماني و العراقي و هيمنتهم على التجارة في مدينة كركوك, تغيير الهوية القومية لبعض العوائل الكردية الطامحة لنيل الوظائف الحكومية او الراغبة بأن يكون لها الدور البارز في ممارسة التجارة. و بدأت هذه الظاهرة في العهد العثماني, ثم استمرت في العهد الملكي ايضاً نظراً لاحتفاظ التركمان السنة بوظائفهم الحكومية و استمرار هيمنتهم الاقتصادية على المدينة. لذلك لم يعلن قسم من الكرد عن انتمائهم القومي, او سجلوا انفسهم تركماناً خاصة من الساكنين منهم في الاحياء التركمانية من المدينة, اثناء عمليات الاحصاء الرسمية. و ساعد نشوء علاقات المصاهرة و الزواج بين التركمان و الكورد الذين هاجروا من القرى الكردية للاستقرار في كركوك, على نشوء هذه الظاهرة. و يؤكد عدد من المسنين من ابناء كركوك على الاصول الكردية للكثير من التركمان, حتى من بين الوجهاء منهم, لانحدارهم من بعض العشائر الكردية.

و حدثت الظاهرة نفسها بالنسبة لبعض الأسر العربية التي انتقلت الى كركوك للاستقرار فيها بحثاً عن العمل, خاصة في منشآت شركة نفط. فقد استقرت على السبيل المثال عدة عوائل من بلدة تكريت العربية في الاحياء التركمانية من كركوك, و اصبحت التركمانية لغتهم. و حدث التغيير نفسه لأسر عربية أخرى قدمت من الموصل للغرض ذاته. و لعبت هذه الأسر العربية الاصل دوراً بارزاً فيما بعد مساعدة النظام في تعريب مدينة كركوك, حيث أنخرط معظم ابنائها في صفوف حزب البعث, و أنيطت بهم الوظائف الحساسة في المدينة. و كان أول رئيس عربي الأصل لمدينة كركوك هو مظهر التكريتي, تم تعيينه لهذا المنصب عام 1969. و منذ ذلك التأريخ اصبح المنصب المذكور حكراً للعرب.

و انقلبت الآية منذ تولي حزب البعث للسلطة في العراق, حيث سجل بعض الكرد و التركمان انفسهم عرباً حتى لا يتعرضون للترحيل, او لا يفقدون وظائفهم, او لا ينقلون ادارياً الى

المحافظات الاخرى, او يحتفظون بمصالحهم و مشاريعهم الاقتصادية.. الخ.

خامساً – وضع مدينة كركوك في العهدين العثماني و الملكي

لقد اشرنا سابقاً الى اتباع العثمانيين لسياسة تشجيع التركمان و الاسر التركية على التوطن في منطقة كركوك, عن طريق منحهم الوظائف الحكومية و الامتيازات المختلفة. و يكفي أن نشير على سبيل المثال, الى منح امتياز استخراج النفط من منطقة (باباگرگر) القريبة من مدينة كركوك, الى عائلة (نفطجي زاده) التركية بهدف بيعه للاهالي للاستهلاك المحلي. و لكن العثمانيين لم يعملوا على طرد الكرد من المدينة و لم ينكروا الطابع القومي الخاص لمدينة كركوك و كونها مدينة يتعايش فيها الكرد و التركمان بالدرجة الاساس, الى جانب الأقوام الاخرى, لذلك اسندوا منصب رئاسة بلدية كركوك – و هو منصب حساس يسند عادة لمن يمثل الاغلبية السكانية فيها – الى الكرد أو الى التركمان. و اتبع النظام الملكي العراقي السياسة ذاتها بوجه عام؛ فقد كانت المناصب الادارية و العسكرية الأساسية, كمنصب المتصرف و قائد الفرقة مثلاً تسند في الغالب الى العرب, و احياناً الى الكرد. نذكر من بين الوجوه الكردية التي اسند اليها منصب متصرف لواء كركوك كلاً من سعيد قزاز و رشيد نجيب و مصطفى قەرەداغی, و نذكر من بين الكرد الذين تسنموا منصب قائد الفرقة الثانية, و مقرها في مدينة كركوك, الفريق بكر صدقي قائد الانقلاب العسكري في العراق عام 1936 و اللواء صالح زكي توفيق.

و أسند منصب المتصرف احياناً لبعض الوجوه التركمانية كالسيد مجيد يعقوبي, و أسند اليهم أحياناً منصب قائد الفرقة الثانية كاللواء خليل زكي و اللواء مصطفى راغب. أما منصب رئيس البلدية فأسند في الغالب الى الكرد و احياناً الى التركمان[35]. و مع ذلك فإن معظم الحكومات العراقية في العهد الملكي كانت تشجع العرب على الانتقال الى كركوك للاستقرار فيها, ثم خططت وزارة ياسين الهاشمي في عهد الملك غازي لتوطين عشائر (العبيد) العربية في منطقة (الحويجة), كما سنشير لاحقاً.

سادساً – العلاقة بين طائفتي التركمان السنة و الشيعة

كانت العلاقة بين التركمان السنة و التركمان الشيعة فاترة بوجه عام حتى أواخر الخمسينيات تقريباً. و يعود سبب ذلك الى تمتع كل طائفة منهما بعادات و تقاليد خاصة بها, و اختلاف اللهجة التركمانية الخاصة بكل منهما. و لكن الاختلاف الطائفي كان و لايزال السبب الأساسي لهذا التباعد فيما بينهما, و هو ما أدى الى عدم نشوء علاقات المصاهرة و الزواج بين ابناء الطائفتين. و يلاحظ ان من بين التقاليد الخاصة بالتركمان الشيعة عدم قص الرجال, و خاصة المسنين لشواربهم. كذلك يلاحظ ان ابناء الطائفة التركمانية الشيعية تنظر

الى الإمام على بن ابي طالب نظرة تقديس خاصة, تقترب من نظرة بعض الجماعات الشيعية المتطرفة في ايران, كجماعة (علي إلهي). و كانت علاقات ابناء هذه الطائفة فاترة حتى مع المراجع الدينية في النجف الاشرف بسبب تطرفهم و تقوقعهم على أنفسهم. و منذ اواسط الخمسينيات, أخذ بعض رجال الدين من النجف يفدون اليهم لتوجيههم و ارشادهم خاصة خلال المناسبات الدينية الخاصة بالشيعة.

سابعاً – التوجه السياسي للتركمان

يعمل في الساحة السياسية للتركمان عدد من التنظيمات السياسية المختلفة. لقد كان التركمان السنة يفضلون إرسال أبنائهم الى تركيا لغرض اكمال دراساتهم الجامعية فيها. و ترتب على ذلك حصول الكثيرين منهم على شهادات جامعية في مختلف فروع الاختصاص. و نشط كثيرون منهم, بعد عودتهم من تركيا, في الدعوة لـ(التركمانيزم) او (التركيزم), و بينهم عدد من الشباب الذين يقودون حالياً بعض الاحزاب التركمانية القومية. و بوجه عام يميل التركمان السنة في العراق الى يمين و الى الدعوة الى التعاون مع الاوساط و الفئات المحافظة في جميع العهود التي مر بها العراق. اما التركمان الشيعة, فكان الشباب منهم يميل منهم الى اليسار, لذلك نشط الحزب الشيوعي العراقي في انشاء خلايا حزبية بينهم منذ العهد الملكي, خاصة في قصبتي (قەرەتەپە) و (دوز خورماتو/ طوز).

و يمكننا القول بوجه عام ان التركمان السنة يميلون في مشاعرهم الى تركيا و الى العهد العثماني, بينما يميل معظم التركمان الشيعة الى ايران, منذ الاطاحة بنظام الشاه و تبوء رجال الدين السلطة فيه منذ بداية عام 1979[36].

و تحمل الاحزاب التركمانية الموجودة حالياً افكاراً قومية, و يرأسها عدد من المتعلمين الذين يعيش البعض منهم في كردستان العراق, بينما يعيش البعض الآخر منهم خارج العراق, خاصة في تركيا.

ثامناً – العلاقة بين الكرد و التركمان في المنطقة

لقد ولد اتباع العثمانيين لسياسة تفضيل التركمان السنة على الكرد و التركمان الشيعة, و سواء في اسناد الوظائف الادارية لهم, او في تهيئة الفرص أمامهم للهيمنة على التجارة, مشاعر النقمة لدى الآخرين. و مع ذلك فان التأريخ لم يسجل وقوع منازعات دموية بينهم, باستثناء الفتنة الدموية التي وقعت في كركوك خلال الاحتفال بالذكرى الأولى لثورة تموز عام 1959, و هو الحدث الذي سنتطرق لبيان أسبابه فيما بعد, و الذي لعبت السلطة و جهات اخرى دوراً اساسياً في تهيئة أسباب وقوعه عن طريق إثارة المشاعر و عواطف الناس البسطاء من الفريقين و بذر بذور الشقاق و الفرقة بينهما و تحريض احدهما ضد الآخر. و من المؤسف ان اوساطاً من الفريقين كانت تعمل بصورة او باخرى على تحريض احدهما ضد الاخر, بسبب

ضيق الافق السياسي لديهما. و الشيء الذي يجب ان ينتبه اليه القادة السياسيون للتركمان حالياً, هو ان مصلحة ابناء جلدتهم تستلزم العمل من اجل تقوية روح التآخي القومي بينهم و بين الكرد, لأنهم يعيشون معاً على هذه الرقعة التي تسمى تأريخياً و جغرافياً بكردستان. اما توجيههم وجهة مخالفة لذلك, فلن يؤدي الا الى إثارة روح الكراهية و الشقاق, و لن يستفيد من ذلك في النهاية غير الفئات التي عملت على بذر روح العداء بينهما, بهدف الانقضاض على الاقوى منهما في البداية, ثم على الطرف الآخر فيما بعد. و التجارب المرة القاسية التي مروا بها جميعاً تؤكد ذلك بوضوح.

3- *محاولات تعريب منطقة كركوك*

دخلت القوات البريطانية مدينة كركوك بعد إبرام الهدنة المعروفة بهدنة (مودروس Moudros) في 31 تشرين الاول (اكتوبر) 1918. و كان الجيش البريطاني قد احتل بقيادة الجنرال (مارشال) هذه المدينة في 17 (مايس) 1918, ثم تركها من الشهر نفسه, ليعود الى احتلالها ثانية في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته لدى إبرام معاهدة صلح (مودروس) الآنفة الذكر.

و بقيت القوات البريطانية في كركوك تديرها بصورة مباشرة عن طريق الضباط السياسيين. و يبدو ان اكتشاف النفط بكميات هائلة فيها قد ادى الى اجراء تغيير جوهري في السياسة البريطانية إزاء المسألة الكردية بوجه عام, و منطقة كركوك بوجه خاص.

فبخصوص المسألة الكردية كانت السياسة البريطانية تميل في البداية, باقتراح من أحد ضباطها السياسيين و هو الكابتن (نوئيل) الذي سبق و ان تفقد المنطقة الكردية شمالها و جنوبها, الى إقامة دولة كردية تمتد شمالاً حتى بحيرة (وان), أي بمسافة 155 كيلومتراً تقريباً عن الحدود الشمالية للعراق الحالي. ثم عملت السياسة البريطانية بنشاط على الحاق جنوبي كردستان (حالياً كردستان العراق)[37]. و حاولت الحكومات العراقية المختلفة العمل على تغيير الحالة القومية في محافظة كركوك, مستعينة في البداية بشركة النفط التي باشرت اعمالها بادارة بريطانية صرف عام 1925, و ذلك باستخدام اعداد كبيرة من العرب و الاشوريين و الأرمن, الذين جلبوا من المحافظات الاخرى[38]. ثم اصبح العمل على تغيير الحالة القومية في مدينة كركوك بوجه خاص, و محافظة كركوك و المنطقة الكردية بأسرها, سياسة ثابتة لجميع الانظمة العراقية التي تعاقبت على حكم العراق منذ انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963, و خاصة منذ الانقلاب البعثي الثاني في تموز (يوليو) 1968.

و لأجل توضيح ابعاد هذه الحملة و المراحل التي مرت بها, نصنف مراحل تعريب منطقة كركوك الى ثلاث فترات هي:

أ-فترة الحكم الملكي.

ب-فترة الحكم الجمهوري الاولى (1958-1968).

ج-فترة الحكم الجمهوري الثانية (1968 و حتى الآن).

أ-فترة الحكم الملكي

ألحقت ولاية الموصل العثمانية التي تشكل منطقة كركوك جزءاً أساسياً منها بالمملكة العراقية في نهاية عام 1925. و كان الملك فيصل الأول قد قام بزيارة لمدينة كركوك, بعد زيارته للموصل في كانون الأول (ديسمبر) 1924, بهدف حث ابناء المنطقة على المطالبة بالانضمام الى الدولة العراقية الجديدة. و أتخذت الزيارة المذكورة مناسبة لرفع العلم العراقي على مباني الدوائر الرسمية في اللواء. و كانت الادارة في هذا اللواء بيد الضباط السياسيين البريطانيين, يعاونهم في ذلك الموظفون المحليون الذي كان معظمهم من التركمان السنة. و قد استمروا في اشغال وظائفهم الحكومية حتى بعد إلحاق اللواء بالمملكة العراقية. و لكن الحكومات العراقية المتعاقبة دأبت بعد ذلك اسناد المناصب الاساسية في اللواء, كمنصب المتصرف (المحافظ), و منصب قائد الفرقة الثانية في الجيش العراقي بعد إتخاذ كركوك مقراً لها, الى العرب في أغلب الأحيان. و قد عملت الحكومة العراقية منذ البداية بالتعاون مع شركة النفط البريطانية العاملة في كركوك, على جلب أعداد كبيرة من العمال من المحافظات الاخرى لاستخدامهم فيها, و من ثم إسكانهم في المدينة.

دور شركة النفط في تغيير الحالة القومية في مدينة كركوك

كان اكتشاف النفط بكميات كبيرة في منطقة كركوك سبباً لالحاقها كجزء من ولاية الموصل العثمانية بالدولة العراقية الجديدة. و كانت آثار وجود النفط في منطقة (بابا گرگر) واضحة منذ القديم. و كان الجيش العثماني يقوم باستخراج النفط بوسائل بدائية في المنطقة المذكورة منذ عام 1639, بهدف استعماله للاغراض المحلية. الا ان الاستثمار المنظم لحقول النفط في كركوك لم يبدأ الا في آذار (مارس) 1925 من قبل شركة النفط التركية (T.P.C) التي كانت قد تأسست في عام 1914, و منحت حق استثمار حقول النفط في ولايتي الموصل و بغداد من قبل الدولة العثمانية. و قبل نهاية عام 1925 بدأت الشركة المذكورة التي كانت لبريطانيا حصة متميزة فيها بالابحاث الجيولوجية و مد طرق المواصلات و انشاء بعض البنايات الضرورية. و استعانت الشركة منذ البداية بخدمات (50) بريطانياً و (2500) عراقيا. و قد باشرت الشركة اعمالها في منطقة قريبة من (دوزخورماتو/ طوز) جنوبي كركوك و افتتحت عمليات الحفر باقامة احتفال كبير حضره الملك فيصل الأول شخصياً في نيسان (ابريل) عام 1927. و تدفق البترول لاول مرة في 27 تشرين الاول (اكتوبر) 1927 من حقل (باباگرگر)المجاورة لمدينة كركوك[39]. و خلال الفترة الواقعة بين 1927 حتى 1931, ركزت الشركة اعمالها على

القيام بحفر الآبار و اجراء الدراسات الجيولوجية, مع تهيئة المرافق الضرورية الاخرى, مثل بناء المستودعات و ورشات العمل و بناء السكن للعاملين فيها, خاصة للاجانب منهم(40). ثم تحول اسم الشركة المذكورة الى شركة النفط العراقية (I.P.C) التي استطاعت في حدود عام 1931 استثمار معظم الاراضي الواقعة في شمال شرقي العراق. و انتقلت ادارة الشركة من منطقة (دوزخورماتو) الى كركوك بصورة نهائية. و بدأت الشركة بتصدير النفط الخام منذ نهاية عام 1934, و افتتحت في كركوك ايضاً عام 1935 خط الانابيب المزدوج لنقل النفط الخام من كركوك الى مينائي (حيفا) و (طرابلس) على ساحل البحر الابيض المتوسط. و قد بلغ الانتاج السنوي لعام 1935 حوالي اربعة ملايين طن, مما جعل العراق في المرتبة الثامنة من بين الدول المنتجة للنفط. ثم ارتفعت سعة الانتاج شيئاً فشيئاً, و كان معظم البترول العراقي و لا يزال يستخرج من منطقة كركوك.

و ترتب على انشاء هذه الصناعات البترولية في كركوك احداث تغيير كبير في الوضع الاجتماعي و الاثني فيها. فقد استخدمت الشركة اعداداً كبيرة من المستخدمين و العمال, قامت بجلب معظمهم من خارج المنطقة. و نتج عن ذلك و خلال فترة قصيرة نسبياً, نشوء احياء شبه مستقلة ضمن الاحياء القديمة في المدينة, او الاحياء الجديدة بالآشوريين و الارمن و العرب و غيرهم, خاصة في المناطق القريبة من منشآت شركة النفط, و كانت نسبة العمال الكرد المستخدمين في الشركة تأتي بعد الآخرين جميعاً. و قد انشأت الشركة مئات الدور للعمال و المستخدمين فيها في بداية الخمسينيات في منطقة أطلق عليها اسم (عرفة Arrafa) أو كركوك الجديدة, و كان معظم شاغلي تلك الدور من الآشوريين و الارمن و العرب و التركمان, مما جعل الكرد يشعرون بالغبن الذي لحق بهم منذ البداية, بسبب استخدام اعداد قليلة منهم في الشركة لا تتناسب مع عدد نفوسهم في المدينة و في اللواء. و هكذا أدى استثمار حقول النفط الموجودة في كركوك و في المناطق القريبة منها الى استيطان اعداد غفيرة من ابناء المحافظات الاخرى في كركوك بصورة دائمية. أما الاجراء الاخر الذي استعانت به الحكومة العراقية لغرض توطين العرب في لواء كركوك, فكان إنشاء مشروع ري الحويجة.

الهوامش:

1-توفيق وهبي, سفرة من (دەربەندی بازیان) الى (ملەی تاسلوجه), مطبعة المعارف, بغداد 1965. ص6.

2-قاموس الاعلام باللغة التركية, تأليف شمس الدين سامي, مطبعة مهران, استانبول 1315هـ/ 1898م, راجع أيضاً, هەلکەوت حکیم, كركوك مدينة النار و النور, مجلة (چریکه/ الصرخة) الصادرة في لندن, العدد الثالث, آب 1984, ص 41, و ما بعدها. أنظر ايضاً الملحق رقم –1- بهذه الدراسة.

3-دائرة المعارف الاسلامية باللغة الفرنسية:
Encyclopedie de Iislam, Nouvelle edition, etablie avec Ie concours des princpaux orientalistes, Tome V, Paris, G.P.Maisonneuve

&Larose; Voir kirkuk, Par g.H.Kramers et TH.Bois, p 149 et suiv.

راجع ايضاً هەلكەوت حكيم, المصدر السابق.

4- G.g.Gadd, Revu. Dassyr. Et dArcheol, Orient, 1926.

5-ليلى نامق جاف, كركوك: لمحات تأريخية, مطبعة خەبات, اربيل بكردستان العراق, 1992, ص18.

6-عبد الرزاق الحسني, العراق قديماً و حديثاً, مطبعة عرفان, صيداً 1956, الدكتور شاكر خصباك, الكرد و المسألة الكردية, بغداد 1959, ص 14-15.

7-طه باقر و فؤاد سفر, المرشد الى موطن الآثار و الحضارة, الرحلة الرابعة, اصدار مديرية الفنون و الثقافة الشعبية في وزارة الثقافة و الارشاد العراقية, بغداد 1965, ص80.

8-د. جمال رشيد احمد, دراسات كردية في بلاد سوبارتو, بغداد 1984, دار افاق عربية للصحافة و النشر, ص 30 و 31.

9-ياقوت الضوئي الجزء الرابع من معجمه, ص 276.

10-توفيق وهبي, نقلاً عن ليلى نامق جاف, المصدر السابق, ص 31-32.

11-هوفمان (G.Hoffman), في مؤلفه باللغة الالمانية, الجزء الثالث, 1880, نقلاً عن دائرة المعارف الاسلامية, ص 147.

12-توفيق وهبي, المصدر السابق, ص 31.

13-تشير الانسكلوبيديا التركية (باللغة التركية Turk Ansiklopedisi) المطبوعة في (أنقرة) عام 1972, في الجزء (20) منها, ص 495-499 الى مهاجمة و تدمير تيمور لنك لمنطقة كركوك عام عام (803 هـ/1403م) في عهد الامارة الجلائرية الكردية و أن المنطقة و جميع القرى التابعة لها مع مدينة (طاووخ Tavuk) التي كانت مركزاً لها, قد دمرت تماماً في أحمد جلايري الكردي, و تذكر أيضاً ان هذه الامارة الكردية تشكلت في كركوك و حواليها عام 564 هـ من قبل (بابا أردلان) المنسوب الى فخذ (مامولي Mamoli) التابع لعشيرة (گۆران) الكردية.

14-محمد امين زكي, خلاصة تاريخ الكرد و الكردستان, ترجمة محمد علي عوني, الجزء الاول, الطبعة الثانية, بغداد 1961, ص 164.

15-المصدر نفسه, ص 166.

16-ورد في الانسكلوبيديا التركية, المصدر السابق, ان كركوك كانت واقعة على طريق القوافل التجارية بين الموصل و بغداد و تبريز, المدينة التجارية الهامة و العاصمة السياسية للصفويين.

17-عبد الرزاق الحسني, المصدر السابق.

18-الانسكلوبيديا التركية, المصدر السابق.

19-الدكتور شاكر خصباك, العراق الشمالي, مطبعة شفيق, بغداد 1973, ص 211, و محمد مجيد عارف, الاثنوغرافيا و الآقاليم الحضارية, بغداد 1985, ص 911.

20-شاكر صابر الضابط, موجز تأريخ التركمان في العراق, بغداد 1962, ص 38 و ما بعدها؛ و زكي وليدي طوغان, المدخل الى التأريخ التركي العام (بالتركية), ج1, ص 187, استانبول 1946, نقلاً عن دراسة أرشد الهرمزي, التركمان في العراق, باللغتين العربية و التركية, من منشورات الحزب الوطني التركماني العراقي, أنقرة 1994, ص 22, و ما بعدها.

21-دائرة المعارف الاسلامية, المصدر السابق, ص 147.

22-المصدر نفسه, ص 147؛ راجع أيضاً الانسكلوميا التركية, المصدر السابق.

23-دائرة المعارف الاسلامية, المصدر السابق, ص 147.

24-المصدر نفسه, ص 147.

25-المصدر نفسه, ص 147.

26-المصدر نفسه, ص 147.

27-أرشد الهرمزي, المصدر السابق, ص 34.

28-طه الهاشمي, جغرافية العراق الثانوية, بغداد 1938؛ و محمود فهمي درويش, موسوعة اليل العراقي

الرسمي, بغداد 1936؛ و فاضل الانصاري, سكان العراق, مطبعة الاديب, دمشق 1970, ص 24, نقلا عن بحث الدكتور خليل اسماعيل بعنوان: التوزيع الجغرافي للتركمان في العراق, مجلة السياسة الدولية, العدد الثامن, اربيل 1993, ص 22.

29-يدعي بعض السياسة التركمان أنهم شكلون إجمالاً ما لا يقل عن عشرة بالمئة من مجمل سكان العراق, دون ان يستندوا في ذلك الى أي إحصاء لو وثيقة تؤيد إدعاءهم. و يضيفون أن عددهم الحالي لا يقل عن مليوني نسمة, و هو عدد مبالغ فيه كثيراً. و لتبرير ذلك يقولون انهم يسكنون الخط المتد من (تلعفر) حتى قضاء خانقين و مندلي, دون أن يذكروا أن تواجدهم في طول هذا الخط محصور في بعض المدن و القصبات و أنهم يشكلون نسبة قليلة من سكانها. فمثلاً لا توجد قرية أو قصبة او مدينة تركمانية أو يسكنها التركمان في طول المسافة الواقعة بين مدينتي الموصل و كركوك التي تبلغ أكثر من 160 كيلومتراً, باستثناء وجود أقلية تركمانية داخل مدينة أربيل لا تتجاوز نسبتها 5٪ من مجموع سكانها, و بضعة الاف تركماني في قصبة آلتون كوبري التي بلغ مجموع نفوسها من الكرد و التركمان بموجب إحصاء عام 1957 (3855) نسمة فقط. إما في محافظة كركوك, فقد بلغت نسبة التركمان فيها 21.4٪ من مجموع سكانها بموجب إحصاء عام 1957, و أقل من تلك النسبة بموجب الاحصاءات اللاحقة. و تعيش حالياً في مدينة بغداد جالية تركمانية تقدر بعشرات الالوف, شأنها في شأن ذلك شأن الجالية الكردية (التي تقدر بأكثر من نصف مليون نسمة) و آشورية و غيرها. و قد انتقل معظم الكرد و التركمان منذ نهاية الخمسينيات, بسبب ظروف القتال شبه المستمر في كردستان منذ ذلك الوقت و حتى آلان, لأسباب اقتصادية و وظيفية.

30-التوزيع الديني للسكان في العراق. إعداد مكز الاعداد و التطوير الثقافي في مديرية الامن العامة (محدود التوزيع), بالاعتماد على نتائج التعداد السكاني لعام 1977. و كانت هذه الوثيقة السرية من بين الوثائق الكثيرة التي انتقلت الى أيدي القيادة الكردية بعد نجاح انتفاضة آذار 1991 في كردستان العراق.

31-المصدر نفسه, الجدول رقم -4-, ص 25.

32-الدكتور خليل اسماعيل, المصدر نفسه, و كراس التوزيع الديني, المصدر السابق.

33-راجع الجدول السادس عشر الخاص بتصنيف السكان من حيث الجنس و لغة الام في لواء كركوك في المجموعة الاحصائية لتسجيل عام 57, الجمهورية العراقية, وزارة الداخلية/ مديرية النفوس العامة. أنظر (الملحق رقم-2-). قارن ذلك بنسبتهم بموجب إحصاء عام 1977, حيث شكلوا نسبة 16.75٪ من مجموع سكان محافظة كركوك, راجع الدكتور خليل اسماعيل, المصدر السابق, الجدول السابع, ص 29, و الكراس السري الصادر عن مديرة الامن العامة حسب النتائج إحصاء عام 1977, المصدر السابق.

34-الدكتور خليل اسماعيل, المصدر السابق.

35-لقد اسند, منصب رئاسة بلدية كركوك الى عدد من افراد اسرة (طالباني) الكردية في العهدين العثماني و الملكي. ففي العهد العثماني شغل هذا المنصب الشيخ رؤوف طالباني, كما شغل المنصب ذاته في العهد الملكي اخوه الشيخ حبيب طالباني لاكثر من خمسة عشر عاماً, و المحامي فاضل طالباني الذي كان يشغل هذا المنصب لحين اقالته بعد نشوب الثورة تموز (يوليو) 1958. راجع مقالنا: حول الفيدرالية مرة اخرى, جريدة (المنار الكردي) التي تصدر في لندن, العدد الخامس عشر, 13 تموز (يوليو) 1994. و من الوجهاء التركمان الذي أسند اليهم المنصب المذكور, نذكر عبدالرحمن پيريادى عام1920 عندما كانت المدينة تحت الادارة المباشرة للجيش البريطاني, و كذلك شامل يعقوبي في بداية الخمسينيات.

36-كانت الطائرات الحربية الايرانية و العراقية تشن, خلال الحرب التي نشبت بين البلدين للفترة بين 1980-1988, غارات على المدن و القصبات فيهما. و قد تمكنت

المقاومات العراقية المضادة للطائرات من اسقاط عدد من الطائرات الحربية الايرانية فوق منطقة كركوك, و رمى طياروها أنفسهم بالمظلات, دون أن تتمكن الاجهزة العسكرية و الأمنية من إلقاء القبض على بعضهم و أسرهم, فاتهمت هؤلاء يصاحبون المجموعات المسلحة الايرانية أثناء شنها الهجوم على بعض الموقع العراقية القريبة من المنطقة و قد انخرط العديد منهم فيما بعد في صفوف الاحزاب الاسلامية العراقية.

37-فقد جاء في برقية المندوب السامي البريطاني في بغداد المرقمة 543 المؤرخة في 1923/6/1 الموجهة الى وزارة المستعمرات البريطانية ما يلي: "ازى اننا سنسهل مفاوضات الحدود الى درجة كبيرة لو كان بوسعنا ان نعطي تركيا مبدئيا تعهداً رسمياً باننا ننظر لتغيير الظروف, فقد نبذنا فكرة منح الاستقلال الذاتي للكرد الذي تضمنته معاهدة (سيفر) و ان هدفنا هو ان نضع تحت الادارة العراقية و بأقصى ما في طاقتنا كل المناطق الكرية التي تقع ضمن ولاية الموصل من الحدود نتيجة المفاوضات". راجع مقالنا بعنوان: من اجل حوار عربي – كردي صريح يفضي الى حل ديمقراطي, جريدة (الحياة), العدد 11150 في 24 اب/ اغسطس 1993.

التركمان الشيعة في المنطقة باخفائهم و من ثم ايصالهم الى داخل الحدود الايرانية. و قد تعرض نتيجة لذلك عدد من شبابهم للاضطهاد و الاعتقال, فأضطر عدد آخر منهم الى التوجه الى ايران و طلب اللجوء فيها. و احيانا كان بعض من

38-يشير الدكتور احمد نجم الدين في مؤلفه (احوال السكان في العراق), معهد الدراسات العربية, القاهرة 1970, ص 109, المشار اليه في مخطوطة الدكتور محمد هەمەوەندى بعنوان: حقوق الكرد و كردستان في الشريعة و السياسة, يشير الى حصول هجرة كبيرة الى كركوك للعمل في حقول شركة النفط العاملة لاستخراج النفط فيها, و يقدر عدد المهاجرين اليها للفترة ما بين 1947-1957 وحدها بـ(39000) مهاجر. ثم يضيف ان الزيادة في عدد سكان كركوك من سنة 1919 الى 1968 وصل الى خمسة اضعاف ما كان عليه.

39-دائرة المعارف الاسلامية. المصدر السابق, ص 148.

40-المصدر نفسه.

*فصول من كتاب (الدكتور نوري طالباني, منطقة كركوك و محاولات تغيير واقعها القومي) الصادر عن وزارة الثقافة في حكومة اقليم كردستان وفي لندن عام 1995.

في العدد القادم:

- دراسات نقدية
- حوار
- شخصيات كردية
- وثائق

كركوك في عهد الاستعمار البريطاني و العهود التالية

بقلم: الملا جميل روژبیانی*
ترجمة: انور مندلاوي

المقدمة:

في المقال الموسوم بـ(كركوك في العهد العثماني), ذكرت اني أحاول ان اكون مهندسا مساحا, اضع مدينة كركوك امام الكاميرا شبرا شبرا, لأحدد و اثبت اسم كل محلة, زقاق, ساحة, شارع, حديقة, سوق, جامع, تكية, خانقاه, مدرسة, و كل العوائل المعروفة داخل المدينة, و واضح كل ما هو مخفي و غير معروف, لكي يعرف الناس جميعاً ان سكان مدينة كركوك في الفترة الماضية, و في ظل دولة ناطقة بالتركية, كانوا كردا.

نعم في ذلك العهد, و حسب ما ورد في قاموس الاعلام, و التقويم السنوي لولاية الموصل, و تقرير بلدية كركوك, و الاحصاء السكاني لمدينة كركوك الذي اظهر ان مجموع سكانها و قتذاك كان (30000) نسمة, شكل الكرد نسبة ¾ من مجموع السكان اي (22500) نسمة كانوا من الكرد و الربع الآخر, اي (7500) نسمة كانوا من (التركمان و العرب و اليهود و الآشوريين و الأرمن و الكلدان) في تلك الفترة. كانت كركوك مركز كردستان الجنوبية, و حدودها كانت كالآتي: شمالا, الزاب الصغير, و شرقا, جبل حمرين (حدود السليمانية) و من جهة الشرق, نهر سيروان, و من جهة الغرب, جبل حمرين (حدود ولاية بغداد). و قبل ذلك, كانت كركوك عاصمة لمنطقة شهرزور لكن الدولة العثمانية التي قضت على امارة بابان سمت الاقليم بـ(ولاية الموصل).

قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى, لمس الكرد في اسطنبول بأن دور الخلافة الاسلامية قد انتهى, و ان الدور هو للحكومات القومية, لذلك عقدوا تحالفا مع الشخصيات العربية لتقرير مصير الطرفين.

عندما اندلعت الحرب العظمى الأولى 1914, هاجمت بريطانيا المناطق الخاضعة للحكم العثماني, و احتلت مدينة البصرة, فطلبت السلطات العثمانية, باسم الاسلام و الجهاد ضد الكفار من رؤساء العشائر العربية و الكردية الاستنفار و التصدي للعدو, و لذلك حشدت العشائر العربية و الكردية قواها.

لبى الشيخ محمود الحفيد الذي كان في ذلك الوقت اشهر قادة الكرد النداء, و اظهر استعداده, و طلب من رؤساء عشائر (سماعيل عوزيري, روغزايي, هماوند, شيخ بزيني, صالهيي, بيباني, شوان, قره حسن, جباري, شيخان, داوده, زنگنه, بيات, جاف, و العشائر الأخرى) ان يحشدوا الفرسان تحت امرة (سيد احمد خانقاه, سيد محمد سيد حمد الجباري, محمود خدر هماوندي, كريم فتاح بگ, شيخ قادر شيخ رضا, و الاغوات و الشيوخ و البيگات و الشخصيات المعروفة الاخرى).

تمكن الشيخ محمود من جمع الف فارس و توجه بهم الى صحراء الشعيبة و الى اطراف مدينة البصرة.

الدولة العثمانية التي ادارت ظهرها للخلافة الاسلامية, و اخذت تشجع التوجهات (الطورانية – التعصب الأعمى للعنصر التركي) اكثر فأكثر, انقلبت عليها الشعوب التي كانت تحت سيطرتها, و كما يقال: لم يبق منها الا رسمها. هذه الدولة المريضة المحطمة التي كانت تعاني من سكرات الموت, ارادت انقاذ نفسها بالاتكاء على الآخرين. اما جيشها المفكك الذي اختل توازنه, فقد ظن قادته انهم باعتمادهم على الفرسان العرب و الكرد سيعيدون التوازن اليه, لكن هيهات!

فالفرسان الكرد الذين تاهوا في صحراء الشعبية بدون ماء و طعام و سلاح مقارنة بما يملكه عدوهم المتربص بهم من سلاح و امكانيات, اصبحوا تحت رحمة قذائف المدفعية و انفجارات الألغام و ازيز الرصاص. هؤلاء الذين كانوا ابطال الجبال و محاربين اشداء في ظلها و حمايتها, ضاعوا في الصحراء, و قدموا شهداء كثيرين, و لم تفدهم "الأدعية الدينية" و الهوسات التي تقول (ثلثين الجنة لها الدنيا, و ثلث لاولاد كاك احمد و لكراده) و لم يسعفهم و عيد و زعيق شعراء العرب (طوبك احسن لومگواري) و لم تساو الأناشيد و الأغاني الفلكلورية الكردية (هوره, فتار الله ويسي) حتى ورقة من العملة المزورة. لقد قدموا الكثير من الشهداء, و جرح الشيخ محمود و السيد محمد جباري و السيد حمدي خانقاه, و ظهرت عليهم علائم التعب و الارهاق فرجعوا الى كردستان.

و بهذه الهزيمة النكراء خرج الكرد من هذه المعركة مقهورين و يائسين اشد اليأس, لكن ما العمل؟!..

في سنة 1917 ثاروا لهذا العار الذي لحق بهم. شن الجيش الروسي (عوروس) هجوما سالكا طريق كرمنشاه – خانقين و وصل خانقين, و من طريق (اورمية – مهاباد) و احتل (مريوان). و نتيجة لهذه الأحداث, بدأ قادة الكرد بحشد قواتهم بقيادة الشيخ محمود, و توجهوا الى مريوان و تمكنوا من دحر قوات الجيش الروسي (عوروس) و قتل و اسر الكثير من افرادها, و غنموا اسلحة و عتادا كثيرا.

وصف الشيخ عبد الحميد كاني مشكاني, وصفا حماسيا مؤثرا مجريات هذا النصر بقصيدة شعرية باللغة العربية سماها (لامية الكرد), كانت تنبعث من ابياتها و كلماتها شرارة الثورة.. في هذا الوقت وبعد احتلاله لبغداد, توجه الجيش الانكليزي نحو كردستان, و وصلت طلائعه الى (قەرەخان – جلولاء) و اقام معسكره فيها.. و وزع بيانا في جميع ارجاء البلاد و رد فيه (الحكومة البريطانية لا تسعى الى احتلال البلاد و انما الى تحريرها من ظلم و جور العثمانيين) و بهذا اراد ان يطمئن الناس, ليتخلوا عن المقاومة و السلاح.

في هذا الوقت شكل (ما يسمى) بالخلافة الاسلامية في مدينة (مندلي) حكومة محلية. و في خانقين التجأ مصطفى بگ باجلان الى السلطات البريطانية, و اشترك في الحرب ضد الروس (عوروس) و تبين لـ(ويلسن) الحاكم البريطاني العام في العراق, انه ليس بالامكان احتلال كردستان بالسهولة التي كان يتصورها..

لكن بوساطة تقارير غلام حسين (ميجرسون) السرية الذي كان يكره الشيخ محمود بدون مبرر.. ان سياسة الأمر الواقع فرضت نفسها على العدو, حيث دخلوا و عن طريق مؤيديهم, حوارا مع الشيخ محمود, و تعهدوا بتشكيل حكومة في كردستان شبيهة بالحكومة التي ستشكل للعرب, خاصة بعد ان لمسوا مرونة لدى الشيخ محمود احيت عندهم املاً..

تقدم الجيش الانكليزي نحو كركوك التي انسحبت القوات العثمانية منها في يوم 7/مايس/1918, مما سهل له دخولها و احتلالها. و في هذا الوقت, كتب الشيخ محمود الحفيد رسالة الى (ويلسن) و ارسلها الى عبد الله اليعقوبي في كركوك, الذي كان من المؤيدين تأييدا مطلقاً للانكليز, ليوصلها بدوره الى (الجنرال مارشال) القائد الانكليزي الذي احتل كركوك, لكن الذي اثار الدهشة و الاستغراب, ان الجيش الانكليزي, انسحب من كركوك بعد (20) يوما من احتلاله لها, اي يوم 27/مايس/1918 – الى "طوزخورماتو". و لكي يبرهن عبد الله اليعقوبي على تعاطفه و اخلاصه لـ(العثمانيين), سلم رسالة الشيخ محمود (تلك) الى القائد العثماني الذي رجع الى كركوك, لذلك اصدر خليل باشا امراً سرياً الى قائد الفوج العثماني الذي كان موجودا الى ذلك الوقت في السليمانية – يقضي

بالقاء القبض على الشيخ محمود و ارساله الى كركوك مخفورا.

و صل الشيخ محمود الى كركوك, و بوصوله صدر بحقه حكم الاعدام, لكن ارادة الله و دعوات الكرد كانت الى جانب الشيخ محمود, حيث اعلن وقف اطلاق (موندس - Mondus) للنار.

رجع علي احسان باشا الى الموصل, و اصدر اوامره باطلاق سراح الشيخ محمود و ارجاعه الى السليمانية بكل احترام و تقدير و ليصبح هناك حاكما على كردستان باسم العثمانيين, و وضعت القوات العثمانية الموجودة فيها تحت امرته, و بذلك اصبح الشيخ محمود – و لمدة عدة اشهر – باسم الدولة العثمانية, حاكما او متصرفا للسليمانية..

اعلنت القوات الانگليزية عن احتلال كركوك, هذه المرة, في 28/تشرين الأول/1918, و تمكن الشيخ محمود عن طريق (سادة كفري) من تبادل الرسائل مع (ويلسن) الحاكم البريطاني العام في العراق و طلب منه ارسال وفد للتفاوض و الحوار.

رغم ان (ويلسن) كان يكره الشيخ محمود بسبب التقارير السرية التي كتبها (غلام حسين - ميجرسون) ضد الشيخ محمود, لكنه من اجل الدخول الى كردستان, كان مضطرا للتنازل للشيخ محمود, لذلك ارسل وفدا برئاسة (الميجرنوئيل), و لم يذهب الوفد الى السليمانية مباشرة, لوجود القوات العثمانية فيها, و انما ذهب الى (داريكلي), و ارسل الشيخ محمود مجموعة من رجاله لاستقبالهم و ايصالهم الى السليمانية.

و في اليوم الأول / تشرين الثاني/ 1918, احتشد امام سراي السليمانية الوجهاء و الشيوخ و الملالي و البيگات و الاغوات و التجار و سراة الناس من اهالي السليمانية, و القى فيهم (الميجر نوئيل) كلمة مطولة بالفارسية, تناول فيها قضية تحرير الشعوب من الحكم العثماني وفي ختامها قال: تقرر ان يكون جناب الشيخ محمود برزنجي ان الشيخ سعيد حفيد كاك احمد - حكمداراً.

هذه التسمية (حكمدار) جاءت من تسمية الانگليز لرؤساء الاقاليم في الهند (راجا و حكمدار و بهادور).

و بتثبيت (حكمدارية) الشيخ محمود (من قبل الانگليز, ارسل الشيخ محمود القوة العثمانية المتبقية في السليمانية بجميع اسلحتها و اعتدتها الى كركوك, و من هناك قام الجنرال مارشال بارسالها الى الموصل و عندما علم قادة كردستان و رؤساء العشائر فيها بهذا النبأ توجهوا الى السليمانية فرحين مسرورين للتهنئة و تقديم الولاء جماعات جماعات.. بهذا ننهي هذه المقدمة.

كركوك في ظل الاحتلال الانگليزى:

عندما احتلت القوات الانگليزية مدينة كركوك, تذكر اصحاب الشأن اعوانهم, و لهذا الغرض وصل الى كركوك (غلام حسين - ميجرسون) و اتصل بمسيحيي "القلعة" و بعض اليهود و اصدقائهم, و

كذلك بـ(جيمان) الذي كان يعمل منذ فترة طويلة كعامل في مطاعم المدينة.

في بداية الأمر, عين الجيش الانكليزي, كما هو جار في ظل الحكم العسكري, حاكما انكليزيا لكل مدينة و قضاء, و كان اهل المدن و القرى قد تعرضوا للسلب و النهب من قبل القوات العثمانية, و كان الجوع و الغلاء الفاحش قد قتل المئات من الناس, و جلب الجيش معه كميات كبيرة من الحبوب الى داخل المدينة, و اصبح الفقراء و المحتاجون حراسا و مراقبين على الطرقات كجباة للضرائب و كذلك على الجسور و القناطر. كانوا يأخذون عن كل حمار غير محمول فلسين, و المحمول (4) فلوس. هذه الضريبة الجديدة علمت الناس الحيلة و الكذب. احدهم اراد ان يتخلص من هذه الضريبة او من جزء منها بوضع حمل الحمار على كتفيه, وساق الحمار امامه, ففطن "الجابي" لحيلته و اخذ منه (6) فلوس بدلا من (4), حيث اعتبره (حماراً بحمل) و حماره بدون حمل.

اما في خارج المدينة, فكانت الضريبة تفرض على الحيوانات, فكل رأس من الغنم او الماعز تؤخذ عليه (4) عانات, لذلك اخفى الناس حيواناتهم خشية من هذه الضرائب, فأوكل الانكليز جباية هذه الضريبة للاغوات و رؤساء القرى بـ(المقاولة), فأصبحت حياة الناس اكثر مرارة و بؤسا, حيث كان مراد بگ مبارك, آغا عشيرة "گيژ" (قومسيرا – مندوبا) يهاجم كل ساعة قرية على رأس مجموعة من فرسان الـ"ليڤى".

كانت دائرة الشرطة "پوليسخانه" في كركوك و التي كان يديرها احد الانكليز في "خان" يقع على الجانب الشرقي من نهر "خاصة" قرب "اشك ميدان" و قد فتحوا بيتا "للدعارة" لافراد شرطتهم و جنودهم في خان قريب من دائرة الشرطة (پوليسخانه) هذه, في الوقت الذي كانت ابواب الجوامع لا تفتح الا في اوقات الصلاة و تمنع مجالس الارشاد و المواعظ المسائية.

تأزم علاقات حكومة الشيخ محمود مع الانكليز

حكومة الشيخ محمود التي كانت امل جميع الكرد, و التي لم تكن تصل حدود سلطتها الى چمچمال – تأزمت علاقاتها مع الانگليز و لما يمض على تشكيلها سبعة اشهر.. و وقعت معركة دربندبازيان, حيث خسرت القوات الكردية المعركة و جرح الشيخ محمود فيها بالقرب من (بەردە قارەمان – صخرة الابطال) و لكي لا يتعرف عليه الاعداء وضع اكمام قميصه الطويلة على وجهه, لكن (مشير حمه سليمان) كشف عن شخصيته و دل اعداء عليه, و بذلك لوث سمعة "هموند".

و مما يثير الاستغراب و العجب ان يحاول بعض كتابنا في هذا العصر تبرئة ذمة (مشير)

من تلك الجريمة, و الذي يشهد الشيخ محمود بنفسه ضده.

في شهر تموز عام 1919, اخذ الشيخ محمود الحفيد و الشيخ حمه غريب اسيرين الى بغداد, و مثل امام القضاء الانكليزي, و شهد بعض الخونة من الكرد المأجورين ضده, و حكم على الشيخ محمود بالاعدام, لكن الحكومة البريطانية خيبت رغبة الحاكم ويلسن, و غيرت حكم الاعدام الى النفي الى جزيرة "هانداندمان" الهندية.

بنفي الشيخ محمود الى جزيرة هاندامان الهندية ثار الشعب الكردي من مندلي جنوبا الى زاخو شمالا

عندما سمع الشعب الكردي بهذا النبأ, ساد صفوفه الهيجان فورا, و من مندلي جنوبا الى زاخو شمالا, بدأ بالتحرك و الثورة.. في هذه الاثناء, و من اجل اخماد الروح الثورية و القضاء على الثورة, عمد الانكليز الى تشكيل ادارة محلية.. ففي ناحية (قره حسن) التابعة لـ(كركوك) عينوا الشيخ حبيب طالباني رئيسا, و في منطقة قادر كرم عين الشيخ محمد بن عبدالكريم قادر كرم رئيسا, و في "گل" عين الشيخ جلال بن الشيخ حميد رئيساً, و في كفري عين الشيخ حميد طالباني نائباً للقائممقام و اصبح عبد الكريم آغا رئيساً لزنگنه, و في شيروانه عين كريم فتاح بگ الجاف رئيسا..الخ.

و لكن هذه التعيينات لم تحل المسألة. في كردستان الجنوبية كانت (الطريقة القادرية) تعود الى (كاك احمد, الشيخ فتاح عودلان, الشيخ كريم كسنزان, الشيخ غفور چرچه قلا, الشيخ حسن قره چيوار) و كلهم كانوا خلفاء لـ(كاك احمد). الغريب في هذه الطريقة لم تكن عملية الضرب بالسيوف و ابتلاع النار الملتهبة, بل كان في شيوخ كسنزان و شيوخ چرچه قلا الذين اعطوا الاذن بأنفسهم لدراويشهم, ليضربوا السيوف و يبتلعوا النار و يمسكوا الأفاعي و الثعابين.. حيث ارسلوا مجاميع متتالية من الدراويش الى كركوك و السليمانية. مروا بالطرقات و الاسواق, و هم يمارسون الألعاب و الضرب بالسيوف و هم في طريقهم الى سراي الحكومة.

التجأ الحكام الانكليز في هذه المدن الى الأماكن الامينة, و اخفوا انفسهم فيها و اوعزوا الى تابعيهم للإعلان عن فتح ابواب الجوامع, و السماح للخطباء فيها بالقاء خطبهم و مواعظهم و امروا بغلق بيوت الدعارة. و بهذا الشكل تم اسكات الضجة التي احدثها الدراويش.

لم تشترك التكية الطالبانية في هذه الثورة, فهم منذ ان سلك الشيخ احمد هيندي ملا محمود زنگنه, جدهم الاكبر طريق الوشاية بالآخرين, بايعوا الانكليز, كذلك الأسر النقشبندية المعروفة و الخانقاهات. منذ ذهاب العالم الديني الاكبر للكرد (مولانا خالد مكايلي الى الهند و دراسته و تربيته فيها ثم رجوعه الى كردستان, اصبح هو الذي يرشح الرجال الكرد للخلافة, امثال الشيخ عثمان بيارة, و السيد احمد رئيس (سرگلو) و الشيخ طه الشمزيني النهري و عيسى البندينجي (مندلي). و يبدو انه فكر منذ ذلك الوقت بتشكيل ادارة واسعة, لكن

امـراء بابـان و والـي بغـداد ضـللوا بعـض الشـيوخ و الملالي السذج من الذين لم يكونوا يعرفون مـن امـور دينهم و دنيـاهم أي شـيء. لـذلك كـان هـؤلاء و منـذ ذلك الحين خانعين مستسلمين لهم..

القوات الانكليزية الغازية تشن هجمات وحشية على المدن و القرى الكردستانية:

بـدأت القـوات الانكليـزيـة الغازيـة بشـن هجمـات وحشية لالقاء القبض على الشيوخ اقترنـت بممارسـة عمليـات للسـلب و النهـب.. لـذلك وصـل الشـيخ قـادر كسـنزان الـذي عـرف بـــ(تهيلـه رەش) الى منطقـة هـوران الحصـينة القريبـة مـن الحـدود الايرانيـة, و احرق السيد محمد جباري منطقة (جەم سورخاو) و تمكن كريم بگ فتـاح بگ هماوندی مـن الاغـارة على القوات الانكليزية في چمچمال و قتل عددا من افرادهـا, و سـيطر بـرايم خـان الـدلو علـى مدينـة كفري, و قتـل عـددا مـن الانكليـز. و وصـلت اعمـال الشـغب و الفوضـى الى العماديـة و زاخـو و پشـدر و راونـدوز.

في هـذا الوقـت بالـذات تمكـن افـراد مـن بقايـا الجـيش العثمـاني المـتخفين البائسـين بقيـادة (علـي شفيق اويـزدمير) مـن الوصـول الى راونـدوز ليجعلـوا الثورة الكرديـة آلـة لخدمـة الخلافـة العثمانيـة. و في هذه الاثناء بدأت القوات الجوية الانگليزيـة بـالهجوم و قتل الابرياء في منطقـة قرەحسـن, حيـث قصـفت في محور جباري هذه القرى (سياه منصور, فـەزراوا, تەكيـــە, حـــەمك, نـــانگول, شـــيردەرە, حـــەفتا چـەشمە,... و اخـرى) و كـذلك قـرى: هەمامەنـد, تاقوولە, كانى گەورە.

ذهـب احـد حكـام الانگليـز في المنطقـة الى محمـود خـدر (كـان مـدير شـرطة سـابق - تـايور آغـاس - للموصل و كان و قتذاك طاعنا في السن) ذهـب اليـه و طلب منـه دفـع (10) آلاف روبيـة كجـزاء, و بكـل رباطة جأش, وقهقهات عالية, دخـل الى داره و جلـب "لحافا باليا" و سلمه الى الحاكم السياسي و قاله لـه: خذ قطن هذا و ارسله الى لندن ليصنعوا منه اوراقا نقديـة.. خـذ الـ(10) آلاف روبيـة الـتي تطلبـون, و اعطوا البقية الباقية منها لأولادي بعد موتي!؟

انـدهش الحـاكم السياسـي مـن شـجاعة و جـراءة محمـود خـدر, و رجـع خائبـا مـدحورا الى چمچمال "ايد ورە و ايد. گدام" كما يقول المثل العامي.

كـان رؤسـاء عشـائر المنـاطق المحيطـة بكركـوك الذين التجأوا الى راونـدوز يـرجعون بين حين و آخـر الى اطراف كركوك سـرا, و يغيرون بصـورة مفاجئـة على مواقع القوات الانگليزية من اجل ارعاب الحكام السياسيين الانگليز و ينسحبون بسـرعة. بعـض مـن صـعاليك هماونـد الـذين عرفـوا بــ(پيسـتە خـور – آكلـي الجلـود) كـانوا يسـلبون الكـرد باسـم الثـورة, و يسرقون مواشي الفقـراء و ينهبـون ممتلكـاتهم. هـذا من جهة, و من جهة أخرى, فقد كـان مـدير شـرطة كركوك الذي كان كولـونيلا انگليـزيـا مشـغولا فقـط بحرق القرى.. و قـد الـف الشـيخ نجـم الـدين صـابر,

قصيدة رائعة حول هذا الموضوع منتقدا نقدا لاذعا سلوك الحكام المتسمة بالقسوة و الشدة و تصرفات الثوار الذين سموا آنذاك "بقطاع الطرق".

مثلما قلت سابقا, عينت الحكومة ملا رضا, مديرا للاوقاف, و ملا علي حكمت قاضيا, و سيد حسن موفتيا, و ملا قادر امام قاسم مديرا للمدرسة العلمية (والذي انقطع عن خانقاه سيد احمد) و ارسلت حسين آغا النفطجي و خير الله افندي و عدداً آخر من الاشخاص الى بغداد, و اخفى الشيخ قادر سياه منصور نفسه عن الأنظار.

ثورة الشعب الكردي و انتفاضة العشائر العربية:

نعم في هذا الوقت الذي ثار فيه كل الشعب الكردي, و انتفضت العشائر العربية في النجف و كربلاء ضد الانكليز, و قطعوا خطوط السكك الحديدة.. و جرت مظاهرات داخل مدينة بغداد و وزعت البيانات و المنشورات فيها, في هذا الوقت بالذات عمد الانكليز الى تشكيل حكومة محلية برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب للقضاء على الثورة, و كان من بين وزرائه اثنان من اهالي كركوك, هما عزت پاشا صاري كهيه و جعفر عسكري ابن مصطفى پالهوان ابن ملا عبد الرحمن عسكري من محلة پيريادى. الاول كان من الترك, و الثاني من الكرد الذين انقلبوا على اهلهم و قوميتهم.

الكتاب و الشعراء و الخطباء رفعوا اصواتهم عاليا معلنين "ان الانكليز عندما جاءوا الى هذه البلاد "ادعوا" انهم جاءوا ليحرروا الشعوب من "دكتاتورية الخلافة", لكنهم بدلا من ذلك وضعوا الناس في "الاقفاص", و جعلوا حياتهم سجنا كبيرا, و مع ذلك اتاح الانكليز في ذلك الوقت المجال لعدد من الصحف "العربية و الكردية" بالصدور, و كانت الدراسة في المدارس الموجودة ببغداد باللغة العربية, و كذلك المعاملات و المخابرات الرسمية في العراق كانت باللغة العربية, لكن "المتنورين" الذين رجعوا من اوربا, طالبوا بالحرية و الاستقلال, لذلك اضطر الانكليز الى تنفيذ وعودهم التي قطعوها للملك "فيصل بن الملك حسين" الذي ابعده الفرنسيون من سوريا.

تنصيب فيصل بن حسين ملكا على العراق:

اعلن في العراق بأن الملك فيصل سيصبح ملكا على العراق, و في نفس الوقت تشكلت في "السليمانية" هيئة لادارة شؤون المنطقة, فيما ظلت الثورة الكردية مستمرة.

في الوقت الذي كانت دول الحلفاء تريد فرض حقوق الكرد في ادارة نفسه على الدولة العثمانية, حسب ميثاق "عصبة الامم", بما في ذلك حق انشاء دولة خاصة بهم و الانفصال عن الدولة العثمانية. كان الانكليز يريدون انشاء سلطة في منطقة ما في كردستان, لكي يجعلوا منها عصا غليظة يرفعونها بوجه العثمانيين كلما طالبوا بولاية الموصل.

استمرت حكومة "النقيب" في بغداد التي كانت تحت مراقبة المندوب السامي في ادارة شؤون الدولة

الى 11/تموز/1921, الى ان انتخب الملك فيصل ليكون ملكا على العراق.

حدود العراق في التاريخ القديم:

كانت حدود العراق في التاريخ القديم تمتد من (البصرة) الى (تكريت) و من (حديثة) الى (حلوان), و كان الانكليز يرغبون في اضافة (ولاية الموصل) اليه. و عندما طلب من الناس المبايعة و الموافقة على ذلك و قفت السليمانية و كركوك ضد هذه الفكرة, و لم يشترك سكان المحافظتين هاتين في تلك (البيعة). اما (اربيل) و (الموصل) فقد وعدتا بتأييد الفكرة بشرط تحديد حقوق الاقليات, و توضيح مصيرها. و منذ ذلك الوقت اصبح العرب في العراق اصحاب دولة, لكن يجب الا ننسى "للتأريخ" ان هذا حصل بفضل دول الحلفاء عندما اسقطت هذه الدول, الدولة العثمانية, لأن العرب الذين كانوا يعدون بالملايين لم يتمكنوا, منذ اسقاط هولاكو للخلافة العباسية من (656هـ – 1258م) الى ذلك الحين, من تأسيس دولة خاصة بهم, بل كانوا يئنون تحت ظل الاحتلال الاجنبي, و لم يثوروا مرة من اجل حريتهم.

و حكم (التتار و الايلخانيون و الجلائريون و الاقفوينلويون, و القرقوينليون و الصفويون و العثمانيون) اكثر من 650 سنة, بلادهم, و بدلا من العمل على نيل الاستقلال و الحرية, كان شعراؤهم مشغولين بمدح القادة الاجانب. ففي فترة, اصبح فيها بعض (العبيد) ولاة واحداً بعد الآخر, و دخلوا حروبا ضد الكرد في (بابان – سوران - اردلان) كان نصراؤهم و كتابهم يشنون اشنع الهجمات الوحشية على الكرد.

عودة الشيخ محمود من منفاه الى العراق

بعد تأسيس الحكومة العراقية, و تنصيب الملك فيصل ملكا على العراق, و لكي لا يتحرر العرب من "القمقم" الذي وضعوا فيه, و يبقوا مثل "عنزة هياس" كما يقول المثل الكردي, تحت تأثير الخوف, و لمواجهة الثورة الكردية و ميثاق عصبة الامم – اعادوا الشيخ محمود من منفاه في الهند الى العراق, لينصبوه على جزء صغير (من كردستان) حاكما بصورة مؤقتة, اضافة الى مشكلة ولاية الموصل التي ظلت غير محسومة.

ففي يوم 13 ايلول 1921, وصل الشيخ محمود الى بغداد (اي بعد تنصيب فيصل ملكا على العراق بشهرين).

ذهب الشيخ محمود برفقة الحاكم السياسي لمقابلة الملك فيصل, و التحدث معه, و كان يأمل هو ان يكون الشيخ محمود حكمداراً, اي متصرفاً كالآخرين, و عندما بدأ الحوار و النقاش, اصر الشيخ محمود على حقوق الكرد, و عند ذاك قال له الملك فيصل: ليس هناك فرق بيننا. الكرد و العرب شعبان مسلمان, و انت "سيد" و "عربي" مثلي, فرد عليه الشيخ محمود بقوله: الشعور الديني "الاسلامي" يبدأ مع بلوغ سن الرشد, اما الشعور

القومي فهو ممزوج مع الدم, فاذا اعتبرت (عربياً) بسبب انتسابي الى (السادة), فإن نبينا محمدا "ص" الذي يرتبط بـ"ابراهيم و نوح" من حيث النسب و القومية, فيجب ان يعتبر "كرديا" حسب هذا المفهوم.

حسبما يقال: فإن نقاشهما و حديثهما لم يثمرا عن شيء, و لم يؤديا الى اتفاق لكن الانكليز لم يكونوا مستعدين لارجاع الشيخ محمود الى المنفى و الحجز ثانية. عن طريق "سادة كفري" ارسلت برقية الى الشيخ عبدالكريم قادر كرم. تفيد بأن الشيخ محمود سيصل الى كفري, و بدوره ارسل الخبر الى الشخصيات البارزة من كرد منطقة كركوك و السليمانية.

بقي الشيخ محمود عدة ايام في كفري في بيت السيد محسن آغا, و اثناء ذلك توجه "رؤساء عشائر داوده, هماوند, شوان, صالەيى, شيخ بزينى, شيخانى, قره حسن, جباري, شيخان, بەيات) توجهوا الى كفري, و من هناك توجهوا يوم 18 ايلول الى (داريكەلى).

هذه المرة ايضا كان مع الشيخ محمود (الميجرنوئيل) بصفة "المستشار" لكن في الحقيقة كان بصفة "الحاكم السياسي".

الاعلان عن تشكيل حكومة كردستان في السليمانية

بعد استراحة في "داريكەلى", وصل يوم 22/ايلول/1921 الى السليمانية وسط استقبال حار و حافل دام عدة ايام.

و في يوم 1/تشرين الاول/1921 تسلم الشيخ محمود مقاليد الحكم في البلاد باسم (حاكم كردستان), و اعلن عن تشكيل مجلس للوزراء, و عندها توجه معظم رؤساء عشائر (السليمانية و كركوك و اربيل) الى السليمانية للتهنئة و التبريك. (شيوخ الطالبانية, رؤساء داوده, و الكاكائي, ورؤساء شيوخ برزنجة, قره حسن, شيوخ العبيدي, و الحويجة, و شوان, رؤساء جباري, و شيخان, و بيات, و شيوخ كاني قادر, و آوباريك في گل). هؤلاء جميعا توجهوا الى السليمانية, اضافة الى رؤساء هماوند, و الشخصيات البارزة داخل مدينة كركوك.

كان الانكليز ايام حكمهم العسكري المباشر للبلاد, قد عينوا رؤساء العشائر مدراء للنواحي. و في فترة حكم الملك فيصل تأسست الإدارات الحكومية, و كان فتاح باشا متصرفا لـ(كركوك) و كان كردياً.. اصبح بمرور الزمن صاحب معامل كبيرة, و كان مجيد اليعقوبي مديرا للبلدية, و حبيب طالباني مديراً للناحية, و علي افندي صفاملي قائممقام لـ(گل – قادر كرم), و السيد عبد الرحمن جباري مديرا لناحية (ملحة – حويجة).. اما رؤساء العشائر الذين كانوا اميين(لا يقرأون و لا يكتبون) لم يتم تعيينهم كمدراء للنواحي. عندما زار قائممقام كفري منطقة (ناوزنگ) و كان بصحبته "ناجي الهرمزي" الكاتب, سأله عبد الكريم آغا: لماذا لا تعينوننا "كمدراء للنواحي؟", فيجيبه القائممقام: من غير الجائز ان يكون (مدير الناحية) امياً, فيمد "الآغا" يده نحو ناجي الهرمزي قائلاً:

"ان تعينوني مديرا للناحية فسوف أجر شخصاً مثل هذا "الاشعث" لانجاز الاعمال و.. فلم ينس (ناجي) الى يوم مماته هذه الحادثة, و كان الشيخ حبيب طالباني و الآخرون من اصدقائه يذكرونه بها من اجل الضحك و المزاح.

وزارة عبد المحسن السعدون

بعد اعتلاء الملك فيصل العرش, و استقالة وزارة النقيب الثالثة, تأسست وزارة برئاسة عبد المحسن السعدون. كانت لعائلة السعدون علاقات وثيقة مع عائلة "البابان", و كانوا يقدرون الكرد و يحبونهم, فعندما كان عبد الرحمن باشا يقود انتفاضة ضد بغداد, كان سعدون باشا المنتفك و محمد باشا الشاوي يساعدانه.

في وزارة عبد المحسن, اصبح جعفر العسكري سفيراً في لندن, و كان هناك وزيران آخران من الكرد في هذه الوزارة, هما "ياسين سلمان كاكائي" الذي لقب نفسه بـ"الهاشمي" و "نوري ملا سعيد" الذي كان ابوه كاتبا في الاوقاف (سابقا) ثم فتح مدرسة في محلة "الفضل" في بغداد.

هذان الكرديان اللذان تخليا عن (الكوردايەتی - النضال القومي) كانا من اهالي مدينة (كفري), و من اجل التمويه واخفاء حقيقة انتمائهما القومي, قطعا علاقتهما بـ"كفري", لكن عمة "ياسين" كانت زوجة احد كبار رجالات الكاكائية في كركوك.. لا اتذكر بالضبط اكانت زوجة "سيد خليل او سيد ولەد"؟ كذلك كانت اخته زوجة خالد الشيخ علاء الدين بيارەیی النقشبندي.

في كركوك انتخب اعضاء المجلس التأسيسي و هم: الشيخ حبيب الطالباني و حمه سعيد بگ صالەیی, و عدد آخر من الاشخاص. و في السليمانية, ميرزا فرج, و في اربيل, داود الحيدري. و يظهر ان الاثنين الأخيرين كانا موجودين اصلاً في بغداد.

تدهور العلاقات بين حكومة الشيخ محمود و الانگليز

كان في حكومة الشيخ محمود عدد من الاشخاص المثقفين, امثال: مصطفى باشا, و صالح زكي صاحبقران, و ماجد مصطفى. هؤلاء كانوا يعتبرون انفسهم "متنورين", و كانت آمالهم و افكارهم ابعد من غيرهم من الذين كانوا يحيطون بـ"الشيخ".

في يوم من الايام, اشعل مصطفى باشا "سيكارة" و هو في وسط مجموعة من الشيوخ و الملالي. سأل احدهم: هل يرجع هذا "الرماد" تبغاً مرة اخرى؟, و اجابه هذا الملا "صارخا: ان هذا الشخص كافر, انه لا يؤمن بيوم القيامة و يوم الحشر, بهذا الشكل حصل انشقاق بين الناس البسطاء و مجموعة المتنورين الذين كانوا يميلون الى الانگليز على الأكثر. لذلك لم يمض وقت طويل حتى ترك هؤلاء السليمانية ليلتحقوا ببغداد, و أخذ "الميجر نوئيل" رفيق حلمي معه باسم الدعاية لحكومة كردستان..

وتر الانگليز علاقاتهم بـ"الشيخ محمود", و بدأوا بقصف السليمانية, في هذا الوقت بالذات, قام سمكو (اسماعيل خان الشكاك) بزيارة السليمانية, و مرة اخرى اوجدت الدعايات التركية صدى لها بين الناس.

اصحاب "الخانقاهات و التكايا" الذين كانوا اصحاب امتيازات و جاه ايام الخلافة العثمانية, كانوا يميلون الى الترك..

ارسل الانگليز – باسم الحكومة العراقية – ناظم بگ النفطجي الى تركيا, النفطجية كانوا – اصلا- من الكرد و من عشيرة زنگنه.. و قد ارتدوا عن "الكوردايەتی – النضال القومي", كما ارسل الانگليز السيد احمد خانقا يوم 1/آذار/1923 الى البصرة, و كان عملهم هذا خيراً, لأن (خانقاه) السيد احمد, كان مركزا لتجمع كرد كركوك, لكن مع الأسف, عندما ارسل السيد احمد باسم الترك الى البصرة, كان المفروض فيه, و هو من التابعين لمولانا خالد, ان يعمل اكثر من غيره من اجل تأسيس ادارة كردية و ترسيخها, رغم ان الانگليز كانوا لا يرغبون في ان يكون الخط الممتد من مندلي الى سنجار بمحاذاة جبل حمرين, و الذي كان يظن ان فيه منابع للنفط و المعادن الأخرى تحت سيطرة حكومة كردية متشددة لا تخضع لإرادتها و امرها. هذه الرغبة الخبيثة الملتوية للانگليز آنذاك توضحت للكرد عام 1966, عندما نشر السيد (ادمونس) العدو اللدود للكرد رسالة فيها ارشادات لـ(عبد الرحمن البزاز) تلميذ المدرسة البريطانية, كيفية منح الحكم الذاتي للكرد و حدود ذلك.

كان الجيش الانگليزي يتكون من (السيغ و الهندوس و المسلمين الهنود), و كان –فقط- اصحاب الرتب و الدرجات العالية من الانگليز, و كلمة "صاحب" كانت تستعمل فقط عند مخاطبة الناس لكبار رجالات الانگليز. عندما احتل الانگليز العراق, شكلوا قوة محلية من الكرد و "التياريين" الذين اخرجوا من تركيا العثمانية – و اطلقوا عليها تسمية (شبانه – لبي - ليفي). اخذ الانگليز سنة 1923 قوة, من "التياريين" الى الموصل و اسموهم بـ(الآثوريين) بمعنى انهم بقايا الدولة "الآشورية" "الدولة التي تم اسقاطها من قبل الدولة الميدية" قبل (26) قرنا, و محيت من الوجود, و التي مازالت آثارها الى يومنا هذا في اعماق الارض.

هؤلاء احدثوا بلبلة في الموصل فارجعهم الانگليز الى كركوك. و في 4 ايلول 1924 اشعلوا حربا في كركوك ان هؤلاء الذين كانوا يدينون بالمسيحية كانوا كردا في الاصل (اليعقوبيون و النسطوريون) كانوا شجعانا جداً, و لأنهم كانوا مسيحيين فقد تمكنوا من الوصول الى داخل القلعة و بمعاونة اخوانهم المسيحيين الموجودين داخل القلعة. و من هناك جعلوا سكان كركوك تحت رحمة رشقات البنادق الانگليزية. لكن الرجال الموجودين في دار السيد احمد خانقا حموا محلة (شاطرلو) و (اخي حسين) و الحمامات من الهجوم. و من سوء الحظ, كان

الحمام مخصصا في ذلك اليوم للنساء.. في ذلك الوقت كان مراد مبارك الگيژ نائبا لمدير الشرطة, لم يسمح بخروج الشرطة.. استمر القتال في ذلك اليوم الى المساء, و قد قتل عدد من الاشخاص, و جرح (200) شخص.

بعض من "الروژبيانيين" الذين كانوا حراسا و رعاة عند عائلة صالح كولخان تمكنوا من اجبار "التياريين" على ترك مواقعهم التي كانت قرب منارة "نخشينه". و عندما حل الليل تمكن الانكليز من نقل "قوات التياريين" و عوائل المسيحيين و اليهود من داخل القلعة, و في نفس الليلة نقلوا "التياريين" الى منطقة (باني مقان) الواقعة على طريق چمچمال.

ساءت العلاقات بين حكومة الشيخ محمود و الانكليز, و طلب من الشيخ محمود الذهاب الى كركوك, و منها الى بغداد, و لكن الشيخ لم يذهب, تم قصف السليمانية, و تركت القوات الكردية السليمانية و توجهوا الى الجبال.

وصلت القوات الانكليزية "باسم العراق" الى السليمانية, و ظلت لايام تجوب شوارعها جيئة و ذهابا.

في هذا الوقت وصل الشيخ عبد الكريم قادر كرم, الذي رشحه (ادموندز) ليحل محل الشيخ محمود, و صل مع الشيخ عبد القادر "گولله نهمر" و عدد آخر من الفرسان الى السليمانية, و في اليوم الثاني وصل (هنري روبسن) و جعفر العسكري و عدد آخر من الاشخاص بالطائرة الى السليمانية, و نزلوا فيها, و توجهوا مباشرة الى الجامع الكبير لحضور احتفال اقيم هناك, و قد انشد طلاب المدارس فيها نشيداً باللغة الكردية ورد فيه: مقدمك خير ايها المندوب السامي.. و القى احد الحضور خطاباً مليئا بالتهجم على الشيخ محمود, و لقي خطابه تصفيقاً حاراً و تأييداً من اعداء الشيخ محمود..

توجه الجيش الانكليزي و العراقي نحو كهف (جاسنه) لكنهم تراجعوا دون تحقيق هدفهم, و رجع الشيخ محمود الى السليمانية ثانية.

مصطفى كمال يلغي الخلافة و يعلن دولة علمانية في تركيا

في هذه الاثناء تمكن مصطفى كمال و بمساعدة القوات الكردية من احياء مؤسسات الدولة التي انهارت, لكنه الغى الخلافة الاسلامية في سنة 1924, و اسس دولة تركية علمانية لاتينية.

هنا تذكرت شيئا اعتقد انه مفيد في هذا المجال و هو (كتب احد رجالات الكرد البارزين جوابا عن رسالة تلقاها من (نادر شاه قاجار): لا تحارب العثمانيين لأن هذه الخلافة ستدوم الى يوم القيامة, للمحافظة على الاسلام.)

هذا الذي قيل, سواء أكان صحيحاً ام غير صحيح, جاء مصطفى كمال ليذره للرياح بسهامه.

و عندما لم تبق الخلافة الاسلامية, بادر الملك فيصل الأول الى مبايعة "والده" الملك حسين, و سماه

(خليفة الاسلام), ودعا الدول العربية التي تشكلت حديثاً (سوريا, و الاردن) الى مبايعته.

تشكيل المجلس التأسيسي و ربط كردستان بالعراق

ربط الانگليز السليمانية و كركوك بالعراق, و اجبروا الملك فيصل الأول على توقيع بعض الشروط و التعهدات حول حقوق الكرد, لكن كل ذلك كان (حبراً على ورق).

في 22/آذار/1924 اصدر الملك فيصل امراً ملكيا بتشكيل "المجلس التأسيسي", و اصبح عبد المحسن السعدون رئيسا لهذا المجلس, و انتخب من كل محافظة شخص واحد لعضويته و مثل كركوك فيه الشيخ حبيب.

و عندما ناقش المجلس التأسيسي مسألة حقوق القومية الكردية, اراد بعض الاعضاء التصدي لهذه الفكرة باسم الاخوة الاسلامية, لكن عبد المحسن انبرى لهم بكل شجاعة و اجبرهم على السكوت قائلاً: "في العراق عدا العرب هناك قوم آخر و هم الكرد, فإذا لم نفسح المجال امامهم لكي يقرأوا و يدرسوا بلغتهم, فستكون النتيجة وخيمة جداً, لا يجوز ان نعمل مثلما عمل اصحاب السلطة العثمانيون الذين هضموا حقوق القوميات. الاترون ما حل بهم؟!".

وقد ساند ممثل الموصل امجد العمري و ممثل اربيل الملا محمد الكويي, بقوة ما قاله السعدون.

بعد حديث عبد المحسن السعدون, تقرر جعل جميع الكتب المدرسية في مدارس كردستان باللغة الكردية, لذلك ترجم عبدالله عزيز و سعيد كابان و آخرون كل الكتب المقررة الى اللغة الكردية و تم توزيعها على مدارس كركوك و المناطق المحيطة بها.. و على هذا الاساس عين السيد نوري برزنجي (عم فؤد عارف) مفتشا لمديرية معارف كردستان, و كانت دائرته في كركوك. و من هناك كان يشرف على مدارس كركوك و السليمانية و اربيل و اقضية الموصل الكردية.

*المرحوم الملا جميل روزبياني: باحث ومؤرخ كردي.

السالنامات العثمانية
و حكاية الوثائق النادرة عن كركوك

د.جبار قادر*

تشكل السالنامات العثمانية مصدرا مهما لدراسة التاريخ الحديث للبلدان التي كانت ترزح تحت نير الاحتلال العثماني . فقد تضمنت السالنامات العثمانية معلومات غزيرة عن الأحوال العامة في الولايات العثمانية قلما يستطيع المرء الحصول عليها في المصادر التاريخية الأخرى . وقد دأب الباحثون و العاملون في حقل الدراسات التاريخية و العثمانية منها على وجه الخصوص على دراستها و تقويم أهميتها العلمية و إعتماد المعلومات التاريخية الواردة فيها في دراساتهم التاريخية منذ عقود. فقد إعتمد عدد ملحوظ من الباحثين في تاريخ الولايات العراقية في العهد العثماني على المعطيات الواردة في السالنامات العثمانية في دراساتهم التي أعدوها خلال العقدين الأخيرين في الجامعات العراقية. ونشر العديد من الباحثين دراسات عن السالنامات العثمانية و أهميتها التأريخية ((الدكاترة خليل علي مراد ، جبار قادر، عبدالفتاح علي يحيى، علاء كاظم نورس، عماد عبدالسلام رؤوف ، علي شاكر المولى (البشيري سابقا)، فاضل مهدي بيات، إبراهيم خليل و عشرات غيرهم). و يمكنني إيراد قائمة مطولة بعناوين الدراسات و البحوث التاريخية في تاريخ الولايات العثمانية التي إعتمد كتابها السالنامات العثمانية في كتاباتهم (1).

توضح الحقائق المشار اليها أعلاه أن الحديث عن السالنامات العثمانية و المعلومات الواردة فيها عن هذه الولاية العثمانية أو تلك المدينة لا يشكل في حقيقة الأمر إضافة جديدة و كبيرة الى معارفنا دعك عن الحديث عن كشف علمي . مناسبة هذا الكلام هي ما نشره السيد نصرت مردان تحت عنوان ((وثيقة عثمانية نادرة عن كركوك)). يبدو لي و في

هذه الحملة القائمة حول كركوك و محاولات طمس هويتها القومية الكردية تكتسب أية معلومة تاريخية واردة في أي كتيب تأريخي أو أوراق قديمة أهمية كبرى تفوق قيمتها العلمية الحقيقية . كما يبدو لي أن السيد نصرت مردان و الذي تحول أخيرا من الكتابة في القضايا الأدبية و التراثية و التي عرفه القراء من خلالها الى تناول مواضيع التاريخ و السياسة ظن بأنه عثر على مصادر لم يتناوله الكتاب الآخرون . أورد الكاتب معلومات مشوشة عما سماها بوثيقة عثمانية لم يشر سوى الى إسمها و سنة صدروها وهي (سالنامه 1892) . إذا عرفنا حقيقة أن سالنامات مختلفة كانت تصدر في الدولة العثمانية من قبل النظارات (الوزارات) و المؤسسات الأخرى الى جانب تلك التي كانت الولايات العثمانية المختلفة تصدرها بصورة دورية أو شبه دورية، أدركنا صعوبة الاعتماد على (الوثيقة النادرة) بالصيغة التي أوردها الكاتب. تتجلى أهمية الوثيقة التاريخية من خلال دراستها و تمحيصها و محاولة تقويمها تقويما علميا و تحليل المعلومات الواردة فيها و هذا ما لا يمكن القيام به في ضوء المعلومات الفقيرة المعطاة من قبل السيد مردان عن الوثيقة النادرة!

منعا للالتباس و تحميل الأمور أكثر مما تحتمل ولالقاء شيء من الضوء على السالنامات العثمانية و أهميتها لدراسة تاريخنا الحديث و موضوعية المعلومات و المعارف الواردة فيها لا بد من الاشارة الى بعض الحقائق الأساسية المتعلقة بها.

السالنامه مصطلح مركب من (سال) و هي كلمة كردية و ايرانية بمعنى سنة و (نامه) و هي أيضا كردية و إيرانية و تعني كتاب أو رسالة . و المصطلح بمجموعه يعني الكتاب السنوي أو الحولية. و أطلقت السالنامه في الدولة العثمانية على المطبوعات السنوية الرسمية التي كانت تصدرها الوزارات المختلفة في العاصمة و كذلك الولايات العثمانية. و كانت السالنامات تتضمن معلومات عن الدولة العثمانية و سلاطينها و مؤسساتها و تشكيلاتها الادارية المختلفة، و مللها و طوائفها (من الناحية الدينية و المذهبية في أكثر الأحوال و عدم التركيز على الانتماء القومي إلا الى الأقوام و العناصر غير الاسلامية و الخاضعة للسيطرة العثمانية)، و التمثيل الأجنبي، و النظام النقدي، والتقويم السنوي و الأحوال و الوقائع مع أسماء أركان الدولة و كبار موظفيها و الألقاب الرسمية المتداولة في الأوساط الرسمية. والى جانب السالنامات العامة كانت هناك سالنامات تصدرها النظارات (الوزارات) كسالنامات نظارة الخارجية و المعارف و العلمية أو التي تصدر عن الجيش (أوردو سالنامه سى) .

وكانت السالنامات تنتهج نهجا موحدا في تبويب مواضيعها باستثناء بعض التغييرات الطفيفة. فبعد إعلان الدستور عام 1876 مثلا ، أخذت السالنامات تنشر و بصورة دورية ، نص القانون الأساسي (الدستور العثماني) ، حتى بعد حل المجلس و تعليق العمل بالدستور، مسبوقا برسالة التكليف التي أرسلها السلطان عبدالحميد الثاني (1876 - 1909) الى مدحت باشا يطلب منه فيها اعلان الدستور(2). وتوازي السالنامات الكتب السنوية التي تصدرها المؤسسات و الدوائر و الشركات في مختلف دول العالم في عصرنا الحالي .

و تتضمن سالنامات الوزارات تفاصيل عن الوزارات التي أصدرتها و العاملين فيها و تشكيلاتها و النظم و القوانين الخاصة بها . وكانت هناك الى جانب تلك السالنامات، السالنامات التي تصدرها الولايات العثمانية. تشير سالنامة ولاية بغداد الى أن أول سالنامة رسمية عثمانية ظهرت في اسطنبول في عهد السلطان عبدالمجيد عام 1262 هجري (1846 م) بمبادرة من الصدر الأعظم - رئيس الوزراء - مصطفى رشيد باشا و ذلك بعد عودته الى الصدارة العظمى عام 1845. بينما تذكر بأن اول ولاية أصدرت سالنامة خاصة بها كانت البوسنة و بعد ذلك أخذت الولايات العثمانية الواحدة تلو الأخرى تصدر سالنامات خاصة بها. وفيما يتعلق بالولايات العراقية فإن ولاية بغداد بدأت منذ عام 1293 هجري (1876 م) بإصدار سالنامة خاصة بها. أما ولايتا البصرة و الموصل فقد بدأتا بإصدار سالناماتها منذ عام 1308 هجري (1890 - 1891 م) (3). وقدر تعلق الأمر بسنجق كركوك فإن السالنامات الصادرة عن ولاية الموصل تتضمن معلومات مهمة لا بد للباحث في تاريخ المنطقة أن يطلع عليها . ما يهمنا هنا ان ولاية الموصل أصدرت خمسة أعداد من السالنامات الخاصة بها. صدر العدد الأول عام 1308 هجري (1890 - 1891 م) و العدد الثاني عام 1310 هجري (1892 - 1893 م) . أما العدد الثالث فقد صدر عام 1312 هجري (1894 - 1895 م) والعدد الرابع عام 1325 هجري (1907 - 1908م)، أما العدد الخامس والأخير فقد صدر عام 1330 هجري (1912 م) من حقنا أن نتساءل أية سالنامة يشير الى معلوماتها السيد نصرت مردان ؟

و لاعطاء فكرة عن مضامين السالنامات و مقارنتها بما يورده السيد مردان في مقاله، نشير الى المواضيع التي تضمنتها سالنامة ولاية الموصل في عددها الأول : التعريف بالسالنامه ، التقويم السنوي ، الوقائع المشهورة منذ عام 6212 قبل الهجرة و الذي اعتبرته السالنامة عام خلق سيدنا آدم عليه السلام و حتى زيارة امبراطور المانيا الى أسطنبول عام 1889 م ، اسماء الخلفاء الراشدين و الأمويين و السلاطين العثمانيين مع نبذ عن حياتهم و ولادتهم و سنوات وصولهم الى الحكم و اعوام وفاتهم ، كما تضمنت السالنامة قائمة بأسماء الملوك و الأباطرة المعاصرين ، اعقبتها بقائمة اسماء الولاة و المتصرفين الذين حكموا الموصل منذ عام 1591 و حتى عام صدور السالنامة . و حوت السالنامات الألقاب الرسمية و الرتب و الأوسمة و النياشين في الدولة العثمانية. أما الصفحات التالية فقد خصصت لذكر دوائر الدولة و تشكيلات الجيش و الجندرمة و الرؤساء الروحانيين للطوائف غير الاسلامية في الولاية و كذلك مراقد و أضرحة الأنبياء و الأولياء و معلومات عن المعادن و المنسوجات و المحاصيل الزراعية و الجبال في الولاية و الأقاليم التابعة لها . و تناولت السالنامة بعد ذلك موقع الولاية بالدراسة و التمحيص فضلا عن الوحدات الأدارية التابعة و سكانها و مدارسها و وارداتها و مصاريفها . وخصص نصف السالنامة للحديث عن تاريخ الموصل و

جغرافيتها فضلا عن معلومات تاريخية و جغرافية عن الألوية و الأقضية التابعة لها (4).

ورغم أن السالنامات العثمانية تنفرد أحيانا بمعلومات لا تتوفر في المصادر الأخرى ، بيد أن الضرورة تقتضي الرجوع الى مصادر أخرى معاصرة لها لتوضيح بعض الجوانب الغامضة في السالنامات أو تصويب ماورد فيها من معلومات غير دقيقة بل و متضاربة أحيانا . فعلى سبيل المثال تعترف السالنامات بقصورها في تقديم ارقام دقيقة عن عدد السكان و تؤكد بأن أرقامها تقديرية و إن إحصائياتها لا تشمل جميع السكان و بخاصة أبناء العشائر . كما أن الأرقام الواردة في السالنامات تخص الذكور من السكان فقط ، لأن الأحصاء لم يكن يشمل النساء في أغلب الأحوال للأعتبارات الأجتماعية و الدينية السائدة آنذاك.

و حول التركيب القومي لسكان سنجق كركوك اكتفي بالاشارة الى مثال واحد فقط. فقد قدرت سالنامة ولاية الموصل لسنة 1330 هجري (1912 م) عدد سكان لواء كركوك عموما بـ 94588 نسمة و مجموع سكان قضاء مركز كركوك وحده بـ 41137 نسمة معظمهم من المسلمين الذكور. وحسب السالنامه كان الكرد يشكلون أكثرية سكان السنجق (5). وقلما كانت السالنامات تشير الى الانتماء القومي للسكان بل كانت تؤكد دائما على إنتمائهم الديني مع الأشارة الى اللغة السائدة و التي كانت بطبيعة الحال التركية العثمانية في كركوك و غيرها من الولايات الخاضعة للسيطرة العثمانية.

و للتعريف بالتقسيمات الادارية للمناطق التي تدخل ضمن الأراضي المعروفة اليوم بالعراق لابد من الاشارة الى بعض الحقائق التاريخية المعروفة لدى الباحثين و المهتمين بالدراسات التاريخية العثمانية . من الجدير بالذكر ان العثمانيين لم يقوموا بتقسيم البلاد المعروفة اليوم بالعراق الى وحدات ادارية بعد الأحتلال مباشرة، اذ أبقوا على التنظيمات الادارية التي كانت تعود الى عهد الايلخانيين، و لكنهم و بعد مرور فترة من الزمن قاموا بتقسيمها الى وحدات إدارية عرفت بالأيالات، و التي غالبا ماكانت تستبدل بكلمة ولاية، مراعين فيها بعض الأسس و الأوضاع السائدة و بخاصة مايتعلق بالقبائل العربية و الكردية. وكانت الايالة تقسم بدورها الى وحدات ادارية أصغر يطلق على كل منها اسم سنجق أو اللواء التي كثر استخدامها في الوثائق الرسمية العثمانية . وكانت هناك أربع ايالات هي : بغداد و الموصل و البصرة و شهرزور (6). وكانت السناجق تقسم الى أقضية و الأخيرة الى نواح و من ثم تليها القرى.

وفيما يتعلق بايالة شهرزور ، التي عاشت فترة مضطربة من تاريخها و تحولت الى ساحة للصراع العثماني - الصفوي، فقد ضمت في القرن السادس عشر 16 سنجقا ، إرتفع عددها في منتصف القرن التالي الى 32 سنجقا، و التي كان أكثرها عبارة عن قلاع على رؤوس الجبال و عند المضايق المهمة ، وقد اندثر معظمها بفعل الحروب المستمرة بين العثمانيين و الايرانيين أو بين الأمراء الكرد أنفسهم. و من بين أشهر سنجق شهرزور الى جانب كركوك المركز، كانت أربيل، حرير،

كوي ، شمامك، سهل مخمور، أوشنو، سروجك، شهرزور، شهربازار، مركة، هزارمير ، شميران، قرداغ ، قزلجة، انجيران، جبل حمرين و سناجق أخرى لا تعرف مواقعها الآن (7).

ومن الضروري أن نشير الى ان حدود الايالات لم تكن ثابتة بل انها كانت عرضة للتغيير المستمر سواء بسبب التغييرات الأدارية التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية او نتيجة للحروب العثمانية الايرانية و التي كانت ايالة شهرزور من بين أهم ساحاتها.

وتعرض التنظيم الاداري العثماني الى تغييرات كثيرة الى ان استقر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ اصبح العراق الحالي يتألف من ثلاث ولايات : الموصل ، بغداد و البصرة. وكانت ولاية الموصل تضم ثلاث سناجق (ألوية) و هي سنجق المركز و تتبعه أقضية دهوك، زاخو، زيبار، سنجار وعقرة، سنجق شهرزور (كركوك) و تتبعه أقضية أربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، وصلاحية (كفري) . أما سنجق السليمانية فقد ضمت أقضية بازيان ، شهربازار ، قرداغ ، كلعنبر و مركة (8).

كانت مدينة كركوك مركزا لولاية شهرزور العثمانية منذ القرن السادس عشر. وكانت حدود الولاية تشمل الأراضي المعروفة اليوم بمحافظات كركوك ، السليمانية و أربيل . و كان الأمراء الكرد من الأردلانيين و من ثم البابانيين يديرون شؤون الولاية على مدى قرون عديدة . مع زوال إمارة بابان في 1851 أخذت الدولة العثمانية تحكم قبضتها على كركوك . و عندما أعيد تشكيل ولاية الموصل عام 1879 صار سنجق كركوك ضمن حدودها الادارية و استمرت السالنامات و المراسلات الرسمية في اطلاق تسمية شهرزور على سنجق كركوك حتى عام 1311 هجري (1894 - 1895 م) عندما تقرر العودة الى استخدام اسم كركوك بدلا من شهرزور تجنبا للالتباس الذي كان يحصل في المراسلات الرسمية بين شهرزور و سنجق الزور في بلاد الشام (9).

و تتضمن السالنامات العثمانية معلومات كثيرة عن الأوضاع الادارية و الاقتصادية و الاجتماعية و الصحية و التعليمية في الولايات المختلفة و يمكن الاستفادة منها للقيام بدراسات جادة عن تاريخنا الاجتماعي و الاقتصادي بدلا من الانشغال بالبحث عن ما يدعم توجهاتنا السياسية . فقد شهدت الأوضاع السكانية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و غيرها خلال عقود القرن الماضي تحولات كبرى و تغيرت المدن العراقية و زحف الريف على المدينة الى درجة لم يعد بالامكان التعرف على ملامحها . و هناك مدن كان عدد سكانها في بداية القرن الماضي لا يتجاوز 30 ألف نسمة بينما يبلغ عدد قاطنيها اليوم من مليون نسمة . و إذا كانت جماعة من الناس، و لا أقصد جماعة بعينها ، تشكل نسبة 5 أو 10 أو حتى 50 ٪ من ذلك العدد فإنها لم تعد تشكل اليوم في أحسن الأحوال أكثر من 1٪ من هذا العدد الهائل من البشر. خذوا أية مدينة في العراق و كوردستان و قارنوا بين عدد السكان فيها الآن مع عددهم قبل نصف قرن . و إذا أخذتم بنظر الأعتبار بحقيقة تدمير ريف كوردستان و جمع سكانه في مجموعة من المدن و القصبات و المجمعات القسرية

ستجدون العجب العجاب. وفيما يتعلق بسكان كركوك بالذات يشير البعض الى أن زيادة السكان الكرد في المدينة في القرن الماضي جاءت بسبب هجرة سكان ريف كركوك الكرد (من ريف كركوك و ليس من أي لواء آخر) الى داخل المدينة. فما هو تفسيرهم لحالة المدن العراقية الأخرى؟ الم تشهد جميع مناطق العراق ظاهرة الهجرة من الريف الى المدينة ؟ هل بقيت مدينة واحدة في العراق لم تشهد زيادة هائلة للسكان بسبب الهجرة من الريف الى المدينة؟ هل كان الأمر مقتصرا على كركوك و حسب خطة و استراتيجية قومية بعيدة المدى! و ضعها الفلاحون البسطاء الكرد الهاربون من جحيم الأنفالات و حملات الابادة لكي ينجزوا عملية (تكريد!!) هذه المدينة الكردستانية؟ هل يعرف هؤلاء السادة التغييرات الدراماتيكية التي حدثت في تناسب سكان الريف و المدينة في العراق خلال العقود الخمسة الماضية؟ الى متى تبقى الأحلام الدونكيشوتية تدغدغ عقول البعض؟

الهوامش و المصادر:

1- أشير هنا على سبيل المثال الى بعضهم: فقد نشر الدكتور فاضل مهدي بيات دراسة تحت عنوان ((السالنامات العثمانية و أهميتها لتاريخ العراق)) في العدد الثاني - المجلد 17 من مجلة ((المورد)) عام 1988 . كما ساهم كاتب هذه الأسطر بدراسة كان عنوانها ((أربيل في السالنامات العثمانية)) في ندوة عقدتها جامعة صلاح الدين عن مدينة أربيل في يومي 16 - 17 مايس 1990، و نشرت الدراسة في نفس العام في العدد 91 من مجلة ((كاروان)) في كانون الأول 1990 . كما نشر الدكتور عبدالفتاح علي يحيى دراستين (سالنامات الموصل العثمانية مصدرا لدراسة تاريخ السليمانية) - مجلة جامعة دهوك، المجلد (1) العدد (2) و (سالنامات الموصل العثمانية مصدرا لدراسة تاريخ دهوك) في المجلد (3) العدد (1) من نفس المجلة خلال عام 2000. كما شارك ببحث حمل عنوان ((كركوك في السالنامات العثمانية)) في كونفرانس كركوك الذي عقد بأربيل في نيسان من عام 2001.

2-أنظر بحثنا المشار اليه في الهامش (1)، مجلة كاروان، العدد 91 ، أربيل كانون الأول 1990، ص 117. أنظر كذلك: شمس الدين سامي ، قاموس تركي ، درسعادت (استنبول) 1317 ، ص 701 . و كذلك : سالنامه دولت عليه عثمانية ، 1305 سنة هجرية سنه مخصوص فرق اوجنجي دفعة ، معرف نظارت جليله سنك اثر ترتيبدر ، ص 100 - 119 و لمزيد من المعلومات : د . عبدالفتاح علي يحيى ، كركوك في السالنامات العثمانية ، بحث غير منشور ، ص 2.

3-أنظر : بغداد ولايت جليله سنه مخصوص سالنامه در ، يكرمنجي دفعه در ، 1324 سنة هجرية ، مطبعة ولايتده طبع أولنمشدر ، ص 83 . يورد الدكتور فاضل مهدي بيات تواريخا تختلف عن تلك التي أشرنا اليها إذ يذكر ان اول سالنامة عثمانية رسمية صدرت عام 1263 هجري (1847 م) ، كما ان اول سالنامة خاصة بولاية بغداد صدرت برأيه عام 1292 هجري (1875 م) . حول ذلك أنظر : د.فاضل مهدي بيات ، المصدر السابق ، ص 43 - 44 .

4- موصل ولايتي سالنامه سي ، برنجي دفعه ، 1308 هجري ، موصل مطبعه سنده طبع اولنمشدر 1308 هجري / 1306 رومي .

5-موصل ولايتي سالنامه سي ، 1330 ، ص 229 .

6- خليل على مراد ، تاريخ العراق الأداري و الاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638 - 1750 م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد 1975 ، ص 45 .

7-المصدر السابق، 60 -62 .

8-سالنامه دولت عليه عثمانيه، 1302 هجري ، قرقنجي دفعه، معارف نظارت جليله سنك اثر ترتيبدر، درسعادت 1302، ص 74 - 75 .

حقوق الانسان و التنوع الأثني لسكان كركوك

الدكتور منذر الفضل*

تعتبر مدينة كركوك من المدن المهمة والحيوية في العراق تبعا لعوامل متعددة, لعل من أهمها الثروة الطبيعية التي تكمن في باطنها من البترول والغاز الطبيعي وخصوبة أراضيها الزراعية و كذلك لقدم تاريخ المدينة التي تدل عليها شواهد الآثار وما تناقلته الكتب عن تاريخها من بين المدن العراقية , هذا بالإضافة إلى موقعها الجغرافي والتجاري المتميز فضلا عن مميزات التسامح والتعايش والوئام بين الأديان والمذاهب المختلفة والأعراق من الكرد والعرب والتركمان والآشوريين والأرمن , كما ضمت المدينة تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود جنبا إلى جنب حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى هجرة اليهود من العراق بعد ظهور مشكلة فلسطين وقيام الحكومة العراقية بإسقاط الجنسية عنهم . وهذا التعايش والوئام جنبا إلى جنب بين القوميات والأديان ظل قائما رغم محاولات الأنظمة السياسية في العراق اتباع نهج سياسة التمييز والتطهير العرقي وبخاصة سياسة التبعيث في عهدي حكم البعث بفعل النظرة الشوفينية لبعض قادة النظامين من العرب في الفترة الأولى عام 1963 ومن الفترة الثانية 1968-2001. ويعود تاريخ مدينة كركوك إلى آلاف السنين وتشير الدراسات إلى أنها وجدت قبل الميلاد فقد تأسست في زمن (الگوتيين أو الكاشيين 1600 ق.م) وهم أجداد الكرد و كانت تعرف في الماضي بـ(كوركورا) أي نور النار باللغة الميدية القديمة, بينما يرى البعض الآخر أن المقصود بتسمية المدينة ومنذ عهد السومريين (العمل المنظم و الشديد) وهي ترجمة لكلمة (كاركوك), بينما سميت المدينة بأسماء أخرى[1] و لذلك ينصب هذا الموضوع على مسألتين مهمتين لهما صلة بالمجتمع المدني التعددي لعراق المستقبل الذي يجب أن يقوم على التسامح والتعايش والتكافل والتعددية القومية و الدينية و السياسية و المذهبية, و هاتان المسألتان هما الأولى قضية حقوق الإنسان و وجوب احترامها و

الالتزام بمعاييرها الدولية و القانونية و الثانية, هي خصوصية مدينة كركوك في العراق و ما تتميز به منذ القدم من التنوع العرقي للسكان و التعايش و الوئام بين مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والآراء السياسية دون أن تكون هناك أية حساسية أو اصطدام بين السكان إلى وقت ليس ببعيد من الزمان بفعل عوامل متعددة منها التزاوج بين مختلف الأعراق وسيادة فكرة العيش المشترك في الوطن الواحد في ظل مبدأ سيادة القانون ونهج التسامح بين السكان. و بذلك شكلت المدينة في تسامحها وتعايشها بين السكان رمزا من رموز المدن العراقية دون صراع بين أهلها, غير أن هذه الحالة – وللأسف لم تستمر – فقد جرت عمليات كثيرة من الحكومات العراقية المتعاقبة وبخاصة الحكومة الحالية في ممارسة سياسة تعريب السكان أو تبعيثهم (أي بصورة مخالفة Ethnic Cleansing إجبارهم على الانتماء إلى حزب البعث) وممارسة سياسة التطهير العرقي للدستور و القانون والقواعد القانونية الدولية وبخاصة ضد الكرد والتركمان. ولغرض إلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع لابد من تقسيم البحث على ثلاثة محاور وهي:

القسم الأول – القواعد العامة لحقوق الإنسان في حماية الأعراق البشرية.

القسم الثاني – جريمة التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان في كركوك

القسم الثالث – مستقبل مدينة كركوك (التآخي والتسامح والعيش المشترك)

القسم الأول القواعد العامة لحقوق الإنسان في حماية الأعراق البشرية

من المعلوم أن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم, كما أن من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الظلم والاستبداد , فالناس يولدون أحرارا ومتساويين في الكرامة والحقوق (المادة 1 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان).(2) كما جاء في المادة الثانية ((لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر, دون أية تفرقة بين الرجال والنساء....)). أذن فان لكل شخص أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية (المادة 6). وفي نطاق الاتفاقيات الدولية, جاءت نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة 1948واضحة في هذا الصدد في حماية الأعراق البشرية كجزء من سياسة احترام حقوق الإنسان والمعايير الإنسانية الدولية . ويراد بجريمة إبادة الجنس البشري هو التدمير المتعمد للجماعات القومية أو العرقية أو الدينية أو الاثنية, حيث ان التاريخ شاهد على وجود ممارسات خطيرة وجرائم بشعة في التاريخ الإنساني جرت وتجري بصورة واسعة وفي مناطق مختلفة من العالم

فالحكومة الألمانية النازية ارتكبت هذه الجريمة ضد ملايين البشر بسبب دينهم أو اصولهم العرقية وهي من الجرائم التي تمس الأمن الدولي وتهدد السلام والاستقرار في العالم ولا يقبل القول بأن هذه الجرائم هي شأن داخلي للدول وبالتالي لا يحق للمجتمع الدولي التدخل لمنعها ومحاسبة الفاعلين لها(3). كما ارتكبت الجريمة في البوسنة والهرسك وفي كوسوفو وفي أفريقيا. وهذا يعني أن جريمة إبادة الأجناس البشرية هي جريمة عادية (غير سياسية) وهي لا تسقط بالتقادم (مرور الزمان المانع من سماع الدعوى) وان مرتكبها لا يمنح حق اللجوء السياسي و لا يمكن إعفاء الفاعل منها أو من عقابه حتى ولو كان رئيس دولة إذ تتقرر مسؤوليته حسب القانون و لا سيما ان هناك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية , ذلك لان جريمة إبادة الجنس – كالتطهير العرقي والاثني – هي جريمة ضد الإنسانية و تعد من جرائم الحرب إذا ارتكبت أثناء الحرب وكل من الجريمتين هما من الجرائم الدولية International crimes كما أن وصف الجريمة هذا يبقى قائما حتى ولو لم تكن الأفعال المذكورة إخلالا بالقانون الداخلي للبلد الذي ارتكبت فيه, كما لابد من القول ان هناك توافقا يجب حصوله بين (القوانين الوطنية الداخلية) و ((الالتزامات الدولية)) و لا يعد تدخل المجتمع الدولي لوقف الأعمال الإجرامية ضد الأعراق والأصول أو الأجناس الأخرى تدخلا في الشأن الداخلي للبلد الذي تمارس فيه هذه السياسة المخالفة لقواعد حقوق الإنسان. وهذا الأمر يعد قيدا على مبدأ السيادة المطلقة للدولة. لقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن جريمة إبادة الأجناس تدخل تحت طائلة القانون الدولي لأنها من الجرائم الدولية وأيا كان الشخص القائم بها فانه يخضع للعقاب ومن الطبيعي أن وجود الاتفاقية الخاصة بمنع جريمة إبادة الجنس البشري يعني طبقا للقانون الدولي, الاتفاق بين الدول ذات السيادة , أي على الدول الموقعة على الاتفاقية القبول بالتزامات محددة واحترام النصوص المتفق عليها وتنفيذها وفقا للاتفاقية. وجريمة إبادة الأجناس البشرية ليس بالضرورة أن تتم بالقتل المادي أو بالسلاح الكيمياوي كما حصل في مدينه حلبجة عام 1988 التي استشهد فيها اكثر من خمسة آلاف إنسان من نظام الرئيس صدام في كردستان العراق أثناء الحرب العراقية – الإيرانية , و إنما يمكن أن ترتكب هذه الجريمة الدولية من خلال وسائل متعددة ذلك أن إبادة الجنس البشري قد تحصل بفعل إيجابي أو بفعل سلبي (الامتناع عن تقديم العون) وبعبارة أخرى تعني ارتكاب أي أفعال معينة بقصد التدمير الكلي أو التدمير الجزئي لجماعات قومية أو اثنية أو عنصرية أو دينية بصفتها هذه , ومثال ذلك (جريمة القتل) بإبادة جسمانية مباشرة أو إلحاق الضرر العقلي بها أو من خلال فرض ظروف معيشية قاسية عمدا كما حصل في الاهوار في جنوب العراق حين قامت أجهزة نظام الرئيس صدام بتسميم الاهوار وقتل الحياة فيها

وتجفيفها وتدمير البيئة بحجة منع العمليات العسكرية ضد النظام . ومن صور إبادة الجنس البشري سياسة التعقيم للبشر والإجهاض والحيلولة دون إنجاب الأطفال ونقل أطفال جماعة معينة بالقوة إلى جماعة أخرى وكذلك سياسة التهجير ضد الكرد الفيليين من مناطق العراق المختلفة بحجة انهم من التبعية الإيرانية, حيث جرت ابشع جريمة ضد الكرد الفيليين في العراق منذ عام 1971 وحتى أواخر الثمانينيات. ومن المعلوم أن قواعد القانون العامة ونصوص اتفاقية منع إبادة الأجناس البشرية توجب معاقبة الفاعل الأصلي للجريمة ومن ساهم في وقوعها أو حرض عليها أو تآمر لغرض ارتكابها أو حاول القيام بها لأنها من ابشع صور الجرائم ضد الإنسانية . ومن المعلوم أن هذه الجريمة ارتكبت من نظام الرئيس صدام ويتحمل هو المسؤولية الأولى عنها , أثناء الحرب العراقية الإيرانية وفي وقت السلم أيضا, و لا تجيز الاتفاقية التي وافق عليها العراق تخلص أي مسؤول من العقوبة عن جرائمه حتى ولو كان الفاعل هو رئيس دولة (المادة الرابعة من اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشري), حيث ارتكبت جريمة إبادة الجنس في العراق ضد الكرد في كردستان وضد التركمان وضد الشيعة في جنوب العراق وضد الكرد الفيليين الذين تعرضوا إلى تجارب السلاح الكيمياوي والبيولوجي من الوحدة العسكرية رقم 513 أثناء الحرب العراقية – الإيرانية . ومنذ عام 1968 انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة من إعداد و اعتماد اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية وبدأ تنفيذ الاتفاقية منذ 11-11-1970 ومن هذه الجرائم هي جريمة إبادة الأجناس crime of genocide الواردة تعريفها في اتفاقية عام 1948. وهذا يعني أن الفاعل للجريمة يستحق العقاب ولو مرت مدة طويلة على ارتكاب جريمته فمرور الزمان لا يكون مانعا من موانع العقاب أو المسؤولية على المجرم لكي لا يحصل الإفلات من العقاب . وقد تكون البواعث على ارتكاب جريمة الإبادة هي البواعث الدينية كما حصل في جنوب العراق في تدمير الاهوار وتسميمها وتهجير البشر من مناطق سكناهم بسبب كراهية نظام الرئيس صدام إلى عشائر الجنوب الشيعية في العراق المناوئة لنظامه المستبد فضلا عن تدمير العتبات المقدسة في كربلاء و النجف وقتل علماء الشيعة بتصفيتهم جسديا في كل مناطق العراق. كما أن هناك باعثا سياسيا واجتماعيا لجريمة إبادة الجنس البشري مثل جريمة إبادة الجنس الكردي و التركماني في كردستان العراق بسبب العنصر أو العنصر والدين معا مثل الكرد الفيليين و التركمان الشيعة. ان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نص في المادة الثانية على ((أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان , دون تمييز, كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر, أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر, دون إية تفرقة بين الرجال والنساء)).
كما نصت المادة 12 على:

1-لكل فرد حرية التنقل و اختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.

2-يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة أليه.

و منعت المادة 5 تعريض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية ..كما نصت المادة 9 على عدم جواز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا, ووفقا للمادة 15 لكل فرد حق التمتع بجنسية ما ولا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو إنكار حقه في تغييرها ونصت المادة 17 على أن لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره و لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

القسم الثاني جريمة التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان في كركوك

ليس هناك أدنى شك في وقوع سلسة من جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان في مدينة كركوك بصورة خطيرة لتغيير هوية المدينة ومعالمها والتأثير على وجودها ومن خلال تفكيك القرى المحيطة بها وفك ارتباطها من المدينة المذكورة وقد شملت سياسة التغيير لهويتها حتى القبور الموجودة فيها لكي لا تكون دليلا على كشف الهوية الكردية لسكان المدينة . ولم تتوقف سياسة أنظمة الحكم في العراق عن عمليات التطهير العرقي رغم الاحتجاجات المحلية والدولية والإقليمية , فقد مارست السلطات وما تزال تمارس عملية مصادرة الأراضي للكرد والتركمان وتوزيعها على العرب وبخاصة منتسبي الأجهزة الأمنية ذلك لأن مدينة كركوك خاضعة لسلطتها المركزية وتمارس عملية نقل وطرد السكان الكرد والتركمان من كركوك والمناطق المحيطة بها إلى مناطق أخرى في الجنوب أو ترحيلهم إلى كردستان للتأثير في الوضع السكاني في المدينة ومنع السكان الأصليين من الكرد والتركمان وغيرهم من نقل ملكية الأراضي والعقارات أو بيعها فضلا عن قيام الحكومة العراقية بتوزيع الأراضي على العرب من العراقيين والفلسطينيين من العاملين في الأجهزة الأمنية والعسكرية ومصادرة الأملاك للسكان الكرد و التركمان و عدم السماح لهم بتسجيل الأملاك بأسمائهم(4). وهذه الأعمال مخالفات خطيرة لحقوق الإنسان. ومن سياسات نظام الرئيس صدام ممارسة أسلوب التهجير القسري الداخلي و الخارجي, ويتمثل التهجير الداخلي في فرض الإقامة الجبرية في محل الولادة أو المحل المقيم فيه قبل إحصاء عام 1957 أي وضع القيود على حرية السكن والانتقال داخل الوطن وهو ما يخالف حقوق الإنسان وحقه في التنقل و اختيار السكن وحقه في التملك (المادة 17) وكذلك تدمير القرى كليا ومسحها من الخارطة أو تغيير أسمائها كما حصل في خانقين وكركوك والموصل ومخمور وكفري وتلعفر وداقوق ومناطق كردية عديدة و أخرى يسكنها التركمان. أما التهجير القسري الخارجي ونقصد به جريمة التطهير العرقي ضد العوائل الكردية والتركمانية و كذلك ضد الشيعة من الكرد الفيليين وطردهم من بلادهم (العراق) إلى إيران والاستيلاء على دورهم واموالهم وثرواتهم خلافا

للدستور والقانون وقد بلغ عدد هؤلاء ما يقارب مليون نسمة. و يشير العديد من الباحثين إلى أن أولى محاولات التعريب في كركوك جرت إبان الحكم الملكي (عهد وزارة ياسين الهاشمي) من خلال إسكان عشائر العبيد والجبور في الحويجة وذلك لتوفر الأراضي الزراعية الخصبة و بحجة منع النزاعات مع عشائر عزه في ديالى التي كانت قائمة مع عشائر عربية أخرى في مناطق أخرى من العراق(6). ووفقا إلى إحصاء عام 1957 فان نسبة السكان الكرد في مدينة كركوك هي 48,3٪ وهو الإحصاء الذي اتفق عليه وفق بيان آذار عام 1970 بينما نقصت النسبة لعدد السكان الكرد في إحصاء عام 1977 وصارت 37,33 ٪ بفعل سياسة التعريب والتطهير العرقي , أما التركمان فقد كانوا حوالي 21,5 ٪ ثم أصبحت النسبة في إحصاء عام 1977 16,31 ٪ (7), وفي هذا الصدد يشير الأستاذ الدكتور حسن الجلبي في معرض حديثه عن الفيدرالية للكرد في كردستان عن مدينه كركوك قائلا مايلي: ((و حيث يتعلق الأمر بالمنطقة الكردية يبرز ما يسمى بـ(عقدة كركوك), حسنا يتعلق السؤال بما إذا كانت كركوك تدخل ضمن منطقة كردستان أم لا ؟ من ناحية المعطيات التاريخية و الواقعية والسكانية فان المعلوم أن كركوك كانت تتكون من الكرد (وهم الأكثرية) والتركمان ومن ثم العرب , ولهذا فمن الحتمي أن تدخل كركوك ضمن إقليم كردستان في الاتحاد الفيدرالي أو في صيغة أخرى))(8) أما الدكتور غسان العطية فيرى عكس ذلك قائلا ((... كركوك يقطنها مزيج مذهبي وقومي - تركمان وكرد وعرب – كما تعرضت ولا تزال لإجراءات تمس التركيبة الاثنية للسكان بسبب سياسة التعريب أو غيرها, كل ذلك يجعل منطقة كركوك ذات خصوصية تحتاج إلى صيغة توفيقية خاصة, الأمر الذي يتمثل في اعتماد كركوك كـ – امانة غير تابعة لأية جهة أخرى, شأنها في ذلك شأن بغداد التي يقطنها إلى جانب العرب المسلمين, التركمان و الكرد و الآشوريين و المسيحيين..))(9) بينما يذهب الدكتور نوري طالباني – بحق – إلى القول إذا كانت منطقة كركوك ضمن حدود كردستان الجغرافية وان فقهاء القانون والمؤرخين العراقيين يثبتون ذلك قانونيا وتاريخيا , فلماذا إذن القول بصيغة توفيقية وفقا لطروحات نظام صدام في مفاوضات عام 1970 و عام 1984 و عام 1991(10), وهو نظام ارتكب جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان. وفي عهد حكم البعث الأول عام 1963 جرت سلسلة من الإجراءات الخطيرة والممارسات ضد السكان من الكرد والتركمان في مدينة كركوك من خلال تدمير القرى القريبة منها وإتباع سياسة الترحيل واسكان بعض العشائر العربية بدلا منها ونقل العاملين الكرد من مناطق كركوك إلى أعمال أخرى خارج المدينة وجعل المنطقة أشبه بالمعسكر الذي تحيط به الربايا العسكرية وتبديل أسماء القرى و الأحياء وتسليح العشائر العربية والبدو بحجة الوقوف ضد البيشمرگه الكرد, إلا أن اكبر عملية تطهير عرقي حصلت في الفترة من 1968 وقد ازدادت بصورة

خطيرة جدا بعد عام 1974 ثم بعد تأسيس الكرد للحكم الفيدرالي في إقليم كردستان حيث ارتكبت – وما تزال – ابشع صنوف تغيير الهوية ومعالم المدينة بصورة دفعت المنظمات الدولية إلى استنكار هذه الإجراءات غير القانونية والتي تشكل جريمة دولية و مخالفة ضد قواعد حقوق الإنسان. كما عقد اكثر من مؤتمر بخصوص مدينة كركوك في كردستان و أبلغت العديد من المنظمات الدولية بجريمة التطهير العرقي المستمرة وبعمليات تغيير معالم مدينة كركوك و تفكيكها إداريا وطرد سكانها. بل أن سياسة الاستفزاز ضد الكرد لم تنحصر في كركوك أو خانقين أو مخمور فقط و إنما امتدت إلى كل المناطق الكردية وجرت ممارسات خطيرة جدا ضد الكرد وقراهم وضد أملاكهم وثرواتهم في مختلف مناطق كردستان وهو يوجب محاسبة المجرمين الدوليين عن هذه الجرائم وفقا للوثائق المتوفرة والتي تمت السيطرة عليها عقب انتفاضة الكرد عام 1991 , كما نشير إلى النظام الحاكم في بغداد كان يختار المسؤولين الحزبيين والأمنيين والعسكريين للقيام بهذه الأعمال من العرب غير الشيعة (الانبار, الموصل, تكريت..) أو من الفلسطينيين –أحيانا - ذلك لأن العرب الشيعة يتعاطفون مع القضية الكردية وحركتها التحررية, هذا بالإضافة إلى أن المرجع الشيعي الأعلى المرحوم السيد محسن الحكيم لم يوافق على إعطاء أي فتوى لضرب الثورة الكردية في حزيران من عام 1963 رغم محاولات التهديد والوعيد التي تعرض لها أثناء حياته من عبد السلام عارف ومحاولات إلصاق تهمة الشيوعية بالحركة التحررية في كردستان, كما أن شخصية المرحوم الملا مصطفى بارزاني و أولاده و القيادة الكردية و الشعب الكردي محط احترام و تقدير من العديد من العشائر و الشخصيات العربية في وسط و جنوب العراق ممن يتعاطفون مع قضية الشعب الكردي وينادون بالوحدة الوطنية والحل السلمي للقضية الكردية وبالاعتراف بحقوق التركمان و حقوق الاقليات الأخرى في عراق موحد يقوم على العدل و المساواة و احترام القانون و تفعيل الدستور و الالتزام بقواعد حقوق الإنسان و معاييرها المتعارف عليها في المجتمع الدولي. لقد أدانت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في نيسان 2000 بسبب انتهاكات نظام صدام المنظمة و القاسية و الواسعة النطاق لحقوق الإنسان وقد تبنت اللجنة قرارا قدمه الاتحاد الأوربي ينتقد نظام صدام على ممارسات القمع والاضطهاد والإرهاب وصوت لصالح القرار 32 دولة من مجموع 53 دولة عضو في اللجنة, كما حثت اللجنة في قرارها الصادر في نيسان 2001 نظام صدام على ضرورة احترام حقوق القوميات والاقليات العرقية والديانات المختلفة والامتناع عن تهجير الكرد والتركمان أو إرغامهم على تغيير محل إقامتهم , كما صدر قرار منظمة العفو الدولية في نيسان من عام 2001 يدين انتهاكات حقوق الإنسان في العراق ومنها عمليات التطهير العرقي

ضد الكرد والتركمان والاقليات الأخرى وكذلك سياسة التعريب والتخريب في هذه المناطق.

القسم الثالث مستقبل مدينة كركوك (التآخي والتسامح والعيش المشترك)

لاشك أن مدينة كركوك كانت واحدة من العقد التي وقفت أمام إيجاد الحل السلمي للقضية الكردية في العراق إذ كانت العنصرية والتطرف من بعض العرب في السلطة والنظرة الضيقة لنظام الحكم الدموي في بغداد حائلا أمام إيجاد الحل الأخوي والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للكرد وفقا للدستور والقانون ووفقا للالتزامات الدولية المعروفة, و لا سيما ان الكرد قدموا مئات الآلاف من التضحيات من اجل هذه الحقوق و رفضا للظلم و الاستبداد و من اجل حرية العيش[11]. و نحن نعتقد أن وضع مدينة كركوك التاريخي والجغرافي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاثني يشير بما لا يقبل الشك إلى أن كركوك مدينة مهمة تقع ضمن حدود كردستان العراق تاريخيا وقانونيا وان الكرد هم السكان الذين يشكلون الأغلبية في المدينة وضواحيها منذ القدم وعلى الرغم من وجود القوميات الأخرى, كالعرب والتركمان والآشوريين وغيرهم, إلا أن السكان من الكرد هم الذين شكلوا أغلبية السكان ولعل من أهم الأدلة على ذلك هي إحصاء النفوس عام 1957 وكذلك قبور الكرد التي سعت حكومة البعث إلى العبث بها وتغيير ملامحها و بخاصة بعد مطالبة الزعيم الملا مصطفى البارزاني إحصاء القبور من الكرد كشاهد على دخول المدينة ضمن حدود كردستان في معرض رده على الوفد الحكومي المفاوض على 1970 وهو ما دفع الأنظمة المتعاقبة – و بخاصة في عهد البعث – إلى اتباع نهج عدواني ضد الكرد والتركمان و غيرهم بتطهير الأعراق والسيطرة على مقدرات المدينة من الثروات الطبيعية وهو تدخل – كما بينا يتنافى و حقوق الإنسان – اثر على النسيج الاجتماعي و التركيب العرقي و البنية التحتية و الحدود الجغرافية. بل أن نهج السلطات امتد حتى إلى المقابر بدرسها تارة و بدفن العرب في مناطق كركوك وفي توطين عشرات الآلاف من الفلسطينيين فيها إلى جانب تغيير أسماء الأحياء والمناطق الكردية وتسميتها بأسماء عربية أو بعثية عنصرية و استفزازية مثل حي البعث وحي النخوة و حي العمل الشعبي و حي القادسية و أم المعارك و صدام و الصمود... و غيرها و لابد من الإشارة إلى موقف الزعيم المرحوم الملا مصطفى البارزاني هنا حيث قال أثناء مفاوضات عام 1970 للوفد الحكومي المفاوض بخصوص كركوك مايلي: ((أن كركوك هي جزء من كردستان وإذا ظهر في الإحصاء أن أكثرية سكانها ليسوا من الكرد فأنا لن اعترف بذلك, إنني لن أتحمل أمام الكرد مسؤولية التخلي عن كركوك)).

و من اجل عراق موحد تتعزز فيه قواعد الاحترام للقانون و مفاهيم حقوق الإنسان لابد من ملاحظة مايلي:

1-وقف حملات الاستفزاز للكرد والتركمان وللاقليات الأخرى واحترام خيارات القوميات المتآخية واحترام الأديان والمذاهب والطوائف والآراء السياسية

والفكرية ومحاربة العنصرية والفكر الشوفيني مـن أي مصدر كـان , ولا يجوز مطلقا اتباع سياسة تبعيث البشـر بفـرض العقيـدة السياسـية بـالقوة أو تعريـب السكان (جعلـهم مـن القوميـة العربيـة) بالترهيـب و الترغيب لأنها سياسة فاشلة لن تقود إلا إلى المزيـد مـن الآلام و الأحقـاد و لأن مـن يـزرع الـريح لا يحصـد إلا العاصفة و هي سياسة مخالفة للإعلان العـالمي لحقوق الإنسـان. ذلـك أن كركـوك هـي واحـدة مـن المـدن العراقية التي تعد رمزا من رموز الاخوة و التسامح و الوئـام بـين الكـرد و التركمـان و العـرب و الأرمـن و الآشوريين و مختلف الديانات و المذاهب و الأفكار.

2-اعتمـاد ثقافـة التسـامح والاعـتراف بـالآخر ونشر ثقافة حقوق الإنسان.

3-تأسـيس صـندوق وطـني يسـمى بــ(صندوق تعويض المتضررين) لتعويض السكان الـذين تضـرروا من سياسات التطهير العرقي و التهجير و كل متضرر من جـرائم النظام مـن عائـدات الـنفط و تخصيص نسـبة منها لضحايا هـذه السياسـة المخالفـة للقـانون الدولي و للدستور العراقي و للقوانين الوطنيـة, كمـا لابد من تعويض كل متضـرر مـن جـرائم النظام في حلبجـة الشـهيدة و قلعـة دزه و خـانقين و ضـحايا جريمة الأنفال و إعادة المهجرين و المهاجرين و بترك الحرية في الاختيار و نبذ سياسـة القـوة و الاسـتبداد المدمرة. و لابد من تعـويض التركمـان الـذين طـردوا من ديارهم و قراهم و هجروا قسـرا بـدون أي مـبرر و السماح بإعادتهم إلى مناطقهم.

4-إعـادة التقسـيمات الإداريـة السـابقة وفقـا إلى خرائط وإحصاءات عام 1957 ووفقا لإشراف لجنـة وطنية و دولية.

5-إدخال مدينة كركوك ضـمن فيدرالية كردستان على أن تقع ضمن سيطرة حكومـة إقليم كردستان أي أن المدينــة تكــون واقعــة ضــمن الحــدود الجغرافيــة لكردستان, ثم أن الشعب الكـردي هـو جـزء مـن الشعب العراقي ولكنه ليس جزءا من الشعب العربـي ولا يجـوز القول بذلك أو استفزاز الكـرد أو غيرهـم بهـذه المقـولات العنصـرية الضـيقة أو القيـام بسياسـة التعريـب وبهـذا تكون عقدة كركوك قد حلت قانونيا وتاريخيا في إرساء أسـس السـلام والاسـتقرار في عـراق موحـد. و في هـذا ضمان للحل السلمي و الأخوي و التعـايش بـين الجميـع وفقا للقانون.

6-إلغاء التسمية الحالية للمدينة وهـي (التـأميم) و إعادة التسمية السابقة لها (كركوك) وكـذلك إعـادة تسميات القرى والمدارس والأحياء السكنيـة والمنـاطق السابقة إلى حالها الذي كان سائدا قبل عام 1957 أو إيراد تسميات أخرى غير استفزازية للكرد والتركمان والآشوريين والكلدان والأرمن.

7-الاعـتراف بالشـراكة في مدينـة كركـوك لجميـع القوميــات والأديــان والمــذاهب والأفكــار وممارســة الحقـوق وفقـا للقـانون بالتسـاوي و احـترام قواعـد حقـوق الإنسـان حيـث يـري الأسـتاذ المناضـل جـلال طالباني ((أن أكثرية مدينة كركوك ما زالت كرديـة ويليها التركمان الذين يشكلون نسبة كبيرة من سـكان المدينـة, أما العرب فما زالـوا أقليـة لا تتجـاوز العشـرة

بالمئة من نفوس كركوك...))[12]. و في معرض حديثه عن الشراكة يقول الأستاذ جلال مايلي ((و في اعتقادي يجب أن لا يثير موضوع كركوك خلافا لأن الشعب الكردي يعارض الانفصال عن العراق أولا و لان ثروة العراق شماله و وسطه و جنوبه يجب أن تكون لجماهير الشعب الكادحة بعربه و كرده و تركمانه)). أن التعايش في مدينة كركوك في عراق المستقبل القائم على النظام الفيدرالي ضمن سياسة التسامح و الوئام وبتفعيل دور القانون و مؤسسات المجتمع المدني الاختيارية سيؤدي إلى تحقيق العدالة و المساواة في الحقوق و الواجبات بين جميع الأصول الاثنية و الديانات و المذاهب و الاتجاهات السياسية و ضمان حرية التفكير و الرأي طبقا للدستور الفيدرالي و دستور حكومة إقليم كردستان من اجل توظيف ثروات العراق الطبيعية لبناء السلام و الاستقرار و خدمة الإنسان.

الهوامش:

1-انظر عبد القادر البريفكاني – صحيفة الحياة يوم 8–5-2001 و انظر كذلك عوني داودي – صحيفة الاتحاد العدد 402 22-12-2001 ص 10 وجرجيس فتح الله – زيارة للماضي القريب – مشار إليه في بحث الداودي وكذلك الأستاذ شاكر خصباك – الكرد و المسألة الكردية – بغداد – 1959 ص 14-15 وانظر حول تسميات مدينة كركوك زميلنا الأستاذ الدكتور نوري طالباني – منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي – 1995 ص 8-.11

2-الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948.

3-انظر نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة 1948 وانظر كذلك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية التي دخلت حيز التنفيذ في 11 نوفمبر 1970 و انظر أيضا الدكتور عبد الرحيم صدقي – القانون الدولي الجنائي – القاهرة 1986 ص 13 و 44 وانظر بخصوص جرائم نظام صدام ضد الكرد الفيليين في التطهير العرقي والتهجير من العراق والمخالفات ضد حقوق الإنسان بما فيها قرارات مجلس قيادة الثورة في إسقاط الجنسية عنهم وعن كل شخص عراقي إذا تبين عدم ولائه للوطن و الشعب !! (القرار رقم 666 في 7-5-1980) و راجع الدكتور مصطفى الانصاري – عمليات التهجير في العراق – 1991 ص 105.

4-ومن الجدير بالذكر أن جريمة إبادة الجنس البشري تعد من الجرائم ضد الإنسانية إذا ارتكبت وقت السلم و من جرائم الحرب إذا ارتكبت وقت الحرب وان كلا منهما جريمة دولية تتحقق بوجود أركانها (الركن الشرعي وهو العرف الدولي والاتفاقيات الدولية) والركن المادي وهو الفعل ذاته سواء وقع بصورة عمل إيجابي أم بصورة سلبية وكذلك حالة التحريض و التآمر والاشتراك سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة , ثم الركن المعنوي أي إنها جريمة عمدية تقع عن قصد (القصد الجنائي) و هي دائما تكون في مرتبة الجنايات وليست الجنح بفعل خطورة الجريمة . المرجع السابق ص 52-55 وانظر كذلك مجلة الحقوقي – لندن – جمعية الحقوقيين العراقيين - العدد 2 ص 83 وانظر مقال الدكتور رياض عبد المجيد – سياسة التهجير القسري الداخلي والخارجي – مجلة الحقوقي لندن العدد 1 2001 ص 35 - 37.

5-انظر صحيفة صوت التأميم التي تصدرها السلطة العراقية – العدد 57 في 23 نيسان من عام 2001 و انظر كذلك صحيفة الاتحاد الوطني الكردستاني- العدد 418 في 27 نيسان 2001.

6-انظر عزيز قادر – التاريخ السياسي للتركمان – دار الساقي – لندن – 1999 ص 93 و انظر المؤلف القيم للدكتور نوري طالباني – منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي – لندن 1995ص 32-33 و عوني داودي – ص 10.

7-انظر عوني داودي والمراجع التي يشير إليها وكذلك مقال الدكتور نوري طالباني – صحيفة الاتحاد العدد 323 في 18-6-1999.

8-انظر رأي الأستاذ الدكتور حسن الجلبي المنشور في مؤلف الأستاذ الدكتور عبد الحسين العطية – مأساة شعب العراق والرادة الحياة – 1995 ص 214.

9-انظر رأي الدكتور غسان العطية – مقترحات في الوضع الدستوري لعراق ما بعد صدام (التصدي للقضية الكردية و المسألة الطائفية) – الملف العراقي – لندن العدد 90 – 1999.

10-انظر رأي الدكتور نوري طالباني – مقترحات دستورية تعمل على تعقيد المسألة الكردية وليس حلها – صحيفة الاتحاد العدد 323 في 18-6-1999 و هو منشور كذلك في مجلة أوراق عراقية – العدد الثاني 1999 ص 147 بينما يذهب السيد عزيز قادر في كتابه الموسوم التاريخ السياسي لتركمان العراق ص 259 إلى الاعتماد على وضع سكان كركوك قبل إحصاء عام 1957 بحجة أن التركمان كانوا هم الأغلبية من السكان و ان كركوك هي قلب التركمان النابض و رمز وجودهم القومي والتاريخي. ونحن لا نؤيده في هذا الرأي لانه لا توجد إحصاءات رسمية يمكن الركون أليها قبل عام 1957 لكي تكون دليلا رسميا وحجة قاطعة على ما يقول , و لأن الفقيه القانوني (الأستاذ الدكتور حسن الجلبي) أكد قائلا أن حدود كركوك هي ضمن كردستان العراق ويلزم أن تتبع إلى حكومة إقليم كردستان لان أغلبية السكان هم من الكرد قبل و بعد إحصاء عام 1957 حيث كانت نسبة السكان الكرد التقريبية قبل إحصاء عام 1957 هي 51٪, بينما شكل التركمان نسبة 21,5٪ و وفقا إلى إحصاء عام 1957 وبفعل سياسة التعريب نزلت نسبة الكرد إلى 48,3٪ وبينما كانت نسبة العرب في إحصاء عام 1957 هي 28,2٪ ارتفعت إلى 44, 41 ٪ في إحصاء عام 1977 ونقصت نسبة الكرد في الإحصاء المذكور إلى 37,53 ٪ و نزلت نسبة التركمان إلى 16,31 ٪. هذا فضلا عن ان موسوعة الأعلام للعلامة التركي شمس الدين سامي الذي ألفها عام 1896 م ص 3842 جاء فيها ((أن كركوك هي مدينه كردية وتقع في قلب كردستان)), كما لا نتفق مع السيد عزيز قادر في اعتباره بعض السكان العرب في كركوك هم في حقيقة الأصل من التركمان قاصدا بذلك زيادة أعداد نسبة التركمان في المدينة وجعلهم من الأغلبية قبل إحصاء عام 1957 ذلك لأن سياسة التعريب والتطهير العرقي تجعل العكس هو الصحيح لتغيير نسبة العرب في المدينة بجعلهم من طرف الحكومات هم الأغلبية من خلال الترحيل و التعريب. و هنا لابد من الاعتراف بحقوق التركمان و العرب و الأرمن و الآشوريين في شراكتهم في المدينة الكردية كركوك. و نشير إلى أن افضل معيار يمكن الرجوع إليه هو إحصاء عام 1957 لأنه أول إحصاء رسمي معترف به أما التقديرات السابقة على ذلك فهي تخمينية وغير رسمية ووفقا لهذا الإحصاء فان أغلبية السكان هم من الكرد – كما بينا - حيث بلغت نسبتهم 48,3 ٪.

11-اطلعت على رسالة سرية غير منشورة من المرحوم المهندس نوري محمد أمين أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الكردستاني في كونفرانس عام 1948 ومن مؤسسي حزب شورش وقد رد فيها على رسالة صدام التي استفسر فيها عن أسباب عدم حضوره اجتماع قاعة الخلد للكرد المستقلين عقب انهيار المفاوضات عام 1974 حيث أجاب تحريريا (.. إنني من الرافضين لمشروع حكومة البعث في تطبيق الحكم الذاتي ومن المؤيدين لمشروع الحزب الديمقراطي الكردستاني برئاسة الملا مصطفى البارزاني.. و ان كركوك جزء لا يتجزأ من حدود كردستان ..).

12-انظر مؤلف الأستاذ جلال طالباني – كردستان والحركة القومية الكردية – دار الطليعة – بيروت ط2 1971 ص 36 و انظر باللغة الفرنسية مؤلف زميلنا الفاضل المرحوم الدكتور علي بابا خان (أكراد العراق Les Kurdes D'Irak) و هي أطروحة قيمة طبعت في باريس 1991 وكذلك المؤلف القيم له باللغة الفرنسية أيضا المعنون (العراق من 1970-

كركوك: دراسات في التكوين القومي للسكان

د. خليل اسماعيل محمد*

المقدمة

تعـد محافظـة كركـوك, بوابـة اقلـيم كردسـتان العـراق الى السـهل الرسـوبي مـن جهـة, و الى الباديـة العراقية مـن جهـة اخـرى.. و قـد كانـت حتـى عهـد قريـب جـزءاً مـن ولايـة "شـهرزور" مثلمـا كانـت مدينـة كركـوك مركـزاً لها قبـل ان تضـم الى ولايـة الموصل. و بعد قيام الدولة العراقية, و الحاق الولاية بهـذه الدولـة اصـبحت واحـدة مـن اهـم التشـكيلات الادارية للمنطقة الشمالية سنة 1922 باسـم "لـواء كركـوك", بحـدودها الطبيعيـة بـين نهـري الـزاب الاسـفل و سـيروان (ديـالى) مـن جهـة, و المرتفعـات العالية و تلال حمرين من جهة اخرى.

و لمحافظة كركوك, اهميـة اسـتراتيجية متميـزة, تمثلت الى جانب موقعها الجغرافي المـذكور, بأهميتـها النفطيـة و الاثنوغرافيـة, فهـي ملتقـى القوميـات: الكرديـة و التركمانيـة و العربيـة, كمـا تعـيش علـى ارضـها طوائـف آثوريـة و كلدانيـة و ارمنيـة.. الى جانب الاغلبية الاسلامية.

لقـد تعرضـت المحافظـة, منـذ ان الحقـت بالدولـة العراقيـة، الى تغـييرات جوهريـة لـيس في مسـاحتها و تشـكيلاتها الاداريـة حسـب, بـل في تركيبتـها القوميـة و مورفولوجيـة مراكزهـا السـكنية.. و لا سـيما بالنسـبة لمدينـة كركـوك.. لصـالح الاقليـة العربيـة فيهـا علـى حساب سكانها الاصليين مـن الكـرد و التركمـان.. حيـث تم تـوطين الآلاف مـن العشـائر و الاسـر العربيـة محـل السكان الكرد و التركمان الذين رحلوا الى مجمعات بعيـداً عن الاهل و الوطن, مثلما تعرض الاف آخرين لحملات الانفال حيث لا يعرف مصير معظمهم حتى الان.

و يمثل هذا الكتاب, مجموعة من الدراسـات الـتي تتصل بالتركيب القـومي لسكان محافظـة كركـوك, و مؤشـرات حمـلات تعريبـها خـلال القـرن الماضـي.. في محاولة لالقاء الضوء على خطط التعريب التي تولت الحكومـات العراقيـة المتتاليـة مهمـة تنفيـذها علـى مدى ذلك القرن و لا تزال.

و لاشـك, فـان سياسـة تعريـب محافظـة كركـوك, تعد جزءاً من سياسة تعريب شاملة لاقليم كردستان

العراق. و مؤشراً لتنفيذ مخططات تصفية الوجود الكـردي او صـهره في "بودقـة" الشـعب العربـي في العـراق, تحقيقـاً لشعار: "العـراق جـزء مـن الـوطن العربي, و الشعب العراقي جزء من الامة العربية".

كركوك في تقرير عصبة الامم

تعد (محافظة كركوك) و الـتي سميت فيما بعـد بــ(محافظة التـأميم), احـدى اهـم سـناجق ولايـة الموصل قبل تأسيس الدولة العراقية سنة 1921. كما كانت مركزاً لولاية شهرزور حينا من الـزمن[1]. و ضم (سـنجق كركوك) يومـذاك, الاقضـية التاليـة: اربيـــل, رانيـــة, روانـــدوز, كويســـنجق, كفـــري (الصلاحية), بالاضافة الى قضاء المركز[2].

و تـأتي اهميـة هـذه المحافظـة, مـن موقعهـا الجغرافي, حيث تمثل مرتفعات حمرين, التي تعد جزءاً اساسياً مـن الحدود التاريخيـة لولايـة الموصل, حـدوداً جنوبيـة و جنوبيـة غربيـة للمحافظـة. و المرتفعات المذكورة, في نظر لجنة عصبة الامـم الـتي وفدت لحل مشكلة (الولاية), هي حـدود فاصلة بـين النـواحي الـتي اكثريـة سـكانها خلـيط مـن الكـرد و الترك, و تلك التي اكثرية سكانها من العرب[3].

و بعد ان وضعت الحـرب العالميـة الاولى (1914-1918) أوزارها, و من ثم قيام الدولة العراقيـة, تم تقسيم العراق الحالي الى (14) لـواءً, كـان مـن بينهـا لـواء كركـوك, الـذي ضـم الوحـدات الاداريـة التاليـة: اقضية كفري و جمجمال و كيل و قضاء المركز ثـم قضائي داقوق و دوز خورماتو بدلا مـن قضاء كيـل, انظر جدول (1).

و استمر هذا التقسيم طيلة العقود الخمسة التاليـة دون تغيير جوهري, لكن العقدين السابع و الثامن شـهدا اوسـع عمليـات تغـيير في تشـكيلات العـراق الاداريـة. و طالت تلـك التغييرات محافظة كركـوك, اكثـر مـن ايـة محافظـة عراقيـة اخـرى. فـالى جانـب تغـير اسمهـا التـاريخي, فقـد تم تمزيـق اوصـالها و تجزئـة وحـداتها الادارية, و توزيعها على المحافظات المجاورة لها[4].

جدول رقم (1)

لواء كركوك, بحسب الوحدات الادارية الاساسية[5]

القضاء	الناحية
مركز اللواء	كركـوك, داقـوق, التـون كـوبري, قرەحسـن, شـوان,
كفري	الملحة كفـري, طـوز, قرتيـه, قلعة شيروان, شبيجة.
جمجمال	جمجمال, اغجلر.
كيل	كيل, سنگاو.

و يمكن القـول, بـان (مشـكلة الموصـل) مـن ابـرز الازمات التي خلفتها الحرب المذكورة, فبينمـا اصـرت تركيـا علـى ان ولايـة الموصـل جـزء مـن الاراضـي التركيـة, علـى اساس ان الاحـتلال الانكليـزي لهـا, لم يكن عملا قانونيـاً, بـل يمثـل نقضاً للهدنـة[6]. فـان الحلفاء, كانوا قد حسموا الامر لصالحهم, و تقـاسموا المنطقـة فيمـا بيـنهم منـذ عـام 1916, و في ظـل معاهدة (سايكس بيكو), و كانت (الولاية) من حصة الفرنسـيين ثـم تحولـت الى (ممتلكـات) الحكومـة البريطانية فيما بعد.

و هكذا تحول النزاع حول ولاية الموصل, بين الحكومة التركية من جهة, و بين الحكومة البريطانية من جهة اخرى, الامر الذي دعا الطرفين الى رفع القضية الى عصبة الامم, و التي اوفدت (بدورها) بعثة تحقيق خاصة لجمع المعلومات و رفع تقرير بالموضوع.

و لم تتمكن البعثة حتى شباط سنة 1925 من مباشرة عملها, او البت في المنهج الذي تسير عليه, لكنها استطاعت, بعد ذلك, الوقوف على اراء البعض من السكان و اتفقوا على تفاصيل عملهم في الولاية[7].

و كان الجانب التركي قد طرح (الاستفتاء) سبيلاً للوصول الى اراء المواطنين و الكشف عن توجهاتهم, الا ان الجانب البريطاني, رفض ذلك بحجة صعوبة الامر. و مع ان لجنة (عصبة الامم), اقتنعت بمبدأ (الاستفتاء), الا انها وجدت صعوبات كثيرة تعترض تنفيذه, الامر الذي دعاها الى تفضيل طريقة (الاستفتاء المحدود), و ذلك من خلال طرح الاسئلة على عينات من سكان الولاية[8].

و توزعت البعثة في عملها الى مجموعات اتجهت على محاور: الموصل – سنجار, بالاضافة الى قرهقوش و عقرة و محور: مخمور – اربيل – شقلاوه ثم محور كركوك جمجمال, و كركوك - كفري – حمرين[9].

و اجتمع اعضاء البعثة بعد ذلك و مساعدوهم في كركوك ثم توجهوا الى السليمانية لمواصلة جمع المعلومات. كتبوا في نهايته تقريرهم المشهور في جنيف و رفعوه الى عصبة الامم في نهاية سنة 1925.

و معلوم ان استفتاءً كان قد جرى قبل ذلك في العراق, بخصوص اختيار (فيصل بن الحسين) ملكا للبلاد, كان في حقيقته اجراء شكلي و لم يجر تصويت سري للمواطنين جميعاً. و مع ذلك فان كركوك رفضت فيصل ملكاً عليها لان الكرد اصلا لم يكونوا راغبين في الانضمام الى الدولة العراقية. فيما كان التركمان و الموظفون المتنفذون متأثرين بالدعاية التركية[10] اما السليمانية فلم تشترك في الاستفتاء لرغبتهم في الاستقلال. و في هذا الاستفتاء الجديد, رفضت كل من السليمانية و كركوك المشاركة فيه, ولاسيما ان صيغة الاستفتاء تتحدد في الانضمام الى تركيا او الى العراق, علما بان سكان منطقتي (السليمانية و كركوك) يمثلون ثلثي سكان الولاية, او النصف في ضوء البيانات التركية[11].

و تشير التقديرات العراقية لسنتي (1922-1924), ان عدد سكان لواء كركوك كان قد بلغ (111.650) نسمة[12]. يتوزعون بحسب القومية على النحو الاتي:

جدول رقم (2) - لواء كركوك بحسب القومية

القومية	٪
الكرد	42.5
العرب	31.9
التركمان	23.4
الاخرون	2.2
المجموع	100

و يمثل الكرد في الجدول اعلاه النسبة الاكبر بالرغم من محاولات الحكومة العراقية, لتبين

عددهم, حيث كانوا اكثر بكثير مما اوردته تلك التقديرات[14]. و اذا كان للتركمان انصار يهتمون بهم و يعملون على ارتفاع نسبة تواجدهم في المنطقة, و للعرب احلافهم سواء من قبل الحكومة العراقية, او من قبل الانكليز انفسهم, فانه لم يكن للكرد من انصار في مثل تلك الاحداث.. بل ان كثيراً من القصبات و التجمعات ذات الاغلبية الكردية, كانت بعيدة عن متناول تلك البيانات, حتى الايزديين الذين اعترفت كل الاطراف المعنية (بمشكلة الموصل) بكرديتهم اصلا و لغة فصلوهم عن الشعب الكردي في ظل تلك البيانات[15].. و مع ذلك فقد مثل الكرد في كركوك نحو 43٪ من مجموع سكان اللواء, فيما كانت نسبة العرب تقل عن 32٪ و نسبة التركمان نحو 23٪ فقط.

و بينما افصح المسيحيون عن ميلهم الى العراق, طلب معظم التركمان, سواء في مركز لواء كركوك, او في الاماكن القريبة من الطريق الممتد من التون كوبري الى كفري, انضمامهم الى تركيا, فيما اعلنت الأقلية منهم عن ميلهم الى العراق. اما اراء الكرد و العرب في اللواء, فكانت مقسمة, فالذي يتوقعه المرء, ان معظم العرب يفضلون الانضمام الى العراق. بيد ان الحقيقة غير ذلك, حيث عبر قسم عظيم منهم عن ميلهم الى الترك مثلما كان الكثير من الكرد ايضاً, فيما كان معظم رؤساء الكرد يميل الى العراق[16].

في ضوء ما سبق فان نسبة اكبر من العرب, و الغالبية العظمى من الكرد في لواء كركوك, كانوا لا يميلون الى العراق, و هم يمثلون على اية حال ¾ سكان اللواء. و من الملاحظ ان لجنة عصبة الامم, و جدت في البيانات المقدمة من قبل الاتراك و كذلك المقدمة من قبل الانكليز, بل حتى بيانات الحكومة العراقية, غير دقيقة[17]. و ان الحجج التي استندت الى تلك الارقام مشكوك فيها[18]. فبينما تبالغ الحكومة التركية بعدد التركمان في الولاية, فان الحكومة البريطانية لا ترى سوى انهم اقل من 8٪ من مجموع السكان. لاحظ جدول رقم(3).

جدول رقم (3)

سكان ولاية الموصل بحسب القومية

القومية	البيانات التركية	البيانات البريطانية	البيانات العراقية
الكرد	56.1	57.9	65.1
العرب	8.6	23.7	20.9
التركمان	29.2	8.4	4.8
المسيحيون	6.1	7.9	7.7
اليهود	-	2.1	1.5
المجموع	100	100	100

في حين تقل نسبتهم في البيانات العراقية عن 5٪ من مجموع سكان الولاية كذلك كان التباين في نسبة العرب و التي تراوحت بين اقل من 9٪ في ضوء البيانات التركية الى نحو 24٪ في البيانات البريطانية. و نحو 21٪ في تقديرات الحكومة العراقية.

و يبقى الكرد يمثلون غالبية سكان الولاية في ضوء تلك البيانات, كما كان التباين في التقديرات

ضئيلة, و قد تراوحت بين اكثر من 65٪ في تقديرات الحكومة العراقية و 58٪ بالنسبة للبيانات البريطانية و 56٪ عند الاتراك.

البعد القومي للاستيطان العربي في محافظة كركوك

مقدمة

تشير الدراسات الاركولوجية الى ان كردستان العراق كانت موطنا للانسان القديم فقد تم الكشف عن بقايا لمخلوقات بشرية تعود الى اكثر من (10) الاف سنة قبل الميلاد في العديد من كهوفها و مغاراتها. و تعد قرية – (چەرمو) القريبة من چمچمال (شمال شرقي محافظة كركوك) من اقدم المستوطنات الزراعية قبل ان ينتشر السكان في الهضاب و السهول الشمالية و مع انحسار مياه الخليج و اتساع اليابسة في جنوب العراق اقام المهاجرون مستوطناتهم عنده. و قد عرف هؤلاء (بالسومريين), الذين انحدروا – كما يرى طه باقر – من (شمال) العراق في فترة ما قبل الميلاد لان حضاراتهم كانت استمراراً للحضارة الزراعية الاولى هناك[20].

و خلال الفترة بين الالفين الرابعة و الثانية قبل الميلاد, تعرض العراق الى موجات بشرية متتابعة من جزيرة العرب من بينها: الاكديون, الاموريون, الاشوريون, و الاراميون.. و يظهر ان العراق كان و حتى الالف الاولى قبل الميلاد, مقسماً بين الميديين الذي حكموا الاقسام الشمالية منه, و الكلدان الذين سيطروا على اجزائه الجنوبية[21].

اما (العرب) فقد توطنوا العراق منذ القرن الاول للميلاد و كانوا قبل ذلك يغيرون من البادية علي اطرافه الجنوبية و يرى (جرجي زيدان) "ان مصطلح (العرب) كان يطلق على الاسلام من سكان جزيرة العرب فقط"[22] و يمثل الزحف العربي في ظل الفتوحات الاسلامية للعراق في القرن السابع للميلاد اعظم حدث كان له تأثيره في التكوين القومي لسكانه[23] و يشير الدكتور (عماد عبد السلام) الى ان العراق يدين (بعروبته) الى تلك القبائل الكبيرة التي انتقلت اليه قبل الاسلام بالاضافة الى عهود الحضارة الاسلامية ايضاً[24] و ورد في كتاب (المسالك) للاصطخري, ان المنطقة الواقعة وراء القوس الممتد من الدسكرة على النهروان, و تكريت و سامراء, و العلث في ارض الجزيرة الفراتية يغلب عليها الاكراد و الاعراب[25].

كما جاء في كتاب (البلدان) ان مناطق الجزيرة الفراتية, كانت خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي), تتوزع بين القبائل العربية في ديارات معينه, و بين الكرد في مناطق متفرقة[26] و قبل ان يحل القرن السادس عشر الميلادي, كانت ارض الجزيرة الفراتية مأهولة بالقبائل العربية[27].

و استمرت هجرة القبائل التترية من شمال الجزيرة العربية و بلاد الشام الى العراق بعد احتلال المغول له سنة 1258م[28] حيث تعاظم دورها و زاد نفوذها و اتسعت دائرة انتشارها. و ما ان حل مطلع العصر الحديث حتى وجدنا قبائل عربية:

مثل طي, الجبور, الدليم, العبيد, الحديدين, عنزة, و شمر تحل محل القبائل المغولية و التركية مرة ثانية[29] و يرى (لونكريك): ان اعظم حادث في القرن السابع عشر للميلاد كان هجرة عشائر (شمر) الى العراق[30]. و في نهاية القرن الثامن عشر و بداية التاسع عشر, استطاعت قبائل (عنزة) دفع (شمر), و ايجاد مستقر لها عند الجهة اليسرى من نهر دجلة بين كوت الامارة و الحويزة حتى سفوح جبال پشتكوه, و في الجهة اليمنى من نهر دجلة الى الجنوب من شط الحلة و حتى العمارة[31]. من جهة اخرى فان عشائر (شمر جربة) تجاوزت نهر الفرات قادمة من جزيرة العرب, و استوطنت منطقة الجزيرة بين الموصل و الخابور, فيما عبر قسم منها نهر دجلة, و استقر الى الجوار من الزاب الاسفل و منهم, الجبور, طي, الجحيش, و العگيدات[32]. و كان لهذه الحركات تأثير عظيم في حركة القبائل الاخرى من بينها انتقال عشيرة العبيد الى شرق دجلة و استقرارهم في منطقة الحويجة, متخطين بذلك مرتفعات حمرين[33]. و استمرت هجرة القبائل هذه بعد الحرب العالمية الاولى[34].

و بعيد تأسيس الدولة العراقية سنة 1921, سعت الحكومات العراقية الى وضع مخطط, لتنفيذ مشاريع استيطانية, بغية اسكان العشائر البدوية المتنقلة في مناطق مختارة تركزت في المحافظات ذات التنوع الاثنوغرافي في اقليم كردستان العراق, و في المقدمة منها: الموصل (نينوى), كركوك (التأميم) ديالى, و الكوت (واسط). و كان الهدف الحقيقي من وراء ذلك يتمثل في اعادة التكوين القومي لسكان الاقليم لصالح الاقلية العربية. و يشير الى ذلك الدكتور (البرازي) قائلاً: (ان الهدف من مشاريع التوطين هذه هو دمج المجتمع القومي الكبير, لانه ضرورة قومية ملحة[35].

تتناول هذه الدراسة, البعد التاريخي لاستيطان القبائل و العشائر العربية, في محافظة كركوك, و تحليل النتائج القومية له, في محاولة للكشف عن خطط التعريب التي تم تنفيذها في اقليم كردستان العراق, لاعادة التكوين القومي لسكانه لصالح العرب.

البعد التأريخي لتوطين العرب في محافظة كركوك

تشير الدراسات ذات العلاقة بسكان محافظة (اللواء) كركوك, ان العشائر العربية التي تشكل اليوم نسبا متزايدة من مجموع سكانها كانت قد هاجرت الى المنطقة منذ عهد قريب يتراوح بين (200-300) سنة, قادمة من الجزيرة العربية او من بلاد الشام, علما بان معظم هذه العشائر كانت قد استوطنت مناطق اخرى في العراق, قبل ان تزحف الى هذه المحافظة و تتخذ فيها مستقرات لها. و من الممكن الاشارة الى مجموعة من تلك العشائر العربية التي وفدت الى المحافظة, و اقامت مستوطنات لها في مناطق واسعة, و هي:

1-عشائر شمر: وفدت هذه العشائر من نجد في شمال الجزيرة العربية, على شكل موجات متقطعة باتجاه العراق و بلاد الشام. و قد استعانت بهم

الدولة العثمانية في حروبها مع ايران. و منهم عشيرة (الفداعنة) التي كانت على اتصال مع اقاربهم في منطقة (الحويجة)[37]. فيما انتشرت عشيرة (الاسلم) في المنطقة الممتدة بين البعاج (جنوب مرتفعات سنجار) و الحويجة في محافظة كركوك[38].

2-عشائر الظفير: نزحت هذه العشائر من نجد اوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي), الى العراق. و منهم (البومفرج) الذين استوطنوا الحويجة, و (الحليحل) و (الكراعنة), (و الخشامنه) و (البوعامر)[39].

3-عشائر عنزة: و منهم (لبوشاوس) التي دخلت العراق قبل (250) سنة و استقرت في قضاء الحويجة[40].

4-الجولة: قدمت من (نجد) و (و الحجاز) الى العراق, و استقرت في مناطق كركوك و الحويجة[41].

5-جميلة: من العشائر العربية التي دخلت العراق منذ اربعة قرون, و منهم جماعات قدمت من سورية, و اتخذت الحويجة مستقراً لها قبل قرنين فقط من الان[42].

6-العبيد: و هي من زبيد القحطانية, استقرت على الضفة اليمنى من نهر دجلة, بين سامراء و كركوك. و كانت تنتقل قبل ذلك مع عشائر طي و الحديدين في منطقة الحويجة[43].

7-القرغول: دخلت العراق قادمة من (نجد) شمال جزيرة العرب, و تعايشت مع عشيرة العبيد في منطقة الحويجة و لها كثافة سكانية في ناحية الرياض ايضاً, و في مدينة كركوك نفسها[44].

8-الجحيش: و هي عشيرة زبيدية الاصل, نزحت من جزيرة العرب الى بلاد الشام, ثم العراق عن طريق سنجار, و قد غادرت الموصل الى الحويجة و دبس و قرەتپه قبل قرنين[45].

9-الهيبات: و هي زبيدية ايضاً, توزعت مساكنها في محافظتي كركوك و صلاح الدين[46].

10-الجبور: استوطنت هذه العشيرة محافظات (نينوى – الانبار – صلاح الدين) و محافظة كركوك, قدمت من الجزيرة العربية منذ خمسة قرون, و منهم: (الصگور) التي استوطنت الحويجة و منطقة الزاب الاسفل ضمن حوالي (18) قرية, و منهم ايضاً (البونجاد) التي استقرت الى الجوار من العشيرة المذكورة[47].

11-ابو ضمرة: من عشائر (حرب) قدمت من نجد و الحجاز, و استوطنت في منطقة الحويجة. و مرتفعات (حمرين), مثلما استوطنت عشيرة (خفاجة) النجدية المناطق نفسها[48].

12-البو صباح: و هي من عشائر (البوحمدان) العدنانية, اتخذت مناطق الزاب الاسفل و دوزخورماتو و الحويجة و كركوك[49] مناطق استقرار لها.

بالاضافة الى تلك العشائر العربية, فان محافظة كركوك تعرضت, الى نزوح عشائر اخرى بينها بنوتميم, الصميدع, البوحمدان, الواسحق, البورباش و البوشاهر[50].

و لاشك فان استيطان العشائر العربية المذكورة في محافظة كركوك, و لاسيما جهاتها الغربية, كان مقدمة لحملات تعريب مستمرة تم التخطيط لها بشكل فعال بعد تأسيس الدولة العراقية, و ابرز صور التعريب تمثل بمشروع الحويجة.

مشروع الحويجة يتمثل المشروع بقناة تمتد مسافة (55) كم من الزاب الاسفل باتجاه الاراضي غرب محافظة كركوك, لارواء مساحة من الارض تجاوزت (220) الف مشارة مربعة. و قد بدأ العمل فيه منذ سنة 1936 حتى سنة 1952, و تم خلالها, توزيع الاراضي على العشائر العربية المتنقلة, بهدف استيطانها. و ذلك بمعدل (70-80) مشارة للعائلة الواحدة[51].

و كان استمرار الدولة في حفر الابار و مد طرق النقل و الخدمات الاخرى.. ما شجع المواطنين من تلك العشائر, الاستيطان في منطقة (المشروع). و خلال تنفيذ المرحلة الاولى من المشروع تم اسكان اكثر من (20) الفاً من افراد العشائر البدوية في المنطقة[52]. و كانت تعد اول عملية استيطان للعشائر العربية الرحالة في محافظة (لواء) كركوك, بعد تأسيس الدولة العراقية[53].

1-عشيرة العبيد, و قد اقميت لهم (124) مستوطنة بين بداية افتتاح مشروع الحويجة و سنة 1957.

2-عشيرة الجبور, و قد تم توزيعهم على (85) مستوطنة.

3-عشيرة البوحمدان, و خصصت لهذه العشيرة (14) مستوطنة بالاضافة الى (5) مستوطنات لعشائر التكارته و الدوريين.

في سنة 1977 تم انجاز مشروع ري صدام في المنطقة نفسها, الامر الذي ساهم في استيطان مجموعات اخرى من تلك العشائر العربية, و بالتالي تصاعد و تأثر نمو سكان الارياف في قضاء الحويجة بشكل غير (طبيعي) حيث بلغت نسب الزيادة اكثر من 5٪ سنوياً بين سنتي 1970-1977 ثم تجاوزت 9٪ خلال الفترة بين 1977-1987 بينما كانت ارياف المحافظة الاخرى تشهد انخفاضاً في حجم سكانها. انظر جدول رقم (4).

جدول رقم (4)

نسب التغيير في سكان ارياف محافظة كركوك[55]

الفترة	ارياف المحافظة	ارياف قضاء الحويجة
1957-1970	+1	+3.2
1970-1977	-2.5	+5.1
1977-1987	صفر	+9.4
1957-1987	-1.2	+5.5

من جهة اخرى, فان حركة الاستيطان العربي المذكور, نتج عنها ارتفاع سريع في نسب نمو سكان القضاء, بحيث تجاوزت مثيلاتها في اية وحدة ادارية اخرى, لذلك تصاعدت نسب حجم سكانه (قضاء الحويجة) من 18.8٪ من مجموع سكان محافظة كركوك, بين سنتي 1965-1987, كما ارتفعت

نسبة المساحة من 16.6٪ الى اكثر من 30٪ من مساحة المحافظة خلال الفترة نفسها[56].

البعد القومي للاستيطان العربي

ان استمرار زحف العشائر العربية الى محافظة كركوك, و تشجيع المسؤولين على الاستقرار فيها, من خلال القيام بمشاريع اروائية, او حفر الابار لهم, و توزيع الاراضي عليهم, او منحهم المكافآت المالية و الامتيازات الخاصة.. كان قمينا بالتأثير في الوضع الديموغرافي للسكان عموماً, و التكوين القومي على وجه الخصوص.. و ذلك لصالح الاقلية العربية و التي كانت تقل نسبتها عن 32٪ من مجموع السكان قبل تأسيس الدولة العراقية[57].

و من الجدير بالاشارة, الى ان قاموس الاعلام التركي و المطبوع سنة 1891م كان قد اكد بأن نسبة سكان العرب و التركمان و الكلدان, تقل عن ربع مجموع السكان و بأن نسبة سكان الكرد فيها تبلغ ثلاثة ارباع السكان[58].

من جهة اخرى كانت حملات حرق و تدمير القرى ذات الاغلبية الكردية و تشريد اهلها على امتداد القرن الماضي, و لاسيما في النصف الثاني منه ساهم جنبا الى جنب مع عمليات الاستيطان العربي, في تحقيق الهدف المركزي للدولة و هو زيادة نسبة السكان العرب على حساب القوميات الاخرى في محافظة كركوك و من ملاحظة جدول رقم (2), يتضح ان نسبة سكان العرب, كانت قد ارتفعت من (28-44.4٪) من مجموع سكان المحافظة بين سنتي 1957-1977, كما ارتفعت نسبتهم في مركز قضاء كركوك بنحو 16٪ خلال الفترة بين 1965-1977, و في ناحية (تازه) بنسبة 27٪ و في ناحية داقوق 14٪, و نحو 19٪ في ناحية قرەتپه, و مثل ذلك في ناحية الحويجة.

جدول رقم (5)

نسب التغيير في السكان العرب في محافظة كركوك (1965-1977)[59]

الوحدة الادارية	1965 ٪	1977 ٪	التغيير ٪
مركز قضاء كركوك	22.1	38.5	16.4
ناحية تازه	40.1	67.0	26.9
ناحية داقوق	38.1	51.7	13.6
ناحية الحويجة	72.8	91.7	18.9
ناحية قرەتپه	63.8	8.82	19.0
مركز قضاء كفري	8.7	11.2	2.5
المحافظة	39	44.4	5.4

و مع ذلك فان نسب سكان الكرد لاتزال مرتفعة في معظم وحدات المحافظة من بينها: شوان, قادر كرم, مركز قضاء چمچمال, آغجلر, سنگاو, و ناحية بيباز, حيث تجاوزت نسبة الكرد فيها 97٪ من مجموع السكان فيها. كما انها تزيد على ثلاثة ارباع السكان في ناحيتي التون كوپرى, و قرەحسن, فيما بلغت نحو 70٪ في مركز قضاء كفري لاحظ جدول رقم (6).

جدول رقم (6)

سكان من الوحدات الادارية في محافظة كركوك

بحسب القومية لسنة 1977[60]

الوحدات الادارية	السكان العرب ٪	السكان الكرد٪
ناحية قرەحسن	14.6	75.7
ناحية التون كوپرى	5.5	75.6
ناحية شوان	0.2	98.2
ناحية قادر كرم	0.8	98.7
مركز قضاء چمچمال	2.9	96.5
ناحية اغجلر	8.1	98.1
ناحية سنگاو	1.0	99.6
مركز قضاء كفري	2.11	69.2
ناحية بيباز	7.1	98.1

يمكن لهذه الدراسة الخروج بالنتائج الآتية

1-تعرض العراق الحالي, الى هجرة الاقوام البدوية من الجزيرة العربية و بلاد الشام منذ عهود سبقت ميلاد المسيح (ع). كما كان للفتوحات الاسلامية للعراق و الاقطار المجاورة, دور كبير في زحف المزيد من القبائل و العشائر العربية الى العراق, و اتاح للسكان العرب في الجانب الاخر من نهر الفرات عبوره و التوغل الى عمق الاراضي العراقية.

2-ان استمرار الهجرات العربية الى العراق, خلال الفترات التالية, و لاسيما في العصر الحديث, ادى الى حركة انتقال العشائر للاستيطان داخل اقليم كردستان العراق, متجاوزة مرتفعات حمرين – مكحول شمالاً و شرقاً.

3-لقد كانت مشاريع الاستيطان التي خططت لها الحكومات العراقية بعد تأسيس الدولة العراقية لسنة 1921, و في المقدمة منها: مشروع الحويجة الاستيطاني تقوم اساساً لتوطين العشائر العربية الرحالة في محافظة (اللواء) كركوك بهدف تغيير التكوين القومي لسكانها لصالح الاقلية العربية.

4-و رغم حملات التعريب في محافظة (اللواء) كركوك, فان السكان الكرد, لايزالون يمثلون نسباً متميزة في معظم الوحدات الادارية في المحافظة.

5-ان ابرز المهام القومية و الوطنية في الوقت الحاضر, هو السعي الجاد للمحافظة على كردية منطقة الدراسة, و العمل على وقف حملات التعريب المستمرة و عودة الوافدين من العرب الى محافظاتهم التي جاءوها, و دعوة السكان المهجرين و المهاجرين من ابناء المحافظة الى مواقعهم الاصلية التي هاجروا منها.

هوامش الدراسة:

*السنجق: مصطلح تركي, يطلق على وحدة ادارية كبيرة, و تقابل اللواء او المحافظة.

1-وزارة التخطيط, هيئة التخطيط الاقليمي, تحديد المناطق التخطيطية في العراق, بغداد, 1984, دراسة رقم (155) ص27.

2-انظر لونكريك, اربعة قرون من تاريخ العراق, ترجمة جعفر خياط, مطبعة المعارف بغداد, 1968, ص 424.

3-تقرير عصبة الامم, مسألة الحدود بين تركية و العراق, مطبعة الحكومية بغداد, 1824, ص21.

4-خليل اسماعيل محمد, البعد القومي للتغيرات في الحدود الادارية لمحافظة كركوك, منشورات وزارة الثقافة اربيل/ 1997, ص 9-.12
5-طه الهاشمي, مفصل جغرافية العراق, مطبعة دار السلام, بغداد, 1930, ص .554
6-فاضل حسين, مشكلة الموصل, مطبعة شبيلية, بغداد 1977, ص .3
7-تقرير عصبة الامم, المصدر السابق, ص.6
8-انظر: فاضل حسين, مشكلة الموصل, المصدر السابق, ص 119 و ايضاً تقرير عصبة الامم, ص .91
9-تقرير عصبة الامم, ص .11
10-دلير خالد, كيف الحقت كردستان الجنوبية بالدولة العراقية, كردستان العراق, 1992 ص.7
11-تقرير عصبة الامم, ص .13
12-المصدر نفسه, ص .94
13-المصدر نفسه, ص .94
14-منتشاشفيلي, العراق في سنوات الانتداب البريطاني, ترجمة الدكتور هاشم التكريتي, مطبعة بغداد, 1978, ص 61.
15-خليل اسماعيل محمد, اقليم كردستان العراق, المصدر السابق, ص 143-.144
16-تقرير عصبة الامم/ ص .94
17-المصدر نفسه ص .84
18-المصدر نفسه ص .85
19-المصدر نفسه ص .33
20-طه باقر, مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة, الجزء الاول, مطبعة الحوادث بغداد/ 1989, ص 190-.195
21-طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق, مطبعة دار المعارف, بغداد, 1930 ص 26-.27
22-انظر: جرجي زيدان, العرب قبل الاسلام, بيروت, 1978, ص .41
23-انظر: صالح احمد العلي, معالم العراق العمرانية, دار الشؤون الثقافية العامة بغداد, 1989, ص 310 و ايضاً: عبد محمد سوادي, الاحوال الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية, دار شؤون الثقافية العامة, بغداد, 1989, ص .64
24-ثامر لؤي العامري, موسوعة العشائر العراقية, دار الشؤون الثقافية العامة بغداد, 1993, الجزء الخامس, ص6.
25-الاصطخري, المسالك و المالك, دي غوية, (برين) ليدن, 1927, ص 85-.86
26-ياقوت الحموي, معجم البلدان, مكتب الاسدي, طهران 1965, ج1 ص 872 و جـ 4, ص .690
27-طه الهاشمي, المصدر السابق, ص .403
28-نوري خليل البرازي, البداوة و الاستقرار في العراق, القاهرة, 1969, ص .122
29-انظر نافع القصاب, ملامح جغرافية حول استيطان القبائل البدوية المتنقلة, مجلة الجمعية الجغرافية المجلد (5), ص 102 , 1969 مطبعة اسعد, بغداد ص .17
30-لونكريك, اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث, ترجمة جعفر الخياط, مطبعة اركان, بغداد, (1985), ص 102-.104
31-المصدر نفسه, ص 40-.43
32-طه الهاشمي المصدر السابق, و ايضاً: شاكر خصباك, العراق الشمالي مطبعة شفيق, بغداد (1973), ص .119
33-انظر: لونكريك, اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث, المصدر السابق, ص 242 و ايضاً: نوري البرازي, البداوة و الاستقرار في العراق, المصدر السابق ص .123
34-نوري خليل البرازي, المصدر السابق, ص 127.
35-نوري البرازي, المصدر السابق, ص .226
36-ثامر العامري موسوعة العشائر العراقية, المصدر السابق, الجزء (8), ص.47
37-المصدر نفسه, الجزء (8), ص .54
38-المصدر نفسه, الجزء (5), ص .60
39-المصدر نفسه, الجزء (5), ص .76

40-المصدر نفسه, الجزء (5), ص .300

41-المصدر نفسه, الجزء (5), ص .113

42-انظر طه الهاشمي: المصدر السابق, ص 425, و ايضاً: لونكريك اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث, المصدر السابق ص 30-.43

43-ثامر العامري, موسوعة العشائر العراقية, الجزء (5), ص 206-.211

44-انظر: شاكر خصباك, العراق الشمالي, المصدر السابق, ص 156, و ايضاً ثامر العامري, المصدر السابق, الجزء (7), ص 84-.88

45-ثامر العامري, موسوعة العشائر العراقية, الجزء (3), ص .268

46-شاكر خصباك, المصدر السابق, ص 155-156, و ايضاً: الموسوعة المصدر السابق, الجزء (7), ص 189-192 و الجزء (8), ص .189

47-ثامر العامري, الموسوعة, الجزء (4)/ ص 105 و الجزء (5), ص .77

48-المصدر نفسه, الجزء (1) ص 280-.281

49-شاكر خصباك, المصدر السابق, ص 154-.156

50-هادي الدفتر و عبدالله حسن, العراق الشمالي, مطبعة النهار, بيروت, 1955, ص .173

51-د. نوري طالباني, منطقة كركوك و محاولات تغيير واقعها القومي, لندن 1995, ص 40-41 و ايضاً: احمد محمد الجبوري, الاستيطان الريفي في قضاء الحويجة, رسالة ماجستير/ جامعة بغداد/ 1986 ص 44-.47

52-فهمي هويدي, الكرد شعب الله المختار... (هاواری كەركوك) العدد (4) السنة 1999 (سەنتەری رۆشنبیری كەركوك, هەولێر, ل171).

53-احمد رحيم امين, (حەويجە..) (گۆڤاری كەركوك) هەمان سەرچاوە ل .49

54-انظر: وزارة الداخلية, المجموعة الاحصائية لتسجيل عام 1957, (لوائي السليمانية و كركوك) و ايضاً: وزارة التخطيط, الجهاز المركزي للاحصاء, الحصر الاولى للسكان لسنة 1970, مطبعة الجهاز (بغداد) .1973

55-وزارة التخطيط, الجهاز المركزي للاحصاء, نتائج التعداد العام للسكان 1965, مطبعة الجهاز, بغداد, 1973, و نتائج تعداد السكان العام لسنة 1987 (محافظة التأميم).

56-خليل اسماعيل محمد, كركوك في تقرير عصبة الامم, گۆڤاری (هاواری كەركوك) ژ 4 / 1999, ل .177

57-سامي شمس الدين, قاموس الاعلام التركي, مطبعة مهران سي, استنبول 1891, "كركوك".

58-وزارة التخطيط, نتائج احصاء السكان لسنة 1965, عن: شاكر خصباك, العراق الشمالي, المصدر السابق, ص 135, و ايضاً: نتائج احصاء السكان لسنة 1977 عن: فەيسەل دەباغ, كورد و كەمەنەتەوايەتيەكانی تر لەسەرژمێری ساڵی 1977 دا بەشی دووەم, چاپخانەی رۆشنبیری, هەولێر, 1999, ل 40-.41

59-فەیسەڵ دەباغ, سەرچاوەی پێشوو, ل 40-41.

*فصول من كتاب (د. خليل اسماعيل احمد، كركوك: دراسات في التكوين القومي للسكان) الصادر عن جريدة ميديا-2002.

* د. خليل اسماعيل محمد: دكتوراه في الاستيطان الريفي سنة 1980 من جامعة بغداد. استاذ الدراسات السكانية بجامعة صلاح الدين ومحاضر في كلية العلوم الانسانية بجامعة السليمانية.

كركوك في
(قاموس الأعلام) التركي العثماني

ادناه مانشر فى قاموس الأعلام التركى العثماني عن كركوك في الصفحة 3846:

((تقع كركوك في ولاية الموصل بكردستان على مبعدة 160 كيلومتر جنوب شرقي مدينة الموصل اسفل سلسلة من التلال و على مشارف وادٍ كبير يسمى (وادي أدهم) و هي مركز سنجق شهرزور.

يبلغ تعداد سكان مدينة كركوك نحو ثلاثين ألف و فيها قلعة و 36 مسجداً جامعاً و 7 مدارس و 15 تكية و 12 خاناً و 1282 دكاناً و 8 حمامات و جسر واحد على النهر المار بها و أعدادية رشدية واحدة و 18 مدرسة للصبيان و 3 كنائس و حاورة واحدة .

تقع قلعة المدينة على تلّة في الضفة اليمنى للنهر و أنّ ثلاثة أرباع سكان المدينة هم من الكرد و القسم الباقي هم ترك و عرب و آخرون منهم 760 يهودياً و 460 كلدانياً.

تقع كركوك على طريق عدة قوافل و هي ملتقى هذه القوافل و هناك أعمال تجارية كثيرة فى المدينة و أنّ هناك مصادر مياه عديدة و أنّ أطراف و ضواحي المدينة مليئة ببساتين الفواكه مثل البرتقال و الليمون و الرمان و النخيل و غيرها من أشجار الفواكه و أنّ المناطق القريبة من المدينة تكثر فيها المياه المالحة و المعدنية و فيها الكثير من النفط . تكثر في مدينة كركوك حرف الغزل و النسيج وصنع القماش و دباغة الجلود وصنع الحبال و كذلك صناعة عصير

البرتقال . و الطقس هنا في أشهر الصيف الحارَة يعتبر لطيفاً و معتدلاً . و تضمَ المدينة مرقدي النبيين دانيال و عزير (عليهما السلام) و كذلك الأولياء الصالحين و المشايخ الكبار يؤمَها الكثير من الناس للتبرك و الزيارة . تعتبر كركوك مدينة قديمة و كان اسمها القديم ((كركوره)) .

مدينة كركوك هي مركز سنجق شهرزور و يحدها شرقاً سنجق السليمانية ، شمالاً كويسنجق و قضاء أربيل ، غرباً سنجق الموصل و ولاية بغداد في الجنوب الغربي و في الطرف الجنوبي الشرقي تقع قضاء الصلاحية . و تضم كركوك خمس نواح هي ملحة ، طوزخورماتو ، آلتون كوبري ، كيل ، شوان . و تضم كذلك 352 قرية.

نهر الزاب الأسفل وشط أدهم يصبان في دجلة و يمكن القول بأنَ القسم الأعظم من النهيرات و الوديان التي تصبَ في دجلة تمر بمنطقة كركوك . و أنَ أراضي كركوك و أطرافها هي بصورة عامة سهلية و قليلة الأرتفاعةو الانخفاض و هي خصبة للزراعة ، و المحاصيل الزراعية في هذه المنطقة هي الحنطة و الشعير و الرز و التبغ و كذلك الفواكه مثل العنب و الليمون .

الجهة الشمالية من مركز مدينة كركوك غنية بالنفط و أنَ سكانها قد أخلوها بسبب النيران المشتعلة لغاز النفط حيث يطلقون عليها اسم باباكوركور . و المنطقة أصبحت مركزاً لعلاج الأمراض المختلفة بسبب كثرة المياه المعدنية و تضمَ المنطقة أيضاً ينابيع المياه المحالة و بالأخص غرب مركز مدينة كركوك حيث يستخرج الملح من تلك الينابيع . و يربَى في منطقة كركوك العديد من الحيوانات كالغنم و الماعز و الخيل و غيرها)).

يظهر مما ورد في قاموس الأعلام التركي العثماني بأن مدينة كركوك في العهد العثماني:

1ـ كانت مدينة كردية.

2ـ القسم الأعظم من سكانها كانوا كرداً ، وقد شكلوا ثلاث أرباع السكان . و أنَ ربع سكان المدينة كانوا تركماناً و عرباً و يهوداً و مسيحيين .

لذا فان الشوفينين العرب كانوا يجهدون لتحويل كركوك المدينة الكردستانية العريقة الى مدينة عربية و ها ان رؤوسهم الخاوية تتكسر على صخرة التأريخ . نأمل من أخواننا التركمان أن يقرأوا هذا الموضوع في قاموس الآعلام باللغة التركية و أن لاينخدعوا بالدعايات المغرضة و يحافظوا على أخوتهم التأريخية مع الكرد و حيث أن شعب كردستان وقواه التقدمية وعلى رأسهم الأتحاد الوطني الكردستاني يعتبرون التركمان القومية الثالثة في العراق و يقرون لهم بجميع الحقوق السياسية و الثقافية و التعليمية و الأدارية أسوة بغيرهم من العراقيين.

* ترجمه من اللغة الكردية: محمد حمه صالح توفيق، عن صحيفة كردستاني نوى.

كركوك في موسوعات
البلدان الأوروبية و العربية و أمريكا

إعداد و تحليل: أحمد عزيز – الدانمارك

قبل الولوج في الموضوع, أود البدء بتعريف موجز لـ"الموسوعة" أي "الأنسكلوبيديا" أو ما يقابلها في العربية "دائرة المعارف" و هي عبارة عن شكل من أشكال "بنك المعلومات", و هي تضم بين دفتيها المجالات و الاختصاصات المختلفة. يتولى مجموعة من الأكاديميين و المختصين بإصدارها, و ينظر الى أي معلومة واردة فيها كحقيقة علمية و موضوعية, حيث يتفق ذوو الاختصاص بشأنها, لذا تعتبر الموسوعة مصدرا مهما للباحثين و الكتاب و القراء على حد سواء في أرجاء المعمورة.

في أحدث طبعة لها عرفت الانسكلوبيديا الدانمركية "الكبيرة و الشاملة" مدينة كركوك, كالآتي: "كركوك, هي مدينة حقول النفط, تقع في شمال شرقي العراق, و هي جزء من كردستان, تقع على مسافة 250 كم شمالي بغداد, تحتوي حقول نفط كركوك حسب التقديرات على زهاء 7.5٪ من أجمالي الاحتياطي النفطي العالمي. تمتد أنابيب النفط في كركوك الى سورية و لبنان و تركيا, ألا أن الحصار المفروض من قبل الأمم المتحدة على العراق ادى الى الانخفاض في معدلات انتاج النفط في حقول كركوك, كما و تقع كركوك على اطراف سلسلة جبال زاغروس, و يبلغ عدد سكانها "500.000" نسمة, كان معظم سكانها سابقاً من الكرد, بينما بدأ عدد الكرد فيها بالتقلص منذ عام 1970 مقابل أزدياد عدد السكان العرب[1].

و جاءت كركوك في الانسكلوبيديا النرويجية بأنها: مدينة في كردستان العراق, و تقع في نهايات جبال زاغروس على مسافة 230كم شمال بغداد, عدد سكانها حسب احصاء عام 1970 هو 207900 نسمة, و هي مركز تجاري مهم لكردستان, تضم أكبر حقول النفط في العراق[2].

و بعد تعريف دقيق و واف لمدينة كركوك في الانسكلوبيديا الألمانية ذكرت: كركوك, بأنها ضمن كردستان تأريخياً, و قد وقعت كل من كردستان و العراق تحت سطوة العثمانيين عام 1638, كما وقعت كركوك تحت سيطرة البريطانيين ابان الحرب العالمية الأولى, و في عام 1927 أكتشف فيها أكبر حقل نفطي في العراق[3].

و ضمت الانسكلوبيديا السويدية خارطة كردستان, و ميزت كركوك بلون فارق, و درجتها ضمن اطار خارطة كردستان كإحدى مدنها[4].

أما بالنسبة لانسكلوبيديا جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية ذكرت كركوك على الشكل التالي: إن عدد سكان مدينة كركوك حسب إحصائية عام 1987 هو "418624" نسمة, و هي مركز الصناعة النفطية العراقية, تتصل بالموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط بواسطة أنابيب النفط, تراجع إنتاج النفط فيها بعد عام 1980 بسبب الحرب العراقية – الإيرانية, تعتبر كركوك سوقا مهمة في المنطقة, من محاصيلها الزراعية: الحبوب, الفواكه و القطن..ألخ. كما يوجد في المدينة معمل للسجاد, فيها بعض الآثار التي تعود الى 3000 سنة قبل الميلاد, غالبية سكان المنطقة هم من الكرد[5].

و عرفت الانسكلوبيديا البريطانية كركوك بأنها: مدينة تقع في شمال شرقي العراق, على مسافة 145 ميلا 233 كم للشمال من بغداد "العاصمة الوطنية" تربطها ببغداد طرق برية و خطوط سكك الحديد, و تقع كركوك بالقرب من سلسلة جبال زاغروس في أقليم كردستان العراق, القسم القديم من المدينة يوجد في أطراف القلعة التي بنيت في عهد الآشوريين في القرنين التاسع و العاشر قبل الميلاد[6].

و جاءت كركوك في انسكلوبيديا مؤسسة (MICROSOFT) الامريكية": كركوك مدينة تقع في الشمال الشرقي من العراق, هي مركز أقليم كركوك, و يوجد فيها أغنى حقل نفطي في العراق, الخط الرئيس لأنابيب النفط العراقية ينطلق من كركوك صوب سواحل البحر الأبيض المتوسط, كما أنها مركز تجاري مهم في المنطقة بسبب وفرة المحاصيل الزراعية: حبوب فواكه و مواش (وقد عثر في كركوك على بقايا حضارة قديمة تعود الى 3000 سنة, تراجع عدد سكانها من الكرد بشكل ملحوظ بعد عام 1980 بسبب أتباع سياسات معينة من جانب الحكومة العراقية هادفة الى طرد الكرد منها و توطين آخرين مكانهم, رغم أنها مركز ثقافي كردي, عدد سكان كركوك حسب إحصائية عام 1987 هو 418.624 نسمة[7].

و تقول الشرق الأوسط, من؟ ماذا؟ و أين؟ حول كركوك: "كركوك مدينة في شمال العراق, أصبحت منذ ثلاثينيات القرن العشرين مركزا مهماً لأزدهار الصناعة النفطية العراقية, معظم سكانها من الكرد, و لكن توجد في المدينة أقليات أخرى منها التركمان, نشبت في عام 1959 حرب دامية بين الكرد و التركمان على السلطة السياسية في المدينة, انتهت تلك الحرب لصالح الكرد. و قد أصر القادة الكرد دائماً على أن كركوك هي جزء من كردستان العراق أثناء المفاوضات مع الحكومات العراقية, فيما رفضت تلك الحكومات دائماً على أن تكون كركوك جزءاً من المناطق الكردية[8].

كما جاء في الموسوعة العربية العالمية عن كركوك" و تعد كركوك عاصمة المجموعات الكردية في الشمال[9].

و اعتبرت الموسوعة العربية الموجزة في صفحتها 449, كركوك من المدن الرئيسية في كردستان العراق[10].

لقد اخترنا "انسكلوبيديا" مجموعة مختلفة و مهمة من بلدان اوربا و أمريكا و بعض البلدان العربية كنموذج لتحضير هذا التحقيق, و على ضوء ما تقدم, لو دققنا النظر في المعلومات الواردة بصدد تعريف كركوك و تحديد واقعها الوطني و القومي لتوصلنا الى: كما جاء آنفاً في تعريف الـ(Encyclopedia) إن كل معلومة مسجلة في الأنسكلوبيديا, هي حقيقة موضوعية قائمة على أساس علمي و أكاديمي, و يتفق الجميع عليها, لذلك فإن كردستانية كركوك و غالبية سكانها من الكرد, حقيقة يتفق عليها الجميع.

حول الواقع الوطني للمدينة تذكر كل من انسكلوبيديا الدانمارك و النرويج و المانيا و السويد و بريطانيا و السعودية و (Microsoft) الأمريكية, كركوك كمدينة كردستانية و سجلتها هكذا.

أن تعريف أية مدينة كمدينة كردستانية يعني في ذات الوقت بأن الكرد يسكنون المدينة و يشكلون غالبية سكانها, إذ لم تذكر أية مدينة بالكردستانية, ما عدا المدن التي يغلب على سكانها العنصر الكردي, فهناك مئات الآلاف من الكرد يسكنون مدينة بغداد على سبيل المثال, و لم يقل أحد عنها بإنها مدينة كردستانية.

و عن الواقع القومي لمدينة كركوك, أشارت الى أن معظم سكان المدينة هم من الكورد, ليس هذا و حسب, بل أشاروا أيضاً الى سياسات و مساعي الحكومات العراقية المبذولة منذ عام 1970 لطرد الكورد من كركوك و توطين العرب في أماكنهم بهدف تقليل نسبة الكورد و تضخيم عدد سكان العرب في المقابل.

لذا و حسب الحقائق المذكورة آنفاً, نصل الى نتيجة أن: كركوك هي مدينة كوردستانية, و كانت ضمن المحيط الكوردي على الدوام. معظم سكان مدينة كركوك هم من الكورد.

أن الهدف الرئيسي من عرض المعلومات أعلاه كان بهدف, أثبات حقيقة كردستانية كركوك حسب المصادر الحديثة و المعاصرة.

فلو عدنا أدراجنا قليلاً الى الوراء و حسب المصادر التأريخية, و جعلنا من قاموس الإعلام العثماني نموذجاً لوجدنا الحقيقة التالية التي تقول" أنها مدينة تقع على مسافة 160 كم جنوبي غرب ولاية الموصل الكردستانية, و هي مركز أيالة شهرزور, عدد سكانها 30000 نسمة, ثلاثة أرباع ذلك العدد هم من الكرد, و الباقي من السكان هم من الترك و العرب و قوميات أخرى, كما يعيش فيها 760 يهودياً و 460 كلدانياً(11).

كما جاء ذكر كركوك في المجلد السادس من مجلة القفقاس للجمعية الجغرافية الملكية الروسية استناداً للمعلومات التي ذكرها و نشرها المهندس الروسي "يوسيب – يوسف المعروف بـ(جيرنيك) على أثر الزيارة التي قام بها للمنطقة خلال الفترة 1872-1873 لدراسة إمكانية الملاحة النهرية في حوضي دجلة و الفرات و روافدهما, و قدر سكان كركوك في ذاك الوقت بـ 12-15 الف نسمة, مؤكدا باستثناء 40 عائلة أرمنية فأن باقي السكان هم من الكرد(12).

و من الدلائل التي من المكن الإشارة اليها على كون أن غالبية سكان كركوك من الكرد هو أن ثلثي الأعضاء المنتخبون للبرلمان العراقي عن كركوك كانوا من الكرد على الدوام, مقابل ثلث مخصص للنواب التركمان و العرب و باقي القوميات و الطوائف الاخرى(13).

و كشفت الوثائق العراقية أنه في عام 1930 على أثر التعداد الكيفي الذي أجرته بلدية كركوك بأن المجموع الكلي لمدينة كركوك هو 35.000 نسمة منهم 22.000 الف نسمة من الكورد 7000 الاف من التركمان 2000 مسيحي 2000 آشوري 500 أرمني 2500 يهودي(14).

بأعتقادي أن أتباع سياسة التطهير العرقي في لواء كركوك منذ بداية النصف الأول من القرن العشرين و الى يومنا هذا يعود الى النقاط التالية:

1-تأسيس الدولة العراقية الحديثة و إلحاق كوردستان الجنوبية ولاية الموصل بها. إذ لم تكن هناك سياسة تعريب للمدينة قبل تأسيس هذه الدولة الفتية.

2-أهمية منطقة كركوك من الناحية الجيوبوليتيكية, بإعتبارها نقطة ربط الأناضول بالعراق و ايران.

3-خصوبة اراضيه و العثور على كميات كبيرة من النفط تقدر بـ 7.5٪ من أجمالي الاحتياطي النفطي العالمي(15).

على المستوى العالمي هناك حديث شائع بشأن النفط على اعتبار كونه سلاحاً نفاذاً, و قد حول القوميون العرب على وجه الخصوص هذه المقولة الى شعارهم, و منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921 و الى يومنا هذا ما أنفك اصحاب القرار في العراق يسعون من أجل تعريب مدينة كركوك, و قد عملوا بجد و نشاط لهذا الهدف ضمن مخطط و تصميم استراتيجيتين, و بالرغم من تفاوت توجهات الانقلابيين الذين تسلموا مقاليد السلطة في العراق لم تشذ واحدة منها عن الأخرى بالنسبة لوضع

مدينة الأسمى بالنسبة لهم هو تغيير الواقع القومي لمدينة كركوك بالشكل الذي يتفق و المصلحة العليا للعرب, أي ضمان الأمن القومي العربي على حساب الشعب الكوردي و التعايش السلمي في العراق, و التي أدت بالنتيجة الى حروب طاحنة و استنزاف دفع الشعب العراقي بكافة مكوناته ثمناً باهظاً لتلك السياسة, لاعتقادهم بأنه لو دخلت مدينة كركوك ضمن مناطق الحكم الذاتي سيسهل للكرد اشهار سلاح النفط بوجههم, بينما أكد المفاوض الكردي على الدوام عدم صحة هذا الاعتقاد و ما المطالبة الكردية بمدينة كركوك أن تدخل ضمن جغرافية كردستان ليس هو إلا لأحقية الكرد التاريخية بهذه المنطقة, و منذ عهد الشيخ محمود, لم تجد مساعي الحركة الكردية نفعاً بشأن استرجاع مدينة كركوك الى ظل السلطة و الحكومة المحلية الكردية.

يقول الملك فيصل الأول ملك العراق في إحدى خطاباته, في 15 – أذار 1932: إن حكم العراق حكم عربي سني و قد عملنا جاهدا لكي يتأسس هكذا. و يسترسل في خطابه الى: يجب أن نجعل الناس يعتادون التفكير كعراقيين, نربيهم هكذا, و يجب أن يكون في العراق شعب واحد و يقصد الشعب العربي[16].

أن هدفنا من التذكير بهذه الحقائق التاريخية المرة هو الاتعاظ من تجارب التاريخ و السعي من أجل الوقوف بوجه تكرار ما حدث من تجاوزات و سياسة التطهير العراقي بحق شعبنا في الماضي القريب, للحكومة العراقية في المستقبل, الذي يمكن أن يلعب الكرد دورا مهماً في رسم سياساته.

يذكر الكرد بمرارة بالغة المحاولات المحمومة للحكومات العراقية المتعاقبة, و كل حسب مستطاعها, لصهر الشعب الكردي في بوتقة العراق العربي, و لا يمكن ملاحظة اختلاف يذكر بين اولئك الحكام من حيث جوهر سياساتهم, منذ خطاب الملك فيصل الأول الى حملات الأنفال و القصف الكيمياوي و ممارسة سياسة الأرض المحروقة لإبادة العرق الكردي الذين عاشوا على ارضهم كردستان منذ الاف السنين.

و دليل قولنا هذا هو الاعتراف الصريح للمدعو علي حسن المجيد و الملقب بـ(علي كيمياوي) حينما كان مسؤول مكتب تنظيم الشمال حيث قال و بالحرف الواحد و هذا مثبت على كاسيت مسجل و بصوته:

عندما جئت الى كركوك لم يكن يتجاوز عدد السكان العرب و التركمان معاً نسبة 51٪ من أجمالي سكان محافظة كركوك و بعد صرف 60 مليون دينار بهدف تعريب كركوك مازالت نسبة العرب و التركمان في كركوك لم تتعد 60٪ من أجمالي سكان المدينة[17].

من المعلوم بأن سياسة تعريب كركوك جرت على قدم و ساق و على جميع الأصعدة, ابتداءاً من تنفيذ مشروع ري الحويجة في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين مرورا بجلب العرب العراقيين و توطينهم في منطقة كركوك وصولاً الى التغييرات

الإدارية و استئصال معظم الوحدات الادارية و الأقضية و النواحي التابعة لكركوك ذات الأغلبية الكردية كقضاء جمجمال و قضاء كفري و قضاء دوز خورماتو من جسد المحافظة و الحاقها بمحافظات أخرى, حيث قلصت محافظة كركوك في الفترة ما بين 1970-1977 من 23 وحدة إدارية الى 11 وحدة فقط, و جراء تلك السياسة استقطع أكثر من 50٪ من مساحة المحافظة.

لم يقتصر التعريب على كركوك وحدها و حسب بل أمتد الى عمق كردستان أيضاً صوب أربيل في مناطق مخمور و ديبكه, و مناطق شوان و جباري و قره حسن صوب جمجمال و السليمانية, و مناطق شيخان و سنجار حيث تقطنها أبناء الطائفة الإيزدية الكردية, أجرى النظام العراقي المخلوع مسحاً شاملاً ضمن سياسته العدوانية ضد الشعب الكردي على عشرات الآلاف من الكيلومترات مقتلعاً الكرد من جذورهم التاريخية, و وطن محلهم العشائر العربية, و تم تسليحهم و بحماية الجيش العراقي, و قد حفر ما يقارب 1500 بئر ارتوازي في تلك المناطق لتسهيل معيشة تلك العشائر و ليضمن لهم الجانب الزراعي و تربية المواشي[18].

و في ختام هذا التحقيق أود القول, إن تعريف كركوك كجزء من كردستان و تثبيتها كمدينة كردستانية في أنسكلوبيديا معظم بلدان اوربا و امريكا و البلدان العربية, هي وثيقة أخرى تضاف الى جانب العشرات من الوثائق و المصادر التاريخية التي تؤكد هذه الحقيقة و هي كردستانية كركوك و تشكيل الكرد للأغلبية السكانية فيها, و الشمس لا تحجب بغربال..

الهوامش

1-و ذلك نتيجة سياسة التعريب المبرمجة التي أنتهجتها الحكومات العراقية المتعاقبة, و خاصة بعد إنقلاب شباط 1963.

تقع الموسوعة الدانمركية الرئيسة في 20 مجلدا, بدأ العمل بها عام 1994 و في 2002/10/16 أنتهى العمل من المجلد العشرين, شارك في وضع و إعداد هذا العمل الضخم أكثر من 300 مختص في صياغة الإنسكلوبيديا, كما تم تحضيرها بإشراف 8 أساتذة بدرجة بروفيسور و 6 مدراء عامين و 36 مديرا فنيا, مادة كركوك, المجلد العاشر ص560.

2-انسكلوبيديا النرويج الرئيسة, الطبعة الأولى, المجلد 8 ص238.

3-الموسوعة الالمانية الرئيسة, الطبعة الأخيرة حرف الكاف ص 35.

4-الموسوعة السويدية الرئيسة, طبعة 1970 المجلد 2 ص235.

5-موسوعة جامعة كولومبيا "الولايات المتحدة الأمريكية" الطبعة الأخيرة 2000 على شبكة الأنترنيت www.encyclopedia.com.

6-الموسوعة البريطانية Britannica Encyclopedia الطبعة الأخيرة, على شبكة الأنترنيت. www.britannica.com .

هناك مصادر أخرى تؤكد على تشييد مدينة كركوك و التي كانت تدعى بـ(أربخا) على يد الكوتيين الذين يعتبرون أجداد الكرد القدامى, حيث يذكر العلامة توفيق وهبي: بأن كركوك مدينة قديمة, و هي أقدم ذكرا في المسمارية من مدينة أربيل, و أقدم ما لدينا من المعلومات الخاصة بكركوك,

هـو مـا جـاء في التقـويم الجغـرافي المشـهور عـن ممتلكـات (سرجون) الأكدي (2530-2473 ق.م تقريباً) ففي التقويم المـذكور نجـد أسـم بـلاد (أربـخ) بـين أسمـاء كــ(الآشورية, و اللولوبي, الكوتيوم, و الأكد, الخ..) و قد شخصت اربخ بمدينـة كركوك.

حيث سجل تكلت – بينسر الأول, الملك الآشوري 1255-1281 ق.م أنه فتح بلاد أربخ و كان أول ملك آشوري أستولى عليهـا, ثـم وقعـت بعـد ذلـك بيـد الملـك العيلامـي شـهلك – أنششـنك 1165-1151 ق.م أي بعـد نشـوء مدينـة أربـخ بحـوالي عشـرة قـرون. لـذا يسـتبعد بأنهـا شـيدت علـى يـد الآشوريين. راجع في ذلك, أصل أسم مدينـة كركـوك, للعلامـة الراحـل توفيـق وهـبي, جريـدة الإتحـاد العـدد 344 الجمعـة 1999/11/12 السـنة الثامنـة, عـن "كركـوك المدينـة الضاحكة بالنور و النار" عوني الداوودي.

7-موسوعة مؤسسة MICROSOFT الامريكية, الطبعة الأخيرة .2001

8-أنس يريشو – يورغن بيك سيمونسن من؟ ماذا؟ كيف؟ ص107, مطبعة بولتيكن, 1992 الدانمارك.

9-الموسوعة العربية العالمية – الجزء 19, مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع, المملكة العربية السعودية, الطبعة الأولى 1996, صفحة 214. عـن "كركوك المدينـة الضاحكة بالنور و النار "لعوني الداوودي, المقدم للندوة العلمية التي عقدها مركز كربلاء للبحوث و الدراسات تحت شعار "كركوك مدينة القوميات المتآخية" في لندن من 21-22 تموز .2001

10-المصدر السابق.

11-شمس الـدين سـامي, قـاموس الإعـلام العثمـاني 1315هـ 1898م اسطنبول.

12-د. جبار قادر, التركيب الأثني لسكان كركوك خلال قرن 1850-.1958

13-مناظرة لهيئة عن مدينة كركوك – الدانمارك في 1999/12/4 لـ د. نوري طالباني نظمت لبحث تاريخ كركوك و محاولات تعريبها.

14-محمـد أمـين زكـي بـك, دوو تەقەلای بـی سـود – محاولتـان غـير مجـديين - مطبعـة هەلويسـت لنـدن 1984 حققه و قدم له صباح غالب.

15-الانسكلوبيديا الدنماركية, مصدر سابق.

16-محمود ملا عزت, دوائر الصراع و استراتيجية الأمن القومي الكردي, 1999 الطبعة الثانية, السليمانية.

17-علي حسن المجيد, سكرتير مكتب الشمال لتنظيمات حزب البعث الحاكم في العراق, شريط صوتي مسجل بصوت المذكور في 1989/4/15 وقع بيد الحركة السياسية الكردية في انتفاضة اذار عـام 1991 و سـلمته الى الولايـات المتحـدة الأمريكية كمصدر معلومات عن الأبادة الشاملة في العراق.

18-د. خليل إسماعيل محمد, البعد القومي للتغييرات الإدارية لمحافظة كركوك .1997 حملات الأنفال ضد الكرد منظمة HUMAN RIGHTS WATCH في الولايات المتحدة الأمريكية, طبع و نشر في .1993

ملف عن الشاعر

شيركو بيكەس

بعد سنوات طويلة من تجربة رائدة، غيرت خارطة الشعر الكردي الحديث، وأعادت رسم ملامحها بأنامل ابداعية وتجديدية.. سنوات تخللتها حياة الجبل القريبة من انصار التحرر، والمنافي البعيدة عن الوطن ولكن قريبة دائما من نبضه.. تجاوز الشاعر الكردي شيركو بيكەس عقده السادس و أكمل في الثاني من شهر آيار الماضي الثالثة والستين من العمر. وبهذه المناسبة إرتأى اصدقاء الشاعر في اسرة تحرير (سردم العربي) ان تخصص المجلة هذا الملف لـ (شيركو بيكەس) لإطلاع القارئ العربي على تجربته في الشعر والحياة والرؤيا، بعد ان أدرجت المؤسسة الثقافية الرسمية للنظام البائد كتاباته و دواوينه في خانة المحظورات.


الشاعر الكردي شيركو بيكەس

البحث عن كينونة حاضرة في المكان و غائبة في الزمان

رحلة الشعر الكردي من بابا طاهر الى شيركو بيكەس

شاهو سعيد

بعـد حـوالي ثلاثـة قـرون مـن الصـمت عقبـت الفتوحات الاسلامية للمنطقـة الجبليـة الـوعرة الـتي تمتد من سلسلة جبال زاغروس جنوبا حتـى هضـبة الاناضـول شمـالا, و الـتي تسـمى بـارض كردسـتان, مـوطن الكـرد, و حيـث تنشـطر حاليـا بـين دول في الشرق الاوسط.. بعد مخاض طويـل بـين المقاومـة و التقوقع في ديـن قـديم و الاستسـلام و الانفتـاح امـام دين جديد, من قبل شعب ضرب جذوره في العرفـان الشرقي و الحكمة الايرانية من جهة , و بدأت تشـده ثقافة دينية جديدة مطعمة ببيان عربـي وافـد مـن الصـحراء المولـدة لثـراء ايقـاعي بطبيعتهـا مـن جهـة اخرى.. بعد مسيرة ايام شاقة مـن البحـث اللامجـدي عن حب غيبه الزمن و أحياه هاجس الشعر في هيئة سراب.. جلس شيخ العارفين تحت شجرة مسنة, أكل دهر الاباطرة الايرانيين و الامراء المسلمين الفـاتحين عليها و شرب, واضعا كشكوله جانبا, قارضا رباعيته الجديدة:

لقد غرست شجرة الحزن جذورها في روحي
فاناجي امام عتبة الملكوت ليل نهار
ايها الشباب! ادركوا قيمة حياتكم..
لأن الاجل كالحجر.. و الانسان كالزجاج!

كانـت هـذه الاسـطر المنظومـة علـى وزن الهـزج, واحــدة مــن رباعيــات باباطــاهر الهمــذاني (935-1010م), التي شكلت بداية منهكة من حيث القلـق الكينوني و عميقة من حيث البناء و الايحاء, للشـعر الكردي الذي بدأ يـنفض عـن جسـده غبـار الارتبـاك بين حضارتين مختلفـتين (الساسـانية و الاسـلامية), و منظـومتين مغـايرتين لانتـاج المفهـوم و المنطـوق. لقد كانت تلك البداية قائمـة علـى ثنائيـة الثبـات و التحـول, الثبـات مـن حيـث احيـاء الـذاكرة المكبوتـة

للشعب الكردي و ادامتها في فضاء اللغة, و التحول من حيث تطعيم تلك الذاكرة بفنون بلاغية و عروضية جديدة للشعر العربي.. لكن هذه الثنائية و رغم اهميتها خلقت قلقا عميقا اصطبغ به شعر بابا طاهر, و الشعر الكردي الذي بدأ به بشكل عام, لأن الشعب الذي انتج ذلك الشعر قدر له أن ينشطر بين كينونتين, احداهما حاضرة على الارض, بين الجبال و الوهاد و المروج, و الثانية غائبة او بالاحرى مغيبة في الزمان الذي الغى الوجود التاريخي لشعب قبل أن يلغي وجوده في الخارطة الجغرافية, و قد جعل ذلك الانشطار من بابا طاهر كائنا قلقا متسائلا, لا شيء يرضيه سوى التمرد و البحث و الخروج من دائرة المكان الذي يضيق به, كي يتحد بالافلاك, و يحاور القدر الالهي:

لو وصلت يداي الى افلاك الكون
لسألتها عن السبب فيما يحيرني:
اذ منح البعض آلاف النعم..
و منح البعض خبز الشعير الملوث بالدم!

و لئن كانت الارض تضيق به, و تمنعه من أن يتحد بالافلاك, فان بقاءه في الزمن, التاريخ, يحتم عليه أن يعيش في سكونه و ثباته لا سيرورته و تحوله, لان فاعلية الزمن الخارجي منوطة بتجميد زمنه الذاتي.. اما فاعلية الذات و صيرورة الارادة فتؤديان الى كارثة, كارثة لا يمكن لريشة اي فنان أن تصورها سوى ريشة بابا طاهر الشعرية:

انني ذلك الطائر الناري الذي..
لو حركت جناحي, لاحترق العالم فور تحليقي!

و لو صادفني رسام و صورني على حائط..
لاصبح العالم رمادا فور انكشاف سر هيئتي!

إن هذا القلق بين التخفي و التجلي يكشف عمق وعي صاحبه امام الذات كموجود يطمح أن يكون حرا, و امام الواقع كموضوع يؤجل تلك الحرية او يلغيها.. فعليه أن يختار: إما الذات مقابل فناء العالم! و إما العالم امام كبت الذات!!.. فيفضل في النهاية الاختيار الثاني.. لكنه ليس اختيارا مازوخيا, بل اختيار استوجبته حقيقة الشعر, لان الشعر لغة, و اللغة هي اداة لتحقيق (العلانية), و اظهار المستخفي, او هي تجلي الموجود البشري في العالم الخارجي. و اذا كان وجود النباتات او الصخور او الحيوانات لا يعرف تفتحا – على حد تعبير هيدجر – فذلك لان كل هذه الموجودات لا تملك لغة تتخذ منها سبيلا الى التجلي و الانتشار. و هنا يلجا بابا طاهر الى تفجير مكبوته اللغوي لتخرج الى عالم العلانية, بعد ثلاثة قرون من صمت ذاكرة بني قومه و يعلن عن ذاته في الزمن (التاريخ), رافضا مجرد امتزاجه بالوجود, المختلط المتخفي في المكان (الارض). و هذا ما يسميه هيدجر بالتواصل الخلاق بين لغة الشعر و كينونة الشعب الذي تنتمي اليه تلك اللغة, و على ضوئه يدعونا الى قراءة فنون و آداب كل شعب من الشعوب لكي نقرأ لغة هذا الشعب في التعبير عن العالم, و الارض, و الصراع الحاد القائم بينهما, و شتى مظاهر تفتح الوجود. و كما أن للغة طابعا تاريخيا, فان الشعر ايضا له بعده التاريخي الذي يجعل منه مظهرا ليقظة شعب ما من شعوب الارض في اكتساب حقيقته, و تاكيد عالمه الخاص.

و قد شكلت التجربة الصوفية ملجأ آخر التجأ اليه العديد من الشعراء الكلاسيكيين الكرد, لترجمة مشاعرهم و قلقهم, الى لغتها الطافحة بالرموز و تفتح الخيال. و يقوم الخيال العرفاني بدوره المتفرد الخلاق في الجمع بين الاطراف المتضادة, و خلق علاقات جديدة منها, و أن الاضطراب الزمكاني الذي عاشه الانسان الكردي دفع بالشعراء الكرد الى الرحيل عن عالم قد يأويه في المكان, لكنه يطرده من الزمان.

و اثناء تلك الرحلة لجأ الشعراء المتصوفة الى نقل اشاراتهم الباطنية الى الظاهر, اي ترجمة احاسيسهم التي تتخللها اعمق درجات الخيال الى العبارات, و قد تضمنت عباراتهم صورا يضيء بعضها بعضا في حركات داخلية, و تداعيات, لابد من بناء ايقاعي يجسدها و يظهر تناسقها الحيوي.. لذلك نجد بأن الشعر الكردي يلجأ بعد بابا طاهر, و خصوصا على يد الملا احمد الجزيري (1407-1481م), الى تطعيم التجربة الشعرية بالبناء الايقاعي المتين, على كافة المستويات العروضية و الداخلية و الذهنية, و يتبين من نصوص هذا الاخير انه التزم بوحدة الوزن و القافية مستخدما السجع الداخلي و المحسنات اللفظية و غيرها من الفنون البلاغية المستقاة من الآداب العربية و الفارسية, لاطعام التجربة الصوفية بها. و قد تمظهرت تلك التجربة عنده في حالة الاختلاء بالنفس في خضم الاشياء التي لا حدود لها في الكون, و ايجاد العلائق الازلية بينها, و اذا كان بابا طاهر قد حاول مزج كينونته الحاضرة في المكان مع كينونته الغائبة في الزمان, فان الجزيري قد عبر عن ذلك القلق في الالم الذي يحدثه الانشطار بين الحب و الجمال, من خلال ايمانه بأن الحب و الجمال كانا متحدين في البداية, لكنهما انشطرا, و أن مهمة العاشق تكمن في اعادة اللحمة اليهما. لكن هاجس التوحيد ذلك يبقى بحثا مقدسا عن سراب, لأن الحب هو ما يطمح اليه الانسان, اما الجمال المطلق فهو ما يتجلى في الله وحده, و كي يبقى الحب حبا يجب أن يكون بحثا متواصلا عن حبيب لا يتحقق الوصال به, فالجمال يبقى ينبوعا انبثق منذ الازل و لا ينضب الى الابد, و الحب يبقى بحثا متواصلا لظمان يدرك الينبوع دون أن يصله:

حين منحنا الحبيب الخالق ذرة من رحمة عنايته
كانت الخمر و الكأس من نصيبنا, في سفر الهداية!
إن جمال الحبيب لا ينضب ابد الآبدين
لان ما ليس له بداية.. لا يكون له نهاية!

و في مرحلة اخرى من تاريخ الشعر الكردي انحسر التصوف الاهتيامي العميق, المتسع للحب الالهي و القلق الابداعي, امام ظاهرة الدروشة و طقوسها الخالية من الشعرية.. لكن شاعرا كاحمد خاني (1650-1706م) ابى الا أن يكون منارة التصوف الاهتيامي وسط اطلال حب هجره الناس في زمنه, لأن زمنه الحقيقي هو زمن البحث عن وحدة الوجود, فالله يتجلى نورا في سيماء العشاق, و

نـارا في قلـوبهم.. و ان سـر التجـاذب بـين العاشـق و المعشوق سر الهي, كمـا أن الحب العـذري بـين (مـم و زين) تحويل لحب الهي, اشرق و تمظهر علـى الارض, و لاول مرة في تـاريخ الشعب الكـردي يترجـم خـاني قلق شعبه الوجودي الى قلـق ايـديولوجي, و يعلـن أن تفجير مكبوتـه اللغـوي و الخـروج الى عـالم العلانيـة ليس تواصلا بين لغة الشعر و كينونة شعبه فحسب, بل تواصل بين لغة عصره التي تتباهى بها الشعوب الاخـرى بامجادهـا و اصـولها, و حضـور شـعبه في التاريخ الذي يناسـيه: (لقـد زينـت ملحمـتي بجـواهر اللغة الكردية ولآليها, كي لا يقال إن الكرد لـيس لهـم جذور و لا يفقهون.. و لا يقال إن جميـع الاقـوام لها كتب و صحف, سـوى الشعب الكـردي الـذي لـيس لـه شأن و دور).

و مع ازدهار امارة بابان الكردية, التي مـازال لها تواصـل ثقـافي و حضـاري, رغـم افولهـا السياسـي في النصف الاول من القرن التاسع عشـر.. يـأتي الشـاعر ملا خضر نالي (1797-1855م) ليعلن عـن مـيلاد طاقـة غنائيـة في الشـعر الكـردي, و عـن لغـة كتابـة جديـدة في اللغـة الكرديـة, تصـبح فيمـا بعـد لغـة الثقافة الرسميـة (الكرمانجيـة الجنوبيـة) في منـاطق شاسـعة مـن شـطري كردسـتان العـراق و ايـران, و بذلك تكون لشعر نالي قيمة من نـاحيتين: تاريخيـة و جماليـة, مـن الناحيـة الاولى, شـكل البعـد الثقـافي لامارة بابان التي لم تكن مجرد امارة عسكرية قائمة علـى العصـبية, و ادى الى تبلـور ادب حضـري لـه امتداد حتى الآن في مدينة السليمانية, و نقل الشعر من مدار القرية الى مدار المدينة, فنالي و رغم اصله القـروي الشـهرزوري, حيـث ولـد في قريـة خـاك و خول.. نشأ و ترعرع و اشتهر ثقافيا و دينيا و ادبيا في مدينة السليمانية, في فترة سطع فيها نجم الامـراء البابانيين الـذين أسسوا اكبر مكتبـة في كردسـتان, و مازالـت مـن اهـم المكتبـات في العـراق, مـن حيـث الاحتواء على مخطوطات نفيسـة و كتـب نـادرة. اما من الناحيـة الجماليـة, فـإن شـعره يزخـر بالمحسنات اللفظيـة و البلاغيـة و العروضيـة مـن حيـث البنـاء الشـكلي, و بالصـور الشـعرية الكثيفـة و الاضـاءة الداخلية من حيث البناء الـذهني, تلك الصـور الـتي تنبثـق مـن قلـق واع ازاء الزمـان و المكـان. فقيمـة الزمن عند نالي لا تكمن في امتداده و انتشاره بـل في عمقه و كثافتـه, اي عنـدما يتكثـف حبـا و هيامـا لا عندما يطول و يمتد في الفـراغ. غـير أن القـدر حـتم أن يعـيش في الـزمن الثـاني, لـذلك فـإن الحـنين الى الانتقال من الزمن المعاش و البحث عن زمن تتخلله نشوة الحياة يبلغان ذروتهما عند نـالي, الـذي نشـأ في مناخ ثقافي مطعم بغزليات الشعراء العارفين الفـرس (حـافظ, سـعدي, مولانـا جـلال الـدين الرومـي.. و غيرهـم), فـيرى أن الاغـتراب عـن الاشـياء و العـالم الخارجي, و حتى مع الذات, يبدأ حينمـا تأفـل نجـوم العشق:

عندما كنت انيستي كان الجميع انيسا لي
لكنني احس الآن بـالاغتراب حتى مع ذاتـي

و مع اغتراب نالي الحقيقي الفيزيائي و مغادرته كردستان, و لجوئه الى الشام و استانبول, و استقراره

في منفاه بعد سقوط امارة بابان.. تبدأ مرحلة هامة من شعره, و الشعر الكردي بشكل عام, و هي مرحلة ادب المهجر الكردي.. و من قصائده الشهيرة التي كتبها في المنفى, رسالته الشعرية التي بعثها الى صديقه الشاعر المعاصر له (سالم 1800-1866), الذي رد هو الآخر برسالته الجوابية الشهيرة من مدينة السليمانية الى منفى صديقه, و قد ترجم نالي في تلك الرسالة اغترابه الذى يضيق به الى شعر تتفتح لغته و يتسع فضاؤه:

إن شرح ما اقاسيه من عذاب الغربة و الم الفراق
قد يحول قلبي الى ماء, فيسيل عبر العيون!

و لئن كان ايقاع الشعر الكردي قد بقي محافظا على الوزن الكمي – العروضي, الذي هو وزن عربي بالاصل, فإن الشاعر الصوفي مولوي (1806-1882) الذي كتب نصوصه الشعرية باللهجة الگورانية, قد شكل امتدادا للشعراء الذين كتبوا نصوصهم بالاستناد الى الاوزان الكردية المقطعية القديمة, و بذلك اعاد الى اللغة الكردية خصوصيتها الايقاعية. و رغم تاثره بالادبين الفارسي و العربي فإنه احتفظ بالوزن المقطعي – الهجائي الذي يعد وزنا كرديا اصيلا. و دون بها (افيستا) الكتاب المقدس للايرانيين قبل الاسلام. و يذكر أن اللهجة التي كتب بها مولوي قصائده الغنائية الجميلة, التي تتخللها اشراقات صوفية, تحتفظ بمزايا لغوية عريقة تقربها من لغة آفيستا و اللغة البهلوية الايرانية القديمة, و بذلك تمكن مولوي من أن يحول لهجة منطقة جبلية الى لغة شعرية طافحة بالرموز الصوفية و الرؤى العميقة, و يحول اوزانا شعبية الى ايقاعات غنائية قامت عليها فيما بعد حركة الحداثة الشعرية الكردية. و يبدو أن مولوي قد احس في حينه أن نظم الشعر بلغته التي يكاد النسيان يطويها, امام هيمنة الادبين الفارسي و العربي, هو ضرب من الاعلان الابداعي من جهة, و ضرب من الاغتراب من جهة اخرى, لأن اي اعلان عن فاعلية الذات هو نوع من مغامرة الارادة امام فاعلية زمن يستلب ارادة المهمشين و الضعفاء من مخلوقات الله, لذلك لجأ مولوي في مرحلة لاحقة من حياته, الى الكتابة و النظم باللغتين العربية و الفارسية, وقد ابدع فيها, و خصوصا في مؤلفه حول علم الكلام باللغة العربية. هذا, و رغم الطابع الغنائي لمولوي الذي يشبه الوردة بوجنة حبيبته, بدل أن يشبه و جنتها بالوردة, و رغم حرصه على متلقيه و سامعه اللذين اهداهما اجمل التعابير البلاغية و الصور الشعرية, فانه يبقى اخيرا, و حيدا بينهم في ظلمة وسط الاشواك و الصخور:

الطريق طويلة و مظلمة, المكان تملأه الاشواك و الصخور
لا زاد عندي و لا قنديل, و لا صديق يواسي وحدتي

ظهرت النغمة الانتقادية الاولى في الشعر الكردي, من حيث الموضوع, من جانب الحاج قادر الكويي (1815-1892م), المعروف بـ(حاجي), فبخلاف الشعراء الكرد السابقين, حوّل القلق العرفاني الذي لم يكن يفصح عن نفسه الا بترميز و غموض شعريين, الى قلق سياسي قومي يعلن عن ذاته بلغة واضحة. و رغم أن الوضوح اللغوي قد يكون في

العديد من الاحيان معرقلا للتفتح الشعري, لكن قصائد حاجي لم تفقد الشعرية لقدرتها الخطابية المزوجة بالمحسنات اللغوية و التصويرية من جهة,و حرصه الحزين على مستقبل بني قومه من جهة اخرى, و كغيره من الشعراء الكرد يبدأ حنينه الى الوطن و قلقه تجاهه, عند الفراق, اي عندما يغادره و يتوجه الى المنفى.. لكن ذلك الحنين لا ينتج خطابا ايديولوجيا محضا فحسب, بل يولد شعرية في التعبير ايضا:

لا تسأل عن عذاب الغربة و اشتياقي الى وطني
الوطن الذي قد ابكاني بقسوته, و ابكي الآن شوقا اليه

و قد عاصر حاجي شاعر كبير آخر, محوي (1830-1904م) الذي تحتل تجربته في الشعر و لغته الطافحة بالرموز و الايحاءات الذهنية, موقعا هاما في خارطة الشعر الكردي. و أن اللافت للنظر في هذه التجربة أن الاغتراب عند صاحبها لا يتعلق بالمكان, بل كائن في ذاته اينما وجد, و اينما رحل. فعند محوي لا يوجد ما هو مكتمل, و كل شيء انما هو ناقص بالقياس الى كماله الاول, و ليس ثمة مفر سوى الخروج من الوسط الذي يتم فيه ابتياع النقص بثمن الكمال, و بما أن الحياة السفلى تحول دون تحقيق ذلك الخروج, فإن محوي يختار طريق مداهمتها و رصدها بكل حركاتها و تناقضاتها و تداعياتها, من خلال تجربة تقوم في الغالب على التوازيات الطباقية للصور, ففي شعره هناك بعض المسلمات المتكررة كفناء الانسان و فناء الحياة الدنيا, و في المقابل ثمة صور منوعة تتدفق من الحياة التي تتخللها الملذات التي لا تتكرر و لا ترد الا مرة واحدة, و بين هاتين القوتين المتناقضتين اللتين تجذبان الانسان و تشدانه, لا يرى محوي ضياع الحياة فحسب, بل نفاد الزمن ايضا.. و عند نفاد الزمن لا تنتهي الحياة وحدها, بل ينسد المخرج كذلك:

لقد ضاع عمري كله في (ما لا يعني), و ذلك يعني:
إن علي أن استعير وقتا من ذي وقت, كي اموت فيه!

و يعرض تساؤلاته من خلال توزايات طباقية يصور خلالها التقوى بديجور الظلام, و التمرد بنور النشوة المنبثق من الكأس:

ماذا عساي أن افعل.. إن لم انر ظلمة التقوى بنور الخمر؟!
ماذا عساي أن افعل.. إن لم ازح الستار عن الدجى بهذه الشمعة؟!

في اواخر القرن التاسع عشر و النصف الاول من القرن العشرين, برزت حركة جديدة في الشعر الكردي, تأثرت بحركات النهضة العربية و الفارسية و التركية, عاصرت التحولات السريعة التي شهدتها منطقة الشرق الاوسط بشكل عام, الناشئة عن التفاعل مع الوجهين الحضاري و الاستعماري للغرب. لذلك زرعت تلك الحركات البذور الاولى للنهضة الثقافية الكردية و الصحوة القومية, و من روادها پيرەمێرد (1867-1950م) و حمدي (1876-1936م) و احمد مختار (1897-1935م) و فائق بيكەس (1905-1948), و نوري الشيخ صالح (1896-1958) و آخرون.

و مع اطلالة النصف الثاني من القرن العشرين برزت نماذج شعرية جديدة في الادب الكردي حاولت التحرر من القيود الشكلية التي خضع لها الشعر الكردي القديم و خصوصا تلك القيود العروضية و البهرجات اللفظية التي اعتبرها المجددون و خصوصا الشاعر عبدالله گوران (1904-1962) اساليب بالية تحد من انطلاقة المعنى و المحتوى الشعري. غير أن اهمية گوران لا تكمن في مجاوزته الشكل القديم فحسب, بل في توظيفه لغة الطبيعة بالدرجة الاساس, توظيفا فجر فيه صورا مكبوتة و مخزونة في ذاكرة الانسان الكردي, الذي طالما تعامل مع الطبيعة, دون أن ينتبه لاسرارها. و قد مهد گوران, و عصره الحافل بالتحولات الثقافية, السبيل امام العديد من الشعراء المجددين منهم جماعة روانگه (المرصد) التي كان الشاعر شيركو بيكەس واحدا منهم, و قد اصدروا بيانهم الادبي الاول عام 1970. كما ظهر شعراء و ادباء آخرون في تلك الفترة شاركوا في تجسيد القلق الكردي, بين الطموح في مواكبة حضارة العصر من جهة, و المشاركة في الثورة الكردية لرفض الغبن الذي الحقه العصر ذاته بشعب كردستان من جهة اخرى.

شيركو بيكەس أو لوحة الصراع الزمكاني:

تعد تجربة شيركو بيكەس الشعريةتجربة محافظة و خلاقة في الوقت ذاته, فمن الناحية الاولى تمثل ادامة القلق المولد عن الذاكرة الكردية المتقصية عن الفاعلية التاريخية, و ادامة الايقاعات الهجائية التي استخدمها گوران لاول مرة في بنائها الحر لتصوير البنية المكانية الكردستانية, التي تتسم بالتنوع و التكرار, لكنها تصبح هذه المرة عند شيركو مأوى جبليا لحماية وجود الانسان الكردي, و خصوصا عندما تضيق به السهول, و يتهدد وجوده الفيزيائي.. و من الناحية الثانية, تمثل تجربته ابداعاً في فضاء اللغة الكردية, الذي يتمدد لا ليتسع للملفوظات فحسب, بل للمحسوسات و المرئيات و مخزونات الذاكرة ايضا.

فاذا كان گوران قد تمكن من توظيف الطبيعة الكردستانية و عناصرها الفنية, توظيفا جعل من قصائده لوحات حافلة بالجبال و الينابيع و مشاهد اللقاء مع الحبيب, بشكل يستحق بجدارة أن نسميه رسام الطبيعة الكردستانية, و ريشته الكلمات.. فإن شيركو بيكەس تمكن من أن يضيف عنصرا آخر الى الطبيعة الكردستانية, وهو عنصر التفتح و التفجر. فالطبيعة عنده لا تبقى كما هي عليه, بل تتماهى مع الانسان في عشقه و صموده, ازدواجيته و قسوته, تناحره و صراعه من اجل البقاء, وضد البقاء في بعض الاحيان!.. لذلك لا يقوم شيركو برسم الطبيعة كما هي, بل يعيرها لغته, فتعبر الطبيعة عن حالها المتماهي مع حال ساكنيها, و تكسى رداءً تاريخيا, لتحقيق العلانية, و اظهار المستخفي تحت الارض. و بذلك ينجح شيركو و لاول مرة في تاريخ الادب الكردي في ردم الهوة القائمة بين الزمن الكردي و مكانه, بين طبيعة كردستان و

تاريخ شعبها, من هنا, لئن كان گوران قد استحق و بجدارة أن يسمى رسام الطبيعة, من خلال نهجه الواقعي الاهتيامي.. و إن كان حافظ الشيرازي, قد استحق من قبله, بجدارة و اعتراف عالمي أن يسمى لسان الغيب, من خلال نهجه العرفاني الترميزي.. فان شيركو بيكەس, يستحق من جانبه و بجدارة ايضا أن يسمى لسان الطبيعة الكردستانية, في حال تفجرها و تفتحها, و تماهيها مع التاريخ:

اعود شاعرا
كي اطفح بالامطار, و تعشوشب رؤياي,
كي تنبت على اغصان صفحاتي
براعم لم تدركها نسمة او ضياء
او ظلال او طائر.
لم يبصرها شاعر, او امرؤ من قبل!

و تصطبغ الطبيعة الشيركوئية بسمات انوثية, انه مكان الحرث و الاغتصاب و الاستعباد و الاحراق. فالرثاء لمكان يقتل و يعذب و تصب عيونه بالاسمنت, هو النغمة المسموعة الاولى في قصائد شيركو بيكەس.

و في مقابل المكان المقتول هناك الزمان القاتل, التاريخ الذي يصطبغ بسمات ذكورية. ففي تاريخ الذكورة, بعد أن تتحول اجسادهن الى حقل تجارب الرجل الاول (الدكتاتور على صعيد الدولة, و رئيس القبيلة على الصعيد القبلي, و الزوج على الصعيد العائلي) يأتي دور الارض, البنية المكانية, و حقلنة جسدها, لزرع بذور الذكورة.. و إلا, عذبت, و اغتصبت:

لم يبق أحد
ينجد كردستان الآلام!
لقد تكسرت السلالم كلها
و اهينت البنادق جميعها
كانت بلادي, خطيبتي, عارية..
رأيتهم يداعبون نهديها.. امام ناظري!

هكذا, تتماهى البلاد الضحية, كردستان, مع الكائنة الضحية, المرأة. و يتماهي جلاد القبيلة الكبرى, الدولة, مع جلاد الدولة الصغرى, القبيلة. اي ثمة ثنائية مزدوجة في شعر شيركو بيكەس: (المرأة/ القبيلة) من جهة, و (كردستان/ الدولة) من جهة اخرى. عندما تكون احداهما جلية تكون الاخرى خفية, تتحرك ضمنها رؤية الشاعر, و احاسيسه المندفعة بقوة نحو الجنس الآخر (الانثى), باعتبار كاتب النص جنسا مذكرا, و صوب الارض المحروقة (كردستان) باعتباره فردا كرديا. قوام هذا التماهي هو البقاء.. فحلم التمازج بين الجنسين (الذكر و الانثى) يندرج ضمن غريزة ازلية يحركها دافع البقاء (الايروس) و التمازج بين الانسان و الارض يجسد حقيقة لاهوتية في المخيال الديني (الخروج من التراب و العودة اليه).

عدا هذه الثنائية, هناك ثلاثية (الطبيعة – الثورة - الهزيمة) في تجربة شيركو بيكەس, فالطبيعة عنده هي الموضوع الباعث, بؤرة التوتر, مركز الاغراء للعشاق و الاعداء في الوقت ذاته. اما الثورة فتمثل العاشق, فيما تمثل الهزيمة, العدو المغتصب.. فيرثي في معظم قصائده معشوقا,

الطبيعة التي تغتصب.. و ينتظر فارس احلام يمتطي حصان الثورة.. ليقاوم لعنة ازلية, الهزيمة, التي تلاحق الذاكرة الجماعية لبني قومه.

و اذا كان هذا الشاعر قد وظف الغبن الذي لحق بشعبه توظيفا شعريا, جعل منه شاعرا معروفا على الصعيد العالمي, فان النقد لم يوظف الغبن الذي لحق به شخصيا, حيث قدر له أن ينتمي الى ادب شعب لم يتعرض كيانه و وجوده لخطر الابادة و الفناء فحسب.. بل تعرض لسانه ايضا لخطر البتر, و تعرضت كذلك ذاكرته لخطر المحو و التشويه.

و بقي أن نقول: ان شيركو بيكەس من مواليد السليمانية – العراق 1940, حاز على جائزة (توخوليسكي), التي يمنحها نادي القلم السويدي, لعام 1987. ترجمت نماذج عديدة من قصائده الى اللغات الانكليزية, الفرنسية, الالمانية, الايطالية, السويدية, النرويجية, الدانماركية, المجرية, الفارسية و التركية. ترجمت له حتى الآن خمس مجموعات شعرية الى اللغة العربية (مرايا صغيرة, مضيق الفراشات, ساعات من قصب, نغمة حجرية, سفر الروائح).

و حين تنطق الالوان:

في ديوان (اناء الالوان) جعل شيركو بيكەس من اللون عنصرا شعريا رئيسياً من خلال مزج خصائص الرؤية بخصائص الصوت, و بالتالي من خلال مزج الدال الذهني بالدال المسموع. و ثمة معمار لوني في هذا الديوان يقوم على: التكرار, التوازي الطباقي, السياق الدلالي, الانسجامات و التنافرات المعنوية, و غيرها من البنى التي يعتمد عليها الاقتصاد اللوني. و قد نجح شيركو بيكەس في اقامة ايقاع لوني لكنه اكثر خفاءً و داخليا من الايقاعات المسموعة, خاصة حين لا تتلقاه حاسة البصر بشكل مباشر, بل تقوم بنقلها الى صفحة الخيال, و تترجم هناك الى صور ذهنية. اي أن اللغة تقوم بامتصاص الخصائص الفيزيائية للالوان و تترجمها الى خصائص تخييلية مرتبطة بوظائف الشعر و اللغة اساسا.

و ينشأ هذا الايقاع اللوني من خلال العلاقة المتبادلة بين موسيقى اللغة و موسيقى اللون, فلا غرابة, اذن, أن يستهل شيركو بيكەس اناء الالوان بتصوير تلك العلاقة الجدلية بين ايقاع اللون و ايقاع الموسيقى:

لقد جئت هذا المساء..
كي استحيل نايا و اعزف الالوان
لون.. لون.. لون.. فالوان!
من بمقدوره عزف الالوان؟!
انا القادر!
فحين انفخ في الاصفر
تهب عاصفة مغيب في روحي(........)

وقد عبر بودلير عن تلك الرابطة الصميمة بين لغة الفن و لغة الادب بمقولته الرائعة: اسمع موسيقى, و ارى تشابها و ارتباطا وثيقا بين الالوان و الاصوات و العطور, و اتصور أن كل هذه الاشياء وليدة اشعاع واحد من الضياء, ينبغي أن تجتمع في

نشـيد عجيـب. وللالـوان في اسـتخداماتها الشـعرية تدرجات متعددة في القيمة التشكيلية, تصل احيانـا مسـتوى عميقـا, و تصـل في احيـان اخـرى مسـتوى سـطحيا. لكـن شـيركو بيكـەس نجـح في أن يقـيم تناغما لونيا, و علاقة بين المكونات اللونية المختلفة لانائه, تشبه الى حد كبير تلك العلاقة التي يقيمها الشاعر عادة بين الملفوظات و الكلمات و العبـارات و الاوزان في الشعر. و لعل السبب في ذلك يعـود للجوئـه الى طبيعة كردستان, و اقتصاد تلك الطبيعة اللوني, الذي تتوزع رساميله بين الفصول الباردة و الحارة و المعتدلة, و الوان الاوراق الصفر و الخضر, و التربـة البنيـة و الخضـراء, و الميـاه الصـافية و الكـدرة, و الليالي القاتمة و المقمرة, و الملابس الكرديـة السوداء كسواد التاريخ. و المزركشة كالطبيعة حينما تتلون..
و لون الحقد حينما يحلك و الحب حينما يضيء:

انه لون لا يقوي المستقبل على السيرورة دونه ,
لا يقوي الامل على الاتقاد دونه ,
و لاتتلون قصيدة دونه..
انه لون الحب في خلوده
و صيرورته التي تتأبد!.

و بمـا أن لغـة شـيركو بيكـەس الشـعرية تمثـل تفتحـا للطبيعـة الكردسـتانية.. و تترجـم الـذاكرة الكرديـــة الطافحـــة بـــالقلق و البســـاطة في آن, الى ملفوظات متداخلة و صور مكثفـة, بحيث لا يقـوى على تلقيها الا من قرأها بلغتها الاصلية, و كـان علـى درايـة مسـبقة بمفـردات الريـف الكـردي و لهجـات سـاكنيه المختلفـة, و بالطبيعـة الكردسـتانية في مواسمها الملونة.. فان مترجـم اشعاره لا يجـد بـدأ الا أن يقرر اختيارا بين الاثنين: إمـا الترجمـة الحرفيـة التي تجهض شعرية الشعر, و تفرغ النص من قدرتـه علـى احـداث الصـدمة الجماليـة.. و امـا الترجمـة الشعرية التي تجهض حرفيـة الـنص, و تخـون الشعر في بنائـه المعجمـي لتحـتفظ بجانـب مـن طاقتـه الجمالية.



"مضيق الفراشات" للشاعر شيركو بيكەس

الحساسية المعاصرة هل تتقبل الشعر الملحمي؟

ياسين النصير-امستردام

بعد الانتهاء من قراءتي "مضيق الفراشات", القصيدة الطويلة لشيركو بيكەس, تولد سؤال منهجي, و هو كيف تخلق الملاحم الشعرية في الزمن المعاصر؟ و هل ثمة ضرورة شعرية تفرض نفسها على الشاعر بأن يطيل في موضوع تكفلت القصائد القصار به, بعدما اخذت تعالج تضاعيف الموضوع الكبير, بلمحات ثانوية تغني به مساره, و تؤكد منهجيتها الشعرية بالاستقلال, و بالطبع فالتساؤل لايزال قائما, ان لا ضرورة شعرية لقول المطولات, و انما الضرورة الشعرية المعاصرة, ان نجد بنية الموضوع الكبير - شأن الملاحم اليونانية المشهورة - و قد توزع دراميا على مئات الحالات و الافكار و الأحداث, و ما على الشاعر الا ان يلتقط هذه الجزئيات ليجمعها في بوتقة موضوعه الكبير, عندئذ يتحول القول الشعري من اطاره الملحمي السابق, الى اطاره اليومي و الانساني و العادي و الزمني, و المكاني.

الا ان ذلك لا يعني وضع حدود قاسية بين العواطف و المواقف من جهة, و الطاقة الشعرية عندما تلامس موضوعاً مثل موضوع كردستان او القضية الكردية - بانسانيتها - و جغرافيتها و خصوصيتها الثقافية, من جهة اخرى, لذلك تصبح المطولات منهجاً شعرياً يلملم الشاعر به قضيته دون ان تعني ان الشاعر يكتب قصيدة ملحمية. و حتى الطول, و هو صفة نسبية في الفنون الشعرية, ليس معنياً لذاته في القصيدة الحديثة, لأنه قابل لأن يتوزع و يتشظى, و ينوع, و هذا ما فعله شيركو بيكەس في "مضيق الفراشات". الا ان منهجية هذه القصيدة, و ان كانت بأثواب معاصرة و لغة و صور حديثة, تبقى ضمن اطار قصيدة الحداثة الأولى , و ليست الثانية. قصيدة السياب في مطولاته, على وجه الخصوص, قصيدة بموضوع كبير, و بتشعبات كثيرة, و ما يجعلها تنتمي الى ذلك المناخ الستيني, التحديثي الأول, هو ان انا الشاعر مهيمنة, رؤية و

حركة بصرية, فاعلية, و مسك محاور, قضيته, و معرفة لجوانب هذه القضية, و عندما يهيمن انا الشاعر على كل مفردات النص, يصبح غنائياً, حتى ولو تشبع بروح المأساة, و يصبح قطعة واحدة, حتى لو كثرت فيه الصفحات, و قصيدة "مضيق الفراشات" - ربما من اكثر القصائد الطويلة استعارات لمفردات و اسماء و حالات و ازمنة متداخلة - قصيدة قصيرة. او هي اقرب الى النوفل في فن السرد منها الى الرواية - الملحمة.

اما الكيفية التي ادار الشاعر شيركو بيكەس, بها حدثه الكبير, فهي جوهر شعرية هذا النص. فالشاعر عمد اول الأمر الى اعتماد بنية المستويات المتراصفة و المتدرجة التي تشبه الطبقات و اقام هذه البنية على اساس التداعي المرفق باسماء كردستانية, شعرية و غير شعرية صنعت له كيان كردستان عبر قرون, فاصطحبها معه اينما حل في تضاعيف النص, و حاول من خلالها ان يضمن رؤيته المعاصرة لذلك التاريخ رؤيتهم يومذاك, فكانت الأفعال و الأحداث تتلى بتتابع شعري للشاعر فيها مبدأ الاستحضار, و للاسماء تلك فيها مبدأ القول الأول الأساس, فكانوا جميعاً فراشات الأزمنة المقتبسة من نور الأرض تمر في مضيق كردستان الوجود و الموضوع لتضيء به, و لتضيء بها, و هذا البعد المكاني - الزماني اصبح استحضاراً منهجياً لفكرة شعرية التأريخ و تدويناً علينا يقال بلغة معاصرة لما مر من افعال و امتثالاً ذاتياً لمقولة ان الشعراء هم اكثر المدونين للأحداث, فهم ليسوا كتاباً امتهنوا تدوين حركات الخلفاء و الأمراء بأسطر كتابية.

و اعطى هذا المستوى الأول من بنية هرمية القصيدة مشروعيتها في ان تكون صوتاً حقيقياً للشعر.

الا ان الشاعر, في المستوى الثاني من بناء النص, سلك طريقة فنية غاية في الدقة, تلك هي اعتماد سياق نفس واحد, مقطع بسياقات مكانية عدة. و كأنه يدون هنا واحدية المكان و الزمان في مراحل تغييرات جذرية على هذه الواحدية, فتتداخل عنده الأحداث و الأفعال و يصبح النص متعرجاً:

"و هنا بالأمس و عند الأصيل
رأيت بأم عيني و قد جاء التاريخ حثيثاً
و معه قطعان من الخيول".
و كأنه قد فقد احدى سنواته
و بدأ يبحث عنها, رأيت بأم عيني الملحمة
و قد جاءت مرتبكة و بمعيتها اسراب من البروق و الغيوم
وكأنها قد سمعت نبأ مصرع انكيدو (ص 42)

و لم يقف هذا المستوى من الشعرية عند فاعلية الاستعارة, و انما حاول ان يخلط فيه هوية الاحياء, فالأرض الآن ملكه, و الزمان زمانه, و هو كي يعيد تشكيل هذه الكونية لكردستان, تعامل مع حيواناتها و اناسها, مخلوقاتها و احجارها, رياحها و مياهها, و من خلال هذه الرؤية الكلية للحركة, نجده يستعير الاشجار و الايل و الخيول, و الثلوج و المطر, و الأرواح.. الخ, لا ليعددها, لمخلوقات شعرية دخلت النص بإرادته, و انما ليجد من خلالها تكويناً شاملاً

لفعالية الحركة الزمانية الطويلة على مكان له خصوصيته.

اني الآن شجرة تفاح شعر مهاجرة
جذوري طليقة كأقاصي اغصاني العليا
اسير و ارضى في اوراق دفتري (ص 70).

في المستوى الثالث من بناء النص, يحاول شيركو بيكەس, ان يوظف ميثيولوجيا المكان توظيفاً شعرياً, فنجده يغور في المكونات البدائية لكردستان, و في الأوليات التي تصنع مفردة قارة, كي يجعل من هذا المستوى قولاً شاملاً. و لا نستغرب اذا وجدنا في بعض تلك المفردات مناخ اليوتي, قديم, و مناخ سان جون بيرس, في "المراكب الضيقة" و لعل الشاعر و هو يستنهض هذه الروح الميثولوجيا يكون اقرب الشعراء الكرد جميعاً الى روح الرومانسية الحقة, ذلك الروح الذي لا يرى في مرثياته العيانية, و لا في صوره اليومية, كما يفعل كل شعراء الكرد الرومانسيون, و انما في الابعاد التي تعطيها مفردات مثل:

حبيبه - سليماني - احمد ميرزا - حلبجة - گوران - ازمر - نالي - گويژه - زردياوا - هوره - سنه - عمون.. الخ.

ايها الغرباء,
نحن نشبه الخشبة الطافية على ماء "عمون"
لن نغوص و لن نغرق
يدفقنا منشار الأمواج (ص 62).

فالديوان, كما يصفه شاعره: باقة من الأمثال و الكتابات الحجرية و الطرائف الحديثة, تدفقت من الجبال و الدم و الدخان و الانتكاسة, و هذه الباقة الارجوانية المشبعة بدم الكرد, عليها تعلن ميلاداً جديداً للشعر الكردي المعاصر. هذا الشعر الذي بقي الا من القلة, حبيس المآسي و الرؤية العيانية العامة.

في المستوى الرابع من بناء النص, نهضت به الترجمة التي انجزها آزاد برزنجي, و قد فوجئت بصفاء عبارتها, و وضوح لغتها و بساطتها, و يدلك هذا على ان النص الشعري, اذا كان جيداً و كتب بلغة معينة, يحتوي كل اللغات الأخرى, و هكذا رأيت الكردية من خلال العربية, و رأيت العربية من خلال الكردية, موداة, بسياقات شعرية عالية النبرة و الوضوح. و يعطينا هذا المستوى من الأداء الفني بعداً لامرئياً تحله المفردات الشعرية الملتصقة بالتجربة العميقة, و لذلك لا اقول عن آزاد برزنجي الا شاعراً ايضاً. و حافظت الترجمة, على روح ملحمية - تسري في ربوع الكلمات نغمتها الكلية الشاملة برغم من ان الشاعر عمد الى توزيع نصه الطويل الى مقاطع عدة و جزأ المقاطع الكبيرة الى مقطعات, لكن الترجمة انسابت بزورق القارئ على مياه هادئة, رخية, فيها من الخفة و الشعرية الشيء الكثير..

لو كتبت في دار كهذه
ستكون حروفي ندف الثلج و البرد
و كلماتي صفير العاصفة.

شيركو بيكەس في [مضيق الفراشات]

محمد عفيف الحسني

في السنوات الأخيرة نشط المترجمون في ترجمة الأدب الكردي الى اللغة العربية, خاصة في سوريا فظهرت عشرات الكتب هنا و هناك في الشعر و الرواية و القصة و الأساطير, و جاءت هذه الترجمات عشوائية, و أحيانا رديئة جدا, لكتب هي في الاصل سياحية مثل كتاب اليوناني "أدونيس بودوريس" "حديث مع كردي" أو روايات لا تمتلك أية مقومات للفن الروائي, مثل روايات محمد أوزون الوعظية الساذجة, و أذكر واحدا من هؤلاء المترجمين و هو الدكتور محمد عبدو النجاري, الذي ترجم دزينة من نوعية هذه الكتب, و مع ذلك وجدت هذه الترجمات صدى طيبا لدى القارئ و ذلك لفقر المكتبة العربية لهذا الأدب أولا, و ثانيا لغموض هذا الأدب القادم من منطقة معزولة و دموية تاريخيا. و بالرغم من طغيان الترجمات السطحية لأدب كردي بسيط, فقد استطاعت كتب أخرى النفاذ من هذه الحالة, قوتها في الزخم الموجود فيها, و استطاعت أن تستقر في وجدان القارئ, و منها كتب الشاعر شيركو بيكەس, الذي صعد شعره بقوة عند القارئ العربي و الكردي على السواء, من خلال ديوانه الأول المترجم الى العربية, و كذلك من خلال بضع قصائد نشرها في أحد أعداد الكرمل, و الان يغامر بكتابه الشعري الثالث المترجم الى العربية "مضيق الفراشات" حيث يستهل الشاعر ديوانه بمقطع للشاعر الكردي "نالي" يقول فيه: "تحسرا على هجرانك لي هذا العام / كل يوم أتمنى لو أني مت دونك قبل عامين "هذا المقطع و المقطع التالي من الشاعر الحاج قادر الكويي: "استوطن الاغتراب غربتي, و أحال علي الأرض بأسرها زنزانة", أقول يهتصر هذان المقطعان كل قصيدة الشاعر المطولة التي تضم الكتاب, و لئن كان اختيار الشاعر ذكيا, فانه يحاول على مدار الشات من الأبيات أن يستحضر الغياب و يخاطب المنفى, و في قصيدة هي أقرب الى النص المفتوح منها الى القصيدة الطويلة, فهي تحتوي على البرقيات, و الرسائل, و بطاقات الى الصدقاء, امثال و كتابات و طرائف حديثة, و بذلك

فيكون الشاعر قد أضاف لغة جديدة الى الشعر الكردي المعاصر, و خلصه من رطانة الغنائية التي نجدها عند الكثيرين من الشعراء الكرد. لكن في نفس الوقت بقي بيكەس وفيا لتقليد شعري كردي آخر و هو استخدام مفردات الجبل و ماتحمله من دلالات ريفية: الطير, الشجر, المغارة, الصقر, العاصفة.. الخ, و هو بذلك لم يتأثر بحالة المدينية المعاصرة, بالرغم من اقامة الشاعر في ستوكهولم, فهو مازال متمسكا بالذاكرة, و اقصد هنا الذاكرة التاريخية للشخصيات الكردية التي هي في أغلبها شعراء و أدباء, كرد, يستحضرها من نسيانها و منافيها و غبارها القديم, فيقدم بانوراما شاملة لومضات شعراء انطفأوا في المنافي أو في البؤس مثل الشاعر الكبير "نالي" الذي عاصر الامارة البابانية في القرن التاسع عشر, ثم هاجر الى دمشق و منها الى اسطنبول حيث مات هناك, او العالم و اللغوي الكردي البارز الأمير "جلادت بدرخان" الذي توفي في دمشق, و كذلك الشاعر الكبير عبدالله گۆران, حشد كبير من الشخصيات التاريخية و أحيانا المعاصرة, تأتي الى قصيدة شيركو, بالاضافة الى الأساطير مثل اسطورة كاوه الحداد, و قصص الحب مثل مم و زين, حتى من المغرب العربي":

"اسمي مار كريتا
كان أبي يحلم مثل احلامك.. لحين قضى نحبه
هذا كلام فتاة مغربية هجينة قالته لي في ليلة باردة
في أحد بارات أوسلو الثملة"

ثم يقول بعد ذلك: "منذ تلك الليلة أشعر و كان سيماء ابنتي الصغرى
قد استحال الى سيماء ماركريتا
منذ تلك الليلة اشعر و كأنني والد ماركريتا و صوت قصيدة حزن اصفر".

و هكذا تختلط في ذاكرة الشاعر ومضات الماضي مع احزان غربته: "طويلة ... طويلة.. طويلة هي غربتي اطول من سكك أوروبا الحديدة" و بالضرورة سوف تكون للشاعر وقفة مع والده الشاعر المعروف فائق بيكەس حيث يقول:

"شجيرة كنت أنام فوق سطح دارنا
فاصبح في الهزيع راعيا للنجوم
أمنيتي أن أنزل تلك النجمة الساطعة البعيدة
الى داخل حصيرتنا
ها اناذا أحتضن النجمة داخل حصيرتنا
فيستيقظ والدي من زقزقتها
فيمد يده و يأخذ النجمة
يضعها بين طفله و بين القصيدة
فأقبل خدها الفضي
و يكتب والدي امامها قصيدة"

بهذا القدر من الشفافية يستدعي شيركو بيكەس والده الشاعر الذي مات و شيركو بعد مازال طفلا صغيراً, و أذكر في حوار سابق لي معه قال: كان والدي يطالع دائما مجلة عليها صورة الهلال, و عرفت بعد ذلك أنها الهلال المصرية, و في ديوانه يستشهد مرة ثانية بالشاعر نالي الذي يقول: "ضعيف أنا كالهلال" و سوف يتنامى هذا الشعور على مدار الكتاب, و يتلون بثنائية الغياب / المنفى, بالرجع الخافت و الندم ايضا لما جرى و يجري على أرض كردستان, خاصة ان الشاعر يتماهى مع شخصياته و التاريخ الكردي

المدجج بالدم, من حلبجة الى اغتيال الكاتب الكردي عبد الخالق معروف على ايدي الاصولية الكردية, و في المقطع الذي خصه لهذا الكاتب, يتفرد الشاعر بتلك الشحنة الهائلة من البساطة و دفقة الالم التي تجعل القارئ يشاركه في الحزن, و لا بأس هنا في الاستشهاد بالمقطع:

" اصدقائي
أنا ايضا ساجيء هذا المساء
احجزوا لقصائدي مقعدا
في المقهى الصغير
و لا تعطره لأحد
إن جاء يشماخ الخال رجب المازح
قولوا له عذرا انه محجوز
إن جاءت برنيطة أحمد ميرزا بخطى حثيثة
قولوا لها ايضا : محجوز
الا اذا وصل توا ضيف عزيز من أربيل
و هو يلهث من التعب
الا اذا كان ذاك الضيف
كتاب عبد الخالق المتمرد
ذا الكلمات المدعاة على اكتافها و اعناقها
اذ ليس بوسعه الوقوف على قدميه
من شدة الام جروحه".

هذا المقطع الحزين يردنا الى أجواء ديوان الشاعر الأول المترجم الى العربية "مرايا صغيرة" الذي كان السؤال هو: الى أي مدى تستطيع القصيدة الطويلة/ الملحمة أن تتحمل نبض الشعر و مسافة التوتر, و تنأى بنفسها عن الترهل و الاستطراد كما يقول كمال أبو ديب:؟ خاصة أن قصيدة شيركو هي محاولة الاندماج مع الآخر, و كما يقول سعدي يوسف في تقديمه لكتابه الشعري الثاني "ساعات من قصب" و لئن أغرق الشاعر نصه في لفة الجبل و الذاكرة, لكنه استطاع في مرات كثيرة أن يكبح من سطوة هذه اللغة, و بالتالي يستفيد من تجارب الشعر العالمي بدءا من كافافيس:

"عندما دلفت الخيول
و الفرسان و تاج المضيق الفضي
كان يتصاعد من اجسادهم بخار فضي"
و الى الشعر الفرنسي المعاصر:
"ايتها الوحدة

أيها الحصان الأسود الضجر" و انتهاء بلفته نفسها التي تميز بها, تلك الخاطفة السريعة: "لا تدفنوا الأزهار البيض حتى أصل" أو "ان اعترضت طريقك العاصفة.. صر جبلا/ ان استقبلك النسيم.. هو بستانا" لكن هذه اللفة المفاجئة تقع في أحيان كثيرة في نثرية الكلام, و السبب ربما كان المترجم نفسه, الذي لم يتوان عن التعب و الجهد الشاق في ترجمة هذا العمل الطويل, بلغة سليمة تماما, و لكن جافة و صارمة, لا تحمل الشعر, و هل الترجمة خيانة؟

ملاحظة صغيرة, تتعلق أيضا بالترجمات و تتمحور حول السؤال التالي: أما آن الأوان لمترجمينا أن يقدموا أدب الأمم المجاورة غير ناظم حكمت و أدباء الواقعية الاشتراكية الفجة, حيث ثمة الكثير من الادب الجيد, و شيركو بيكەس خير مثال, و لمترجمينا الكرد أما آن الأوان لترجمة نتاجاتهم الى لغتهم و خير مثال سليم بركات؟

المصدر: مجلة (نزوى) العدد الثاني عشر - اكتوبر 1997.

الشاعر الكردي شيركو بيكەس مترجماً الى العربية

الشعر يتلاعب بالألوان استحضاراً لروح المكان الغائب

شوقي بزيع

صدر عن دار الاداب للنشر و التوزيع نص شعري للشاعر شيركو بيكس بعنوان (إناء الالوان) ترجمة و تقديم: شاهو سعيد.. يذكر انه لاول مرة يصدر عن هذه الدار العريقة مطبوع كردي, و هذا يدل على مدى اهمية شعر شيركو بيكس لدى القراء العرب, و كمثال على ذلك ننشر المقالة التي كتبها الشاعر و الصحفي اللبناني: شوقي بزيع الذي نشرها في صحيفة (الحياة), و لاطلاع القارئ عليها نعيد نشرها في (سردم العربي).

يواصل شيركو بيكس في مجموعته الشعرية الاخيرة "إناء الالوان" التي نقلها الى العربية و قدم لها شاهو سعيد, استكمال ذلك العالم الشعري المدهش في تنوعه و اتساعه و ثراء لغته الشعرية, و مع انه لم يتح لنا, نحن الجاهلين باللغة الكردية, ان نطلع على نتاج صاحب "مضيق الفراشات" و "نغمة حجرية" بلغته الام, الا ان ما يصلنا عبر الترجمة يستطيع رغم كل شيء ان ينقلنا الى عوالم الشاعر المتفرد و يشحننا بكهرباء الشعر و جذوته الحية.

ان الشعراء الكبار وحدهم هم الذين يبعثون في دواخلنا شعوراً بالخسارة او الندم لكوننا لا نعرف اللغة الاصلية التي يكتبون بها قصائدهم. ذلك ان ما لا يمكن. ترجمته من لغة الشعر, أي شعر, يفوق بكثير ما تستطيع الترجمة ان تنقله الى الاخرين, سواء تعلق الامر بكيمياء اللغة نفسها ام بفتنتها و فورانها الداخليين ام بتوترها الايقاعي الذي لا قِبل لأية لغة اخرى بنسخه و تكراره. و اذا كان الامر ينطبق على الكثير من شعراء العالم المتفردين فهو يصل مع بيكس الى حدوده القصوى لما تحمله تجربته من احتدام داخلي و جيشان قل نظيره في الاخيلة و الرؤى و التناظرات. و مع ذلك فإن اعتماد الشاعر المفرط على التخييل و الاندفاع اللحمي و ملموسية الصور و تدفقها يجعل من شعره عابراً اللغات و الاحاسيس و يمكننا بالتالي من الاصابة بعدواه.

يتخذ شيركو من الطبيعة الكردية المسننة التضاريس ظهيراً اساسياً لبناء عالمه الشعري, و هو

تبعاً لذلك شاعر الطبيعة بامتياز. لكن الطبيعة عنده ليست طبيعة صامتة و محايدة و عزلاء, بل هي الطبيعة التي تتمرأى في ارواح البشر و مكابداتهم و تغضنات وجودهم و تشقق جلودهم المثخنة بالالم و الرغبات. فالشاعر هنا لا يكتفي بالتوصيف و الانشاء و امتداح الاماكن, بل يتحول هو نفسه الى جزء لا يتجزأ من حركة الاشياء من حوله او الى فلذة من الروح الكونية الكبرى التي يتحد فيها الانسان مع الحشرات و النباتات و سائر المخلوقات السفلى ليتشمم كالخلد ضوع العناصر و ترددات الزلازل المحتبسة في احشاء التراب.

الانسان هو منظومة حواس لدى بيكس لا الحواس بمعناها الفيزيولوجي الخارجي بل بمعنى التصدي مع الموجودات كلها و الاصغاء الى نبض العناصر. انه الصوت و الصرخة و الصدى في آن, انه الزهرة و الاريج و الانف. و اذا كان الشاعر في مجموعته السابقة "سفر الروائح" اختزل العالم بحاسة واحدة هي حاسة الشم, فإنه في المجموعة الاخيرة "إناء الالوان" يحول كلاً من الجسد و الروح الى عين ثاقبة كبرى عين مفتوحة على نفسها كما على سائر المرئيات و متربصة بما يتغلغل في احشاء التراب او ما يؤلفه الهواء المجرد من كريات الجمال العابر. كل حاسة عنده واقفة على اهبة الاستعداد لا كتناه ما يدور حولها من وقائع و تفاصيل و تشكلات.

"إناء الالوان" هو كردستان نفسها و قد تجمعت في إناء الرؤية المفتوح على الرؤى. فعبر قصيدة طويلة واحدة تتجاوز المئتين و الثلاثين من الصفحات يندلق حبر الشاعر على الورق و يندلق معه ذلك الحق الهائل من الدلالات اللونية التي اتحدت في سبيكة واحدة هي الحياة. الحياة التي تقاوم موتها بالاظافر و الاسنان كما بالالوان و الروائح وقوة النماء و التجدد. لم يشأ شيركو بيكس ان يضيف رقماً جديداً الى ذلك النوع من شعر "المقاومة" الذي يتغذى من الشعارات الطنانة و منابر الزجل الشعري. لم يحول قصائده الى خطب معسولة الانتصارات او الى هتافات جوفاء مملوءة بجثث الشهداء و دماء القتلى, بل الى نشيد داخلي مفخخ بالمشاهد الملغزة و الاستعارات المدهشة تاركاً للمجاز نفسه ان يتدفق كالنهر في اوصال المعنى.

المقاومة في هذا الشعر لا تأتي من الاعلان او من الوعيد بل من التحالف المباشر بين المرئي و اللامرئي. انها تصنع هنا من تضافر الالوان في اناء واحد. كل لون بمفرده هو معطى اولي قائم بنفسه من جهة و بما تكسبه العين الرائية من جهة آخرى, اذ ثمة:

"الوان عديمة الانوثة
تشبه لون الكمنجة الخافتة التي فقدت عازفها
تشبه صورة فقدت اطارها
او تمزقت احدى زواياها
تشبه لون الجمرة الخامدة
و الرماد المستخرج من المدفأة".

قد تكون كردستان بهذا المعنى مجرد تضاريس خالية من الحركة او التوهج, كما هي الحال مع الكثير من الاماكن التي تنقصها حرارة الشغف او جذوة الارادة الانسانية او قوة التحديق في المستقبل. لكنها تخرج من سكونها المحايد و جمالها العديم

الجدوى حين تعثر على كلمة السر التي تجعل القلب الانساني حالاً من احوال الطبيعة و جسداً اخر للثورة الموارة في الكائن.

حين تفقد الموجودات الوانها, بحسب بيكس تفقد قدرتها على الانوجاد أو التحقق. الجثث وحدها هي التي تفتقر الى اللون. اما ماعدا ذلك فالحيوات تتقلد الوانها كما يتقلد الشاعر قصيدته و المحارب سيفه و الطائر أغانيه.

و الالوان عند الشاعر ليست خاصية محصورة بالاجسام او الظواهر, بل هي حضور رمزي يتجلى في الرجل كما في المرأة و في الصفات كما في المثل و في اللغة كما في الصمت:

"ا نما اللون امراة
حين يحولنا الى اغنية فانية
و يغطينا بالمحبة
ا نما اللون شعر
حين يصيرنا سؤالاً مصطبغاً بالورد
و يغمسنا في الشكوك
ا نما اللون منية
حين يجعل منا مجهولاً عديم اللون
و يسلمنا الى اللامتناهي".

الانوثة و الشعر و الحزن و الفرح و الثورة هي تجليات الوان يسهب الشاعر في صوغها و الوقوف على اسرارها و خفاياها عبر تقاسيم شعرية لا تني تؤلف ملامحها و ظلالها في الصور و الدلالات و عبر مقاطع صوتية غنية بالمفارقات تتحول المجموعة برمتها الى سمفونية من الاندفاعات و الرؤى تهدأ سورتها حيناً لتتحول الى ترانيم صافية و تعنف حيناً اخر لتؤلف مضيقاً متوتراً من الصراخ الوحشي. كل ذلك يتم في النصف الثاني من المجموعة عبر تكرار النداءات – المفاتيح التي تتيح للقصيدة ان تجدد اندفاعتها بعد ركود موقت:

"تعالوا ادخلوا الواني
فحين تتأملون عزلتي في الضياء
تجدون لونا ناصعاً
صامتاً و حزيناً
انه روح طفولتي في هيكل حياتي المزجج
بقيت ساكنة و ليس في نيتها الارتحال
او مغادرة الاراضي البكماء".

و هذه الدعوة المفتاح "تعالوا ادخلوا الواني" هي البديل الرمزي عن الدعوة المباشرة الى مقاومة الموت و الحث على اجتراع الحياة من قلب العدم.

ليس نداء لون الموت في نهاية المجموعة هو بالضرورة استسلام لليأس او تنصل من المقاطع السابقة, بل هو تعامل مع الموت بصفته مصباً موقتاً لانهار الالوان المتدفقة التي لا تلبث ان تعاود انبثاقها من جديد.

فالموت وفق الشاعر ليس سوى استراحة عابرة في رحلة البحث عن الذات الفردية او الجماعية. او قل هو الاناء الساكن الذي ينتظر من يرجه مرة اخرى لكي تجدد الالوان نفسها عبر جيل لوني اخر. فالالوان تبلى كما تبلى العيون المحملقة. و الشعراء وحدهم هم الذين يحددون المعادلة و يبتكر ارجوانهم خارج الكلام الرث و اصباغه الزائلة. لذلك يعلن شيركو بيكس بثقة الشعراء الكبار:

"في نيتي ان اغير لون الشعر
الى لون لم تدركه اللغة بعد
و لم تحلق في فضائه لغة بعد
و الآ لن اكتب الشعر ابداً".

في "سفر الروائح" لشيركو بيكس
حافات المستحيل و مدوّنات الرحلة

عادل كامل

لم يترجم آزاد برزنجي ديوان لشيركو بيكس (سفر الروائح) من الكردية الى العربية – السليمانية – 2002 – الا و قد منح ملغزات الشعر انفتاحاً يغادر اشتغال الحواس. ان بيكس، مكث في الترجمة، متحرراً من القيود و بعيداً عن هذا الإطراء للمترجم فإن الشاعر بيكس لم يجد نفسه اسير مواكب جنائزية. فمنذ فاتحة العقد السابع، بعد تتابع جراحات كبرى و وطنية، صارت حداثة الشعر، رمزاً للتضاد: حداثة لا تتآكل، بعد نبذ استنساخها العام. بل تذهب حيث يتخلص الكائن من عتماته و ببغاواته، تذهب حيث الحرية، مثل الشعر، لهما روائح تستحدث تواً، لم تشم، و ليس لها مركز او محيط، بل لها رائحة ترث علامات الاحترام، و الزوال.

ثمة: (1) تدون (2) تبصر (3) تحاور و تأسف (4) و رائحة تتشبث بالمستحيل القابع في اطياف الشعر.

ليس بداهة، ان أقدم دليل لوجود الوجود بدأ بالشم. بل ماذا غير هذه الحاسة التي دفعت بالكائن نحو فضاءات تتحجر. ان شيركو يمسك بنبض يكرر لعنة وجودنا الكدر، بل يعيد صياغتها، حيث الحرية، مثل القدر، لا تفترق و لا تسكن في مكان خالص. الرائحة، لها سياق الوعي المر، منذ مراثي (أور) مروراً بحداثة بودلير و رامبو. فهي تجعل الانغلاق يخترع مداه، و وهمه. و لكن شيركو لا يتوهم. انه يكتب الشم الذي صار لغة تأخذ من الماضي السحيق لحظة زوال الأرض، او موت الإنسان.

(رائحة النور و الضحايا سواء، سريعة النفوذ)

ليتوقف الشاعر، في تأمل جدران حقيقة المحدود،

عند الاستحالات: عند حاضره المغلق, المسود, الدموي, الممسوح, و المسرح: أنه يشم الذي صنعه, هكذا, بشم أعمى, تخترقه الزلازل, الموسيقى, و إرادة الوجود, الغرائز, و الخراب المجاور, و الكامن في رائحة الاستحالات. ان شيركو - كما يعرف ماركس الحداثة - يمسك بسر القانون, لا نهائيته, في الظاهرة: رائحة متجانسة, ملغومة, بين الباث الأبدي, و رائحة الجدران, أو المناديل, و الأم, و الوادي, و الحبيبة, و الحرية, و العدالة.. الخ حداثة تخص سلاسل - و مراحل - التعاقب, مع الأشداد للذي يصبح خارج البرهان.

لكن الشعر لا يدمر الشعري, أنه يغدو غواية. شيركو يكتب تاريخ رائحة قيد المغادرة, و الانحلال, لكنه لا يتخلى عن الـ: (1) لغز الكائن (2) و جماله الفريد. أنه يشم المسافة بين الرحم و القبر, بين الكلام و الكتابة. بين أول الخلق و آخره. أنه لا يروي فلسفة أو يجند ذاته للمدائح, بل يتلذذ بلذات لا وجود لها, الا باستعارتها من كهفها الدفين. فكردستان تحفر, كمعرفة, لا في الجغرافية أو التأريخ, بل في المطلق. فالاغتراب يصبح سابقاً على الكتابة. انها أشد المفارقات بعثرة على التراكم, و المسار الواضح. فالرائحة جرجرت أقدم اشكال الحياة لصياغة الاغتراب: مسافة التأمل و الحرمان. هذا الشعر تتزامن فيه الانهيارات, لتمتد و تتداخل, حيث اللاشعر يصبح شعراً. فالكائن لم يختر شيئاً لكي يعاقب على كل الذي أرغم عليه. شيركو يمسك بالذي لا يشم, بكل اللا شعري الذي صار خلاصاً.

انه يعيد تنفس قضية ليس فيها (الشام) الا براءة قيد الاندثار. لكن رائحة الشعر و حداثته اللازمنية, تغدو أليفة:

(رائحة صرخة مدينتي
و الثرى الأحمر بعد سقوط الأمطار
فاستنشقها و كبرت)

ليحصيها, حيث لا تحصى, رائحة النشأة البكر, و خواء المنفى الذي يعيد للشعر قدرة شم المسافة بين الرحم - المعرفة - و الموت - الغربة. ان للشاعر في هذا التدوين, توقفات. انه يمشي فوق الرائحة, و بها يستعين. رائحة الماضي كله, ماضيه المسموع و المرئي, العفن الى جوار الزكي, المنحدر و المتقدم.. حيث جدوى الوجود ينصح عن سياق المتابعة. فالرائحة صارت تخترع أشكالها, و شفراتها, رائحة ملعونة, مرة, لكنها توازن بين قرار الموت و الميت: تلك المسافة, الوجود, المشغول بأضداده, تمتد و لا تنغلق. فالشاعر يتدفق, يحتفل بالذي لم يعد كنزاً, بل يغني الذي ذهب صوته, و يعشق الذي صار مستحيلاً, هذا الهاجس, و الشاعر يكتب شعره في المنفى - ستوكهولم - تينستا 1979-1998 يجعل مادة الموت هي مادة النسج و البناء الشعري. فالسياق دفعه الى الملحمة, و ليس الى اللقطة, في هذه القصيدة الطويلة. فهو كتب الذي لم يكتب في مادة الكتابة, انه كتب شعراً: الموت الذي راح يصنع دماه الميتة: رموزه المنوعة, و أقنعته التي صارت تتبعثر فكاهة, لكن السر الذي لم يمت في الشعر, و لم يصر سلعة, و علامة استهلاك. أنه لا يقدر ان يلغي خيال

الاستعادة, و التحريض, و الأمل. فهل كان عبثاً ان يدون مدون ملحمة (جلجامش) باطل اباطيل الباطل, كما ستدون في الأسفار اللاحقة, عبثاً لا مناص انه الوجود و ليس الصفر؟ هل عبثاً يعبث العابث بين القدر و الحرية, بين القبر و الرحم.. بين الجلاد الذي صنعه قدره و الضحية التي تصر جلاداً.

ان شيركو بيكس يشم الروائح التي هي هذه المسافة: هذا الذي يكمن في لغز الوعي, لغز الكلمات, لغزنا و نحن نكتب -نشم- الذي كتبه الشاعر, و هاجر فيه شعراً. فالرائحة:

(تتناقل بين الاف الرياح اللامبالية
و الاف الغيوم غير المكترثة لهذه الدنيا
ثم تصل الى بيتي.. ماذا أفعل؟)

أي, ماذا يفعل الشعر؟ ان الشاعر يسمح لنا, ان نختاره مادة للسؤال في عصر يلحق بموت الفن عند (هيغل) و بالتمهيدات التي أشعلها (نيتشه) حتى بلغت (فوكو) حول موت الإنسان, لنشم, كما مزج الشاعر عصره و خبرته و أحلامه, الروائح التي لا رائحة لها. ان الميت الذي لم يمت لا يخضع للعقاب, فما هي عقوبة النسبي, غير القابل للقياس, أمام اللا حافات, و كيف صارت غواية العقوبة تأريخاً للممارسة. ان شيركو لا يتحرش, بل يمسك بالمدية و يعمل في نبض القلب, من الداخل, بالروائح المسموعة, المرمزة, المشفرة حد الصغر, و لكن القابلة للإحصاء, و الخاضعة للمراقبة, عملاً أبقى مراثي أور, و كتاب الموتى, و أساطير اليونان, و الشعر الجاهلي, ينبض في كائنات مسمرة داخل فجوة الرحم/ القبر.. فجوة القدر/ و الحرية. ان الشاعر يعيد للرائحة قدرتها على اختراع احتفالها داخل الصفر الشعري: استنطاق الحواس, و الخبرة, في دروب تفضي, شعراً, عند الذي يكف ان يكون الا حداً ضد الموت, و ضد الأمل, انها فجوة الأسفار, لا تتحدث ألا عن مستحيلاتها: الإنسان الذي يموت انبعاثا: هذا الذي يرسل, داخل إمبراطورية الحواس, حاسته المتوهجة, كثافة حد استحالة الحذف, أو الإضافة.





مفارقات الذهب

د. سعد البازعي

شيركو بيكەس, أو شيركو بيكەس, شاعر كردي معاصر ظهرت ترجمات لشعره في أواخر التسعينيات, أي قبل أعوام قليلة, منها مقطع من قصيدة نشرتها إحدى الصحف بعنوان (مضيق الفراشات), و منها مجموعة بعنوان (نغمة حجرية) ترجمت و نشرت في سوريا عام 1999, في (مضيق الفراشات) نقرأ ما يلي:

(هذا هو الخريف الأول
بعد ظلال مرتبك
هذا الخريف لا يشبه خريفك
هو خريف أرمل يسكن الأكواخ
و هذا خريف مذهب الرأس يسكن القصور
يذوي في البيوت الزجاجية
الخريف هذا لا يشبه خريفك
هنا لن ينتحب على الشجر غير الشجر
هنا لا ينتحب على الحجر غير الحجر
لكن هناك في خريفك البعيد
ينتحب الشجر و الحجر و الماء و الناس معاً).

قد لا يكون الخريف المذهب جزءاً من ذاكرتنا الثقافية, هنا في قلب الجزيرة العربية, حيث لا يكاد يفرق بين الفصول سوى درجة الحرارة. و لكنه صورة ذهنية منا من رآها و منا من يستطيع تخيلها دون رؤية, إنه الخريف الذي تعلن أشجاره رحلة الانتقال من الصيف الى الشتاء عبر تشكيلة مذهلة الألوان, مدهشة الاختلاف, مغرقة في الجمال, و قبل أن تعرى الأشجار تماماً يكون الطيف اللوني قد اكتمل بارزاً منه الذهبي الذي يشير إليه الشاعر, ذلك الخريف يمكن أن يرى في أماكن كثيرة من العالم يشتهر من بينها الركن الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة و الجنوبي الشرقي من كندا, بالإضافة الى مناطق كثيرة من أوروبا و الصين و اليابان لكن الشاعر غير معني بالموقع الجغرافي و إنما بشيء آخر يكمن فيه الشعر.

المفارقة التي يكمن فيها الشعر, بل تنبض به هنا, هي المقابلة بين هذا الخريف و خريف آخر لا عبر الاختلاف اللوني أو التغاير الطبيعي, و إنما عبر المشاعر الإنسانية التي تقيس المسافة بين خريف و خريف, و المسافة تبدأ بظلال المركب, و بخروج

الشاعر من خريفه المعتاد، من وطنه، إلى منافٍ يستوطنها خريف آخر: (هذا الخريف لا يشبه خريفك)، هنا في الخريف الجديد يلوح الذهب فوق القصور، خريفاً أرستقراطيا متعالياً، بينما في الخريف المتروك في الوطن يلوح الخريف أرملاً بسيطا و فقيراً يسكن الأكواخ.

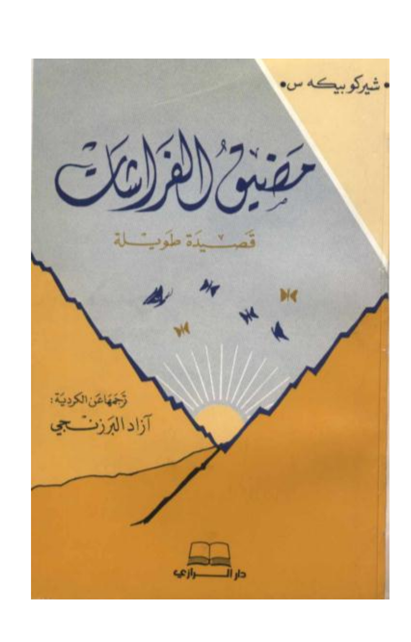
لكننا هنا بحاجة الى ترك اللغة الشعرية قليلاً و النزول إلى جفاف الواقع، لنتأمل في كيفية عمل اللغة الشعرية، و نعود إليها من جديد و لكن بعد أن نكون قسنا المسافة التي يصنعها الشعر. و سنلاحظ أن الشاعر يتعمد توظيف اللون الذهبي على النحو الذي يتجاهل الواقع الطبيعي و يخدم رؤيته الشعرية، بل ربما موقفه الاجتماعي الاقتصادي. فذهب الخريف، أو اللون الذهبي الذي يلوح في أعالي الأشجار أثناء ذلك الفصل، يخضع هنا لمعالجة أكاد أقول أيديولوجية من حيث هي تسقط رؤية احتجاج اجتماعي على براءة الأشجار و الفصول، فثمة هجاء هنا موضوعه فصل الخريف الآخر، في المنفى و بين الأغنياء، خريف يوصف لا بالثراء فحسب، و إنما بالقسوة و الجفاف العاطفي: (هنا لن ينتحب على الشجر غير الشجر هنا لا ينتحب على الحجر غير الحجر). و المقارنة هي مرة أخرى مع خريف إنساني رقيق: (لكن هنالك في خريفك البعيد ينتحب الشجر و الحجر و الماء و الناس معاً).

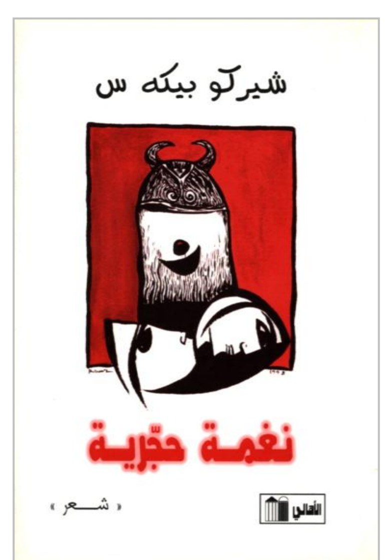
بطبيعة الحال لسنا بحاجة الى كثير من الدربه في قراءة الشعر لندرك أن الشاعر لا يهجو خريفاً أو طبيعة، و إنما يهجو البشر أو العلاقات البشرية حين تتسم بالتعالي، أو تسفر عن الاغتراب و الألم، فالشاعر منفي عن وطنه و لا يجد في جمال الطبيعة في المنفى عزاء، بل يجد حتى في الجمال ما يذكر بغربته و ببؤسه الاجتماعي، كأن الطبيعة تنحاز للبعض دون البعض الآخر. و هو ما يذكر بقصيدة للشاعر الإنجليزي (أودن) في رثاء الشاعر الايرلندي (وليم ييتس) يتحدث فيها عن (النهر الفلاح) الذي يرفض تغيير مصبه ليؤنس الأغنياء في مرافئهم الفارهة، فالنهر الفلاح في قصيدة أودن هو القرين لخريف الأرامل عند الشاعر الكردي، غير أن أودن يختلف في أنه لا يتحدث عن نهر آخر يحابي الأغنياء.

الذي يلتقي مع شيركو بيكەس لقاء أكثر حميمية هو الشاعر المصري صلاح جاهين في مقطوعته الشهيرة بالعامية المصرية (القمح مش زي الدهب) التي تعود الى نوفمبر 1951.

القمح مش زي الدهب
القمح زي الفلاحين
عيدان نحيلة جدرها بياكل في طين
زي اسماعين
و محمدين
و حسين أبو عويضه اللي قاسي و انضرب
علشان طلب
حفنة سنابل ريها كان بالعرق
عرق الجبين
القمح زي حسين يعيش يأكل في طين
أما اللي في القصر الكبير
يلبس حرير
يبعت رجاله يحصدوها من على
عود الفقير

هذا النص الغارق في البساطة و العذوبة هو غارق في الشعر ايضا (و ليتذكر هذا من يبالغون في تعقيد صورهم الشعرية)، فإن كان بعيدا عن النحو فإنه بعيد ايضا عن البلاغة المتورمة بالتكرار، الشعر هنا يأتي من الابتعاد عن المعاد الممل، من اقتناص الصورة المدهشة، من اللجوء الى المفارقة الشعرية التي تصادم تشبيها تقليديا و مستساغاً بين القمح و الذهب، ثم توغل في الربط بين القمح و الفلاح عبر نحالة البدن من ناحية، و عبر التجذر في الأرض من ناحية أخرى، و مثلما يفعل الشاعر الكردي، يتجه الشاعر العربي المصري إلى الذهب ليجعله ربيب الأغنياء، عدو الفقراء: (اما اللي في القصر الكبير يلبس حرير).. هذا الغني الذي يملك الذهب هو الذي يسطو على قمح الفقراء حين يبعث برجاله لحصاد القمح من على عود الفقير. مما يجعل القمح ليس مختلفا عن الذهب فحسب، بل عدو أيضا لذلك الذهب المنحاز، كما هو خريف الأغنياء في منفى الشاعر الكردي.





الصورة المرعبة في الشعر الكردي المعاصر

"سفر الروائح" للشاعر شيركو بيكس انموذجا

أثير محمد شهاب

يعد مفهوم الصورة المرعبة مفهوما تشكيلياً في اشتغاله, يعتمد على الانطلاق بالخيال الانعكاسي[1] الى مديات بعيدة تصل الى درجة الاستحالة تارة و الامتناع تارة أخرى, لذلك فرق حازم القرطاجني بين قولنا ممتنع و مستحيل "فالممتنع: هو ما لا يصح وقوعه في الوجود و ان كان مقصوراً في الذهن, كتركيب يد أسد على رجل مثلا, و المستحيل: هو ما لا يصح وقوعه في وجود و لا تصوره في ذهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حالة واحدة"[2] و هذا اللون من التفاوت ادى الى مزج الماديات في صورة سريالية مغايرة عما تقدمه النصوص اغلبها, حيث إن الماديات "المادية و المعنوية" المختلفة في مادتها و نوعها و حركتها و تشكيلها تتضافر فيما بينها من اجل خلق صورة سريالية تقترب من هاجس الخوف, بل تتجاوز هذا الهاجس الى الرعب الحقيقي, بسبب سريالية و فنتازيا الواقع المعاش.

إن الاهتمام بتشكيل الصورة على وفق ما مهدنا به من انطلاق الشاعر بخياله الانعكاسي, فذلك نابع من أن "الكائن البشري كائن يتخيل, و بعدها ربما يفكر"[3]. و هذا الاهتمام يعدّ من خواص الشعر الكردي المعاصر, و لعل خصوصية الاداء تنبع من خلال ما يمر به الشعب الكردي من عذابات في زمن أعمى, زمن لا يرحم حتى الأدغال التي لا قيمة لها, فكيف بالإنسان.. الشيوخ.. الأطفال الأبرياء.

و قد استطاع الشاعر الكردي من خلال ما مرّ به من مأساة أن يزيد من حرارة الصورة و غرائبيتها الى درجة الرعب, لكي يضع القارئ في مواجهة المأساة الحقيقية, على النحو الذي اسهم هذا الدور في تفعيل أهمية الصورة داخل مضان الشعر الكردي المعاصر, و مما زاد الصورة تألقا اهتمامها بالتكريس الصوري, أي التراكم الصوري المتلاحق, و هذا ما يزيد الصورة المرعبة حرارة اكثر فاعلية, و

يبدو ان الاهتمام بالصورة المرعبة, قد تشكل من خلال اهتمام فيكتور شكلوفسكي بـ"تنافر الصورة المجازية" من اجل الوصول الى نظرية و مصطلح التغريب الذي نادى به, و هذا اللون من الصور يستخدم "لعزل الأنماط الفجة للكون المنتظم عقلانيا, و إعادة تجميع الأجزاء وفق إدراك جديد"[(4)], و يبدو أن السعي الى هذا اللون من اجل "توسيع إمكانات اللغة أي خلق معان جديدة من خلال صلات جديدة"[(5)].

يتخذ ديوان "سفر الروائح" للشاعر الكردي المبدع شيركو بيكس, دلالة غاية في الأهمية من خلال توظيفه الرعب و سريالية الأداء داخل تشكيل صوره الشعرية, و بما ان المجموعة قصيدة طويلة, إلا أنها تخرج من إطار تشكيل القصائد الطوال في الشعر العربي المعاصر, بسبب اختلاف البناء بين مقطع شعري و آخر, و هذا بدوره يؤشر اختلاف تصوّر القصيدة الطويلة في الشعر الكردي عن الشعر العربي, ففي الشعر العربي تتشكل القصيدة الطويلة من خلال انسجام المقاطع و تواصلها بعضها ببعض على النحو الذي قد يؤدي قطع أي مقطع من مقاطع القصيدة الى خلل في هيكلية بنائها, إلا أن عنصر البناء في القصيدة الكردية الطويلة, يتجسد من خلال الاهتمام بتراكم الصور و الذي يؤدي – هذا التراكم – في النهاية الى تشكيل صورة كلية كبيرة تعبر عن المشهد و التصوّر المراد تقديمه, فضلا عن ذلك - و هذا رأي شخصي – فقد يبدو و بحسب الطبيعة الجبلية: ان الاهتمام بالقصائد القصار هو جزء من التركيبة القرائية للقارئ الكردي, فغالبا ما تستهوي القارئ في شمالنا الحبيب – إقليم كردستان – قصائد قصار تتواءم مع روح القارئ, و هذا التصوّر أفضى بالقصيدة الطويلة إلى أن تكون صورية أي لا تعتمد التشكل الدرامي في بنائها الكلي, و انما تعتمد الدراما داخل حقول صورية صغيرة باجتماعها تتشكل الصورة الكلية.

ولاجل أن لا نخرج عن مضمار ما قدمناه – الصورة المرعبة – نأخذ مقطعاً من مقاطع قصيدة شيركو بيكس الطويلة "سفر الروائح":

عند الهزيع الاخير من الليل
في غرفة جسدها من طين
ينطفئ فانوس
و تستلقي امرأة ما بهدوء
إنها قصيدة ترتدي الحداد في تابوت ابنها و تنام
تحلم به و هو يعود الى البيت
حضنه مليء بالشموع المضيئة
و شعره قد غدا ازهار الرمان
-تفوح منه رائحة الصيف-
تراه في منامها
وحيدها فحل احمر
يعود الى البيت
و اسم جلاده محفور على جبينه بحروف كبيرة[(6)]

تتجسد الصورة المرعبة في – هذا المقطع – من خلال اهتمام الشاعر بالجسد و تحولاته بين الحياة و الموت, و هذا التنوع و التنقل بالجسد الانساني شعريا بين الحياة و الموت يخلق بالنتيجة صورة مرعبة تجعل القارئ في تماه معها, و آلية التشكل الصوري تنبع من خلال توظيف الشاعر الحلم

بوصفه طريقة يمكن للشاعر ان ينتقل من خلاله من الموت الى الحياة, ففي المقطع الاول من النص, نجد اهتمام الشاعر بالجسد الإنساني الميت من خلال قوله "عند الهزيع الاخير – ترتدي الحداد في تابوت ابنها و تنام" و لعل تحول الصورة من تقريريتها الى شعريتها تتشكل عن طريق استغلال الشاعر الفضاء النصي السينوغرافي استغلالا شعريا غاية في الإبداع, و ذلك من خلال عقد الصلة بين قوله (الجسد الميت) و (ينطفئ فانوس), إذ ان عملية الانطفاء تحول الجسد الحي و دلالة النص من تصوَر الى آخر تسهم في رسم سينوغرافيا النص, و تنحرف الصورة من كونها مرعبة (ظلام و موتى و أمرأة تبكي) الى صورة أليفة مليئة بالسعادة, و ذلك من خلال توظيف الشاعر للحلم, و الذي بدوره ينقل النص وصوره من دلالة إلى أخرى, من الرعب الى الألفة (يعود إلى البيت).

و شعرية الصورة الأليفة تزداد حيوية من خلال استثمار الشاعر شيركو عنصر الإضاءة الدال على البشارة و الامل مع اقتران هذا الضوء بمفهوم حياة الجسد (حضنه مليئ بالشموع المضيئة), و هذه الإضاءة خلفت بدورها مغايرة دلالية عما تقدم, و يستمر الشاعر في رفد هذا الجسد ديكورا خاصا به يدلل على حيويته (تفوح منه رائحة الصيف), و هذا التنوع و التناقض بين الصورة المرعبة و الأليفة يضع الوجود النصي في تباين مستمر بين النقص و الكمال.

و تزداد الصورة رعبا حينما تختلط الماديات و الأشياء اختلاطا يصعب فصله مما يرفع من شعرية الصورة المرعبة, نقرأ هذا المقطع:

في حفلة تنكرية اقتربت ذات ليلة من الجلاد
كان الجلاد يرقص مع الضحية
و كانت الحرية حارسهما

***

في الليلة تلك اختلطت رائحة الجلاد و الضحية
و رائحة الملاك و الوحش كاختلاط
رائحة الورد بالروث[7]

فاختلاط الماديات يتأسس من قوله "كان الجلاد يرقص مع الضحية", إلى درجة الوصول إلى مفارقة دلالية لا تتواءم و قوله (الجلاد × الضحية), و ذلك من خلال قوله "و كانت الحرية حارسهما" حيث ان هذه المعادلة لا يمكن استمرارها في ظل سيادة التناقضات المتصارعة (الجلاد × الضحية), و هذا بدوره جعل الجملة في تناقض دلالي ينفتح إلى تأسيس صورة مرعبة, إذ لا علاقة للحرية بالجلاد, و لايمكن للجلاد أن يراقص الضحية ببراءة, و يزيد الشاعر من المفارقات الدلالية مع ذكره مفردة الحرية من خلال قوله "اختلطت رائحة الجلاد و الضحية", "و رائحة الملاك و الوحش كاختلاط رائحة الورد بالروث".

إن الاهتمام بتشكيل الصورة المرعبة في الشعر الكردي المعاصر, يشكل جزءا من الذاكرة الجمعية للفرد و الإنسان الكردي الذي ظل يعايش العذابات في زمن اللاإنسانية, على النحو الذي أفضى بهذه الذاكرة إلى أن تسهم في خلق صورة شعرية مرعبة تبين سريالية الواقع و غرائبيته, و هذا يدلل على أن الانطلاق بخلق صورة مرعبة يتأسس و عمق الواقع و مرارته على خلاف ما ينتجه الخيال

الشعري الذي لا يقترب من الواقع (اللاانعكاسي) لان "الصورة التي يبدعها الخيال لا تخضع لمحك الواقع"[8]

الهوامش

1-الخيال الانعكاسي: أي القدرة على مزج الواقع و هضمه داخل المخيلة للوصول بهذا الواقع الى صورة مغايرة حينا و مرعبة حينا آخر.

2-مناهج البلغاء و سراج الأدباء, للقرطاجني, محمد الخواجة, دار العرب الاسلامي, بيروت, ط2, 1981, ص 76.

3-الأدب و الأنواع الأدبية, نخبة من الأساتذة, ت: طاهر حجار, ط1, 1985, : 249.

4-اللغة في الأدب الحديث, الحداثة و التجريب, ت: ليون يوسف و عزيز عمانوئيل, دار المأمون, بغداد, 1989, 23.

5-م.ن: 230.

6-سفر الروائح, شيركو بيكس, قصيدة طويلة, ت: آزاد البرزنجي, ط1, 2000, السليمانية, كردستان: 35.

7-م.ن: 53.

8-جماليات المكان, باشلار, ت: غالب هلسا, كتاب الأقلام, بغداد, 1980, 119.





الشعر مطلقاً

سعدي يوسف

كان المساء يعبق برطوبة العشب المرشوش قبل ساعة أو نحوها, و الحديقة الوسيعة لم تكتظ بعد بأهلها المألوفين. أما هذه الطاولة المبكرة فربما كان لها تأريخ متصل بالظهيرة في شارع ابي نواس, حول هذه الطاولة في اتحاد الأدباء جلس ثلاثة: حسب الشيخ جعفر, شيركو بيكس, و أنا. كان ذلك في أواسط السبعينيات, و هو لقائي الأول مع شيركو. سألته إن كان جاء من السليمانية. أجابني: جئت من بغدادي! قلت: إنها بلدة ماياكوفسكي..,. قال شيركو بضحكته المكبوحة ذاتياً: إنها قرية قرب الرمادي!

كان الشاعر منفياً هناك.

آنها كنتُ قرأت له ما نُقل إلى العربية من أشعاره, و أخصُ ما نشرته "الكرمل" مجلة محمود درويش. بعد هذا اللقاء, دارت بنا الدنيا, و ظلت تدور بنا حتى اليوم, لكن لقاءنا الأول لم يظلّ أول. كنا نلتقي هنا و هناك, و في العام 1993, كما أتذكر, زرته في مكتبه بأربيل "هەولير" يوم كان وزيراً للثقافة في حكومة كردستان الموحدة, ثم التقينا في دمشق التي كان يزورها في حركته المكوكية بين اوربا و كردستان, و كان معنا في مجلة "المدى" التي نشرت إحدى مجموعاته.

بيكس, لا أحد.

يقول الجواهريَ العظيم:

بلا أحدٍ ايها العبقريّ و أنت الجميع و أنت الأحدْ.

و القصيدة عن بيكس الأب.

مع شيركو بيكس يكون المرء مع الشعر مطلقاً أكثر من كونه مع الشاعر, ذلك لأن شيركو يحلُ في الكون و أشيائه كما يحلَ الماء في الحجر. الحجر تراه, و الماء تراه و لا تراه. مشهد الطبيعة يقدمه شيركو

مشهد طبيعة, و تسألُ: أين أنت يا شيركو؟

لقد أختفى الخالق, و اكتفى بالمخلوق!

قال محمود درويش عن بدر شاكر السياب: إنه ابنُ الشعر العربي, و محوَل مجراه.

و أعتقدُ أن الأمر يصحَ على شيركو, فهو ابن الشعر الكرديَ, و محوَل مجراه.

كانت حركة التحديث الأهم في القصيدة الكردية, و التي أسهم فيها إلى جانب شيركو شعراء آخرون أمثال عبدالله بشيو, و رفيق صابر, ذات صلةٍ وثيقةٍ بحركة التحديث في الشعر العربي, و ذات استمراريةٍ مرموقةٍ, يمثلها شيركو أصدق تمثيلٍ, فهو الأغزرُ نتاجاً, و الأكثر توافراً على مادة عمله, حتى كأنّ حياته هي بالشعر وحده, و للشعر وحده.

***

لكنّ علينا, أن نعود قليلاً إلى وراء, كي تتوضّح لنا, أكثرَ, صيرورةُ الشعر الكرديّ الحديث, ففي آنٍ يكاد يكون آنَ بدر شاكر السياب, بدأ عبدالله گوران يرسل الإشارات و الأسئلة الأولى في التطور الممكن فاللاحق للقصيدة الكردية. استطاع گوران, بالرغم من حياة السجن الطويلة, و حياة الضيق الطولى, أن يخطو خطوته المغيّرة, أولاً بتحرير القصيدة الكردية من إسار الأغراض التقليدية, و كذلك في العمل الأكثر مرونةً داخل البحور و الأشكال الكردية.

صحيحٌ أن گوران, بسبب ما ذكرته, لم يتمكن من دفع أسئلته إلى أقصاها, إلا أنه قدّم أطروحة التحرير و التغيير لمن تلوه...

لم يكن هذا العملُ باليسير, لدى گوران و من تلوه, فالقصيدةُ الكردية, بسببٍ من تنافُذ القرون, كانت في مشتبَكٍ عجيب, لكنه طبيعيّ..

فالأشكال و البحور متلاطمةٌ: كرديةٌ, و فارسيةٌ, و تركيةٌ, و عربيةٌ؛ و التقليدُ سيدٌ في مجتمعٍ ظلّ سكونياً, حتى شرعت راياتُ حركة التحرر القومي الكردية ترتفع, في سماواتٍ معادية عموماً, و التناصُ (الضروري في كل تحولٍ جماليّ) له عوائقه البنيوية.

العملُ المرموق الذي أداه شيركو و رفاقه, هو, في تأصيل و مواصلة ما بدأه عبدالله گوران, لكن ضمن شروطٍ أفضل و أكثر تفتحاً.

إن شروط الستينيات و السبعينيات التي بدأ فيها تألّقُ القصيدة الكردية الراهنة, مختلفةٌ جداً عن شروط الأربعينيات؛ و كان لتضافرِ قوى التقدم العراقية أثرٌ في إيجابية هذه الشروط. و من نُعمى هذا التضافر, تواصلٌ بين القصيدة العربية و القصيدة الكردية, و عملٌ في المنابر الثقافية المتاحة بين وقت و آخر.

و الكوفةُ ليست بعيدةً, هذا البعدَ, عن السليمانية...

كنا معاً, ايها الشاعر و لَسوف نظلّ معاً..

و هكذا ايها الشاعر, و مثل ما قالت الشاعرة الأمريكية الشجاعة أدريان ريتش:

نحن نمضي

لكنّ كلماتنا باقية لتغدو مسؤولةً عمّا هو أكثرُ مما قصدناه..

لندن 2002/6/17

(*) – احتفاءً بالشاعر شيركو بيكس بمناسبة أمسيته الشعرية التي أقيمت في "غاليري الكوفة" – لندن.

"نغمة حجرية" للشاعر الكردي شيركو بيكەس
عاشق يعزف الناي تحت شجر الجوز

هادي المهدي*

عن دار الأهالي بدمشق صدرت لكبير الشعراء الكرد شيركو بيكەس, مختارات شعرية بعنوان "نغمة حجرية" تمثل نماذج شعرية من مختلف مراحل الشاعر و تجاربه. ترجم المجموعة الى العربية نخبة من الكتاب الكرد: د. عز الدين مصطفى رسول, بختيار علي, كريم دشتي, عبدالله سراج, و قدم للمجموعة الناقد العراقي المعروف ياسين النصير. و هنا سأحاول من خلال احتفائي بهذه الباقة الشعرية الكردية النادرة, ان اثير سؤالاً حول علاقتنا بالثقافة و الأدب, بل بالشعب الكردي عموماً: ماذا نعرف نحن العرب عن هذه الثقافة الراسخة منذ القدم و المتنوعة الأبعاد و الأصوات؟ نحن و لسوء الحظ – نكاد نجهل كل ما يمت بصلة للشعب الكردي "قضيته السياسية, ادبه و فنه, و حياته الاجتماعية, و اخيراً حلمه بالتحرر و الاستقلال".

و ذلك لرفع كابوس الاغتراب و التشرذم الذي يعانيه الشعب الكردي. ان جهلنا هذا او تجاهلنا يرجع بحسب اعتقادي الى عمق اتساع المؤامرة الدولية و الاقليمية ضد الكرد و التي ادت في النهاية الى عدم الاعتراف الرسمي بهوية هذا الشعب الحي و لغته التي تمثل لسان حال اربعين مليون انسان يتوزعون بين ايران و تركيا و العراق, و قد انتج هذا كله تجاهلاً ثقافياً و سياسياً عربياً بحق اقرب الجيران لنا جغرافياً و اكثر الشركاء لنا تاريخياً! و ها هم الكرد انفسهم يبادرون بعد اتقان اللغة العربية لغة جارهم و شريكهم – الى ترجمة ادبهم الى مكتبتنا العربية طمعاً بالحوار و ترسيخاً لمفهوم التعايش السلمي الذي يطالبون به مستعمريهم دون جدوى.

و بحسب هذا التجاهل العربي – الفريد من نوعه – اجد نفسي مضطراً للتعريف بالشاعر الكبير – شيركو بيكەس - في الوقت الذي كان يتوجب فيه الشرط التاريخي و الجغرافي, ان تكون معرفتنا به من البديهيات, كونه صاحب اضخم

تـراث شـعري ملحمـي بـين شـعراء العـالم الأحيـاء و المعاصرين, اضافة الى مكانتـه العالميـة, حيث حصد العديد من الجوائز الأدبيـة في اوروبـا بعـد ان تـرجم الى العديد من لغاتها, كذلك فإن شيركو بيكەس ثائر متمرد على دول الاستعمار الثلاثي حتى صدر بحقه حكـم بالاعــدام, الأمــر الــذي اضـطره الى مغــادرة كردستان باتجاه السويد و الاقامة فيها لسنين طويلة و قد عاد بعدها (العـام 1992) ليشغل منصب اول وزيــر ثقافــة في الحكومــة الكرديــة المسـتقلة و الــتي تشـكلت في كردسـتان – العـراق, و قـد دفعـه همـه الثقـافي و مشـروعه الشـعري الى الاسـتقالة مـن هـذا المنصـب, ليعمـل علـى انشـاء العديـد مـن المؤسسـات الثقافيـة آخرهـا مؤسسـة (سـردم/ العصـر) و الـتي تعنى بإصدار ثـلاث مجلات (ادب محلي, ادب و فكـر مترجــم, و العلــوم الطبيعيــة) الى جانــب نهوضـها بسلسلة كتب تعنى بالترجمة الى الكرديـة مـن جميـع اللغات, و بنظرة خاطفة يمكن وصف تجربـة شـيركو بيكـەس بالتجربة اليتيمة في الشعر الكردي المعاصر, فهـو يكـاد يكـون الوريـث الوحيـد لأصـالة و فخامـة الارث الشعري الكردي الكلاسيكي, اضافة الى فرادتـه في خلق مستويات شعرية تجريبية جديدة تهدف الى تحديث اللغة و الصورة الشعرية الكردية بلا منـازع. و بهذا يمكن القول ان شيركو بيكەس صوت منفـرد بين هوتين: هوة الأسلاف و الأحفاد, فهـو و ان كـان يثـق بالأصـوات الجديـدة و يسـندها و يـدفعها الى الأمام, الا اننـا لا نكـاد نجـد امتـداداً لصـوته الشعري بين معاصريه و الأجيال التي تلته, انه عازف نـاي و كيميـائي فـذ و مغـن شـعبي مـن طـراز هـوميروس لشعب كردستان كله و بلا حدود او لتعدد مستويات تجريبـه الشـعري يمكـن تقسـيم تجاربـه الى الآتـي: قصـائد البوسـتر/ القصـائد الوجدانيــة و الغزليــة القصـيرة/ المسـرحيات الشـعرية/ الملاحـم الغنائيـة و الانشادية الطويلة/ الرواية الشـعرية. و لأنـه يسـتمد صوته من الأساطير و الفولكلور الكردي واسـع العمـق فإنه يصـوغ صـوت الماضـي بلسـان الحاضـر, او يجعـل من الحاضر بليغاً بفخامة صـوت الماضـي, يخلـط بـين اللهجات الكرديـة ليغتـال الاغـتراب الكـردي المتشـظي عبر ثلاث دول بروح الموسيقى الشعرية الخاصة الـتي يتقنهـا هـو وحـده, تجـده ثـائراً متمـرداً يمـد لسـانه بوقاحـة بوجـه الظلـم, و بعـد حـين تجـده عاشـق و عــازف النـــاي تحـــت شــعر الجـــوز, طفـــلاً مشاكســـاً للوجــدان و المــوروث الــديني و الاجتمــاعي, صــائغاً يخلط الدم بالكلمات ليعلقها قلائد مشعة علـى جيـد الكرديات الساحرات, و اخـيراً فقـد طبعـت بمجلـدين في السـويد اضـافة الى نشـره المسـرحي و الدراسـات و الترجمات التي لا تغفل اهميتها لتطوير لسان و عقل شعبه المضطهد.

نعود الى "نغمة حجرية" و نتوقف عند المقدمة التي كتبها ياسين النصير, فنجد رؤية عربية مغلقـة ازاء اللغة و الأدب الكردي, و هنا استغرب كيف سمحا – الناشــر و الشــاعر – بنشــر هــذه المقدمــة, الــتي تـرفض ترجمـة الشـعر الكـردي الى العربيـة لأسـباب واهيـة لا تمثـل في النهايـة الا وجهـة نظـر سـلطوية,

تجاه الكرد و تعبيراً عن رغبة استعبادهم بوصفهم جزءاً لا يتجزء من البنية العربية.

و نعود مرة اخرى لندخل سريعاً الى المختارات الشعرية التي وردت في مجموعة "نغمة حجرية" و التي تضم خمساً و اربعين قصيدة قصيرة او مقاطع مجتزأة من قصائد طويلة, و من خلالها تتجسد لنا بصورة جلية طاقة شيركو بيكەس على التجريب و مغايرة صوته بتواتر عال, فعلى الصعيد الوجودي الوجداني يقول:

لا النوم لي.. و لكنني احلم..
المطر لم ينم.. و لم انم..
و كل قراءة للأمطار تصعد بي سماء..
و كل كتابه بالضوء.. تلبسني الأفق
و توحدني مع الله..

و ثانية تجده يصرخ بغضب كردي دام و بصوت ملوؤه الدم و الدخان فيقول:

الرماد في اصله كردي!
لماذا؟
وحده الله من يستطيع الاجابة عن ذلك!
و يتابع في القصيدة نفسها:
لا تقرأني كثيراً..
لأنك ستصاب بالعمى لكثرة الدخان في التاريخ!

او قوله:

الكهف فم الجبل.. فم للصرخة و حسب!

و نطلع ايضاً من خلال هذه المختارات على نماذج من قصيدة البوستر التي يتقنها شيركو بيكەس, فبأسطر قليلة يصوغ الجلجلة و الحيرة معاً, ففي قصيدة "القوس" مثلاً نراه يقول:

قال القوس:
عندما استقيم بظهري..
اول ما ا نجزه.. اعدم السهام..
فأنا وحدي من يعرف
ما فعلت بي!

و في قصيدة اخرى يتحدث عن الجلاد بصيغة "ضابط عادي" يقول:

عندما منحوه رتبة نجمة.. كان قد قتل كوكباً
و عندما صارتا اثنتين..
صارت يداه حبال مشانق
و عندما صارت ثلاث نجوم و رتب..
ثم تاجاً و ما فوق..
استيقظ التاريخ ذات صباح
فوجد البلاد.. مملكة ارامل!

هذه نماذج بسيطة من مختارات غنية يجدر بنا تأملها لأسباب عديدة, فإذا ما تجاوزنا الهم الثقافي و الأدبي فهي تعرفنا في الأقل بعمق الجرح و النزيف و الجمال و العذوبة الكردية, جارتنا في الجغرافيا و شريكتنا في التاريخ.

هذا المقال منشور في جريدة (الكفاح العربي) بتأريخ 1999/6/21.

* هادي المهدي: كاتب و مخرج, له اربع كتب صادرة في بيروت و دمشق, يعتبر من المهتمين بالادبه الكردي المعاصر حيث نشر اكثر من اربع ملفات حول القصة و الشعر و المسرح الكردي في الصحف و المجلات العربية الصادرة في بيروت و لندن.

الشاعر شيركو بيكس في "أنشودتان جبليتان"

البعد الشعري المركب
و رؤى تباغت نواة الفكرة الوامضة

هوشنك درويش*

الغور في تجربة الشاعر الكردي الكبير شيركو بيكس, يعني الانغماس انغماساً روحياً, حتى النخاع في عوالم بلورية, و هذه البلورية الشعرية لأسميها, لا تخلو من رتوش ميثولوجية, تقذف بذاكرة المتلقي الى المنسي المعتق في الذاكرة الجمعية, و لو عمقنا مخيلتنا تجاه المدلولات الميثولوجية, التي يثيرها المدلول الميثولوجي في بنية القصيدة, سنعي وعياً عميقاً و ايمائياً, بأن هذي المدلولات, لاتنحصر فقط في اطار العملية التوليفية الرؤيوية, بين الآني و الغابر, بل تتجاوز هذه الشكلية, من خلال اسقاطاتها الزمنية و المكانية, هذه فرادة إبداعية, بل أراها وثبة حداثوية في المشهد الشعري الكردي و تجربة الشاعر, تضاف الى وثبات شيركو بيكس الشعرية, و سيما إذا أخذنا بالحسبان, واقع المرحلة التي أبدع فيها مرسلاته الإبداعية تلك, و أخص منها "أنشودتان جبليتان" و اللتان أبصرتا النور بالعربية, بين دفتي مجموعة شعرية, وقام بالترجمة من الكردية الى لغة الضاد فؤاد عبد الرحمن, و قبل أن نحلق, و ندور في مدارات هذه المجموعة, و نتعربش بإيماءاتها اللوامع, علينا في البداية, أن ننعتق من الرؤى الضامرة و القاصرة, و الخيال المتصخر و المراوح في قوقعته, و التحليل المقولب المستند الى مساطر نقدية جاهزة, و لذلك علينا أن نضرم قبسة الذائقة النقدية الزئبقية في كوامننا الحسية اللاواعية, و الآ سنبقى نقفز في الفراغ, و لكن الأهم من هذا و ذاك هو زئبقية و لا محدودية رؤانا, لأن رؤى الشاعر شيركو بيكس الشعرية رؤى منقضة و مرتدة في آن معاً, منقضة, تسبر في جزئيات الفكرة, تحللها, تفككها, و مرتدة, تصهر الجزئيات في الكل, و هذه هي العين الثالثة النادرة و الفريدة عند شيركو بيكس و الاقتناصات الشعرية الصورية, ليست ألا

وليدة هذه العين النافذة في المنبهات الموضوعية – الفكرة – نفاذاً عميقاً, منقبة عن الوامضة المخفية, و التي تكون بمثابة النواة المركزية الاشراقية, منها تشع اشراقات و اشعاعات الصورة و المتجسدة بالإيماءات و الموحيات النازفة, و البعض في الواقع ينزلق في هوات و أغاليط, أراها دلالة على القصور الحسي لديهم, لحظة استغوارهم في كوامن النص الإبداعي, و القصور متمثل في تحليلاتهم المعتمدة على نظرياتهم و فرضياتهم و رؤاهم الجامدة, أقصد تماماً النظرة المادية تجاه النص, و تبدو لنا جلية في طروحاتهم الداعية الى الفصل بين الأدوات الشعرية الوظيفة و الدلالية, و الفصل بحد ذاته لا إشكال عليه, و لكن التركيز على أن الاستخدام الدقيق و المتقن للأداة الدلالية. لأنها من المكونات الأساسية للمادة الإبداعية, هذا لا يعني على الاطلاق بأنها, المولدة و الباعثة لهذه الإيماءات, و ألاّ سنكون قد أهملنا وشطبنا بؤرة النص, الطاقة الحيوية التي تنفخ الروح و الحركة في الشكل, او ما يسمى بالفن و التزيين القولي, و هذه الطاقات الشعرية المتلاطمة المراميز النقية. في إبداعات شيركو بيكس ليست فقط وليدة دقة التعبير, و التقنيات الفنية التي أجاد الشاعر توظيفها بشكل بارع, كتكرار الصورة الشعرية و الجملة الشعرية. و اضرام وهجة قفلة القصيدة أو لنقل الصدمات الشعرية, و ناهيك عن خلق حالات الانبهار و الدهشة الآسرة في دواخل المتلقي القصية, لأن هذه التكتيكات الفنية, التي تطلق عليها تارة تسمية التوابل, و تارة أخرى بالبهارات الفنية, ليست إلاّ الاطار أو الهيكل الخارجي للصور و الجمل و التراكيب الشعرية, إنما شاعرية الشاعر شيركو بيكس هي في قدرته على مباغتة نواة الفكرة اللامكشوفة و تفجيرها, لحظة التوحد بينها و بين ذاته المندمجة و المندغمة في استغراقاتها المذهلة, و هنا إيانا أن ننسى أو نتناسى, هذه العملية الاشراقية و الالهامية, تندرج تحت لائحة العمليات الحسية, اللامرئية, اللامدركة, في مواطن اللاشعور, و التي تأجج جذوة جينة الشعر. هذا التلميح البرقي كان لابد منه, لتتحرر الذائقة الذوقية للمتذوق الشعري, و الاجتهادات الكشفية و التنبؤية و النابشة النقدية للناقد من المنظور المقولب, الخاوي في جوهره من الحدس الحسي, و إلاّ كيف نستشف ماهية الاستمرارية و الديمومة, التي ينعت بها شيركو بيكس الدال الشعري, بل دعونا ننعته بالدال الثلجي, الكاشف لزوبعات من المدلولات الثلجية, ترسم في آفاقنا التخيلية, طوابير من اللوحات و التي أصفها دائماً بالبلورية أو النعناعية, و تكرار مفردة الثلج بهذا الشكل اللامتناهي, أعمق بكثير من ان تكون بصمة فنية هادفة الى جر القارئ و شحنه بهاجس انتظار تشظي الإيماءات الموقوتة في قصيدته "برايموك و أغنية الثلج و طفولتي", لأنه بعد الإمعان و التأني في هذه العملية التكرارية, لمفردة الثلج, سنلاحظ و مما لاشك و لا لبس فيه, كل تكرار للأداة التعبيرية – الثلج- يكشف لنا عن مدلول لا مألوف من مدلولات الثلج اللامألوفة, و لنقرأ معاً هذه المقاطع الإيمائية:

الثلج لا ينام
ابنة الثلج
قال الثلج

السليمانية عروس الثلج
أجساد الثلوج
الثلوج تبرقعت
حبك الثلج
الثلوج تتساقط
الثلوج دموع ملائكة الغيوم
الثلوج تشبه القطن
الثلوج اسمها بريخان
الثلج كان يسقط بغزارة
لو نام الثلج
حبات الثلج
الثلوج تشعل
الثلوج كانت تنيمني

الولادات الإيمائية المنبثقة من الإيماءة المألوفة لمفردة الثلج, ظاهرة في المقاطع المذكورة آنفة, و هي: الإيماءة المادية – الإيماءة الحسية – الإيماءة الحركية – الإيماءة السمعية – الإيماءة البصرية – الإيماءة المطلقة – و هذا ما قصدته بالضبط بتفجير الشاعر شيركو بيكس لنواة الفكرة حاضنة كل هذه الإيماءات, و لكن السؤال الذي يفرض نفسه علينا و بقوة, و هو بحاجة ماسة الى إجابة تحليلية شافية و عميقة, ألا و هو, كيف تحافظ هذه الإيماءات على خصوصيتها رغم رابطة وحدة بنية القصيدة, و مرة أخرى علينا أن نسجل للشاعر شيركو بيكس فرادته الأسلوبية في بناء النص الإبداعي, أسلوب الالتفات, و أتقن الشاعر بالفعل في هذه القصيدة اتقان هذا الأسلوب اتقاناً مغايراً للسائد الشعري, فالقصيدة لا تخلو من أفعال القول:

و برايموك يقول: لاحيلة لي

قال حاجي: و أنا حارس حبيبتك

و الأفعال الماضية و المضارعة و المستقبلية, و كذلك أدوات النداء و الاستفهام:

هل يمكن للثلج أن ينام
ألا تريد اعلاني
الآ تبدئين
يا امي الحبيبة
ياذات العيون المكحلة

ناهيك عن الطلب و التمني و النهي, هذا التنوع في ألوان النسيج اللغوي, يعمل على انعتاق الأسلوب من النبرة الانشائية, و يضفي على المناخ العام للقصيدة ايقاعات متواترة, تتفاعل مع أغوار المتلقي المتأزمة, و هذا هو البعد الشعري المركب المتعدد الأصوات, و المبني على مناخات شبكية, لأن حركة الرؤى هي التي تتحكم بأبعاد الفكرة, و في هذه القصيدة "برايموك و أغنية الثلج و طفولتي" العملية الانتقالية من جملة شعرية إلى جملة أخرى تفتح لنا كوات صورية جديدة, و أفق رؤيوي جديد, و حتى نفس شعري جديد, يمزج الأرض بالميثولوجيا, و التاريخ, و الطفولة, و الحبيبة, و الطبيعة, بمعنى أعمق عمقاً, نحن أمام حضره رؤى لولبية تسبر, و تسبر الى مالانهاية في خفايا الموضوع, حتى تصل رؤى الشاعر في كثير من الأحايين الى الانفلات الرؤيوي اللاعادي فتذرئ الصورة الشعرية, و لا تقتنصها, و كما نعلم البون شاسع بين الخلق و القنص, بين الانفجار اللغوي,. و الترصيف و التنميق اللغوي, بين التقاط انعكاسات الواقع المرئي. و النفاذ نفاذاً عميقاً في الواقع اللامكشوف و لأسميه الواقع

الثالث, و لكن ربما ثمة من يسأل, و ما هو الواقع الثالث, في الحقيقة الإجابة عن هذا السؤال بحاجة ماسة منا, الى فك المعادلات و الشيفرات المعقدة الى حدما في مختبرات اللاوعي و إذا كنا نستطيع تحليل ماهية العاطفة المركبة الناتجة عن التحام و انصهار الذات و الواقع المرئي في الواقع المنعوت بالثالث و انبلاج هذا الواقع –الثالث- لا يكون إلاّ في المرحلة الثالثة من مراحل ولادته, بعد المصافحة العابرة بين الذات و الواقع المدرك, و هذه المرحلة بمثابة العلاقة التأثيرية بين قطبي المعادلة الإبداعية, ثم تأتي المرحلة الثانية, مرحلة الانطباع الحسي للواقع على البقعة المضاءه في الذات, و التي تزداد اتساعاً بفعل العملية المزجية بين ثنائية الذات و الواقع, الى أن يكتمل الواقع الثالث الذي تستشفه الذات, و المشاهد الاحتمالية في القصيدة و التي تلفحنا بانبهاراتها و دهشاتها بين الفنية و الأخرى, و التي نصفها باللامعقولة و اللامنطقية. في البداية, و لكن بعد قراءة ايحاءاتها و مراميزها. تبدو لنا جمالياتها الفنية و الروحية أكثر ألقاً و انتعاشا, و قراءة الواقع الثالث ظاهرة في هذه المشاهد و اللوحات الاحتمالية المعبرة عنه, و دعونا نسبر معاً في الواقع الثالث للشاعر شيركو بيكس:

الثلج دموع ملائكة الغيوم
ارتعاشات الفوانيس
و انفاس قصيدة جديدة إستحالت أ بخرة
حتى أن السماء دست غيوم القطن في أذنها
صار حبي طريق جليدي لراعي أحزانك
الله نداف عظيم

كما نلاحظ الارتقاء الكشفي في حالة تتابع مستمر, و النزف الصوري لا ينضب, و لحظات التلألؤ الدافقة من الفكرة عصية الالتقاط, لأن البناء الشعري في إبداعات شيركو بيكس يرتكز على وحدة البنية و التوهج اللامتناهي, و التعبير الأداتي المقتصد, و في (الرحيل), هاجس شيركو بيكس الاستفهامي, الداعي الى النبش عن جزئيات الأضداد, لنقل هي فضاءات مترئبة بهلع السؤال الذي لا يجر الذات المتأزمة إلا الى فضاءات أغزر أضطراباً و أكثر نزفاً و أثارة هذه التساؤلات يبدع فيها شيركو بيكس, و يتألق في خلق حالات خطرة في مخيلة المتلقي, حالة السؤال التجريبي في الظاهر و الإيحائي في الباطن, ألا ينجرف ذهن القارئ الى تساؤلات لا تحدها تخوم, و هو يتلقف هذه الخمائر الشعرية:

يا فرهاد, أتريد نهراً تغرق أشجاره؟!
يا فرهاد أتريد طيراً يحطم أعشاشه؟!
و يمتنع عن الطيران

حسبي القول تجربة الشاعر الكردي الكبير شيركو بيكس تختزن في ثناياها الشعرية, مهابة الفكرة, و عشق اللغة, و رجفات الحالة الشعرية الصادقة و الخاوية من التكلف و التصنع, بالإضافة الى جنية الشعر التي لا تبارح معبده, و مهما كانت مطارق هذه الجنية مؤرقة و موجعة, شاعرنا شيركو بيكس تعانق روحه هذي النشوة البلورية.

*شاعر و ناقد كردي من سوريا مقيم في السليمانية.

مختارات من قصائد الشاعر شيركو بيكه س

قصائد لا تنسى الفقراء!

اختيار و تقديم: طلعت الشايب

هو احد شعراء الإنسانية الكبار, رأى الموجة فيأتيه الماء و يهديه أجمل الأنهار, يكتب بمداد من شعاع فتأتيه الشمس و تهديه كتابا, يشعل عشق الفقراء في قلبه فيأتيه المستقبل و يهديه سعادة هذه الأرض... نقرأ شعره, فنصبح في قلب القلب من ذلك كله. الشاعر الكردي شيركو بيكەس - من مواليد السليمانية في كردستان العراق في 1940 - صوت شعري جميل, يضعه شعره في مصاف لوركا و أراگون و نيرودا و ناظم حكمت و رسول حمزاتوف و كل الكبار الذين أحبوا الحرية و الكرامة الإنسانية و أنشدوا للإنسان و المستقبل الأجمل, و هو شاعر و ابن شاعر معروف اسمه فائق بيكەس (1905-1948) يعتبره الكرد رمزا من رموزهم الوطنية. أنطقت طبيعة كردستان و تراثها و ظروفها شيركو بيكەس بالشعر مبكرا, حفظ أشعار "گوران" و "هەردى" عن ظهر قلب, و في أواخر الستينيات أتقن اللغة العربية فبدأت رحلته الطويلة مع إبداعها الفني, له مجموعات شعرية من بينها "ضياء القصائد" - 1968 و "هودج البكاء" - 1969 و "من اللهب أرتوي" - 1973 و "الغزالة" - 1976 و "الغبش" 1978, "أنشودتان جبليتان" - 1980 و "الأنهار" - 1984 و "الصقر - 1985, و قد صدرت ترجمة عربية لمجموعتين له هما "مرايا صغيرة" - دار الأهالي بدمشق 1988 ترجمة مجموعة من الأدباء الكرد - و "ساعات من قصب" - دار المدى بدمشق 1994, ترجمة: "جلال زنكابادى و كريم دەشتى و محمد موكرى -", و المختارات التي نقدمها من المجموعتين الأخيرتين.

في هذه النماذج من القصائد القصيرة, يقول شيركو بيكەس الكثير بأقل قدر ممكن من الكلمات, يلتقط جزيئات صغيرة من الحياة و الكون لا تبصرها إلا قلة من العيون و العقول اللاقطة,

لينطلق منها الى عـالم رحـب, شـجرة واحـدة تبكـي, فيلتقط النهـر دموعها و يصوغها للسمك حراشـف, زهرة يخنقها العليق, و عندما يستقيم عودها تظل تتلوى حتى الموت مـن عـذاب لونها الشـاحب, محبرة تلقى بنفسها من فوق رف في غرفة مـا في سـنتياجو, ترفض أن يمتلىء قلم بحبرها عنوة ليأسر كلمـة مـن كلمات نيرودا المحلقة.

الجبـل شـاعر و الشـجرة قلـم و أعمـاق الـنفس البشرية سـاحة العـالم الحمـراء ينـتفض فيها عشـاق الحرية, شاعر يمزج في شـعره بـين الهمَين الخـاص و العام, إنسان بلاده الفقير و أحلامه اليومية البسيطة و كلمـات "لوركـا" القتيلـة الـتي ترتـدي عليهـا كـل الكلمـات الجميلـة و البريئـة في العـالم ربطـة عنـق سوداء! مـن نهـر الفـرات الـذى يسـعل و يأخـذ أمـواج لحيته بيده, و يطلـب منـه أن يقـول شـعرا للفقـراء, الى رغيـف الخبـز الـذي يبكـي لأن الأمـير سـيأكله.. قصـائد تمسـك بـالجوهر دون ثرثـرة, و تنطلـق بالقارىء نحو حدود الدهشةو صاحبها لا يعبأ بعيون بعض الكلمات الجواسيس وراءه, و لا بأفخاخ مفردات لم تعد تراود مخيلة الغد, و شاعر قادر على تمريـر خيط الشعر من خرم إبرة الفكر مهما كان ضيقا... حتى في الظلام كما يقول..

عاد شيركو بيكەس الى كردسـتان العـراق في عـام 1991 بعد سـنوات قضاها في الغربـة - حصـل علـى جائزة الدولة في السويد و الـتي تمـنح لأفضـل شـاعر اجـنبي - و شـارك في الانتخابـات و دخـل البرلـان و عين وزيرا للثقافة و لكنه استقال بعـد وقت قصـير احتجاجا على بعض الممارسات اللاديمقراطية, و كمـا يحدث دائمـاً.. ذهـب السياسـي و بقـى الشـاعر.. ذلـك العصي على القولبة و التحجيم!

قنديل

في آخر الليل
كل ليل
اقول لقلمي هامساً:
اذا كان قنديل شِعركَ
لا يضيء
الا بدم شهيد جديد
فلتشلّ يدك
و لتعم
لتعش الناس, و لتمت القصائد.

كمان

علقتَ
على صدركِ
وردة, بشكل "كمان" صغير
آه.. و حين مشيت امامي
كنت اسمع الكمان يعزف
و على ايقاعه..
آه.. كنت ارى رقصة نهديك الرشيقة!

رواية

تلك الرواية التي اعطيتها لك
و ارجعتها بعد القراءة, وضعتها في مكانها

داخل مكتبتي الصغيرة
حينذاك تجمعت القصص القصيرة حولها
و كانت تحكي لها رحلتها الأخيرة مع عينيك
كنت اسمعها و هي تقول: تلك الجميلة
تعشق القصص ذات القوام الطويل
و لا تحب ان تنظر الى قصيرات القامة مثلكن
و بعد فترة رأيت, و لأجل عينيك
جميع القصص القصيرة قد تحولت روايات!!

الشاهدة الوحيدة

تقاطع شارعين.. هو الصليب!
بقعة دم.. هي الجريمة الجديدة
و عصفورة على السلك
هي الشاهدة الوحيدة
التي لن تدعوها اية محكمة ابداً!!

امثلة!

و حولنا كثير من الأشياء متذبذبة
مثلا: الطقس
و سعر الحاجات
و هناك كثير من الأشياء حولنا
صامدة حقا
و لا تغير رأيها مطلقا
مهما كان الطقس سيئاً
و الحياة متغيرة
و منها مثلا:
الرقابة, و صحافة بلادي!

زواج

كلمة ربيتها
في مهد جمرة
و حينما كبرت
تزوجت بسلاح احمر الشعر
و انجبت ثورة!!

عرش

في منتصف الليل
تربع الفكر
على عرش الكلمة الفقيرة
و في الفجر
سجد الملك لجمال القصيدة!

مأساة

قال لوركا: بالأمس قتلوا واحدة من كلماتي
فجلست مع قصائدي في مجلس عزائها
و اليوم, و من اجل الكلمة الشهيدة ذاتها
لبست كل الكلمات الجميلة و البريئة في العالم
واحدة.. واحدة..
ربطة عنق سوداء.. حزنا عليها!

ساقية

في احدى قاعات "نيويورك"
هشموا رأس قصة زنجية
فسالت دماء الحوارات

على كتفي المسرح و عنقه
و شقت سواقي
و لما اراد رجال الأمن ان يضعوا في يديها القيود
نبتت للسواقي اجنحة
و غدت هذه المرة قصائد!

الفرات

غالبا ما يجيء الفرات و هو يسعل
و يجلس الى جانبي
حيث يأخذ امواج لحيته بيده و هو يقول:
قل شعرا
فالذي يبقى, حتى النهاية, هو مائي
و تلك القصائد التي
لا تنسى الفقراء!

مفتاح

في اقاصي الدنيا
ابكت كارثة مفتاحا ضائعا
لأنهم لم يبحثوا عنه
و حطموا باب المدينة عنوة!

احبهم!

انا احب جميع ينابيع وطني
و لكن احبهم الى قلبي
ذلك النبع الذي روى ظمأي كثيرا
انا احب جميع حدائق بلادي
و لكن احبهم الى نفسي
تلك الحديقة التي
قدمت لي اجمل الوردات
انا احب جميع المعلمين الطيبين
في وطني
و لكن احبهم الى قلبي
من علمني اول الحروف
كذلك احب جميع شهداء وطني
و لكن احبهم الى قلبي
الشهداء الذين طاردوا لأول مرة
الخوف في بلادي!!

امي

حين كبرت
رأى معصم يدي اليسرى
كثيرا من الساعات
و لكن قلبي لم يفرح بها
بقدر فرحته
حين كانت امي تعض معصمي اليسرى
و تصنع بأسنانها
و انا طفل..
ساعتها على يدي!

غرفة

استطاع شعاع أن يفلت من قبضة ستارة
هرب.. و في الطريق تعثر بمزمار
فوقع و ادمي رأسه
ثم نهض و التفت

فرأى باب غرفة "كنفاني"

مفتوحا على مصراعيه

مع الدم دخل

و حين اشعلت "ام سعد" قنديل الغرفة

تلونت كل الحكايات

بلون الرمان!

تعمق

حين تعطش ساقية

تؤلم قلب نهر

و حين تحبس حزمة ضوء

تجعل الشمس ساخطة عليك

و فيما لو جرحت الشمس

تجعل من الدم عدوا لك

و كل من عاداه دم الضياء

سيقتله الظلام!

رماد

كنت اداوي جرحا

في صدر احد الأقمار

برماد احدى كلماتي المحترقة

و فتها..

تحول رماد كلمتي

الى زهرة متسلقة

و عادت تلتف حول قامة

قصصي المتشردة!!

محبرة

محبرة خضراء

رمت بنفسها من فوق رف

في غرفة بـ"سنتياجو"

و بعد دفنها

عثروا في علبتها على قصاصة ورق

كتب عليها:

"لقد قتلت نفسي, لأن أحد الأقلام

امتلأ بحبري عنوة

كى يأسر سربا من كلمات "نيرودا" المحلقة".

اطلالة

من نافذة غرفة ما

من سياج حديقة:

باقة زهور

و من جيب قميصي قلمي

اطلوا برؤوسهم:

الفتاة لحبيبها

الزهور للأطفال

و قلمي لقصيدة شعر

تصور الفتاة و حبيبها

و الزهور و الأطفال مجتمعين!

قضبان

في ورشة حداد ما

نهضت واقفة, عدة قضبان مفتولة

هددت و سلطت غضبها على اتون الموقد

حين سمعت انهم ينوون تعييرها

من نافذة لمكتبة عامة

الى باب لسجن

يوصد على قمر شعر معتقل!

على سلالم الخوف

على سلالم الخوف

كان الظلام ينزلق كلص بهدوء

الى اعماقي

و لما وصل الى السويداء.

اراد شيئاً ما

و على حين غرة

اشعلت حبك فاحترق الخوف و الظلام!

هدية

حين تكتب بمواد من شعاع

تأتيك الشمس و تهديك كتابا

حين تقرأ الموجة

يأتيك الماء و يهديك اجمل الأنهار

و حين تشعل عشق الفقراء في قلبك

يأتيك المستقبل

و يهديك سعادة هذه الأرض!

غصن

بينما كنت ماضيا

عانق غصن ما

احدى قصصي

فانتظرت

حتى افترقا عن بعضهما

فإذا بي ارى قصتي

قد غدت سرب اطيار

و الغصن صار قلمي!

تناثر

عندما دخلت

اضحت نظراتي فراشة

تحوم في اجواء القاعة

حتى استقرت على تلك الوردة التي

تزين شعرك,

و حين نزعت الوردة و قدمتها لغيري

في تلك اللحظة..

تناثرت فراشة نظراتي

بين اصابعك..

دون ان تعلمي!

بضعة حروف

مرة

رأيت احدى قصائد "لوركا"

و هي تنهض و قبالتها

احدى قطع "غسان" النثرية

و في وقت واحد

في لحظة واحدة

في وسط القدس

و في وسط غرناطة

تعانقا بحرارة

و حين امتزجا بالحب

اضحى بعض حروفهم

سلاحا و قنابل لخنادق الثوار..

و البعض الآخر خبزاً,

و البعض الآخر الأخير

زهرات..

تزين صدور العشاق

في العالم!

حلم

في السوق

احس رغيف خبز بالنعاس

و ما لبث أن نام في بردعة ابراهيم الحمال

و راح يحلم! فرأى انه عاد

و صار عجينة كرة اخرى

يريدون أن يصنعوا منه عنوة

رغيفا للأمير

و حين وضعوه في التنور

بكى, و من شدة فزعه

استيقظ!

و حين عاد ابراهيم الحمال

مسح الرغيف الباكي عينيه

و ضحك له و قال:

يا فرحتي, لأنك ستأكلني

و ان الكابوس الذي رأيته

لن يتحقق!!

سجون

تأملوا :

في نجمة داوود

ستة سجون مثلثة.

في وسطها:

قمر ام عربية

موشح بالسواد..

تأملوا!!

حالات

حين واجهت المشاعل

اضحى وجهي موقدا لحكاية

ترتجف بردا

و حين واجهت امواج البحر

اضحت يداي جداول

للوحة فنان كانت على وشك

ان تذبل من الظمأ

و حين واجهت الجوع

تحولت اعماقي الى ساحة العالم الحمراء

لينتفض فيها عشاق الحرية!!

ملايين البشر!

تمردت زنزانة على قلعتها

و أضربت عن فتح ابوابها

مطالبة بهدم جدرانها.

اجتمعت "الباستيلات" و القت القبض
على الزنزانة
و علقتها بنفسها
و قالت لها: من تعرفين؟!
من حرضك على هذا؟!
لم تصمد الزنزانة
ازاء ذلك الألم الرهيب
فاعترفت مرغمة..
و كتبت بيدها لمحكمة الباستيل:
اسماء ملايين البشر

جذور

اذا النجوم و الغيوم
و الرياح و الشمس
لم تبصر المجرمين
و هم يقتلون
و اصم الأفق عنهم اذنيه
و نسيتهم الجبال و المياه
فلابد ان تراهم شجرة وحيدة
تكتب على جذورها أسماءهم!!

هنا

هنا الليلة
الجبل شاعر
الشجرة قلم
السهب ورق
النهر سطر
و الحجر نقطة..
و انا علامة تعجب!!

؟

على مرأى من السماء
سرقوا الغيم
على مرأى من الغيم
سرقوا الريح
على مرأى من الريح
سرقوا المطر المدرار
و على مرأى من المطر
سرقوا الثرى,..
و في الثرى
دفنوا العيون التي شهدت اللصوص!!

حريتي

من فرط ما
تضورت حريتي جوعا
و توقا الى الرغيف
انقضت على قمر اشعاري
اختطفته
هشمته
و لذا..
امسى شعري يتمرأى كل ليلة
مثلوما حتى النصف!

اعناق

عنق قصيدتي
عنق امي

و عنق بلادي
طوقت الأولى بالغيم
حل اسبوع هطول الألحان
طوقت الثانية بعمري
حل شهر انهمار الحب
و حين طوقت الثالثة بتأريخي..
حل عام:
مطر الورد
مطر الجراح
و مطر الشهداء!!

اللص

كل صباح, حين استيقظ في هذا البيت
اجد شيئاً ما او عضوا من جسدي مفقودا!
غشاء طبلة اذني
سلك عرق من قلبي
رضفة من رضفتي ركبتي
مذياع حنجرتي
عمود احدى ساقي
نافذة في برج رئتي
رخام اسنانى
رأس جسر كتفي
برغيا, غضروفا, سلك امعائي الدقيقة
و (زر) مفاصلي
و اخيراً, سرقوا لؤلؤة عيني!
كل صباح, حين استيقظ في بيتي!
اجد شيئاً او عضوا من اعضائي قد اختفى!
فمن يأخذه؟ الى اين؟ و كيف؟
اليوم عند الغبش, مسكت باللصوص
و على سريري نفسه!
فوا مأساتاه!
لم يكن اللصوص سوى اصابعي العشر!!

المعطف

منذ سنين
تقوقعت جيوب هذا المعطف العتيق
منطوية على ذكريات منفوضة
فكلما امد يدا في جيب
اشعر انني المس يد صاحبه السابق
و تلمس اصابعي اصابع ماض اخر!
فمن يعرف..
ان بعته انا الآخر
اية يد ستلمس يدي؟
و اية اصابع اخرى
ستجد في تلكم الجيوب
اصابع ذكرياتي المتساقطة؟!

حبة رمل

شعرة من خصلات فتاة جميلة
كانت قد تعلقت بكتفي
احلتها ارجوحة
لأشعاري بضع سنين!
حبة رمل من كردستان
منذ متى؟ كيف؟

لا اعرف كيف قفزت الى ثنايا جيب سترتي

و جدتها اليوم مصادفة

اخرجتها و قبلتها

و جعلتها كعبة كل اشعاري!!

الكتابة

لا تكتب السماء المطر

على الدوام

لا يكتب المطر الأنهار

على الدوام

لا يكتب الماء البساتين

على الدوام.

و لا يكتب البستان الورود

على الدوام..

و لا انا اكتب الشعر!!

حالتان

تأمل الكلمة في الكلمة

تأمل الخيال في الخيال

تأمل عيني في عينيك

تأمل جسدي في جسدك

احالني بحرا

احالني ناراً

افتراق الكلمة عن الكلمة

افتراق الخيال عن الخيال

افتراق عيني عن عينيك

افتراق جسدي عن جسدك

احالني صقيعا

احالني صحراء!!

ساعات من قصب

هنالك الحزن

يصنع, الآن, من قصب المستنقعات

ساعات دموية

لكل من لا يد له ليلبسها

و لا عين عنده لينظرها

و لا دار ليعلقها

فتلك الساعات

تعمل بتوقيت الجلادين

و تشير الى الموت

دائماً!

في مقبرة

عند شواهد القبور

انطفأت الشموع شمعة شمعة

و انحدرت النسوة نحو المدينة

كأسراب من السنونو..

و ظل السكون يلف المقبرة..

ما عدا شمعة و أم

مازالتا باقيتين معا

بين شاهدتين!

هي ام.. لن تبهج حتى الجنة روحها

ام غريبة وسط الأمهات

غريبة الجراح

ام تعرف ان ولدها

قد قتل داخل دبابة

جلبت معها الثعبان و الجحيم..

الى هذه الديار!

التداعي

الطيور لا تطير من اجل زرقة السماء

و الينابيع لا تتدفق من اجل ان تهدر الأنهار

و الأشجار لا تتألق من اجل أن تورق

و تنشر الظلال

و الثلج لا يتساقط من اجل الشتاء

و صنع التماثيل الثلجية

و الحصان لا يعدو من اجل أن يرخى

فارسه العنان له ويخزه بمهمازه

و الأعاصير لاتهب من اجل أن تهز

اشجار الغابات..

و انت.. انت.. لا تعجب بهذه القصيدة

من اجل كاتبها

"شيركو بيكەس"!!

اهتزاز

وقف قلم زنجي

فوق "البيت الأبيض"

و صاح هاتفا:

عندما البروق تعانق الغيوم

تنهض الحقول

و ترفع راية المطر

و عندما المطر يعانق الحقول و الأنهار

ينتفض العراة و الجياع

يطلبون الخبز و الكساء

و كلما كلماتي تعانق صوتي

تنتفض اشعاري

طالبة مني

الحرية!!

جوارب

خارج الغرفة

كان برد -كانون-

يلسع وجه الريح بقوة

داخل الغرفة

كانت تجلس لوحدها

و الأطفال الصغار نائمين كالخراف

و زوجها غائبا

انه الآن عشق يجري

خلف الجبل!

كانت جالسة لوحدها

و رأسها في حضنها

كالصفصاف الحزين

جالسة لوحدها

تحوك لزوجها الغائب

جوارب من صوف الخروف الوحيد

ربما في منتصف الليل

تنتهي من الحياكة..

و لكن... آه

انها لا تعرف, حين تصله

سيكتفي بواحدة

للقدم اليسرى فقط..

اه...، انها لا تعرف!!.

مقاطع من قصيدة [مضيق الفراشات]

بسهام حب الحجر
مجروح و مصاب
تاريخي العاشق هذا
حباً بعيون الحجر
يتدثر بالغروب دوماً
ويصل اعتاب باب الموت
متلفعاً بسلخ احمر

من قبيلة الماء
جاء نسل الأنهر و الوهاد هذه
جيلاً بعد جيل
و لحين وصوله إلي
مازال العطش ملهم عشقهم.
عم اتحدث لكم انا؟
عن أي دماء اتحدث لكم؟
أي الآهات اريكم اياها؟
من اين ادخل الصراخ و الصياح؟
بأي لون ابدأ من صفوف الذبول؟
أي صوت اشعل ابتداء من فوانيس الأصوات هذه؟

طويل دخان هذه الأجمة الحزينة
كقامة خارطتي.
طويلة هي دموع هذه الجبال
اطول من "دجلة" و "فرات"
طويل نواح اوراق العشب
على امتداد البصر.
طويل صراخ ازقة هذا الجثمان و شوارعه
يمتد حتى الله.
طويل عذاب القبائي
يمتد من هنا و حتى "خاني"[1].
طويلة.. طويلة.. طويلة هي غربتي
اطول من سكك اوربا الحديدية.
لا اعرف عم اتحدث لكم انا؟
لا اعرف عم اتحدث؟
لا اعرف عم
لا اعرف
لا
هاهي الخناجر تهطل مع الريح ثانية.
انه وابل المشارط.

فقد فصد الشريان التاجي لهذا الجبل الضخم
و يسيل الدم من
مغارة جرح الحجر.
ها هي السكاكين تهطل مع الريح ثانية
تخطف الريح رأسي
و تتعقب روحي اثره.
-كان على الجبل ان يدخل سهب روحك
كان عليك ان تعتمر قبعته الغمامية.
كان يجب ان تمتزج لحمة و سدى اصابعك
بسيقان العشب و ثبن امك و حبال المشانق.
كان يجب ان تحفر بقلمك الخندق في الشعر.
كان يجب ان تروض الجرح و الملح معاً
كحب "ولي" و "شم"[2],
كرأس المسيح و التاج الشوكي..
كان يجب ان ترفع شراع مركب صوتك
في ذلك البحر الأحمر
حينما كان صوت تلاطم الدماء يصل من
شاطىء الجثمان الى آذان التاريخ,
ماذا تفعل عندما يكون الموت
جندياً للدولة و انت شجرة اقلام في الجبل؟
ماذا تفعل عندما يكون مسرحك جمراً
و مستمعوك بنادق؟
-كان عليك ان تفعل ما فعلته,
تكتب الشعر بألسنة اللهب
وتوقد الجحيم لخوفك و صمتك!
-انه دائماً وابل الفؤوس مع الريح.
انه دائماً طوفان السيوف و هجوم الصحراء.

***

-اهذه ضفيرة قصيدة تركتها وراءها؟
ام كشة حلم قرية ما؟
اهذه مرآة مهشمة لشعاع
ام لفتاة ما؟
و هذا النهر المقتول
اكان حبيبة سهب ام شاب ما؟
و هذه الصرخة المذوية
اهي صرخة امي ام شجرة ما؟
و هذه.. اهي حلمة ثدي ام حبة كرز؟
و هذه.. اهي هرة محروقة ام طفلتي؟
اهذا رأس والدي ام "خنارة" التنور؟
و الأجنحة المذوية هذه.. اهي للحوريات
ام للحمائم؟
اهذه حدقات عيوني ام حبات زيتون و عنب؟
لا اعرف انا كيف اميز بينها؟
لا اعرف انا كيف اميز
لا اعرف انا كيف
لا اعرف انا
لا اعرف
لا..
-ها هو التاريخ قد استحال ارجوحة الشهداء.
كل ليلة تبزغ عناقيد من الأقمار الخضر
في ثلج رأسك
و تغيب فجأة وراء شقائق الحلم.
تغيب لكي تظهر ثانية.
تتيه لكي تصل قلب الله

لتنمو و تتمايل هناك.

-كل يوم تمرق احدى عيوني

كل يوم ترحل احدى يدي و تغادرني.

كل ليلة اغدو ارض احزان انا

و نهاراً يحرثني ظمأ شهيد ما,

جئت كي تعلمني "الريح"

كيف اهدهد النهر.

جئت كي يعلمني الحجر

كيف انبت فوقه.

جئت كي يعلمني الجذر

كيف اصل قلب الأرض,

جئت كي يعلمني الورد

كيف تزهو القصيدة.

جئت كي يعلمني الطير

كيف تطير رؤياي؟

لقد جئت كي تشب في النار العظيمة

لعشق الوطن.

فأنا هنا.. داخل كثافة الحب هذا

مطمئن كالحقيقة.

انا هنا.. داخل مضيق الدخان و الرعب هذا

هادىء البال كرقصة الحرية.

هذي أي جلسة وجد لعشاق التراب و الماء؟!

حيث ينقرون دف رأسي

و يتخذون مني "تكية" لهذا العشق المكتوي.

هذي اعصار أي عام هائج

يهشم ايامه و يبتر

رقبة شعاع الشمس بالسيف؟!

-لانني اقيس عمقك بجذوري

اصل كل مرة اعماقك

فأخرج منها خميرة تاريخك

وماس ناصورك.

لانني اقيس علوك بلهيبي

اصل كل مرة

قمتك

و ازرع عيني في بستان الثلج ذاك.

انا و الشعر عاشقان اشتبكت قامتانا

و قد تسلقنا حول جذعك.

نيزكان

نصلي لك صلاة المطر المباركة هذه

على سجادة حب واحد

سجادة افق واحد

سجادة غيمة واحدة.

جاءت فأس و ذهبت اخرى

ولكنك بقيت هيبة هذا التاريخ الكثيف.

جاء موت و ذهب آخر

ولكنك بقيت خرير هذا الماء

وصوت لهب هذه النار.

وَجدُك هذا ماء.

صوتك هذا جذر.

و عشقك حجر!

-لم يبق فيصل بين كلماتك و بين الينابيع.

لم يبق فيصل بين قلمك و بين سيقان العشب.

لم يبق فيصل بين اعماقك و بين النار.

لم يبق فيصل بين انفاسك و بين الجبال.

انك الآن خضيري على احد جلاميد التاريخ

و تخضب قامة الريح بالحمر. انت تبصر

بجناحك و تجوب قارة الوجد هذه بعيونك

حين تقتل ورقة ليس بوسعك ان تقفل منقارك.

فرقبتك اوتار الأرض و تعزفك يد المياه.

حين تفقأ عين ماء لا يسعك ان تغلق سيلك.

انت عرف حصان الجبال هذه.

حين يذبح مهر نسيم ما, لا يسعك ان تكبح صهيل ألسنة نارك.

منكب جعبة امطار قصائدك!

و ادخل قبيلة الضياء

خلال الأزهار

وعانق الغاب.

خذ جعبة اغانيك و شقائقك

و ادخل صوت الناس

خلال المياه

و زر موسم الاشتعال و التوقد.

كل مرة.. كنت تهطل مدرارا

وتخضل موكب تلك القرى بأسرها!

-انا الآن اصغي ليل نهار الى الخرس

خرس النجوم و الأزهار

خرس المضيق و الغاب.

صمت المطحنة و الرماد.

انا الآن احادث التاريخ و الأطرش

و لغتي مغتربة في قاموسها

و صوتي طائر مقرفص بلا سماء.

خلاء هي سهوب هذا الجسد المحصود و سفوحه

خلاء عاصمة هذه القصيدة المختنقة.

خلاء وطن هذا الحلم المشتعل

خلاء.. خلاء

من اقصى الجرح الى اقصاه.

من اقصى الفجيعة الى اقصاها.

انت لم تقدر ان تعطي بيد "مولوي" الماء

لم تقدر ان تضع الأحذية لـ "نالي"

لم تقدر ان تعطي "گۆران" ملعقة دواء[3]

لم تقدر و لم و لم

كنت و انت في مكانك خريفاً دون ان تذوي.

اكتويت و انت في مكانك دون ان تضطرب.

غدوت في مكانك شمعة, دون ان تضطرب.

غدوت في مكانك شمعة, دون ان تشتعل.

(برقية.. ليست عاجلة.. و لا هي بشعر)

باسم حلبجة و خمسة الاف قمر

باسم مولوي و خمسة الاف زهرة

باسم گۆران و خمسة الاف حمامة

الى العلماء العباقرة في: بلد بوشكين, بلد جاك لندن, بلد بايرون, بلد جان دارك, بلد بسمارك, بلد گاريبالدي, بلد ڤان كوخ..

بلد.. بلد.. بلد..

شكراً للهدية التي ارسلتموها بشكل جماعي

و في صبيحة يوم 1988/3/16 عن

طريق بغداد, الى ورود و حمائم

و اطفال و قصائد كردستان.

***

-اهذه الليالي الحمراء براقع

ام وسائد مدماة تحت رؤوس الجبال؟

كل هذا الدخان

القمر يشتعل

ام ان تاريخ الكرة الأرضية بأسرها

قد شبت فيه النار؟

-في مستهل نيسان ما, امرأة قروية

كانت تحمل قريتها مع لهبها في قلبها و تركض

كانت قد جنت

كالشجر, كالحجر, كالماء:

"دخان, دخان, دخان!

يبدو ان الرب قد احترق

و هذا الدخان يتصاعد منه"

كانت تركض و هذا ما تقول:

يا دخان قامة امي

حين رفع الصلوات!

يا دخان قامة تاريخي

حين بذر الشعاع.

انت الروح الخضراء للأعشاب

و الغابات و حقولنا الطائرة

تحومين حول هذه الجبال.

انت بساتيننا و مزارعنا المجنحة

و قد الصقت رأسك بسقف الأفلاك المظلم

لقد كنت الروح البيضاء لمهودنا

و طبلياتنا و سجاداتنا

و حكاياتنا القديمة

ها آنذا تتناثرين في السماء.

انت الروح الثملى لكرومنا

و قد كلت رجلاك و ها انت ذي تتعثرين.

ايا دخان احلامي

لربما كنت الروح المرحة لعكاز العم "بايز"

و مغزل الجدة "ريحانة"

اراك هكذا تدورين

ايا دخان مشقاتنا.

ما الذي تكتبه لي

على الجبين المقطب لهذه السماء غير المكترثة؟!

فكم هي الآمال و الربوع المشتعلة

التي بوسعي قراءتها؟

و من اجعل شاهداً

على احتراق حياتي؟

-انت زردشت مشتعل

تلتهمك النيران منذ ان وجدت و تستعر

وهذي السماء عمياء صماء منذ ان وجدت

و انت دخان سرمدي!

باقة من الأمثال و الكتابات الحجرية

و الطرائف الحديثة؛ تدفقت من الجبال و الدم

و الدخان و الانتكاسة.

اولاً:

ان اعترضت طريقك العاصفة

صر جبلاً.

ان استقبلك النسيم

صر بستاناً
"قرأت هذا الكلام
في يوميات شجرة بلوط"
ثانياً:
ذات صباح
قيدوا نسمة في مغارة
عند المساء و في المضيق
استحالت النسمة اعصاراً!
"هذا الكلام
كان محفوراً على جبين
جبل اسود"
ثالثاً:
اخطاف ذاك يطير
ام صرخة امي
الرقطاء؟1
"هذا ما قاله طفل من حلبجة
قبل ان يصم و يعمى
بنصف دقيقة"
رابعاً:
آه يا الهي.. آه
متى ستزور كردستان ايضاً؟
"هذا ما تردده امي كل يوم"
خامساً:
عندما يجن العاشق
يهيم بالشعر.
و عندما يجن الشعر
يهيم بالرب.

انا العاشق و انا الشعر!
"كان هذا كلام نهر هائم على
وجهه خارج الوطن"
سادساً:
-كيف ينام
و قد قتل كل تلك الأحلام؟!
-انه ينام دون ان يحلم ابداً!
"كان هذا حواراً سرياً
بين طائرين من احدى مدن كردستان"
سابعاً:
الكرد و الله ندان
كلاهما وحيد لا شريك له!
"و هذا ما كان محفوراً
على احد جدران مسجد ما"
ثامناً:
ان ضيفت الثلج
لا تجعله يشعر بالحر
لئلا يجرف الماء بيتك!
"سمعت هذا الكلام
من نار عجوز"
تاسعاً:
يتكون 1/3 مساحة قصائدي
من غابات المشانق
و الحبال.
"و هذا كان كلام شاعر
لم يعمر كثيراً"
عاشراً:

انزلت معولاً على الجبل
غضب و وصلت صرخته عرش الله,
لكن لكي يصنع هو خندقاً
حفره قدر قامة البندقية
فانفتحت اساريره, و فارت الابتسامات في روحه
"و هذا كان كلام
شاهد صدوق
عاش الحرب الدائرة بين المزديين و اهريمن"
حادي عشر:
اذوي ام انمو؟!
بين الذوي و النمو
موسم جديد انا,
لست ضوءاً و لا ظلاً
ارض انا ابحث و لحد الآن
عن هيئتي و سيمائي!
"الكلام هذا كان محفوراً
على جدار كهف "جاسنة"
ثاني عشر:
انا لا اسمح لـ"القناعة" ابداً
ان تدخل سحب قصائدي
لكي اشعر و كأنني اهطل للمرة الأولى
حتى و ان هطلت للمرة الألف
"هذا المثل قاله لي قلم
لم تنقطع عنه الخيال حتى الموت"
ثالث عشر:
يا رقبائي
الا تعلمون انني بحيرة؟
الا تعلمون
الأحجار التي ترشقونني بها
تستحيل في قاعي ثانية
الى غرف مليئة بالبيوض لشعري؟!
"و الكلام هذا.. هو الجواب الوحيد الذي
اقدمه الى تلك الأحجار"
رابع عشر:
ايها الغرباء
نحن نشبه الخشبة الطافية على ماء "عمون"
لن نغوص و لن نغرق
يدقنا منشار الأمواج
و مبرد الشواطىء رويداً رويداً
و يطلقاننا بيد ديجور المحيط
فنتيه فيه
"و هذه الكلمات كانت محفورة
على شاهدة قبر شخص غريب"

كل مرة و انت تستلقي على ظهرك
تشعر كأنك صرت صخرة هناك
يلتقي عندك العشاق.
و حين تجلس تشعر كأن رأسك
قد استحال قطعة طين هناك
يلعب بها الأطفال.
و حين تنهض تشعر كأنك قد صرت الآن
سلم شرفة هناك.
و حين تنام تشعر كأنك قد صرت الآن
حلم شجرة بلوط هناك.

ايا روح الروح

قمر عشقي الحائر هذا

لم يهم على وجهه عبثاً في جبل جمرات

الغربة الأجرد.

وادي الحزن العاصي هذا

لم يقطع زمام شاطىء السكينة عبثاً

و لم يجعل من الصهيل صراخاً مشتعلاً

لأيام و ليالي هذه الغربة عبثاً.

ايا روح الروح

لقد قطعوا شفاه احد جداولي

لآنني قبلت وريقة عشب ما.

نصبوا لي السحاب فخاً

لأن احدى قصائدي حلقت عالياً.

خنقوا احد شلالاتي

لأن احدى موجاتي زأرت.

سمّروا سفوحي

من وراء صهيل احدى قممي.

ايا روح الروح

جُنّت بحيرة حين فرقوها من القمر.

وجن القمر حين فرقوه من السحاب.

و جن السحاب حين فرقوه من الجبل.

و جن الجبل حين فرقوه من الثلج.

و جن الثلج حين فرقوه من الأرض.

و جنت الأرض حين فرقوها من الناس.

يا روح روحي للآن, و في اجمة الحديد

و الزجاج و الكونكريت

قلبي ارنب بري احمر

في سفح "پيرەمەگرون"[4],

في ازمة الحب هذه

ستبقى حورية "گلە زەردە"[5]

تسقي شجرة نجومي, و خريف تلألؤي

يفتحه جذع رأسي

يا روح روحي

ما ان تنزل مطرة

حتى اركض و اقف تحتها للحظات,

اقول عسى تفوح منها هذه المرة

رائحة امطار "ازمر" و "گۆيژە",

ما ان يأتي نهار مشمس

حتى اركض و اتشمس للحظات

و انا مغمض العينين

اقول عسى الشمس هذه المرة

تشبه شمس حوافي سطوح دارنا!

ما ان تهب ريح

حتى اركض و ابقى واقفاً بوجهها للحظات

اقول عسى هذه المرة

تهب بشدة

كإعصار "سليماني"

فتحملني و تذر في عيوني بعض الغبار.

ما ان ارى سرب فتيات من بعيد

حتى احث نحوهن الخطى

امعن فيهن النظر و اقول عسى..

دلالاً ام خجلاً ام نظرة

ام احمرار وجنة

تعود بي كالأمس الى

شوارع مدينتي.
ما ان اصادف سوقاً شعبياً
حتى اركض و ادخله طائفاً فيه
اقول عسى صياح بائع فواكه
صياح بائع سمك
صياح بائع خضروات
يشبه صياح و ضوضاء المساء في "الميدان"[6]
و عند "الحوض"[7]
و تحت "الجسر"[8]

وعدنا ان نلتقي
في وقت متأخر من الليلة
عند شاطىء تلك البحيرة الحزينة القريبة منا
الليلة سيتحقق احد احلامي و استحيل
قصيدة مجنحة, سأغوص بجناحي في الألحان
فرحاً, و التقط الضوء بمنقاري
و اتخذ الموج عشاً جديداً.
اليلة سيتحقق احد احلامي
و تستحيل نظراتي ترعة من شدة فرحي
و شعري عشباً
و اصابعي اوراق الشجر.
الليلة سيتحقق احد احلامي
و سيجيء اليّ الوطن في
عيون و صوت ولحية نالي.
سيغدو صدري "خاك و خول"
و رأسي ممر "سرشقام" الضيق.
اني الليلة حزن فرح

هم هادىء
الليلة ستمطر طفولتي
على الذكريات الخضر و الحمر
فأستحيل مضيقاً للفراشات
و تغدو امي ظبية ناصعة البياض
و حكاية "التلة السوداء"[9] هزيم قطعان الغيوم
التي تغطي سماء مدينتي
اني الليلة حزن فرح
هم متشعب
افور عند الاشتعال
و تخضرني "حلبجة" الحبيبة عند البكاء
الليلة سيتحقق احد احلامي و استحيل حصاناً مجنحاً
و لن اعود هذه المرة الى الغربة
و في وقت متأخر من الليلة
و عند شاطىء تلك البحيرة
سأرخي العنان للريح
و سأرجع مع "نالي" الى "گۆيژه"
و سنعود معاً الى "سالم"
و "حبيبة" المدينة!

ستوكهولم
ايار/ 1990 - كانون الثاني/1991

الهوامش:

(1) خاني: هو الشاعر و المتصوف الكبير احمد خاني (1640-1698م) صاحب ملحمة (مم و زين) اول قصة حب مكتوبة باللغة الكردية.

(2) ولي: هو (ولي ديوانه) عاشق "شم - أي شمعة" و لأنه لم يتمكن من الزواج بها بسبب التفاوت الطبقي بينهما فقد هام على وجهه في الجبال.

(3) "گۆران": هو الشاعر الكردي الذي استطاع ان يغير مسار الشعر الكردي في اواسط هذا القرن من خلال محاولاته التجديدية في اللغة الشعرية, و قد عاش حياة بائسة.

(4) پیرەمەگرون: اعلى قمة في منطقة "سليماني".

(5) گلّە زەردە: جبل من سلسلة جبال تحيط بـ(سليماني) غرباً؛ و تقع على سفحه قرية (گلّە زەردە) التي دمرتها قوات صدام في الثمانينات.

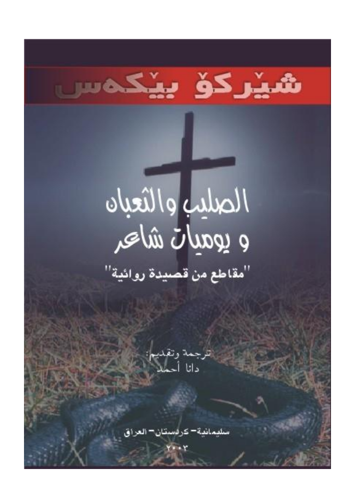
(6) الميدان: هو سوق بيع اللبن في سليماني.

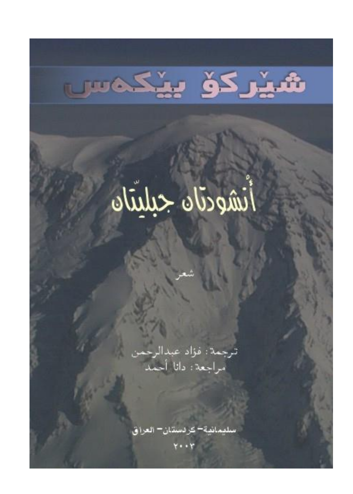
(7) الحوض: هو ما يسمى اليوم بـ (الحوض اليابس) الواقع في سوق (سليماني) الكبيرة.

(8) الجسر الوحيد في مركز المدينة, حيث يبيعون تحته الطيور و الحمائم.

(9) حكاية فولكلورية كردية, قديماً كانت الامهات تقصها على الأبناء.

*شيركو بيكه س، مضيق الفراشات، قصيدة طويلة، ترجمة: آزاد برزنجي، دار الرازي- ط 1، 1996، بيروت- لبنان.





مقاطع من قصيدة [إناء الالوان]

"دون مقدمة و من انسكاب الألوان مباشرة"

لقد جئت هذا المساء..

كي استحيل ناياً و اعزف الألوان

لون.. لون.. لون.. فألوان

من بمقدوره عزف الألوان؟!

انا القادر!

فحين انفخ في (الأصفر)

تهب عاصفة مغيب في روحي

و تأتي سحابة صفراء مودعة خريفاً

تتساقط اوراقه

لتجعلني مكاناً هجرته القوافل

او ممراً في متنزه احزانكم

فتغطيني في ظلالها رويداً.. فرويداً.

من بمقدوره عزف الألوان؟!

انا القادر!

حين اعزف (الأبيض)..

تنهمر علي فراشات الحلم البيضاء.. و نوارس الشعر الناصعة

و مواويل كانونية

تفيض علي الطفولة و ندف الحب الأول.

لقد جئت هذا المساء

كي استحيل مزماراً و اعزف الألوان

من بمقدوره عزف الألوان؟!

انا!

فحين انفخ في (الأسود)

يهيج نهر قاتم من القيح و يموج

فترتطم امواجه الكفيفة بضفافي الليلية

يغطيني ضباب جبلي من اقدام رحيلي

حتى رقبة اصدائي

و في ممر انفاسي الضيق

تصول عاصفة سوداء و تجول

صافرة بأمثلتها المتقصية.

حين انفخ في الأسود

يمتزج الوشاح النسوي الأسود لأشعاري

مع الورود السوداء لبناتها

و جدائل الرثاء الطويلة لشتائي!

لون.. لون.. لون.. فألوان

عندما اعزف اللون الوردي
استحيل بعد هنيهة احمر
و عندما أعزف الأحمر ذاته
استحيل ممر مضيق تاريخ
يتساقط فيه الرذاذ و البرد
و كلمات صائتة حمراء
و في كياني يتساقط غبار الطلع.
لون.. لون.. لون.. فألوان
"صادقتني شجرة, حين صادقت لوناً
فاتسعت رؤياي بُعداً"
دخل طائران في قصيدتي, حين صادقت لونين
"افقان اتسعا حسرة لتحليقي"
و حين صادقت ثلاثة شبابيك على خيالي
"عندها امست الألوان المعروضة تلك
المثلث المتلألئ لحبي و هيجاني"
و عند تعرفي على اربعة الوان و بعدها خمسة
جعلت من اربعة كتب و اربع اسطوانات
معارف لعينيَ و قدميَ
و اذنيَ, فيدَيّ..
"إلخ.. و إلخ.. و إلخ"
إلا أن الألوان كلها
عرفتني بحديقة برمتها
فأدخلت الى عالم قصيدتي الف طير
و صببت في اذنيَ الف لحن
حينها اصبحت الأرض كلها موكباً لرؤياي
و إناءً لألواني.. فاتسع خيالي فضاءً
عندها حاورت من جانبي
القارات, السوداء.. و الصفراء.. فالبيضاء
ثم الحمراء.. واحدة تلو الأخرى.

انما اللون امرأة, حين يحولنا إلى اغنية قانية
و يغطينا بالمحبة.
إنما اللون شعر, حين يُصيّرنا سؤالاً
مصطبغاً بالورود
و يغمسنا في الشكوك.
إنما اللون منية, حين يجعل منا مجهولاً
عديم اللون
و يسلمنا الى اللامتناهي.
باللون افصل الجحيم عن تاريخي
و به اوصل الغربة بوطني
باللون اقود العواصف
و به ادون النار و الرماد
و مصيري.

انا اسمي (كويستان)
امرأة من قصبة كلار
اسموني كويستان الرامز الى البرودة.. صدفة
اسماً بين الأسماء ليس إلا!
لأنني طافحة بالنار
ينتمي والدي الى عشيرة الجمرات
و والدتي الى طائفة الاحتراق و الرماد.
اعيش لوحدي ارملة.. مع ربي فحسب
اعيش لوحدي ارملة كوحدة خيمة سوداء
في سفح تلة عارية

ابدو كصفصافة شابها الذبول
عند ساقية ضربها الجفاف.
يبدو لوني غامقاً
كلون حزن كدر
و حياتي تبدو كظل مثقوب..
و نجمة حظي.. مرآة منكسرة.
أما ابتساماتي, إِن وجدت,
فهي ليست إلا الجروح عند تفتح ثغورها
لست سوى لون الأنوثة الذابلة
أمام شمس الذكورة الحارقة
يبدو جنسي كضوء قمر مذعور
تخفّى وراء سقائف الغيوم
كسيقان سحقتها الأقدام
كمياه دائمة النحيب.
منذ أن خلقت اتذكر
أنّ الخناجر المفتولة الشوارب
تشزر و تصرخ في وجهي و تقف فوق رأسي.
مستهجنة انا, كما هي سهول بلادي
و جبالها و وهادها.
يشبه وجهي خبزاً محروقاً
و قامتي سطحاً منهاراً.
منذ ان خلقت أتذكّر ان شباك الذكورة
تصطاد سمكة جسدي, و شبح الذنوب
يلاحقني كالظل,
منذ ان وجدت اتذكر انني اشبه
البيوض الفاسدة
و اشبه المكنسة المنزلية,
و إِنّ حظي يشبه الهشيم العائم على المياه.
إنّ جسدي كومة تراب ظمئة كما هي روحي
تبحث عن لون طري لتتنفس الصعداء.
منذ ان خلقت اتذكر انني لا املك حتى خيالي
فخيالي هو الآخر ملك للرجال..
حين كنت طفلة كان اخي يمنعني
من امتلاك النجوم المتلألئة في السماء..
كان يجعل الساطعات من نصيبه
و الخابيات من نصيبي.
كبرت كوردة دفلى.. و معي كبر الألم و الغدر
كنت اللون.. كنت اللالوان..
كنت انوثة لون مزجوني عنوة
بلون رجولي.. هكذا كانت قصة زواجي.
انا امرأة من قصبة كلار
لوني من اناء الأنفال و الاحتراق.
كنا سبعة الوان في حلم غابة
ثلاث اناث و اربعة ذكور
كنا سبعة الوان يجمعنا اناء قرب تلة..
و في مساء يوم من ايام القيامة
نُفِخ في الصور.. فأتوا فجأة افواجاً
اقتحموا الجرح و الصراخ و المخاض
اقتحموا المنزل و المزرعة,
اجتاحوا الحلم و الخيال.
لقد جاء "بارق"[(1)]
.. جاءت المنية بثيابها العسكرية
و تيجانها و انجمها المثبتة على الأكتاف!
جاء "بارق"

جاء الحقد لابساً خوذته الحديدية
اتت النار لابسة زوجاً من الحذاء الجهنمي
جاء الشر المغبر
و عجاج الصحراء بصفيره و رماله
جاء الغول بجزمته ذات المسامير الفولاذية
و الطاعون المعمم بعقاله.
كان لساني المزرق يسبق السكين
الجاثم على نحري
يسبق المعطف المنقط بالدخان و العاقول..
كانت قدماي تنصبان الكمين لرأسي
و يداي تصنعان التابوت لجسدي
اصابعي كانت تشعل النيران في كياني
و الواني كانت حارقة و محروقة في الوقت ذاته
الواني كانت تربط المئزر للحراب
اصواتي كانت تسبق قذائف الهاون
و عينان كانتا ترشدان العجاج و الرمال
لرصد باطني و ينابيعي و فوانيسي.
جاءوا مساءً..
جاءوا فجأة معاً..
جاء (بارق) بطاقيته العسكرية
و الشيخ بمئزره
جاءوا بحزام مطرز بالورود و خناجر من حديد
و نواظير مثبتة على الرقبة
و مسدسات على الخاصرة
جاءوا بسراويل و دشاديش,
مع شجرة النسب الأعلى
المزوجة بأغصان من الأفواج الخفيفة
و ثياب مدرعة
و طاقية الراجمات و نظارات الحراب.
جاءوا معاً و دنسوا منزل الرحمن الأخضر
و مسوا غرفة المصحف المطهر
و نحروا امام تجلي النور في المحراب
سور البقرة و النساء.. و مريم و يوسف
من الوريد الى الوريد,
كما نحروا من قبل بقرة (خانزاد)[2] الصفراء
و يوسف (حلبجة)[3]
و غزالة (مولوي)[4]
و (مريم البهدني)[5] من الوريد الى الوريد
و هناك وزعوا قطع اللحم
في اوراق المصحف القتيل.
عندها كنت ذبيحاً أحل صدقة
و قرباناً لآسيا الصغرى.
عندها مزقت اعضائي ارباً ارباً
و وزعت حصصاً.. بعظامها و دمائها
في الجزيرة العربية و تكريت..
حتى الديار الأموية!.
في مساء يوم من ايام القيامة
نفخ في الصور, فأتوا افواجاً
كنا سبعة الوان
قيدونا و غيبونا
تضيء حسرتي يومياً في المساء
و الاصفرار يضربها
فأحمل فانوس حسرتي المشتعل معي
ذاهباً الى خارج كوخي

فأعرض قدري امام الباري البصير
كي امتزج حلولاً مع سكون لونه
واصير صباغ الوحدة في لون مجهول
في ليال اعد في سرها
نجوم الاندهاش عداً!

"لون الموت.. هو آخر الوان هذا الإناء و آخر ألوان رؤياي.. هذه محاولة لقراءة اسرار هذا اللون و مزجه بألوان التوديع و الوان محبتكم في هذه الأمسية و هذه القصيدة"

من وراء حدود الرؤيا و النظرات
ثمة لون ينتظرني في غياهب المجهول
لون خليط من ألوان التراب
و السراب و النسيان..
و اسرار الملكوت!
ثمة لون ينتظرني
يطفح بأسئلة لا مجيب لها
و سموم الاندهاش و سبات اللاتناهي
و انبهار الوان البحر و سيماء الريح
ثمة لون ينتظرني
ينتظر تسلم الواني كي يأخذني بعيداً.. بعيداً
حتى تناهي الشعر
و حتى موطن ينطق فيه الصمت بدل اللسان
و تهب فيه الطلاسم بدل الريح.
يا لون الموت!
ابق مكانك.. فأنا آت اليك بنفسي
انك آخر الألوان

اصدقها.. و اسطعها
وحدك.. لا يدرك الترهل
و تبقى شاباً مهما عمرت
لأنك لون.. ليس بمقدور الشك
أن يضع بيوضه فيه!
وحدك.. تغطينا جميعاً.. بمساواة
تغمسنا في ذاتك و لونك الوحيد
دون استثناء او تفريق!
مهما طال طريقنا اليك او قصر
مهما تلونا بألوان صفراء و خضراء
زرقاء و بنفسجية
فإن وصولنا اليك.. واقع
و تلوننا بلونك الوحيد حادث!
ايا لون الموت!
انتظرني في محطة حزينة
مع فراشاتك السوداء
و همهمة خريف تجول فيه ريح العبث
و حيث الأوراق المتساقطة!
انتظرني مع قنديلك الخافت
و في فضائك الكئيب
و حيث شجرة وحيدة تستذكر ايامها
و حياة تبحث عن عنوانها.
إنني آت اليك..
و لكن ياترى ما الذي سوف احمله معي اليك..
سوى رأس اشعر و قصيدتين؟!
ما الذي سوف احمله اليك..
سوى رماد هذا الوطن؟!

انتظرني من وراء حصار الضباب
حيث تتقطر الحياة في داخلي تناهياً
وتحوم ألوانها التي فقدت البريق
في دائرة مفرغة في كياني!
انتظرني من وراء أسوار الألوان و الأصوات
و ستائر الأبصار..
حين تأخذني.. فلتكن الريح التي تحملني
طافحة بأحلام المطر و أحلام الأدغال
و ليكن الظلام الذي يأويني
مزيناً بنجوم الجراح التي قتلت
دون نأمة او ضجيج!
عندما تأخذني.. فليكن طريقي يعبر مضيقاً
وجبالاً وعرة.. و يؤدي في النهاية
الى حيث اسحار الشعر
و اساطير الأشتية البيضاء!
يا لون الموت!
يا لون توديع الواني
و يا لون آخر مسوداتي
و لون آخر لفافة.. تتصاعد منها هيئتي دخاناً!
لقد فككت سراً او سرين أو ثلاثة
في جميع الألوان الأخرى
و اوقدت اجوبة نطق مشتعلة
على شموع اغلبها!
لكن لونك.. يا لون الموت
قد ولج وحده لون الله
و اصبح طلسماً من وراء الألوان و الأصوات
و من وراء البواصر و النظرات..

انت الوحيد الذي لم اكتشفه!
لقد امسيت لون الغياب و لون فلك لامتناهٍ
و لم اكتشف حضورك او التناهي!
كن في انتظاري يا لون الموت!
قد آتيك في هيئة قصيدة حدباء
او موسم انحنى
او ظلال تفتت
او لون البحث عن الفشل
كفشل دمائي الليلية حين تصرخ
في شوارع التاريخ
و فشل اجوبتي الصائتة حين تنقشع
في حنجرتي
يالون الموت!
يا لوناً خالداً و سرمدياً خلف هذا الكون!
يا لون حلم ابدي و سؤال لا ينتهي
تعود الواننا جميعاً الى انائك انت!
انت وحدك لون العدم و لون نسيان الألوان
و لون قناديل الزمان!
انك صامت.. لكنك اهدر من الأصوات كلها!
انك في اللامكان.. لكنك في الأماكن كلها!
لا لون لك.. لكنك اسطع من الألوان كلها..
و ابقى!
انك تصدئ الوان السلاطين و الملوك
و الوان القصور البلورية
و حتى الذهب يصدأ امام اصالة لونك!
لكن ثمة لوناً لدي.. ايها الموت: لون الكلمة
يبقى غائراً في الأسرار

مهما غيبته في حفر النسيان
و يبقى يلاحقك على احر من قلق "جلجامش"
باحثاً عنك دون أنْ يعييه التعب!
و اينما كنت.. يكون!
لدي ثمة لون: الكلمة
يجول في الفراغ و العدم
و تثقب نظراته المطلق!
يا لون الموت!
حينما تقبل علي.. و تأخذ معك
في آخر الرحلات
حقيبة جسدي المتهرئة
وصرة رأسي المعقودة.
حينما اذبل في احضانك
فإن الواني تتناثر و تقول لك:
إن الكلمة كانت يوماً لون الروح
في قصيدة بيضاء!
لون التراب في صوت الحرية
لون الدماء في جسد الضحية
لون المرأة بين ثنايا ألوان المودة.
لقد استحالت الكلمة يوماً قدر المستطاع
مخيال مرآة امام ضياء الجمال
و جلبت قدر حملها
الأشعار الجديدة و الطيور الجديدة
و الأحلام الطرية
لهذا اللسان الكردي الحزين!
يا لون الموت!
(لم تكن انت في حضرته بعد
وقتما كان "بوشكين"
يحلم في موكب ثلجي روسي
بما وراء الرحلة
و لون العالم بعد المنية.
حلم بأنك قد تأخذ روحه
ولكن ليس بمقدورك أنْ تأخذ شعره
حلم بأن الوان كلماته
تبقى و تحيا كالخضرة).

الهوامش:

(1) بارق: عميد ركن الجيش العراقي, قائد الحملة العسكرية الثالثة للأنفال, عرف بجرائمه و قسوته من قبل المواطنين المؤنفلين في گرميان و كركوك. و من مفارقات التأريخ انه أعدم بعد حملات الانفال من قبل قيادة القوات المسلحة العراقية لأسباب مجهولة.

(2) و (3) و (4) و (5): بقرة خانزاد, يوسف حلبجة, غزالة مولوي, مريم البهدني: اسماء مجازية يقصد بها الشاعر ربط اسماء الافراد و الحيوانات الواردة في النص بأسماء خيالية لأفراد و حيوانات في كردستان.

*شيركو بيكەس، اناء الألوان، قصيدة طويلة، ترجمة وتقديم: شاهو سعيد، دار الآداب- بيروت 2002

مختارات من ديوان [ساعات من قصب]

مع مقدمة بقلم: سعدي يوسف

شيركو يترك لنا القصيدة

في قصيدة "حيرة", في نهايتها, نقرأ:

حائرة هي كلماتي

أتكمل هذه القصيدة؟

أم تتركها لكم؟

فلأتركها لكم!

**

رحلة شيركو بيكس, المديدة, في الشعر و الثقافة و الحياة, ظلت رحلة اكتشاف و دهشة و صيرورة, و في مسارها الفني, و به, اغتنى الشعر, و تجوهر, و عاد الى البدء: ايماءً, و اشارة الى واقع آخر.

إن كان النص يومئ, فمعنى هذا, ان ثمت من سيتناول طرف الخيط, ليمضي به.. (الى أين؟).

من هنا, أراد الشاعر أن يترك لنا القصيدة.

**

هنالك نصوص تعبر الى زمنٍ لم يعبر عنه, بعدُ.

إن مسؤولية التعبير ليست وقفاً على الشاعر وحده, بل ان اختفاء الشاعر هو أمرٌ مرغوبٌ فيه, كي يتبدى الزمن الآخرُ, الواقع الآخر, عجينة صلصالٍ تصوغها أنت, كما أصوغها أنا, كلٌ على هواه. ما يتبقى هو المحاولة, هو الخطوة.

هل بإمكاني أن أنتظرك, تحت الشجرة؟

لكن, علي أن أحدث الشجرة, أولاً, كي أنقل اليك كلامها..

هكذا سوف يقف كلانا تحت الشجرة. سنكون صديقين, نتعرف

الى صديقةٍ.

شعر شيركو بيكس, هو محاولة الإندماج, و إن أغلق على نفسه باب الغرفة, بألف قفل, و دخن أربعين سيجارة.

**

ليس في الفن معادلات.

الفن انصهار.

و الانصهار, يجعل من اطروحات, كالذات, و الآخـر, و العلاقة, أموراً تفقد معناها, بعد أن فقدت واحديتها.

نص بيكس, ينظر اليه, كلاً, كـاملاً, متكـاملاً (لا أعني كل سطر كتبه شيركو) في سياق الانصهار.

★★

من شرفتي الصغيرة, أكاد المس غصن سروٍ.

و مع شـيركو بـيكس, أتلمسُ, و بأنامله, أغصان الإسبندار و الجوز و الصنوبر و الأرز, حيث ينتظر كلنا كلمة الكون..

سعدي يوسف

عمان 1993/11/10

قصة حب

عاشقان,

شرفتان متواجهتان,

يتراشقان كل ليلة,

بالشعر, الأمواج, الورود, و القبل!

كل ليلة,

يغيران مابينهما الوان الريح,

كل ليلة,

يعرضان جسديهما لمطر العشق؛

فيبتلان حتى العظم!

لكنما هذه الليلة. ظلت احدى الشرفتين معتمة,

الفتاة منكفئة,

القبل بلا اجنحة

و القرنفلة تنتظر

فجأة.. اختض الليل,

تهافتت القرنفلة,

افلت الفتاة عن الشرفة..

حين عاد الفتى مسجى,

و قد نبت على صدره,

خنجر احمر!

حسرة

لا تحرجيني ايتها العاصفة الثلجية؛

و إلاّ سلمتك الى احدى

قصائدي (الحلاجية) المجنونة, الغاضبة

فتحلجك, و تعيدك.

قطن نسمة وجلة على سفح الربوات!

ايها المطر لا تضايقني؛

و الا سلمتك الى جحيم عشق غربتي؛

فيرشقك بالنيران

و يعيدك

صوف بخار ممزق على ضفاف (سيروان)★

و انت يا الم اللاجدوى و الهجران

لا تبرحني الليلة؛

و الا اطلقت اثرك العاصفة و المطر؛

و سلمتك لقصيدة الشمس الحمراء لروحي؛

فتعيدك

حسرة صغيرة

لطفل اشقر من بقايا (الأنفال)!!

نيسان 1992.

★ سيروان: نهر كردستاني, يصب في (دجلة) جنوبي بغداد.

عزاء

مات مطر؛

فأقامت الأرض

له مأتما عظيماً,

في احد الحقول,

ثلاثة ايام,

و كان اكثر المعزين بكاءاً,

و اشدهم حرقةً و حزناً,

طائر بستان قرية مرحلة!

-1988-

صبية

-ذلك الناي[1]

يتمخض..

-ليته يلد صبيةً,

سوداء العينين

مثل وحدتي!

و ناصعة البياض

كصوت "فيروز"!

اب 1992 – اربيل

الافات

حلي في همي الأعظم حلولاً,

و التحمي بأضواء اشجاني!

فستكونين احلى؛ مادمت متلفعة بحزني اليافوتي,

و انا اتلألأ بقلادة لآلىء ذنوبك البيض!

حلي في, فقد ولى زمن الضيافة,

زمن تثاؤب التأريخ,

زمن تدوين الحقيقة,

زمن لهو الرسل,

اجل ولى, ثم ولى!

لكي نغيث اخر اذكار السنابل,

اخر رسائل الحجر,

اخر تضرعات الملائكة الآثمين!

و لكي نغيث اهات و انات الشياطين البائسة!

لقد ولى زمن الاسترخاء

و التمعن في عيون الاقمار البلهاء!

فكيف يحلق حبنا (الكتكوت),

في هذا المرفأ المخيف؟!

فانظري شرقي رأسك,

يا لها من آفة مقبلة!

آفة وليدة الكهوف,

مزدانة بالظلام و الضغينة,

ولتحلي فيّ,

ها هو الموت يلهج: - الأوان يفوت!

و العدم يهتف: الأوان يفوت!

الفردوس و الجحيم يقولان: الأوان يفوت!

انما الفناء لحظة, و كل اللحظات

يا ابنة الموت

يا زوجة الثلج الأسود,

يا ابنة بلاد الطاعون و المأساة!

توحدي بي, و حلي فيّ.

انت الاعصار و انا السهب التحمي بي,

انت الطمأنينة و انا الخوف توحدي معي,
حلي فيَّ, من اخمص قدمي حتى قمة رأسي,
توحدي معي:
شعرة فشعرة, عرقاً فعرقاً..
و ليمتزج الماء و النار, الحزن و الفرح الجريمة و العقاب.
الأسود و الأبيض, الذوبان و التبرعم, و الصهيل و الهديل
اجل لتلتحم كل هذه الأشياء,
و لتلوننا بلونها!
و ليترك هذا العشق الملعون,
و هذان الجسدان المحظوران,
بعدهما صليباً مبتسماً!
هاهي ريح قاتمة فظة,
كالغضب القادم من سواحل (بارس) النارية قديماً,
ها هي تهب جارفة معها غلال القبل, المواقد و الضياء,
جارفــة معهــا مهــد الــورود, و حجــر مصــلى
(المجوس) و طاقية (زردشت)!
و لقد شهدت
في هذا الصباح ريحاً مثلها,
ريحاً ملتحيةً, شوكيةً, عبوسةً,
جحيمية, ذات صوت اجش!
فقد جاءت لتسرق المستقبل,
لتجتث شجرة – شعري – الساسانية!
اتية لتنهب
رؤوسنا, احلامنا, اصابعنا,
اصص زهورنا, اوتار القياثر, حناجر الكلمات,
رقصات الروح, الدبكات, اقداح (الخيام),
طيور "مستورة[2]", اناشيد "بيكەس[3]",

و كل الغيوم المتمخضة,
كل ديدان القز المستقبلية,
كل بيوض المصابيح,
و ها هو الموت النوراني يجيء متموجاً,
هذا الموت: وليد المشرق,
انه مليح اللسان, يحاصرنا,
اما تذكرين يوم قلت لك:
-لماذا نقف هكذا تحت هذا المطر الأسود؟
ايتها الفتاة الملعونة,
امام هذا التاريخ الجبان,
فلن يبرأ جسدنا من هذه الطحالب, بعد الأن!
لماذا نقف و احجمين هكذا تحت هذا المطر الأسود؟
سوف لن تجدينا كل هذه المظلات العتيقة.
لكم اخشى أن تكون هذه الرقصة,
هي الرقصة الأخيرة لحبنا!
حلي في, يا ابنة الشجرة المذبوحة, و التحمي معي.
فاليوم جاءني المستقبل بعيون مخضلة,
جاءني و قال لي:
-ذلكم الموت النوراني,
يحاصر قلعة صوتي, و دمي
يتقدم فرسخاً كل يوم,
و يحفر في صدري, كل ليلة, حفرة.
ايتها الفتاة المصلوبة في ليلة قمراء.
ايتها المرأة المقفلة الجسد!
لا تبحثي في هذا المرفأ, عن المفتاح!
لا تبحثي في هذا البحر عن السفينة!
فالسفينة هي الخوف و الموت هو المرفأ الوحيد.

بينما اشهد خلل الضباب.

البداية: خوف.

النهاية: خوف.

حكايتي، بيتي، نضالي و كتبي

كلها مغطى بالخوف و الرعب.

جذر هذا الموت الطويل،

طريق هذا الموت ينتهي في هلاك المنبع!،

الموت في الموت،

و السيف في السيف،

حيثما يقبل طوفان اسود من مشرق رأسك،

ايتها الفتاة (الساسانية) السيئة الصيت!

يا زوجة (المجوس) القتلى:

في مساء احترابات

في مساء اعمى،

في مساء قيري،

اوصدوا علينا السماء، و اغلقوا علينا الأرض،

و جلبوا القمر على رأس رمح!

عند ذاك ازف حفل ولادتنا الأخرى!

و كان أنْ غرقنا في شراب الجنة و قبل الحوريات،

كانت حصتي وحدي اربعين حورية،

غير انك لم تكوني بينهن!

ايتها الفتاة الساسانية الملعونة!

اجل لم تكوني بينهن،

فقد كنت، حينئذ، في سفينة تحت الأرض،

كنت في العالم السلفي،

هنالك تبحثين عني،

و كانت هي المرة الأولى لموتي الجميل،

و كان اللقاء الأول ما بين عنقي و السيف الوفي

و النطع،

و كان اول سحر موتي،

فحلي فيّ يا ابنة الرماد،

يا امرأة، مملكة الآفات،

هاهم يشعلون

في مشرق رأسك، شموع و بخور موتي.

هاهم يعذبون

في مشرق جسدك،

شعري وطلي و اغنياتي.

فلا استطيع أن اخبيء عن هذه الآفة

عاصفة جنوني.

هوذا قدر عشق يشحذ بالسيف عنقه!

فيا ايتها الفتاة الساسانية الحسناء،

و لي زمن الضيافة،

و ثمت

موت جديد

يبتغيني!!

الهوامش:

1-يعامل الشاعر (الناي) كمؤنث..

2-مستورة: شاعرة و مؤرخة كردية عاشت في القرن الماضي.

3-بيكەس: هو الشاعر الوطني المعروف فائق بيكەس. والد الشاعر شيركو.

المعطف

منذ سنين

تقوقعت جيوب هذا المعطف العتيق,

منطوية على ذكريات منفوضة!

فكلما امد يداً في جيب,

اشعر انني المس يد صاحبه السابق,

و تلمس اصابعي اصابع ماض اخر!

فمن يعرف

إنْ بعته انا الآخر,

اية يد ستلمس يدي؟!

و اية اصابع اخرى

ستجد في تلكم الجيوب

اصابع ذكرياتي المتساقطة؟!

الكتابة

لا تكتب السماء المطر,

على الدوام.

لا يكتب المطر الأنهار,

على الدوام.

لا يكتب الماء البساتين

على الدوام.

لا يكتب البستان الورود

على الدوام.

و لا انا اكتب الشعر...

الحب

تدخل روحي و لست شعاعاً

تدخل جسدي, و لست دماً.

تدخل عيني, و لست لوناً.

تدخل اذني, و لست صوتاً.

انما..

انت.

سر الحب!.

الخبر الأخير

الا تعرفون؟

آه...

لم يبق اثر

لأية حمامة

في جدارية (فائق حسن)!

فقد التهمها الجوعى

من العاطلين,

القطط,

و القصص,

آه! آه!

موتي

انه موتي

يجيء كل ليلة

مرة.. مرتين

زائراً يتكىء على كتف احلامي

و موتي الآن ظل

يحسب خطواتي

كل يوم

و يفتشني

يبحث

عن عنواني الجديد!.

مختارات من ديوان (نغمة حجرية)

عاشق

كانت المرة الأولى.. عندما عصت
قصبة على مرابع القصب.
هذا العاشق النحيل, مصفر الوجه
كان يعشق ريح الجنوبية.
مرابع القصب امتنعت و رفضت
منحها للريح.
قال العاشق المجنون و الولهان:
هو في جهة و انتم جميعاً في جهة
و هاكم: قلبي.
فنادى مربع القصب الغاضب
لمعاقبة العاشقة الباكية
نقار الخشب.
و كان لنقار الخشب منقار حاد
فثقب في قلب و جسد القصبة
بضعة ثقوب
و منذ ذاك اصبحت العاشقة
مزماراً
و منذ ذاك
اصبحت جراح العاشقين
تنطق باصابع الريح
و تغني للدنيا
و ما زالت!

صورة

رسمت طائراً:
و جعلت من "كلمة" رأساً له.
و جعلت من "نبلة القلم" منقاره.
و من "حفنة تراب" جسده.
و من "وتر" رقبته.
و من "حبة زيتون" قلبه.
و من "العشب" ذيله.
و لكنه لم يطر
حتى جعلت من فرشاة "فان كوخ"
جناحاً له.

هموم و هموم

-انعمت صباحاً ايها الثلج الصديق!

ما الذي جلبته لوحدتي؟!

-حزن ابيض!

-طابت ظهيرتك يا رذاذ مطر الغربة

ما الذي اتيت به لوحدتي؟!

-حزن مبلل!.

-طاب مساؤك يا "ريحاً" بلا مأوى

ما الذي جئت به لوحدتي؟!

-حلم لا الثلج ينام فيه

لا المطر و لا الريح

لا الوحدة

و لا عيون شاعر!

موهبة

يا إله الموهبة الكبرى!

هبني واحداً من:

"بتهوفن" الأصم.

او "دستويفسكي" المصروع.

او "ابو العلاء" الضرير.

و ارجع لديوانك اذ ذاك

كل المواهب نصف السليمة

و الناقصة نوعاً ما!

محبة دائمة

اكتب بورقة عشب

و اقرأ غابة.

ارى قطرة مطر

و اسمع زمجرة بحر.

على كفي حبة قمح

و في روحي بيادر.

احمل شعرة من ظفيرة حبيبتي

و جنبي محبة.

انا عندي الآن

بيت واحد من شعر "نالي"

و معي كردستان كلها!.

حلبجة

كان الرابع عشر من الشهر

اطارت الريح القلم من يدي

من قمة جبل "گۆيژه"،

و عندما تلقفته و كتبت به

طارت كلماتي سرباً سرباً.

كان الخامس عشر من الشهر.

اخذ نهر "سيروان" قلمي

و عندما تلقفته و كتبت به

اصبحت اشعاري اسماكاً.

كان السادس عشر من الشهر

اه! ايها السادس عشر من الشهر!

عندما اخذ سهل "شهرزور" مني القلم

و عندما اعاده لي لأكتب به

كانت اصابعي

قد تيبست

مثل حلبجة!

الإرث

عندما يموت الحجل

يخلف للجبل

بعض الترانيم!.

عندما يموت النحل

يخلف للروض

بعض القبلات الحلوة.

و عندما يموت الطاووس

يخلف بعض الريش للمزهريات.

و عندما يموت الغزال

يخلف من بعده المسك

و عندما اموت

سأخلف من بعدي

بعض الشعر الرقيق!.

النبأ الأخير

في افق ما

طارت مني قصيدة سكرى و لم تعد

فقدت انباءها.

و عندما انبثت ساقية "حافظ"

ذات العيون السود

قالت لي:

اسلمت الروح على مثوى "الخيام"

و هي تقرأ رسالة الكروم!

قصائد كردية

"1"

جبال من الأسئلة المستعصية

تطفو دائماً على وجوه الكرد.

وتلفها غمامة حزن مستديمة.

و القمم.. لا تبالي بنجوم طاقياتها التي

طرزها الدم

لتسقط الى الهاوية

تسقط على الدوام.

"2"

تعب النهر من الركض

وراء البحر

وتعبت الكلمة من الجري

وراء القصيدة

لكن الي لم يتعب مطلقاً

من حمل الزلزال!.

"3"

هذا التأريخ يشبه حصاناً اسود وحيدا

عُرفه.. خصلة نار.

و صهيله مبلل بالانكسار

منذ ولادة الأحجار

يجري في دوران دائم حول العالم

من دون ان يكون لفارسه العنان.

"4"

الرماد في اصله, كردي!

لماذا؟ الله هو الوحيد الذي

في استطاعته ان يجيب!.

"5"

رأسي.. في قعر الزوبعة

ويداي.. على سطح الموجة

وما بينهما

موتي:

جزر و مد!

"6"

لا تقرأني كثيراً

لأنك تصاب بالعمى من كثرة الدخان

في تاريخي!.

"7"

ذات ليلة اشعلت همي

كتبت على ضوئه مطراً.

و ذات يوم اطفأت جرحي

قرأت في ظمئه نهراً.

"8"

حين وقعت في حب الينبوع

بدأت قصائدي

تتدفق!

"9"

الكهف: فم الجبل

فم للصرخة فقط!

العاشق

لن يكون العاشق بليغاً

لأن ناراً تتأجج في اعماقه.

فقط السكوت بمقدوره

ان يصفه و يعبر عن اصواته.

حبك

هيامك.. اضاف ساعة

في عمر الليل و النهار

الساعة الخامسة و العشرون.

غرامك.. وضع يوماً اخر في السبوع

اليوم الثامن.

حبك.. اطال عمر السنة شهراً

الشهر الثالث عشر.

هواك.. اوجد فصلاً جديداً بين الفصول

الفصل الخامس.

وجدك اهداني حياة

هكذا, فيها ساعة, يوم, شهر, فصل

اكثر من عمر الآخرين!.

الشاعر الكردي شيركو بيكەس يتحدث الى "المستقبل":

بعض الشعراء الحداثويين مسؤولون عن ايصال القصيدة الى حالة من التجريدية المقفلة

حاوره: فاروق حجي مصطفى

"رەنگدان" او "اناء الألوان" مطولة شعرية جديدة, مترجمة عن لغة الشاعر "شيركو" الكردية, صدرت مؤخراً عن دار الآداب, و هذه المطولة تأتي بعد عدة مجموعات للشاعر الكبير شيركو بيكەس ترجمت الى العربية كـ(مضيق الفراشات, نغمة حجرية, ساعات من قصب, مرايا صغيرة, سفر الروائح). و في لقائنا هذا يتحدث عن مطولته و عن الذاكرة الكردية, و هنا الحديث:

×ما هو سرّ "اللغز" الرائحة في (سفر الروائح), و ما هو سرّ اللون في (إناء الألوان), و لماذا اتى كتابك على شكل ملحمة, برأيك هل وقتنا هو وقت مطولات, و بالأخص في مطولة "إناء الألوان"؟

-إنه سفر آخر من أسفاري الشعرية, لكن هذه المرة داخل عوالمي اللونية, فمن خلال الألوان خضت تجربة جديدة للولوج الى العوالم المخفية داخل العلاقات الإنسانية و من خلال اللون بحثت عن أشياء ربما لم يرها الآخرون, و هي تجربة أخرى من تجاربي الشعرية الطويلة, و أنا مازلت أعمل في تلك المطولات الآن, اللون و الألوان في حياة الإنسان, إن لكل لون رمزاً خاصاً و أنا أحاول في هذه التجربة أن أفك علاقاتي مع الرموز اللونية, و من ثم احكي من خلال الألوان عما جرى و يجري حالياً من حولي و داخل هواجسي الذاتية, فمنذ الطفولة شعرتُ انَّ لكل شيء لونه, فللطفولة لونها, أنا حاولت أن أخرج بلون شعري معين عن الطفولة, و كذلك بلون شعري معين عن المأساة التي مرّت علينا, كشخص أو كشعب, و حاولت أن استلهم من تلك الألوان لوناً اخر

غير موجود, فمثلاً هناك لون خاص للأنفال, و لون خاص لحلبجة, غير معروف بلون معين, و لكن ربما بامتزاج بعض الكوارث, مثلاً امتزاج لون بكارثة ما, قد يعطي لوناً آخر و لذا حاولت أن أجد لكل شيء لونا ليصبح مرآة له, كتجربة أو رموز, فهي سفر, سفر ألوان داخل تجربة معينة في حياتي, و في حياة المجتمع, و حياة الكرد بصورة خاصة فإناء الألوان إناء لعذابات كردية, إناء لأفكار ملونة كخيالات معينة, تحليق في فضاء الألوان المترامية الأطراف غير المحدودة, طبعاً أصور كل ذلك من خلال لغة مجازية و ليست حكائية معلومة, و لكن في نفس الوقت هناك نوع من مزج معين ما بين الشعر و ما بين نوع من القصة, و ما بين الرواية الشعرية و ما بين الشعر. هناك مفاصل, كما تعرف, المفاصل في القصيدة الطويلة, هي مفاصل حكائية, كما هو في الشعر, و في اعتقادي أن هذه التجربة هي محاولة لكي نرجع للشعر روحه من خلال السرد, من خلال نوع من السرد. و في وقف الكثير من القصائد التي باتت مقفلةً, من خلال اللغة التجريدية, علينا ملاحظة ان اللغة التجريدية موجودة داخل الشعر كمجاز, بيد إذا اعتمدناها بشكل كلي فسيكون الشعر مقفلاً ما بين القارئ و ما بين الفن.

سرد

***إناء الألوان يحمل سرداً حكائياً يمتزج بالشعر, و أقرب الى الكلاسيكية شكلاً, و الى الحداثة مضموناً و رؤية, ترى كيف قاربت ما بين الشكل و المضمون في ملحمتك الشعرية؟**

-حتماً.. الشكل الشعري دائماً يخلقه الفكر الشعري, و ما يفكر به الشاعر, و ما يفكر به الروائي مثلاً أو القاص, لذلك ترى الشكل الخاص لإناء الألوان "رەنگدان" هو شكل منبعث من المضامين الموجودة في قصيدتي, و ربما هناك نوع من المزج تراه في السرد و ما بين الشعر الخالص, لأنه من الاستحالة تقريباً, لأي شاعر مثلاً أن يكتب (300) صفحة بشعر خالص, إذن نحن بحاجة الى نوع من الدعامات, و هذه الدعامات في تلك القصائد شبيهة بدعامات سردية, حتى تستطيع القصيدة الوقوف على قدميها, و إن "إناء الألوان" محاولة على غرار المحاولات السابقة. تدري أن أول محاولة لي كانت في عام 1990 حين بدأت كتابة "مضيق الفراشات".. و يوميات الشاعر, و هي سردية أيضاً, و كذلك "سفر الروائح" التي كانت اجواؤها مرتبطة بالرائحة, حيث ان تعاملي السابق كان مع الروائح, لكن تعاملي الآخير مع الألوان كان بنفسٍ آخر و بصورة أخرى جديدة و هكذا..

أعتبر "إناء الألوان" مكملة لبعض مطولاتي السابقة. و عن سؤالك, هل للمطولات في يومنا هذا من قيمة..؟ و هل هذا الوقت وقت المطولات أو الملاحم أو غير ذلك..؟

أنا قلت و مازلت أقول إن ما جرى لحياتنا خلال السنوات العشرين الماضية في الأقل, تستوعب حالات أكثر شعرية و حتى أدبية, أنا لا أكتب الرواية,

فالروايــة ســرد منطقــي, و لكــني حاولــت أن أجــد طريقاً آخر لكتابة نوع من السرد الروائي من خلال كتابتي لتلك القصائد, لذا لا أحد يشعر بأي نوع مـن الشخوص داخل مطولاتي الشعرية, إلا أنه شعر بنوع مـن السـرد, بنـوع مـن الحـوار, بنـوع مـن البصـمات القصصية, أو يشعر بـالحوار المسـرحي, فهـي قصـيدة شاملة, قد تشعر في بعض الأحيان بنـوع مـن الفضـاء الكلاسـيكي, لكـن في نفـس الوقـت هنالـك نـوع مـن الرؤيــة الحداثويــة, خاصــة حــين لا يكــون مقيــداً بإيقـاع معـين يعكـر صـورة معينـة أو قافيـة أو وزن معين, نـرى في "رەنگدان" أن اللغـة الكرديـة تكتسـي بكثير من التحولات الوزنيـة و الإيقاعيـة, فقـد نقـرأ في بعـض الصـفحات ربمـا قصـيدة نثـرٍ, و في زاويــة أخرى نقرأ قصيدة تفصيلية.. و هكذا.. هـي تجربـة أخـرى إضـافة الى تجـاربي السـابقة, و هـي محـاولات لكتابة نوع من القصص الشعري إذا جـاز التعـبير, و هي الشعر في أساسه, فالفضاء العام لإناء الألوان فضاء شـعري, و لكـن هنـاك سـطوعات, أهـواء, ربمـا نحـس بأنهـا قصـة أو روايـة, فهـي محاولـة لإيجـاد نـوع مـن الشعر الخـاص في الوقـت الحاضـر, أنـا شخصـياً مللـت مــن القصــائد التجريديــة المقفلــة غــير الوافــدة الى الآخرين, حتى الى النخبـة مـثلاً, لـذلك مسـألة اللغـة هي مسـألة مهمـة في هـذه الحالـة, و أنـا أعتـبر بعـض الشعراء الحداثويين مسؤولين عن تلك الحالـة, يعـني مسألة ايثار الشعر نوعاً مـا, إذ لم يعـد الشـعر ديـوان العرب أو ديوان الكرد, كما كان في السابق, لمـاذا..؟ أنـا أرجـع ذلـك السـبب الى إقفـال اللغـة, و أحيانـاً يكـون متعمداً و لكن هذا طبعاً لا يعـني بحـال مـن الأحـوال الدعوة الى السذاجة الشعرية أو الـدعوة الى نـوع مـن الرجوع الى ما سبق, و لكن المهم هـو تواصـل الجسـر, يجب أن نـرمم الجسـر و وصـل الجسـر مـع الآخـرين, فمسـألة الشـعر, الكتابــة, ليســت قضــية الشــاعر و الكاتب فقط, فهنالك علاقة ما بين الشاعر و الحياة, و الحياة هـي الآخـرون, أنـا لا يهمـني الجمهـور, سـواءً كان قليلاً أو كثيراً, قبل أي شيء أكتب لنفسي, أكتـب كما أنا أشـعر بـه, و كمـا ان هنـاك حالـة أخـرى, هـي التواصل أولاً, و هي مسالة مهمـة, و ثانيـاً الاسـتفادة من تجارب الآخرين, مـن تجـارب الشـعر و الإبـداعات العالمية.. و دائماً لدي محاولات أخـرى و تحليـق آخـر في فضاء آخر في تجربة أخـرى غـير مطروحـة, مـثلاً اللـون, ربمـا هنـاك قصـائد تشـير الى الألـوان, و لكـن ليســت هنـــاك مطولــة شــعرية خاصــة بــالألوان أو بالرائحـة, فهـذه أشـياء مهمـة أن تتعمـق في أشـياء لم تعـن اهتمامـك في السـابق مثـل اللـون أو الرائحـة أو أشياء أخرى.

تكرار

×في معـرض ذكـرك "مضـيق الفراشـات" و هذا عنوان لمجموعتك الشعرية السابقة, نلاحظ تكـرار هـذا العنـوان في "إنـاء الألـوان", ألا يعني هذا أنك مازلت تحت تـأثيره, أو أنـك مازلت أسير "مضيق الفراشات"؟

-لا.. فقـط يجب أن أقـول بـأن مضـيق الفراشـات كانـت بوابـة رئيسـية دخلـت مـن خلالهـا الى العـوالم

الشعرية, و هي البوابة الرئيسية للتجارب التي مرّ بها, خاصة في كتابة القصائد الطويلة, أنا كتبت "مضيق الفراشات" في ظروف تختلف كلياً عن الظروف التي كتبت فيها مطولات أخرى, أنا كتبت "مضيق الفراشات", بعد غياب في المنفى, و بعد غياب سنوات و أنا بعيد عن الوطن, لذا أستطيع القول أنها تعبر عن معاناة أكثر كثافة, و أنا أعتقد أن لكل عمل مذاقه و آفاقه و فضاءه الخاص, و كما قلت, و دون شك, هي البوابة الرئيسية لتلك التجارب.

×في "إناء الألوان" ثمة أسماء كثيرة, هذه الأسماء تحضر بقوة في قصائدك, حيث أسماء أعلام الكرد و أسماء البسطاء أيضاً, و أسماء المدن و و... ألامّ توحي هذه الأسماء لدى الشاعر بيكەس؟

-أسماء أو أسماء العلم, باعتقادي تألق الرؤية المكانية التاريخية, لذلك فأنا كثيراً ما استعملت الأسماء, طبعاً أسماء أماكن, ليس في هذه المطولة فقط, لقد ذكرت الأسماء في (مضيق الفراشات) كما ذكرتها في القصائد القصيرة, هذه الأسماء مع الأجيال الحياتية, هي مسائل واقعية, حياتية؛ ملموسة, لذا فأنا حينما أعود الى اسم معين, بالتأكيد فهذا الاسم هو ذاكرة, في ذاكرة القارئ الكردي, مثلاً حينما أقول سيوان هو تل فيه مقبرة كبيرة في السليمانية, فمجرد ذكر هذا التل تعود الى الأذهان العشرات من أسماء المبدعين الكرد, و الذين هم مدفونون في تلك المقبرة, و كذلك الأمر عند الشجرة أو اسم نهر معين, فكل هذه الأسماء هي بحد ذاتها تواريخ, هذه التواريخ ملتصقة بحياة الشعب الكردي و ملتصقة بحياتنا, فأنا شخصياً لا أستطيع أن أكتب بدون ذكر تلك الأسماء, أبحث في داخل تلك الذاكرة و بواسطة تلك الأسماء أرجع الى المنابع, حينها يفسح لي المجال لأن أنظر الى عمق التاريخ, لهذا فأنا أرجع دائماً الى تلك المنابع.

×الشاعر عبد الله كوران هو الذي جاوز الشكل الكلاسيكي أو القديم للشعر الكردي, و السؤال هو ماذا أضاف "بيكەس" على تجربة الحداثة الشعرية الكردية؟

-اذا أضفنا شيئاً, فنحن أضفناه خلال العشرين سنة الأخيرة, و ليس هناك شاعر واحد فقط أضاف, أنما هناك شعراء, فتغير الخريطة الشعرية باعتقادي لا يغيرها شاعر أو مبدع واحد, صحيح إن گوران هو رأس الجسر بالنسبة للحداثة الشعرية الكردية في الأربعينيات, حيث تأثر گوران و "شيخ نوري" شيخ صالح بالتيارات الجديدة الآتية من تركيا, فتركيا كان لها دور مؤثر في التيارات الجديدة من اوربا لأنها كانت قريبة جداً من أوربا, طبعاً في ذاك الوقت كانت الثقافة التركية و اللغة التركية حاضرة أكثر و طاغية أكثر, و الشعراء كانوا في ذاك الوقت (أكثرهم) يجيدون اللغة التركية, الفارسية, و العربية فمثلاً, گوران كان يجيد الى جانب الكردية اللغة العربية و الانكليزية, و قد ترجم الأدب من العربية الى الكردية و ترجم اعمالاً لشعراء عالميين مثل ناظم حكمت و غيره, و كذلك الأمر بالنسبة

لنوري الشيخ صالح, فكان مثقفاً كبيراً, و لكن الشيء المهم باعتقادي هو ليس في الشكل الشعري فمثلاً في الفترة الأخيرة لاحظنا نقاشات كثيرة حول الشكل الشعري إذ كانوا يختلفون حول من الذي أبدع الشكل الجديد للشعر العربي فهل كان السياب أو نازك الملائكة أم غيرهما.

فأنا أعتقد أن هذه المسألة الشكلية تأتي ما بعد تجديد الفكر, ما بعد الرؤية الشعرية الجديدة, لأن الرؤية الشعرية الجديدة هي التي تدفع السياب ليكون رائداً, و ما بعد الرؤية الشعرية الجديدة يأتي الشكل الشعري.

الرؤية الجديدة للشعر أو التجاوز الفكري ينتجان أشكالاً جديدة.

×يقال إنك اختزلت في "سفر الروائح" العالم بحاسة واحدة هي حاسة الشم, و في "إناء الألوان" تحولت كل الحواس الى عين ثاقبة؟

-هذا صحيح, فمثلاً حين نتعرف من خلال حاسة واحدة هي حاسة الشم (و هو بحد ذاته شيء غير مطروق) أن نرى بواسطة الشم و ان نلمس بواسطة الشم و أن نتذكر بواسطة الشم أو الرائحة, فحينها نحكم بأن هذه قصيدة شميةرائحية أو هذه قصيدة طويلة لونية, فهذا لا يعني انه لا توجد علاقة بين اللون و الرائحة, لكن التركيز أو التفاصيل تكون من خلال شيء واحد هو الحاسة سواء على مستوى الرائحة أو اللون, و هذا لا يخلو من اللعب الشعري – اللعب الشعري الفني – و هذه مرتبطة بنوع من التجربة – تجربة الشاعر – و تعميق لرؤيته الشعرية و من ثم الولوج في تفاصيل اللون بشكله العام, و أنا قبل أن أكتب "إناء الألوان" اطلعت على الكثير من الكتب التي تحكي عن الألوان و كذلك حاولت أن أعرف – مثلاً – إذا امتزج هذا اللون مع لون آخر ماذا ستكون النتيجة و ماذا ستصبح كيميائيا و فيزيائيا, حتى أعمق من رؤياي الشعرية.

×هل بيكەس يصنع اللغة أم غزارة المفردات و فتنة اللغة الكردية هي التى صنعت بيكەس؟

-لا طبعاً هذا شيء مرتبط بالشاعر فالثروة اللغوية عند الشاعر هي شيء مهم فمثلاً أتذكر حينما كان الاتحاد السوفياتي موجوداً قرأت مقالاً نقدياً. كان مهماً جداً و نادراً, فالناقد – كاتب المقال – كان يبحث عن خمسة أو ستة من الشعراء الكبار في الاتحاد السوفياتى الذين استخدموا أكثر المفردات الروسية في الشعر. و أعتقد انه كان بوشكين و هو الذي استخدم أكثر المفردات من الثروة اللغوية الروسية, فالمفردة هي بمثابة خلية البنية الشعرية فاذا كنت تملك خزيناً هائلاً من ثروة المفردات فإنها تساعد الشاعر.

اللغة الكردية اعتبرها من اللغات الغنية و خاصة من ناحية المفردات الطبيعية و الزراعية و من جهة أخرى أنا شخصياً أطالع القواميس و خصوصاً القواميس الكردية و استفدت كثيراً منها ففي كل مرة أوظف في قصائدي مفردات غير مطروحة و غير واردة من قبل إذ من خلال مطالعتي للقاموس أسجل هذه المفردات في وجداني و هي تأتي عندما

أكتب الشعر و تتدفق و تحضر نفسها على الطاولة لكن المهم هو كيف نستخدم و نستعمل المفردة, من هنا يأتي دور الشاعر ليوظفها في مكانها و عالمها, على أية حال الشاعر يعتمد على اللغة و هي الأساس و الشاعر هو الذي يحرك اللغة فينبعث من داخلها و يستعيرها من الكلمات, و لكن من خلال تجربتي مع الجبل و اختلاطي مع القرويين كنت أستفيد من المفردات المستخدمة من قبلهم في اللغة الكردية, و التي لم اسمعها من قبل فأدونها و أوظفها في ما بعد. حيث أستفدت من منطقة موكريان في كردستان إيران, و هي منطقة غنية بالمفردات الكردية و الكثير منها لم يستخدم حتى الآن كتابة و أنت تدري المفردة متى ما استعملها الشاعر يذهب بها ليس كما هي في القاموس. لا تستغرب في القصيدة التي أكتبها هناك ما لا يقل عن عشرين أو ثلاثين مفردة لم تستخدم بعد في الكتابة فهي طازجة و التي استخدمها أول مرة في الكتابة و سترى في المجموعتين اللتين لم تترجما بعد الى اللغة العربية و هما "أنا حينما أكون طيراً", "ضيف الخريف" حيث تعاملت فيها مع الخريف, فأدرجت مفردات قد لا تكون سمعتها من قبل.

وداع

×**إناء الألوان تجربة ملحمية و يبدو أنك نجحت فيها, لماذا هذا التحول, لماذا ودعت القصيدة القصيرة, ماذا تعني لك القصيدة الطويلة؟**

-لا... أنا لم أودع القصيدة القصيرة, و الدليل أن آخر ديواني – بالكردية – جميع القصائد قصيرة, صحيح خضت تجربة في الملاحم الشعرية أو المطولات, لكن عدت ثانية الى القصيدة القصيرة, المكثفة, التي تعتمد على نوع من الجرس الشعري على نوع من الانبهار الشعري داخل الفكر المعين.. أنا لم أودع القصيدة القصيرة, فأنا دائماً أملٌ من تجربة, لأخوض تجربة أخرى... أنا لا أستقل محطة شعرية واحدة, العالم الشعري عالم واسع.

×**و ماذا تعني لك القصيدة الطويلة؟**

-القصيدة الطويلة باعتقادي هي نفس طويل لغوياً و رؤيوياً لشاعر و هي عبارة عن تفاصيل. فهي ليست تعبيراً عن حالة واحدة في القصة بل هي عدة حالات, كما هي الحال بالنسبة للقصة القصيرة و الرواية, حيث الرواية حالات, هي الحياة بأكملها, لا تعتمد على مفصل واحد, فالقصيدة القصيرة لا تحتمل غير حالة واحدة, و هي تحتمل ضربة معينة, أو فكرة أو لقطة على عكس القصيدة الطويلة فهي تعبر عن هواجس و رؤيا و تعتمد على السرد, تحكي قصة طويلة, تناسب قصة شعبي الطويلة حيث تجد فيها جميع أصناف الألوان.

*المصدر: صحيفة المستقبل - 8 كانون الثاني- 2003

شيركو بيكەس الشاعر الكردي المنتمي الى الوطن و المستقيل من الوزارة:

أنا كالمطر انحسر و انهمر..

أجرى الحوار: عادل علي

قبل لقائي مع الشاعر الكردي الاول شيركو بيكه‌س, قرأت له مجموعة من القصائد القصيرة المترجمة, فيكون لديّ انطباع بان الرجل الذي سوف اقابله يحمل تلك الملامح التي كان يتحلى بها عشاق العصور البكر.. غير ان ملامح الرجل القوية, و نظرته الحادة كادت تطيح ذلك الانطباع.. لكن شيركو بيكه‌س, ابن الجبل, المقاتل, الوزير و السياسي الذي لا يجيد من السياسة الا نقاوة المبدأ, سرعان ما يثبت انه الشاعر العاشق, كما العشاق في كل العصور, و ان كان يتفرد توهجاً فيعبق كالوردة حينا و يلسع كالنار احيانا.. ربما لانه شاعر قضية, و هو المتأثر بظاهرة شعراء المقاومة الفلسطينية.

في هذا الحوار مع شيركو بيكه‌س جولات في الشعر بحركتيه العربية و الكردية, مع وجود للسياسة التي الحت بالحضور كبعد ثقيل و لكن لازم لكل شأن ثقافي.

×يصعب تصنيفك بالقول انك شاعر الريف او شاعر المدينة, شاعر الجبل او شاعر المنفى, فهل هذا الانطباع صحيح؟

-انا ايضا ليس عندي تصنيف, الا التصنيف الشعري و الفني. ربما انا شاعر الحياة بكل معانيها الواسعة. و قد كنت بطبيعة الحال عايشت الناس في الجبل و في الريف و في المدينة, و كذلك مررت بتجارب مرة كثيرة, لذلك تكونت عندي انماط شعرية متنوعة. ربما هنالك نوع من الحياة الجبلية في القصائد, و لكني و من خلال معايشتي للطبيعة استخدم الصور الشعرية المستمدة منها فتجد عندي الشجرة او السحابة و كل العناصر الاخرى. و احاول خاصة في القصائد القصيرة ان اكشف ما اريد ان اقوله بكلمات قليلة للتقرب من روح الشعر و الشاعر و الخلاص من الترهل الشعري. و كذلك لدي تجارب اخرى في القصائد الطويلة او المطولات الشعرية, و لم

اقف في محطة شعرية واحدة, بل اعيش في حالة انتقال مستمر بين التجارب كلها. لذلك ربما ترى نوعا من الصور الريفية العفوية في قصائدي, و كذلك لا تخلو قصائدي من انماط الحياة الاجتماعية في المدينة ايضا. و في الاجمال فإن القصائد تحتوي على الكثير من العلاقات الانسانية سواء في الريف او في المدينة.

اني اكتب الى جانب القصائد القصيرة و الطويلة, القصة الشعرية, و في العموم فاني اكتب المطولات اكثر خاصة بعد "مضيق الفراشات" و هي مطولة شعرية مترجمة الى العربية و قد صدرت عن دار الرازي في بيروت. و عملي الاخير الذي سوف يصدر بالكردية اولا بعد اشهر اسميته قصيدة الرواية, حيث يتضمن اصواتا مختلفة و ليس فقط المتكلم, ففي العمل صوت والدتي و والدي و اصدقائي و الناس الآخرين, أي كل المفاصل المهمة في تجاربي و في تأريخ الشعب الكردي خلال الخمسين سنة الاخيرة, و من ثم الرجوع الى التراث الكردي و قد تعاملت معه معاملة خاصة, و في نهاية العمل الشعري هناك نوع من معالم الغربة خاصة في السويد, حيث اقيم مثل اسماء الشوارع و الاشخاص الذين اعرفهم. و اعتقد ان هذا العمل هو بمثابة جسر بيني و بين الوطن, و جسر بيني و بين الغربة.

النمط الملحمي

×القصيدة الطويلة التى تكتبها و التى تسميها الرواية الشعرية هل يمكن القول انها نسجت على النمط الملحمي؟

-لا تخلو من ذلك, و لكني اعتقد ان لهذا العمل لغة تمزج ما بين اللغة النثرية و اللغة الشعرية, لانه في المطولات الشعرية في حال لم يكن الشاعر منتبها جيدا ربما يقع الشعر في مطبات فنية كثيرة, و لكن اللغة النثرية تساعد الشاعر في ان يجعل نفسه طويلا. و طبعاً فان ذلك لا علاقة له بمسألة العصر. فعندما يتساءلون عن جدوى او مدى تقبل المطولات الشعرية في هذا العصر, فان جوابي هو ان المسألة لا علاقة لها بالمطولات او غير المطولات. فهناك الرواية التي تحتل مكانة مرموقة, و ما دفعني الى كتابة الرواية الشعرية هو ان نقترب من الناس اكثر. نقترب من عواطفهم و احاسيسهم من خلال المزج بين الشعر و الرواية, سواء عن طريق الحدث داخل الرواية الشعرية او من خلال لغة التواصل, و لكن في الوقت نفسه لا اكتب بسذاجة و انما بلغة فنية تصل الى الناس. ثم ان حجم المأساة التي يعيشها الشعب الكردي منذ سنوات, و كذلك شعوب المنطقة, يحتاج الى نوع من المطولة حتى تستوعب تلك المأساة.

×الا تتفق معي ان القصيدة القصيرة اكثر استقراراً في اذهان الناس؟

-ان هذا الامر بالاخير يعود الى الشاعر, و لكل فن شعري موقعه. ان القصائد الجيدة لا تقاس بطولها او قصرها, و انما بنوعيتها, و لكن هناك مواقف يشعر الشاعر ان ما يقوله فيها ليس كافيا في القصائد القصيرة, فيحاول ان يسكب ما في داخله على الورق بدون تكلف, و لكن بصنعة شعرية و روائية.

×كشاعر قضية, هل يصح وصفك بانك شاعر الوردة و النار, بمعنى ان شعرك لا يخلو من النزعة الرومانسية الى جانب لمحة الغضب؟

-باعتقادي ان الشعر الجيد يجب ان لا يخلو من اللمحة الرومانسية, ففي هذه اللمحة او الصور الرومانسية سوف يكون هناك تقارب اكثر بين الشاعر و احاسيس الناس, اما التلاعب بالكلمات و كتابة القصائد الذهنية الصرفة التي اقرأ الكثير منها هذه الايام بالعربية و الكردية فأرى انهما يبعدان الناس عنها. اننا بحاجة الى نوع من الانفتاح على الشعر بصورة عامة, و الانفتاح على الناس, و لكن ليس بتقديم نماذج ساذجة او هزيلة لاسم الشعر او بشعارات او هتافات فارغة.

اني في قصائدي القصيرة كثيرا ما اتعامل مع الاشياء الصغيرة التي حولنا و ليس فقط كنزعة رومانسية و انما كواقعية ايضا. و اذا اخرجت الطبيعة من قصائدي ربما اصبح هناك نوع من القصر, و انا لا استطيع ان اكتب بدون التعامل مع اشياء الطبيعة, و لذلك فان الرومانسية ربما جاءت من هنا, اما الرومانسية كمذهب يعني الانعزال عن الناس و العيش في اطار الهموم الخاصة فانا بعيد عنها, فقصائدي تقترب من هموم الآخرين. اني احاول ان اكتب ما انا فيه بحقيقتي. و بطبيعة الحال فاني لا اكتب بصفة مستمرة او يومية رغم اني مكثر. فربما لا اكتب سطرا واحدا خلال خمسة او ستة اشهر, و لكني حين اكتب فقد اكتب بغزارة. و في الوقت الواحد قد اعمل على مشروعات مختلفة: هنالك قصيدة غير مكتملة, هنالك مطولة.. كالمطر, انحسر فترة و انهمر بغزارة في فترة اخرى. و ربما يتعلق ذلك بالمزاج الشعري.

الشعر العربي و الكردي

×ما هي مؤثرات حركة الشعر الحديث العربية في تجربتك الشعرية خصوصا, و في الحركة الشعرية الكردية بشكل عام؟ و كيف انعكست ظاهرة شعراء المقاومة الفلسطينية في الشعر الكردي؟

-للشعر الكردي تاريخ طويل في المقاومة, لان حياة الشعب الكردي على امتداد العصور كانت حياة مقاومة, و هناك عدد كبير من الشعراء الذين كتبوا عن هموم الناس و الوطن و مسألة الحرية كفضاء مهم. و لكن الحداثة الشعرية, او النهضة الاولى للشعر الكردي, بدأت ما بين الحربين العالميتين, عن طريق اللغة التركية في بداية الامر, متأثر بالموجات التجديدية في ذلك الوقت, ثم انتقلت الى الادب الكردي, فكان هناك الرواد و اذكر اسمين مهمين هما عبدالله كوران, و الشيخ نوري الشيخ صالح و هو اول من اسس النقد الكردي.

و في اعتقادي ان مسألة الحداثة التي نوقشت في الادب العربي الحديث ليست مسألة التفعيلة, و ليست في مسألة الشكل, و انما هي مرتبطة بمسألة الرؤيا, فاذا لم يكن هناك تجاوز فكري فلن يكون هناك تجاوز شعري, فالتجاوز الفكري هو الذي يكمل مسألة فنية الشعر. فعبدالله كوران مثلاً اقترب من

الناس من خلال لغته, فقد كانت لغة الشعر في السابق هي لغة التكايا و المساجد و لغة المتصوفين الصعبة, و لكن في قاموس عبد الله كوران هناك الكلمات التي يستعملها الناس يوميا الا انه استخدمها فنيا, و اعتقد انه كان متأثرا بالشعراء الرومانسيين – خصوصاً انه كان يجيد الى جانب الكردية العربية و التركية و الانجليزية – امثال شيلي و بايرون و هو اول من كتب عن الرحلات الشعرية داخل طبيعة كردستان بصورة شعرية عالية.

اما جيلنا, و هو يأتي بعد جيلين من جيل عبد الله كوران, فقط تأثر و انا منهم بالحركة التجديدية التي انجزها عبدالله كوران, و من خلاله احببت الشعر, و هناك الشاعر احمد هردي الذي كان متأثرا بالمدرسة المهجرية العربية. و انا ايضا ابتدأت بقراءات للشعراء الرومانسيين العرب و شعراء المهجر و خاصة جبران خليل جبران, و من ثم بعد ان تبلور لدي نوع من الادوات الفنية الناضجة – و هو ما كنت افتقده في البداية – تأثرت بالصور عند السياب و بعض شعر المقاومة الفلسطينية الذي اجد فيه نوعا من التلاؤم الروحي, حيث اننا نعيش في الاجواء نفسها تقريبا.. و بعد ذلك توسعت قراءاتي فقرأت لادونيس و سعدي يوسف و صلاح عبد الصبور. و قد تأثرت بكل تلك الاجواء و لكن ليس بشكل تقليدي. كانت تلك التجارب بالنسبة لي تمثل منابع شعرية استفيد منها في تجربتي الخاصة فنيا. و من خلال اللغة العربية تعرفت على الكثير من الاداب العالمية المترجمة الى اللغة العربية كالروايات و الدواوين و غيرها. فمن خلال اللغة العربية التي تعلمتها في العشرين من عمري تعرفت مثلا على شاعر كبير مثل لوركا. و في الحقيقة ان تأثير الحداثة الشعرية العربية على جيلنا كان اكبر من تأثير الادب الفارسي علينا او الادب التركي, لاننا بطبيعة الحال لم نكن نجيد اللغتين التركية و الفارسية في وقتها, و من خلال هذه النافذة المضيئة ارتبطت بالادب العربي و خاصة بالشعر العربي من خلال اكثر ابداعاته و نماذجه المتألقة مثل محمود درويش و ادونيس. و بعد ذلك بدأت بالكتابة و لكن بتأن, فديواني الاول "ضياء القصائد" صدر عام 1968, و من خلال اقامتي في بغداد لفترات معينة تكونت لدي علاقات مع الادباء و الشعراء العرب هناك خاصة مع رموز الموجة الجديدة, موجة الستينيات, و استمرت هذه العلاقة و توسعت في السبعينيات حينما كنت ازور بغداد و التقي مثلاً بعبد الوهاب البياتي في مقر عمله عندما كان مستشاراً ثقافياً في وزارة الاعلام.

و من خلال تلك المتابعات و من خلال علاقاتنا بالادباء العرب وجها لوجه, و من خلال الحضور الدائم لندوات و امسيات اتحاد الادباء العراقيين في بغداد.. فاني اعتبر ان بداية السبعينيات شكلت نهضة مهمة في الثقافة الكردية و الادب الكردي, حيث كان هناك نوع من الحرية, في ظل المفاوضات التي استمرت لاربع سنوات بين الحركة الكردية و الحكومة العراقية, ما انتج حالة من الانتعاش الثقافي تمثلت في الحركة المسرحية و الشعرية و

ظهور اصوات جديدة. و كثيراً ما اقول ان جذوري الثقافية في كردستان و لكن فروعي و اغصاني ترعرعت و نمت في بغداد.

×حالة التأثر و التأثير هذه هل تجد مرجعية تراثية مشتركة ما بين الثقافتين العربية و الكردية؟

-انا اعتقد انه لا توجد ثقافة بعيدة عن التأثر و التأثير, و لكن الثقافة الكردية في كردستان العراق هي اقرب الى الثقافة العربية, لان اللغة الرسمية في العراق هي اللغة العربية بما يعني ذلك من كتب و صحف و مجلات الخ.. و بعد تشكيل الدولة العراقية صارت تلك العلاقة امتن مما كانت عليه قبلا, حيث كانت العلاقة امتن مع الثقافتين التركية و الفارسية. و بطبيعة الحال فقد تأثرت ثقافة الشعب الكردي بثمار الثقافة العربية في الادب و الشعر, و كانت بغداد مركزاً ثقافياً كبيرا بالنسبة لنا اتاح لنا التحليق الى فضاءات جديدة من خلال الندوات و الامسيات و الاندية.

بيان المرصد

×دورك الريادي في حركة التجديد الشعري صغته مع زملاء لك فيما عرف بحركة "روانكه" المرصد, فما الذي ارسته تلك التجربة على صعيد الثقافة و الشعر الكرديين؟

-في بداية السبعينيات كنا في بغداد, و كانت هناك حركة تجديدية مهمة, و من خلال متابعاتنا الكثيرة وجدنا ان اجواء الستينيات مازالت راكدة في الادب الكردي, فاصدرنا نحن نخبة من الادباء الكرد شعراء وقصاصين بيانا ادبيا كرديا يدعو الى التجديد في اللغة الشعرية و في الفن بصورة عامة, و شعرنا ان ذلك النداء مثل صرخة او كان كحجر القي على صفحة ماء راكدة. و لكن في ذلك الوقت لم تكن لدينا النتاجات التي تعبر عن طموحنا, و ان وجدت فهي قليلة. و بعد فترة – ربما بعد عشر سنوات من بياننا – نضجت ادواتنا و نتاجاتنا. و اذكر ان ذلك البيان الادبي كان مثارا لنقاشات واسعة بين المثقفين في كردستان فتكونت نتيجة لذلك حركة نقدية سواء كانت بالسلب ام بالايجاب. و قد عكست صفحات الجرائد تلك النقاشات المتعلقة بالحركة التجديدية في الشعر و الادب. و طبعا تحدثنا في البيان عن التراث و كيف نفهمه. لقد غيرنا عبر هذا البيان تلك التعابير الشعرية بمنحها صورة جديدة. و اذكر انه بعد ذلك البيان الادبي الثقافي اصدرنا بيانا اجتماعيا ضد الملالي و مع حرية المرأة. و حتى الآن تذكر تلك الحركة كمرجعية للتجديد و الحداثة.

×ما هو واقع الحركة الشعرية الكردية الآن, و ما هي ملامحها, و من هم ابرز رموزها؟

-اعتقد ان المرحلة لا تسمى باسم شاعر, المرحلة تكونها نخبة من المبدعين سواء كانوا شعراء ام ادباء, على الرغم من انه قد توجد مساهمات اغزر من اخرى, و مشاركات اعمق و افضل من غيرها. حيث تبدو تلك المساهمات كسلسلة جبلية متعددة القمم

بعضها يتساوى في الارتفاع و بعضها اكثر علوا. و الشعر الجيد كما اعرف لا علاقة له بالزمن و انما علاقته بالابداع, فهناك قصائد كتبت قبل ثلاثمئة سنة و مازالت نضرة, و هناك قصائد تكتب اليوم و تموت لحظة كتابتها.

ثم ان انتعاش أية حركة ابداعية مرتبط بجو الحرية, لانه بدون الحرية لا ابدع. و خلال السنوات العشرين الاخيرة شهد الشعب الكردي سلسلة من المآسي الرهيبة من محاولات للترحيل و التهجير, و قد ادى ذلك الى جو لا يساعد على الابداع.

هناك الكثير من الشعراء الذين ساهموا في اثراء الادب الكردي اذكر منهم لطيف هلمت, و رفيق صابر و عبد الله بشيو و صلاح شوان, و من القصاصين لطيف حامد و حسين عارف و محمد موكري.

و في الثمانينيات بدأ ظهور اصوات شابة جديدة و خصوصا في الخارج, و انا اعتبر ثلاثة او اربعة منهم من المبدعين و اصواتهم غير اصواتنا, بل هي تقترب من الموجة الموجودة في اوربا و انا اول من كتبت عن واحد منهم هو الشاعر بختيار علي و الكاتب المسرحي برزان فرج و الناقد الادبي مريوان وريا, و هناك ايضا الشاعرتان كەزال احمد و دلسوز حەمە. بالاضافة الى اسماء اخرى, و في الوقت الحاضر و بسبب الوضع السياسي و الاقتصادي غير المستقر في كردستان العراق, بدأت تنكمش الحياة الثقافية و الابداع, خصوصاً في ظل موجات الهجرة الى الخارج. و بطبيعة الحال هناك اصوات لا اعرف عنها.

الشاعر الوزير

×عملت وزيرا للثقافة في الحكومة المحلية ثم انسحبت من هذا الموقع, فما هي ملابسات هذه القصة؟

-في اواخر سنة 1984 التحقت بالحركة الكردية في الجبل, و قبل ذلك التاريخ و لسنوات كنت منفيا داخل العراق في ناحية نائية. و قد استفدت كثيرا من تجربة التحاقي بالثورة المسلحة في الجبل و كونت ثروة مفردات كبيرة, و في اواخر عام 1986 انتقلت الى الخارج عن طريق ايران و من ثم الى سوريا, و هناك تلقيت دعوة من جمعية حقوق الانسان في ايطاليا حيث قضيت شهرين فيها, ثم حصلت على جائزة توخولسكي الادبية من السويد, فحصلت على تأشيرة و سافرت الى السويد حيث بقيت هناك ثلاث سنوات و نصف السنة. ثم حصلت الاحداث في الخليج و اندلعت الانتفاضة الكبيرة في جنوب العراق و شماله, و تكونت نتيجة لذلك منطقة آمنة للشعب الكردي و انسحبت ادارة صدام حسين من جميع كردستان فالتجأ الشعب الكردي الى ادارة شؤونه بنفسه و تقرر اجراء انتخابات حرة. و عند ذلك قررت العودة الى كردستان في الشهر العاشر من عام 1991, و رشحت نفسي كشاعر مستقل ضمن قائمة الخضر و هي قائمة الاتحاد الوطني الكردستاني باعتبار ان هذه القائمة هي الاقرب الى تفكيري. فانا اعتبر نفسي من اصدقائهم و كثير من شهدائهم هم اصدقائي. و قد انتخبت عضوا في اول برلمان كردي, و باجماع الآراء داخل البرلمان رشحت

لان اكون وزيرا للثقافة فاستشرت الاصدقاء و قبلت لسببين, اولهما ان هذه الفرصة هي فرصة مهمة للشعب الكردي وثانيهما انني قد استطيع ان اخدم الثقافة الكردية, ثم اني لم اكن احسب نفسي وزيرا كما الوزراء الآخرون في الحكومات الاخرى, فقد كنت وزيرا للناس.

و بعد فترة من الممارسة قاربت السنتين وجدت اشياء لم اكن اهضمها كشاعر اولا, و كوطني فقررت الاستقالة لسببين مهمين في نظري: السبب الاول ان البرلمان الكردي المحلي شرع قانونا (القانون رقم 10) له علاقة بحرية الصحافة و الرأي و التعبير. و بعد فترة من هذا القانون افاجأ على سبيل المثال ان مسؤولا سياسيا من طرف معين يأتي الى مقر جريدة و يغلقها عنوة, و انا الوزير المسؤول فكيف اقبل بذلك؟

اما السبب الثاني, فهو ان النشاط الرياضي كان تحت اشراف وزارة الثقافة, فكنت افاجأ ايضا بأن بعض النوادي الرياضية الخاضعة لاشراف سياسي معين, و على الرغم من انقطاع اية علاقة مع نظام صدام, ترسل فرقها و رياضييها الى بغداد للمشاركة في انشطة و مباريات, حيث تستغلهم اجهزة النظام هناك دعائيا فتجعلهم يرتدون قمصانا تحمل صور صدام و يهتفون بحياته, و تقوم وسائل الاعلام بالحديث عن تأييد الشعب الكردي لصدام و سياساته. ورداً على الحجة التي كان يقولها البعض بانه لا علاقة للرياضة بالسياسة كنت اسأل لماذا نحن فقط نذهب اليهم, و لماذا لا يأتي رياضيوهم الينا. و في كلتا الحالتين لم ارد ان اتحمل مسؤولية أي تصرف لا ديموقراطي, او أي خروج على المبادئ السياسية التي انتخبت على اساسها. و مع ذلك انتظرت حوالي الشهرين, و ابديت الاحتجاج, و تكلمت في جلسة علنية للبرلمان وقلت انني لا استطيع ان اكون اعمى او ابكم او اصم. و عندما لم اجد أي تراجع قدمت استقالتي و نشرتها في الصحافة و بقيت فترة في كردستان حتى لا يقال "استقال لكي يعود الى اوروبا", و من ثم عدت الى السويد حيث اقيم الآن.

×ما هو تقييمك للوضع السياسي في كردستان الآن؟

-كما هو معروف فقد توفرت للشعب الكردي فرصة تأريخية مهمة, و لكن الحرب الداخلية ضيعت تلك الفرصة بسبب العقلية السياسية المتخلفة. فعقلية الثأر الموجودة لدى بعض القيادات الكردية هي التي ضربت التجربة. و ندرك انه في أية حرب داخلية لا يوجد طرف نظيف من الخطأ, و لكن هناك فارقاً كبيراً بين الخطأ و الخيانة. اني ارى بأن الوضع الحالي في كردستان سيئ للغاية, و ليس هناك طريق للخلاص الا عن طريق الحوار الداخلي و السلام و الصلح السياسي لكي لا تضيع التجربة نهائيا. علماً انه لا يستطيع أي طرف سياسي ان يقضي على الطرف الآخر نهائيا.

×بادرت "الشرق الاوسط" الى فتح ملف مستقبل القصيدة العربية بعد مرور 50 عاما على الشعر الحر, فما هو رأيكم بهذه المسألة من موقع متابعتكم لحركة الشعر العربي؟

-في اعتقادي ان الشعر لم يعد ديواناً للعرب في الوقت الحاضر, فهنالك ازمة بين الشعر و الناس, و اعتقد ايضاان اللغة الشعرية للشاعر هي المسؤول الاول عن هذه الفجوة. فلماذا الناس يقرءون الروايات بينما الشعر لا جمهور له؟ ان اللغة الشعرية المغلقة البعيدة عن احاسيس الناس, اللغة المفتعلة هي السبب. و يبدو ان الشاعر اخذ يشمخ بانفه على الآخرين بتفلسف, و لذلك لا بد للشعر من ان ينحو نحو البساطة المعمقة. لقد قرأت قصائد كثيرة مؤخرا لم اقع فيها على ايقاع او فكرة او ايحاء, ما يجعلها نسيا منسيا بعد قراءتها مباشرة. و لكي يصبح الشعر اقرب الى الآخرين ينبغي ان تصبح اللغة اقرب الى الآخرين ايضا.

مختارات من قصائد شيركو بيكس القصيرة

اللصوص

على مرأى من السماء
سرقوا الغيم
على مرأى من الغيم
سرقوا الريح
على مرأى من الريح
سرقوا المطر المدرار
و على مرأى من المطر
سرقوا الثرى
و في الثرى
دفنوا العيون التي شهدت اللصوص!

الكتابة

لا تكتب السماء المطر
على الدوام
لا يكتب المطر الانهار
على الدوام
لا يكتب الماء البساتين
على الدوام
لا يكتب البستان الورود
على الدوام.
و لا انا اكتب الشعر..

حيرة

في هذا الجبل
حائرة هي الشجرة,
اتفر؟ ام تبقى متسترة؟
في هذا النهر
حائر هو الماء
ايستحيل رطوبة؟! أم بخاراً؟!
في هذا الدرب
القدم حائرة
أتتراجع؟ أم تستمر؟
في هذا البستان
الطائر حائر
أينكفئ؟ أم يحلق؟
و في هذه اللحظة
حائرة هي كلماتي
أتكمل هذه القصيدة؟

أم تتركها لكم؟!

فلأتركها لكم!!

الأعمى

بعيد الدوي بعد رحيل الطائرة

بحث فم الشاة الصغير عن الحكمة فلم يجدها

بحثت الشاة الصغيرة عن القطيع فلم تجده

آه.. وضيعت طريق العودة الى النبع ايضاً!

احتراق

على سلالم الخوف

كان الظلام ينزلق كلص بهدوء

الى أعماقي

و لما وصل الى السويداء رام شيئا ما

و على حين غرة

أشعلت حبك

فاحترق الخوف و الظلام فيه

الحية

نفخ لهب على ناره

ليطفئها

عندما لمح حية مقرورة

تجيء لتلتف قربه!

ضابط عادي

عندما منحوه كوكبة واحدة

كان قد قتل كوكبا

و عندما صارتا اثنتين

صارت يداه حبال مشانق.

و عندما صارت ثلاث كواكب

ثم تاجاً و ما فوق

استيقظ التأريخ

فوجد البلاد

مملكة أرامل!

قصة رجل

نسج النساج

الى مماته

نسج السجاد و نسج الورود

و لكنه في النهاية

لم يملك لنفسه سجادة

و لم يضع احد

على قبره

وردة...

المصدر:

الشرق الاوسط, العدد (6711), الأحد 1997/4/13.

شيركو بيكەس- صوت الاحتجاج
هائما في فضاء الشعر

محمد ثامر يوسف

في مقدمته المهمة لديوان شيركو بيكس الجميل (نغمة حجرية) يلخص الناقد المعروف ياسين النصير في سطور خطاب بيكس الشعري و رؤيته و ربما حيرته حين يقول (شيركو في بحثه عن العبارة الشعرية الجديدة يسعى لان ينطلق بالشعر خارج لغة الكتابة الى تلك البقع التي تستحم الروح فيها بسرية كونية - الهية قد لا نعرف، حتى لو اجدنا التعامل مع اللغة الشعرية، المدى الخفي الذي تضمره هذه العبارة).

و لهذا تبدو ايضاً لغة شيركو بيكس مفتوحة على الشرط الشعري بعيدا, على الرغم من انشغالات الهم الانساني الغائر فيها و توجعاته مثلما تكون بنفس المعنى احتفاء بالطبيعة/ المكان و بهذه الجغرافية الحية و المتنوعة في التاريخ.

كل هذا لان شيركو كشاعر و انسان يراقب بعين خاصة هذه الاهوال و المصاعب و الالتباسات و كتب عليه ان يشهدها و من ثم لا يجد بعدئذ سبيلا للتغلب عليها الا بالشعر الذي يتحول لديه إلى نشيج هادر من الحزن و لكن بالغ التأثر و الاحتجاج للتعبير عن المأساة و فجائعية الحياة التي تعرض لها الانسان الكردي, و لذا راحت ترقى لديه هذه الاحالات الانسانية في التوظيف الشعري الى ما يشبه المأساة او التراجيديا الشعرية الانسانية المعاصرة, و ربما لهذه الاسباب و لما يتمتع به خطاب بيكس من صدقية عالية و احساس بالهم المحلي في التعبير بشفافية واضحة, احتلت نتاجاته مكانة مهمة في خريطة الشعر المعاصر فترجم شعره إلى لغات مختلفة منها الانكليزية و الفرنسية و الالمانية و السويدية و المجرية و الفارسية و التركية فضلاً عن العربية.

و ميزة شعر شيركو بيكس الاساسية باعتراف كثير من النقاد انه الصوت النقي الفعال القادر على الاحتجاج بالشعر انطلاقا من خصوصية المكان و مأساوية تحولاته و ما وقع فيه, لذ يعتبر بيكس

ايضاً لسان حال الطبيعة الكردستانية في حال تفجرها و تفتحها و تماهيها مع التاريخ, كما شاء ان يصفه مترجم ديوانه الاخير (إناء الوان) و هذه الحقيقة الساطعة هي التي جعلت من شعره مع تأسس ثقافة عميقة لديه اكثر عفوية و تلقائية و اقل اغترابا و مواربة مثلما هو اكثر وفاء و ائتلافا مع خصوصيات الواقع الانساني الحي و الفعال حينما عبر عن هواجسه و احلامه و اختلاجاته الخفية و علاقاته المتجذرة بواقع المكان و الطبيعة و ولائه غير المحدود لها:

دون ان ادرس على يد أي نهر
استطيع ان اكتب بلغة الماء
و لم ادخل مدرسة أي جبل
و لكنني اقرأ الحجار و الاشجار
لم يكن الغيم استاذي و لم ادخل دورة الشتاء
و لكنني احفظ قصائد المطر و الثلج
و الريح الصرصر جميعها[1]

هذا الانحياز لرسوخ الذاكرة في المكان وسم اكثر قصائد بيكس حتى لتبدو المفردة لديه و طريقة اختياره للمعنى الشعري شبيهة تماما بسمات الواقع الجغرافي و خصوصيات الاسماء و الاحداث و الامكنة و صلابتها او قساوتها احيانا و على الرغم من ان مناخاة القصيدة تتشابه عنده احيانا و تتقارب او حتى لتبدو المفردة او الجملة الشعرية سهلة و منقادة و مباشرة او دالة الوضوح, فان تلك الاسباب الفنية لا تستطيع ذات الشاعر مبارحتها او التلخص منها مادامت تحقق رغبته في التعبير عن حجم هذه الاختلاجات و المصائر و اكتنازاتها لديه او في عشقه لاصالة جذوره و انتمائه العميق اليها:

سوف ابقى في النهارات
المشمسة و الصافية
شاخصا حتى زمن بعيد
تمثالا على شارع المستقبل
اتأبط حقيبتي و اوجه بسمتي إلى الجبل[2]

حتى كأنه في مجمل اشعاره يتوق باستمرار لان ينقل تفاصيل هذه الذاكرة الجمعية للكرد و لذلك التراث الغني بالاساطير و الحكايات و الطيبة.

لكن مع هذا كله فان الذي يقرأ شيركو بيكس بإمعان سيجد ان لغته الشعرية انسانية مفتوحة ايضا أي بمعنى انها لغة الشعر الخالص اكثر مما هي لغة كتابة او كلام و بمعنى اخر و حسب قول ياسين النصير في المكان ذاته مرة اخرى (ان شعر شيركو بيكس و سعدي يوسف و گوران و البياتي و السياب و الجواهري و غيرهم مكتوب بلغة الشعر و ليس بلغة النطق, مكتوب بلغة الاصوات و ليس بلغة الحروف و مكتوب بلغة السجايا العامة للشعب و ليس بلغة الاقليمية اللغوية/ الجغرافية الحية و العراق جغرافيا حية بمشكلاته و نضالاته تفرض على لغتها المتعددة و قومياتها المختلفة و اديانها كلها لغة جعلها شاملة لكل النتاج الفكري و الثقافي و تدفع به إلى مجرى واحد يصب في شعب عدة).

الهوامش:

1-نغمة حجرية - ديوان شعر/ دار الاهالي للنشر و التوزيع دمشق .1999

2-اناء الالوان - قصيدة طويلة/ ترجمة و تقديم: شاهو سعيد/ دار الآداب - بيروت 2002.

شيركو بيكس
يعيد بناء قلعة الذكرى

نزيه أبو عفش

منذ سنوات طويلة (ربما اكثر من عشرين سنة) و أنا أثابر على قراءة ما يصلني من اشعار شيركو بيكس: منذ سنوات طويلة و أنا صديق حبره؛ ذلك لان شيركو بيكس, بحرصه على تقديس الجمال, شاعر وفي لأصدقائه, بما في ذلك أولئك المخذولون عاثرو الحظ الذين يتشردون في متاهات القارات, و يكابدون و يحلمون و يأملون.. كل في ظلام منفى.. أو كل في فضاء امل.

بين القارة و القارة, و بين المنفى و المنفى, كان يقوم دائما ذلك الباب السري الذي يختصر الأزمنة و يقارب المسافات: باب الشعر. و دائما كان شيركو بيكس يقف على عتبة ذلك الباب الكريم, باسطا يديه و روحه و قصائده كمضيف قروي ودود, دائما وردته مشكولة في عروة قلبه.. و دائما يدعوك للدخول و يرشدك الى ركن المائدة: مائدة القصيدة, مائدة الجمال, مائدة القلب.

لكن.. احذر. لاتخدعك الشاخصات و شارات الطرق المغروسة في هذا الركن او عند ذلك المنعطف. احذر فالوصول الى محراب شيركو لا يتطلب خرائط و بوصلات و علامات طرق, بل يتطلب – قبل كل شيء – شهوة صداقة و قلبا ذكيا قادرا على تتبع اثار الروائح السرية النبيلة التي نسجت منها قصائده, و نهضت عليها أركان سِفره.. سِفر الروائح.

هكذا ببصيرة القلب, يمكنك "من قريب و بعيد.. ان تتنسم رائحة الالام كلها": هكذا يمكنك ان تبلغ القلب.

"رائحة الدم هي رائحة تاريخي".. يقول شيركو ما أوجعها من رائحة, و ما امَر من تاريخ.. تاريخ الدم.

على انها ليست رائحة تتبدد و تموت. انها رائحة الآلام و الذكريات و الآمال و تفاصيل الحياة المبجلة, رائحة الكائنات الخالدة التي استطاعت – عبر الأزمنة – ان تصوغ تاريخ تعاستها بحبر الأمل.. و ترفع اعمدة اضرحتها بحجارة المكابدة.

"هاقد غدت الرائحة عينا و أذنا. بالرائحة تسمع و ترى".

اذن, اتبع الرائحة لتسمع و ترى. اتبع اشارة القلب. ذلك لأن اشارة القلب لا تضلل و لا تخدع. انها وحدها القادرة – كرياح الشمال – ان "تهب متعرجة, و تعود القهقرى, لتصل الى زقاق اللغة الاولى".. زقاق الحياة.

.. و اذن, اتبع الرائحة دليل التاريخ...

مع ذلك لا يتوقف "سفر" شيركو بيكس عند كونه سفر للروائح فحسب, بل هو سفر ذاكرة خلاقة مشحونة بالشقاء, يتجول شيركو في أنفاقها تجوال كاهن بين انقاض كاتدرائية كونية سبق ان كانت في الماضي معبدا مكرسا لتمجيد الحياة. و لهذا ايضا لا يتوقف شيركو بيكس عند كونه "شاعر ذكرى".. بل هو قبل كل شيء شاعر حياة.. شاعر منذور لتقديس الحياة.

و على عكس غيره من الشعراء الذين – فيماهم يتنصلون من ندوب الذكرى – ينهمكون في مطاردة شبح الجمال بعيدا عن المركز؛ على عكسهم يبدو شيركو بيكس, في محاولته لاعادة بناء قلعة الذكرى, اكثر اخلاصا و تشبثاً بالجذور الاولى, و بالتالي اكثر استغراقا في لم الشتات الحزين لمشهد الحياة المهددة: انه يعيد بناء القلعة.

.. و هكذا, من زقاق الى زقاق, و من اثر رائحة الى اثر اخرى, يستغرق شيركو بيكس في عملية نبشه الذكي لأحافير الماضي. يعاود البحث عن اشلاء الهوية الانسانية التي يتم تدميرها ضمن ما يتم تدميره و اعدامه من اشياء الطفولة و اشياء الارض و اشياء الحياة. انه لا يقدم وصفا.. بل يعيد صياغة روح. و في محاولته الشجاعة لتهجّي لغة الحياة الاولى (البدائية في مظهرها) انما يعيد رفع حيطان و هياكل المعابد الاولى: يعيد رفع صرح الحياة. ففي كل ما كتبه و يكتبه (في كل ما انجزه من آلام مخاضات الحبر) لا يعرف كيف يكون يائسا, بل هو على الدوام يغذي فكرة الامل, و يتعقب وميض شرارته السرية في البقايا المتبقية من ميراث الانسان و اثار عبوره الدراماتيكي على ارض الله.

ابدا, انه ليس شاعراً متفرغا لمضغ الذكريات و اجترارها: انه يعيد انتاج الأمل.

بلى, يعيد انتاج الامل, مدركا انه – امام كل هذا الخراب الكوني, و امام كل هذه الخيبات و الكوارث و الأهوال – ينتصر الشعر: روح الانسان تنتصر.

انه – اذ يلاحق اطياف الذكرى – يبحث عن النبع, ذلك النبع الكريم من الجمال و اللطافة و حب الحياة, الذي لا يبدو ان شيئا يمكن ان يهدده غير اولئك السفاحين معاقي القلوب.. الذين يلاحقون الحياة في اكواخها الصغيرة المؤثثة بالحب و الرضى و شهوة العدالة, و يتعقبون عشاق الحياة

الأوفياء في القصائد و الأحلام و ظلمات المنافي: اعداء القصيدة.. أعداء الحياة.

مع ذلك, بين هاجس الجمال و هاجس الفكرة, و في دورانه الحثيث و الحار حول جدران معبده القديم (معبد ذكرياته) يظل شيركو بيكس قادرا على الامساك بالخيوط الاكثر دقة و رهافة لعمله الفني, بحيث لا يسقط في الانشاء و النثرية و عادية الوصف.

الحياة – برموزها و تأثيراتها و تلاوينها – ذلك هو ما صنع شيركو بيكس: ذلك هو ما صنع شعره. انه لا يصف الحياة.. بل يدعها هي تعبّر عن نفسها و تفصح عن اسرارها. انه –والحياة- شريكان في صناعة القصيدة.

ان "سفر الروائح" ليس مجرد قصائد, بل هو – في جملته - مجموعة صلوات تعبدية تمجد الحياة.. أو تشفق عليها.. او ترفع الاناشيد في رثائها. و هي, اضافة الى ذلك كله, ليست –كما توحي للوهلة الاولى- مجرد استذكار حنيني, بل هي صوت ضمير واثق و خلاق: هي صوت الأمل.

مقاطع من قصيدة (سفر الروائح)

يقول المنفى:
أنت عشق مهاجر.
إنك هنا, لكنّ روحك.. قد تركتها للزمهرير.
أعذارك و زبد المياه سواء.
لا البحر يصدقك و لا اليابسة.
انك قد هربت. أنت زهرة خائفة
لذت بالفرار, و تركت مهد بساتينك و سفوحك.
هربت؛ أنت مزمار أناني
لم تعشق سوى ألحانك
هربت؛ و تركت آهات الـ"الله ويسي".
هربت؛ و لم تنقذ سوى دفترك,
لم تنقذ سوى قلمك,
و لكن جسد لغتك,
ورأس وطنك
كانا خرقة و فزّاعة تركتها للجحيم, و هربت.
فان هبت العواصف لا تحتاج إلى جبل,
و ان حدثت الزوابع لا تحتاج إلى بستان.
لا تعجبك الحكاية الجائعة
و لا نظراتك و هي مضببة
و لا قصائدك و هي مريضة,
بل حتى أملك لا تريدها و هي قابعة في الظلام.
أعذارك وزبد المياه سواء,
لا البحر يصدقك و لا اليابسة.

يقول المنفى؛
تقول حكاية التيه:
وقعت في نفق طويل,
و أنت أسى طويل.
انطمست في الظلام المثقوب تحت الأرض
أنت تحت الأعماق شغف ندي
قد غطاك مع الرطوبة صدأ جديد
-تفوح منك رائحة
سكك الحديد المدهونة-

في عربة القطار
تغدو صحيفةً نائمة على كرسي خالٍ؛
تغدو فردة قفاز منسية
أو دعاية مرمية.
-تفوح منك رائحة النسيان-
أنت دخان أسود الرأس, تتحرك
جيئة و ذهاباً تحت الأرض
و داخل عربة الميترو.
تشبه حقيبة وحيدة مفتوحة و مبعثرة
لا صاحب لها,
مع كل هزة
تتدحرج إحدى ذكرياتك
و تنفرط إحدى أمانيك.
-تفوح منك رائحة الضياع-
إنك لغة الشمس المشردة
تذهب كل يوم عبر أعماق الأرض
إلى حروف و كلمات لغة أخرى باردة الدم..
كي تتعلمها.
كلمة متبرمة و جملة خاملة.
أنت في محطة "رودماس گاتان".
تنزل – وفجأة تأتيك من ثقب النفق
إصبع نسيم بارد,
تزيل عنك ملفعتك,
و تلمس اليد المتخدرة شحمة أذنك فتنتفض.
تواجهك: إعلانات ضوئية عريضة و ضخمة,
تنظر إليها.. ترتبك نظراتك,
و تتفتت رؤاك.
ترى صور الدعاية تتوالى
لأجمل حمالة صدر, و أجمل سروال صيني,
لأغذية الكلاب المعلبة, و لأحدث اثاث
و أجود أنواع أحمر الشفاه
للفواكه و الكمبيوترات
و أصباغ الشعر؛
للنبيذ و البيرة,
و الرحلات إلى جزر جنوب شرقي آسيا؛
و لمرشحي البرلمان
تقف عند إحداها, أحدث موضات
قص الشعر هنا
-قَصّة القرن-
عندها تضحك,
و تتذكر رؤوس أطفال "گرميان" الحليقة
على نحوها.
هنا تتضمخ بعبير النساء و عطر ملابسهن
و رائحة الفواكه, و البيرة و الجزيرة,
و التمدن.
يأخذك السلّم الهارب إلى أعلى المنحدر,
تعرج على اليمين وتقف أمام الجدار الرخامي
-نهاراً سعيداً سترندبيرغ.. نهاراً سعيداً.
تراه كل صباح عند الساعة الثامنة و الربع,
سترندبيرغ واقف في المكان نفسه,
على رأسه قبَعة سوداء
تحت حافتها جذوتا نظر حادتان متوقدتان.
و في الأسفل قليلاً

يستدق شاربان مفتولان عند الجانبين.

و حوله زوجاته و رسائل حبه,

و صفحات من مسرحياته بخط يده.

كل يوم حين تلتقي سترندبيرغ في ذلك المكان

تشم رائحة القرن التاسع عشر

و رائحة مسرح "الغرفة الحمراء"

و رائحة شعر كلماته, و المحبرة و اليراع و الفن,

رائحة قديفة الستائر السميكة و رائحة الحب..

تستنشق هواء المسرح. تتحدث

و لا يفقهك سترندبيرغ. وقتئذ

تغمض عينيك و تعود الى "نالي":

لا القلنسوة و لا الوجه,

لا الشارب و لا القلم, لا صورة لـ"حبيبة"

و لابيتان باقيان من الشعر

لا تأريخ يوم الميلاد و لايوم الهجرة و الموت,

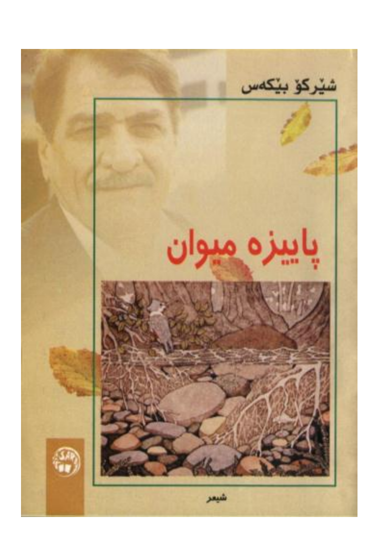
لا شاهدة و لاقبر؛كلها مفقودة.. مفقودة

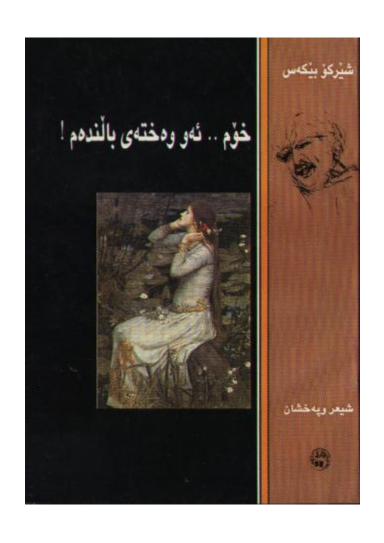
كآهات "شهرزور".

مفقودة, مفقودة, كالوطن.

آنئذ تنفح منك رائحة اليأس الحادة

و رائحة المأتم و الذل.





*شيركو بيكس, سفر الروائح, قصيدة طويلة, ترجمة: آزاد برزنجي, ط - السليمانية- 2000. مع مقدمة بقلم: نزيه ابو عفش

قصيدة الفراق للشاعر شيركو بيكه‌س تلج مناهج الدراسة الثانوية في اميركا

ترجمة: آزاد حسن فتاح

الكرد احد الشعوب الذين يعيشون في منطقة الشرق الاوسط، حيث يتزايد عددهم اكثر من عشرين مليونا متشتتين، في كل من العراق وايران وتركيا وسوريا منذ اكثر من 400 سنة.

رغم انهم حكموا من قبل عدة فئات وسلطات خلال 2500 سنة مضت، الا انهم لم يقفوا من القتال والذود من اجل نيل الحرية والحق في تشكيل دولة لهم.

ففي الآونة الاخيرة خاضوا ولايزال يخوضون قتالا من اجل تحرير انفسهم من حكم النظام العراقي (صدام حسين) واحد هؤلاء الكرد المناضلين من اجل الحرية هو الشاعر الكبير (شيركو بيكه‌س)، حيث ولد في العراق عام 1940.

من خلال قراءتك لقصيدته الاتية التي ترجمت مؤخرا من قبل السيد حسين سنجاري، هل تتخيل بان شيركو ما يؤمن به هو جزء اساسي وضروري للحياة؟ وبرأيك لماذا سميت بالفراق؟

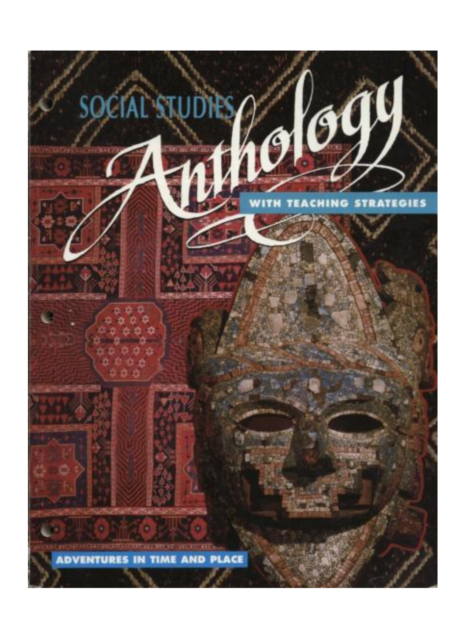
اذا طرحت من قصائدي
الوردة
فيموت احد فصولي الاربعة
واذا طرد منها الحب
فسينقضي اثنان
واذا جرد منها رغيف
فسينقضي ثلاثة
واذا اخليتها من الحرية
فسأموت والاربعة معي

منذ سنة 1965 كان الشاعر شيركو بيكه‌س يعمل في الحركة التحررية الكردية ويتحمل عبء الاضطهاد والجور والاغتراب والنفي عن وطن الام، كمحاولة منه لجلب انتباه الاخرين حيال القضية الكردية.

الآن هو يعيش في السويد، ولا يزال ينظم القصائد ويعمل جاهدا من اجل تحقيق الحرية للشعب الكردي.

ملاحظة: هذه السطور المترجمة كتبت ايام حكم النظام الدكتاتوري المخلوع (صدام حسين) حينما كان رئيساً للعراق سنة 1988، وقد آثرنا ان ننشرها كما هي.

"سردم العربي"



قصة

احماض الخوف

جليل القيسي

الى القاص المبدع رؤوف بيگەرد.

قبل ان يهبط الظلام بدقائق, انتابتها حالة من الغم الشديد, و كآبة لزجة حلت محل ذاك الفرح الدبق المتأجج الذي ظل يهز جسدها منذ الظهيرة عندما سمعت صوته الرفيق في الهاتف, و هو يقول: سأكون عندك ليلاً. ذهبت على رؤوس اصابعها و ازاحت الستارة قليلاً من النافذة التي تطل على تقاطع ثلاثة شوارع.. القت نظرة هادئة حزينة الى السماء, و ارتعشت بحزن عندما رأت الشيء نفسه منذ الظهيرة: دوامات من الغبار, و المطرالذي راح يتساقط برفق تارة, ثم بقوة كما لو أن يدأ خرافية فتحت ملايين الحنفيات في السماء.. عوت الرياح, و امتزج الغبار بالمطر, و فاضت الشوارع بماء غريني.. قالت بصوت خافت و حزين: لا لا.. لن يستطيع المجئ. آه.. بعد غياب شهر يختار يوماً رهيباً مثل هذا اليوم ليزورني.! و يصالحني! حتماً بعد قليل ستتعطل خطوط الهاتف و احرم حتى من سماع صوته الجميل الذي يملأ سمعي و قلبي, و روحي.. انني سأبقى وحيدة طوال الليل مثل بقية الليالي الكئيبة الميتة.. كانت ومضات البرق تمزق احشاء السماء بين حين و آخر و تكشف البنايات و هي مبللة و مستسلمة لظلام المساء و لشآبيب المطر, و صفعات الريح, و تموجات الغبار.. فجأة اصبحت المدينة في قبضة الظلام.. راقبت عدداً من المارّة, و ضحكت لا ارادياً رغم حزنها من منظرهم و هم يسرعون في المشي على طريقة المثلين في الأفلام البوليسيةو يركضون في محاولة عابثة لتفادي زخات المطر القوية.. تركت الستارة, ظلت واقفة في مكانها تستمع الى الطرقات السريعة للمطر و كأنها مسامير تنفذ في أذنها.. شعرت بحمى حارة, لزجة, و ألم راح يلامس قلبها و يهصره مثل يد قاسية. مطر قوي و عنيد, و ومضات سريعة من البرق, و رياح عاصفة مجنونة. هذه العناصر الغاضبة غيرت احلامها اللذيذة التي منذ الظهيرة و هي تتفتح مثل براعم ربيعية في كل بوصة من جسدها.. يا الهي, هذه الطبيعة الرائعة لماذا, و كيف جنت فجأة في المساء حولت كل شيء في داخلها الى حزن و خوف شديدين..

قالت بصوت دامع: حتماً لن يجئ.. من يستطيع أن يغادر بيته في هذا المساء الهستيري...! فتحت ضوء الغرفة. رأت ظلها ينوس على الجدار. اشعرها ظلها الطويل بالوحدة و الحزن.. فكرت أن تهتف له, غير أنها بكبرياء انثى مجروحة المشاعر تصورت أن مبادرتها هذه تعتبر ضرباً من الأستسلام, ربما يستغلها و يمارس كعادته مزيداً من السادية, و البرود الأنكليزي معها.. قالت: الهي, لماذا أحبه بجنون و أنا لا أفهمه.. كيف أفهم اعماق هذا الأديب الغامضة.. هناك دائماً فيضان من الأفكار في رأسه, و روحه.. لكنني احبه. مدت يدها الى الهاتف, غير أنها سحبتها بسرعة كما لو مدتها لتمسك أفعى. تنهدت بعمق و ذرعت الغرفة, ثم جلست على اقرب كرسي و راحت تصغي الى همهمة المطر الرخيمة تارة, و القوية تارة أخرى. قالت مع نفسها: انه الأن حتماً في البيت.. ترى هل لديه في هذه اللحظات مشاعري نفسها! أشك.. أنه مثل أي كاتب حقيقي في هكذا جو يهرب الى عوالم غريبة من الخيال, و الأحلام, و اللا واقع. نهضت, و ذهبت لا ارادياً الى النافذة, و رنت طويلاً الى شآبيب المطر, و البنايات. بعد قليل بحركات ميكانيكية ذهبت الى النافذة الآخرى التي تطل على الحديقة. أضاءت مصباح -الفلورنس- و ازاحت الستارة برفق. كانت اوراق اشجار الزيتون الداكنة الخضرة تتوهج بقطرات المطر. كانت السماء مغطاة بسحابة غبشاء تنذر بالمزيد من المطر القوي و المتواصل. لا لا.. أكيد لن يستطيع المجئ.. ليته يتصل بيَ.. حل ظلام حبري. شعرت بأكتئاب ثائر هادر و بكت بحرارة و هي تقول بصوت راعش: انني خائفة.. بكت اكثر لتخفف من لهيب توترها, و قالت: اين عساي أن اهرب من الهروب الى هروب آخر. لم يقبل الحب بكل هذا الذل! القت نظرة آخرى الى الحديقة و راحت تكلم نفسها من خلال دموعها: إنه في هكذا جو يهرب مثل كل كاتب مبدع الى عوالم من الخيال, و الأحلام, و اللا واقع.. و أنا في هذا الأنتظار كأنثى رمالي المتحركة في عاطفيتي الشديدة, في عمق حبي له, في عناقه لي, في قبلاته, في لغته التي عبرها يمنحني حياة لها مذاق الحياة فعلاً. يا الهي, لماذا نحن النساء جوهر حياتنا هو الحب! الحب الذي يحفر بالأسيد في لحمنا.. لماذا بمجرد أن أسمع صوته أغفر له هجرانه, لا مبالاته, عناده, صمته, ابرر كل هفواته المتعمدة, و أقول: لا بأس.. في قلب كل كاتب كبير تجتمع كل عيوب البشرية و محاسنها, كل عظمة الأنسان و بؤسه. ... . ذهبت هذه المرة الى النافذة التي تطل على الحديقة, و رأت هراً يغازل قطة. مواء هستيري لإستثارة الجسد للشهوة.. ترى ماذا يقول الهر بذاك المواء المتموج للقطة؟ القطة تجيبها بمواء أقوى فيها لذة لفظية, و ابتهاج متدفق. ثمة هلع بين الطرفين يغمر جسديهما.. اطفأت الضوء و تركت الستارة تسقط, و ذهبت بعصبية الى النافذة التي تطل على تقاطع الشارع الثلاث.. رعد قوي, و برق اطفأت مصابيح الشوارع. وجدت نفسها في ظلام فحمي.. أشعلت بسرعة فانوساً صغيراً.. انطلقت ومضات برق متتالية و كشفت البنايات المبللة, و الشوارع الغارقة بالمياه. رأت شبح رجل طويل, و أخر أقصر في وضع عراك.. ابتعدت عن النافذة. وقفت أمام مرآة كبيرة. تأملت وجهها. قالت مع نفسها: لماذا؟ أهذا هو وجهي

الحقيقي؟ إنني اشبه قروية. لكم أبدو قبيحة. أن ضوء الفانوس يضفي منظراً حزيناً على كل شيء. تصنعت هيئة إستعلاء امام المرآة, و تحركت بأبهة, شادة قامتها.. إلهي, كم يغير الضوء من شكل الانسان.. تنقلت بعصبية في الغرف. ذهبت لا ارادياً الى النافذة التي تطل على الشارع. الرجلان يضربان بعضهما بعنف و وحشية. اضيئت مصابيح الشوارع. أحدهما شاب و الآخر نحيل طويل أشيب الشعر... سمعت المواء الموجع للقطة. الرجلان يكيلان اللكمات العنيفة لبعضهما. آهات.. صرخات.. إبتعدت عن النافذة.. قالت: من يدري.. العشاق يغامرون.. واثقة انه سيأتي.. ستحركه اللحظة النابضة للحب.. إنفجارات الأحلام. يا الهي, أن هذا الأنسان أخذني الى حياة فيها أضواء كثيرة, و خسوفات كثيرة أيضاً. مرة آخرى بآلية ذهبت الى النافذة التي تطل على الشارع. الرجلان مازالا في قتال وحشي. أخرج الرجل النحيف مدية. لمع نصل المدية تحت مصباح الشارع. هجم بإندفاع نحو الشاب.. الشاب بباطن يديه يحاول لأبعاد الحركات اللولبية للمدية المتهورة.. المدية ترتفع و تهبط ثم مثل بندول سريع الحركة تتأرجح. الشاب يتراجع صارخاً في الريح. المدية تدمي باطن الشاب, ثم وجهه.. عبثاً يصرخ, و يستنجد في الشوارع الخالية الا من الريح و المطر. تتزحلق قدمه اليمنى ثم اليسرى. يسقط في بركة ماء. الرجل النحيف يغرس مديته في صدر الشاب.. قالت في نفسها و هي تشاهد تلك المعركة غير المتكافئة ألبته: لماذا؟.. هل كان الرجل لحظة غرس المدية في صدر الشاب في رحم الجنون؟ في لحظة من الزمن المعطل؟ أو تحت تأثير صعقة مس من عقلي غريب؟؟ أو في تخاليف الجنون.! و الشاب, يا الهي, كيف تلقى لحظات الصلب الأليمة؟؟ و راحت الأفكار تحيط برأسها كالجراد... من جديد تتابع الرجل النحيف و هو يقوم بحركات طائشة.. يدور حول نفسه, و يرسل نظرات نارية بجميع الأتجاهات.. تطلق صرخة مكتومة و هي تراقب الحركات الأخيرة للشاب و هو يموت. ... رباه أفي مثل هذا الزمهرير, و العاصفة يقتل انساناً شاباً.. أرسل الرجل الطويل نظرة طويلة بإتجاه النافذة, و لوح بيده... سقطت زخات مطر قوية. رعد قوي مزلزل. انطفأت الأضواء مرة أخرى. قالت بصوت مخنوق: لقد مات الشاب.. لماذا قتله؟ منظره و هو ممدد في البركة ذكرتها بأفلام الحرب. قالت: سيبقى ممدداً تحت المطر حتى الصباح.

تركت الستارة. ذهبت الى غرفة نومها.. سمعت مواءً موجعاً و طويلاً للقطة. شعرت لا ارادياً بتوهج غريب في جسدها و رعدة في راسها.. قالت بإضطراب: يجب أن أهتف له. يجب. اريده بأي ثمن.. أريد أن أسمع صوته.. أنا خائفة.. خائفة. أريده أن يجئ و الا سأفقد عقلي من الخوف.. رفعت سماعة الهاتف: العاصفة عطلت خطوط الهاتف. مرة آخرى و بنفس حركاتها الالية ذهبت الى النافذة. كانت أضواء الشوارع كامدة بلون البرتقال الذابل.. كانت الجثة ممددة في البركة تحت المطر, و بقية نصل المدية تلمع فوق الصدر الخامد.. عاد الرجل و أرسل نظرات هستيرية الى الجثة. كانت الريح تعبث بدشداشته و تنفخها مثل بالونة كاشفة عن ساقين نحيلتين. أنحنى و سحب المدية من صدر الشاب. غسل المدية في بركة الماء, و وضعها في

جيب دشداشته. ألقى نظرات طويلة بجميع الأتجاهات. رأت هي ملامح سريالية لوجه إنسان مضطرب تحت الضوء البرتقالي الذابل.. قالت من خلال آهة حارة: قاتل.. كيف ينهي إنسان حياة إنسان أخر.. هرب الرجل النحيف بعد أن القى نظرة بإتجاه النافذة, و اختفى في زقاق مظلم.

بعد حوالي الساعة وسط إشتداد سقوط المطر, و دوي الرعد, و تشظي الومضات المتتالية للبرق, و عواء الريح, فجأة رن جرس الباب الخارجي رنيناً طويلاً: قالت و هي تتنهد بعمق: هو.. هو.. الهي, آه.. آه.. مجرد أن يلامس صوته طبلة أذني يجعلني أن اختلج بنشوة, برعدة مثل تيار لذيذ.. آه.. أعرف ان العشاق يغامرون. أنه من النوع الذي يبحث عن السعادة المستحيلة, و يؤكد لي هذا ما قيمة السعادة العادية.. سعادة القطيع.. يا الهي, كم كنت أمور بالرغبة و الشهوة تترجرج في داخلي, أنظر الى هذا الليل المشدود خارج البيت أرهف سمعي لعلني اسمع خطواته.. آه.. اصغر نأمة يملأني بنشوة مرتعشة, جامحة, و أحياناً هستيرية. كنت أعرف انه سيأتي حتى لو أمطرت السماء حجراً.. رنّ جرس الباب مرة أخرى. صاحت: حالاً يا حبيبي.. حالاً.. كانت متشظية الذهن, مضطربة, سعيدة الى درجة الذهول, مضببة البصر و تردد بصوت فرح و سعيد: لحظة يا عزيزي. فتحت الباب بسرعة, و هي تقول: إذهب الى غرفتي بسرعة, فيها دفء جيد.. لقد هيأت لك كل شيء.. دخل و دفع الباب خلفه بقوة.. عندما رأته في الغرفة اطلقت صرخة مخنوقة و قالت: لا لا... من انت؟؟ ماذا تريد؟ مسكها بقوة من رسغها و أخذها بأمتداد الغرفة.. كانت تتبعه بخوف و ذل الشاة أمام الذئب.. ترك رسغها. ركضت الى زاوية بعيدة, و وقفت ترتجف مثل عصفور مبلل, و تردد بصوت مخنوق: أرجوك.. أرجوك.. ماذا تريد! من انت؟ كانت أمام رجل في حوالي الخامسة و الخمسين, تغطي وجهه لحية بيضاء كالحشائش الجفة واقفاً مثل ابله حقيقي مبلل بالمطر و الطين.. نظرت الى دشداشة المهلهلة, و الى وجهه المخروطي, و أنفه المحمر و فتحتيه المسدودتين بالمخاط, و الى شريط من المخاط المتيبس فوق شاربه الأبيض الكث.. قالت مع نفسها بخوف شديد: من هو؟ .. ما هذا الشكل البائس! إنه يشبه مجنوناً حقيقياً.. كيف و لماذا إختار بيتي؟ ربما بسبب البرد الشديد و المطر, ربما انه جائع. سألته بصوت راعش: ماذا تريد؟ ... تكلم.. ماذا تريد؟ كان واقفاً مثل التمثال و قد تدلي خيط من المخاط من انفه, مثل طفل صغير. شن المخاط, و أرسل نظرات نارية اليها جعلتها تشعر باحساس ممض من الخوف الشديد, و الاضطراب, و الوحشة. قالت مع نفسها: حاولي السيطرة على نفسك.. لا تضطربي.. من يدري, ربما انه إنسان طيب كريم السجايا, اضطر بسبب العاصفة, و الجوع أن يدخل البيت.. رغم ترديدها هذه الكلمات, تمنت لو تهرب من الغرفة, و تنطلق في العاصفة عبر الشوارع الخالية مثل شريدة عاضة على نواجذها, تجري, تجري بصمت غير راحمة نفسها, أو غافرة لها, لأنها تخلصت من معتوه. كما وتمنت لو انها في نوم, و إن كل هذا مجرد كابوس يزول سرعان ما تفيق.. ارسلت نظرة اخرى الى الرجل, و قالت بتضرع حار: خذ

أي شئ تريد... تحرك... أمام صمته الأخرس, و شكله القبيح, عاد الغم اللزج و الخوف الناري المتأجج أكثر قوة, بل بعد كل لحظة بلغ أقصى مداهما و غاصاً في أعماقها كجرحين رشا بالملح. من يسمعها لو صرخت؟ من يستطيع و لو بكلمة أمل واحدة أن يخفف هذا الرعب الكابوسي الذي راح ينهشها.. قالت مع نفسها: جاهدي أن تتماسكي, ربما يقتنع بأخذ بعض الأشياء و ينصرف بسلام. قالت أخيراً بصوت جاف أمر: ماذا تريد؟ لماذا لا تتكلم... إستفاض وجهه الملتحي تلهباً و احمر اراً, و صرخ قائلاً: أنتِ أنتِ. قالت و هي تحاول الحفاظ على صفاء ذهنها: أنا.. أنا ماذا أيها الرجل الطيب! أنا ماذا؟ تكلم.. حاولت أن تستهدأه, فإذا به فجأة مثل بركان ينفجر قائلاً: أنتِ.. ماذا كنتِ تريدين؟

-أريد.. أريد ماذا؟ .. ممن أريد؟

صرخ بقوة: نعم أنتِ... أنتِ.

صرخت هي الأخرى. أرادت أن تتكلم غير أن الكلمات فجأة إحتبست بين شفتيها, و بكت بحرقة صافعة و جهها بقوة و مرددة: أنا ماذا؟.. أنا لا أعرفك إطلاقاً.. لم أرك في حياتي. ماذا عساي أريد من رجل عجوز مثلك؟.. تستطيع أن تأخذ كل ما تريده.. أتركني وحدي.. أرجوك.. قال مرة أخرى بصوت مضطرب: أنتِ.. أنتِ.

-يا إلهي, أنا ماذا؟ دخلت بيتي عنوة, و تكرر: أنتِ.. أنتِ... أنا ماذا؟ تكلم.. أكمل.. هل أنت أخرس؟؟

لاحظت من خلال عينيه الصغيرتين ان كلماتها الأخيرة دفعته الى حالة نفسية جامحة, و تشوه منظر وجهه و أصبح فمه جافاً. قالت مع نفسها: لا.. لا تستفزيه.. بل غالي في ازجاء المداهنة. تريثي... بهدوء.. برفق. قالت بصوت خافت متضرع: لماذا لا تتكلم... هل تسمح لي أن أغادر البيت و تتصرف كما تشاء؟ أ أنت مريض؟ جائع؟.. مجنون!.. شاط وجهه إحمرارا عندما سمع كلمة مجنون, و تقدم خطوة الى الأمام. تراجعت هي خطوات الى الوراء.. قالت بحماسة متقدة: قف مكانك.. إذا كنت تتصور إنني خائفة منك أقول لك لا.. مدت يدها برفق و مسكت بعنق مزهرية كبيرة مصنوعة من الزجاج.. تواشبت نيران مزاج الرجل السوداوي و هو ينظر الى عيني المرأة الوامضتين و الى المزهرية, و الى أصابعها الفاتنة الملتفة بقوة حول عنق المزهرية. تقدم عدة خطوات بإتجاهها. قالت بغضب و بصوت مثل الصفير: أفي هذا العمر تتصرف مثل الوحش!.. ألا تشعر بالخزي و الكمد. جلس فوق كرسي بجانب منضدة, ثم فجأة قال صائحاً مثل الديك: أنتِ الوحيدة التي.. صاحت هي الأخرى: أنا الوحيدة ماذا؟؟؟

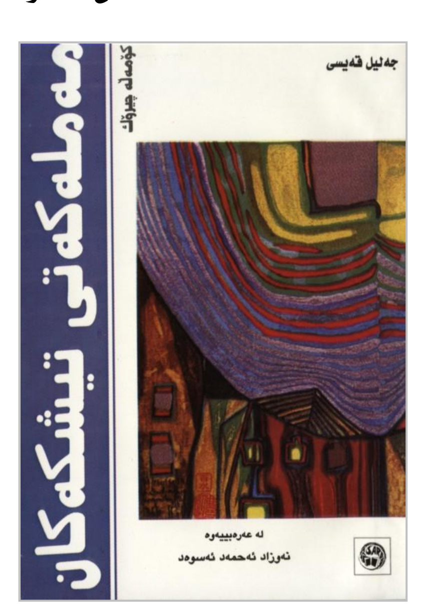
- أنتِ

- أنت متوهم... أنت مضطرب, غير متوازن.. أنا لا أعرفك أبداً.

- لا.. أنتِ الوحيدة التي رأتني و أنا اقتل ذاك الشاب. كنتِ خلف النافذة طوال الوقت تراقبينني.. أطلقت من شدة هلعها و توترها صرخة إستغاثة قوية.. أما هو فبسادية قاتل عديم الشفقة شعر بتألق وحشي جذلان, و إشتمله إحساس القتلة المحترفين, و هو يقول: نعم أنت الوحيدة.. الشاهدة الوحيدة.. الوحيدة.. هجم عليها بغتة و بحركة سريعة غرس المدية في بطنها عدة مرات, و هو يردد بصوت مثل فحيح الأفعى: القاتل لا يرغب أبداً في أن تتقلب أفكاره ليل نهار عكساً و طرداً بخصوص قضية حساسة بين هذا الشاهد و ذاك. دفع جسد المرأة بقوة. هوت على الأرض, و غادر الغرفة باتجاه الباب الخارجي. سحب الباب بقوة. خيم صمت قبري لدقائق.. شقه فجأة مواء حارق و متتالي للقطة, أعقبه مواء أكثر عنفاً و عناداً للهر. صمت. رنين متتالي للجرس الخارجي, و صوت رجالي يردد: هيفاء.. هيفاء.. إفتحي الباب.. رنين متتالي.. صمت. هيفاء.. صوت رعد قوي, و زخات مطر قوية. و صوت الرجل يردد: هيفاء... هيفاء.

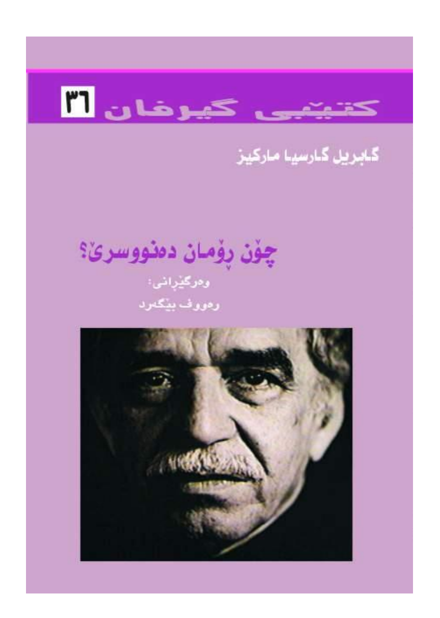
مواءٌ حاد صفيري للهر يختلط بمواء القطة

من اصدارات دار سردم للطباعة والنشر



مملكة الأضواء– جليل القيسي

ترجمة: نوزاد احمد اسود



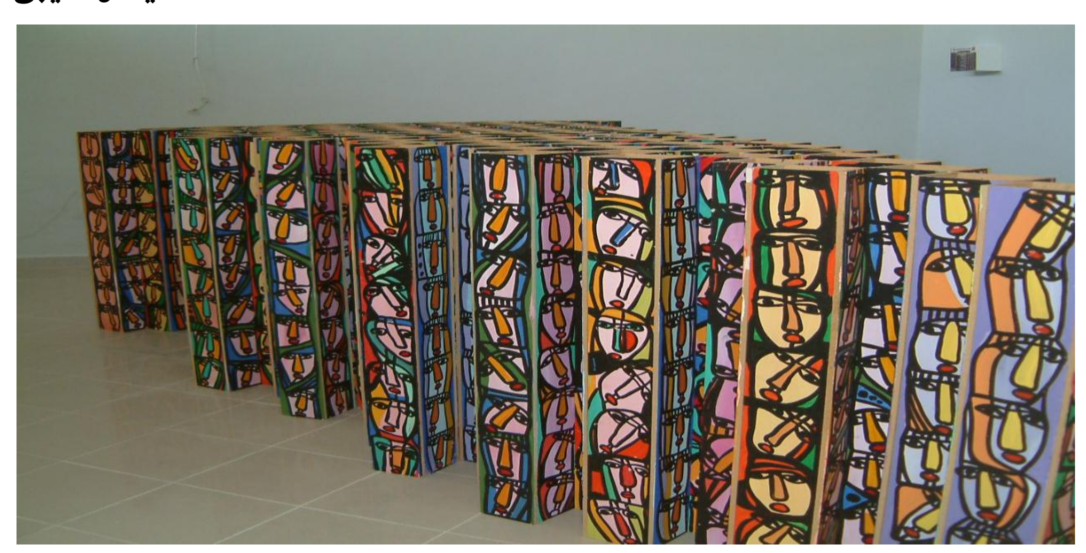
كيف تُكتب الرواية – غابريل غارسيا ماركيز

ترجمة: رؤوف بيكەرد

محطات ثقافية

الفنان ريبوار سعيد و غورنيكا الكرد

فيصل لعيبى



قليلون هم الفنانون الذين يستلهمون رموز و اشارات بيئتهم و يستخدمونها في اعمالهم الفنية. و نادراً ما تنجح محاولات هؤلاء في التعبير عن شخصية شعوبهم الثقافية و الحضارية.. و العملية لاتزال في طور التكوين و التبلور كحركة عامة مقابل تيار الفن الغربي.

ان مسألة التراث و المعاصرة, او الفن المحلي و الفن الكوزموبوليتي, تشغل بال نقاد الفن و مفكريه إضافة الى علماء الجمال و الانتروبولوجيا ايضاً. كما ان الاكثرية الساحقة من فناني العالم يسخرون من هذه الاطروحات و يعتبرونها محاولات فاشلة ليس لها مستقبل

أكيد, و هم يبررون ذلك بالثورة العلمية و انتشار افكار العولمة و القرية الكونية و عالمية الفن و تشابه المشاكل التي تواجه الانسان... انهم باختصار ينفون امكانية بناء أو إعادة بناء ثقافة محلية في عصرنا الحالي و يعتبرون ذلك من مخلفات العصور الماضية. لكننا نشاهد و نسمع العديد من الاصوات الداعية الى الحفاظ على الشخصية الثقافية لهذا الشعب او ذاك, لها حججها و براهينها القوية.. و لا يزال الصراع محتدماً بين الطرفين في هذا المجال و سوف يستمر بين طموحات الشعوب نحو التحرر و بين القوى المهيمنة عالمياً.

شخصياً أميل الى دعاة الثقافة المحلية و الحفاظ على الشخصية الوطنية في الثقافة. و من هذا المنطلق احس أن من واجبي تعريف و تقديم الفنان الكردي (ريبوار سعيد) لغرض القاء بعض الضوء على تجربته الفنية التي تلتقي مع تجارب بعض الفنانين الكرد في العراق في التعبير عن الهوية الثقافية لمجتمعهم.

يحاول الفنان ريبوار والى جانبه الفنان فؤاد علي (يعيش في ايطاليا حالياً) اضافة الى آخرين أن يعكسوا الطابع الكردستاني.. و هم بهذا يشكلون ريادة يجب الاعتراف بها.. و اذا كان الفنان عزيز سليم (جيل الرواد) قد عبر بطريقته الخاصة عن فهمه لهذا التيار فان فؤاد علي و ريبوار سعيد و آخرين قد تقدموا الى هذا الهدف بخطوات بعيدة تقربهم من امكانية تحقيق هذا الشرط الهام في كل فن و ثقافة على هذه الأرض (أي المحلية).

ان هذا التيار يواجه كماً هائلاً من الانتاج الفني الذي يستلهم الفن العربي بالذات و هو كم مؤثر و يلعب دوراً تضليلياً في وعي العديد من الفنانين المهمين و الذين يملكون طاقات حقيقية و معتبرة.. لكنهم مع الأسف الشديد منشدون الى ما تنتجه الذات الغريبة أكثر من انشدادهم لما يحدث في داخل الشخصية الكردية بالذات.. و ثم في احسن الاحوال لن يفعلوا أكثر مما فعل اولئك المترجمون الذين ترجموا لنا الأدب الاجنبي و عرفونا بدواخل الشخصية الأخرى.. و اذا كان الانبهار بنتاجات الفن الغربي له ما يبرره فانه في النهاية استشراف الطاقات لا مبرر له عموماً.

لا يستطيع المشاهد لاعمال ريبوار ان يتجاهل عالمه الخاص.. ذلك العالم القادم من تلك المناطق الملتهبة و المتألقة, الغنية بالحياة و العامرة بالالوان, و لايمكن أن تنتسب هذه الاعمال الى رسام أمريكي أو صيني.. انها خارجة من تلك الجبال و الوديان و رائحة النرجس و البنفسج و الياسمين. من ملابس النساء الجميلة و من جمال الطبيعة الأخاذ.. و هي تعبير عن طيبة هذا الشعب و بساطته و عن شجاعته و صموده ايضاً..

احمر صاف, بنفسجي, أصفر, أخضر, اسود فاحم, ازرق بلون الزاب, الوان متدفقة مثل شلال گلى علي بيك.. منفصلة و متحدة متباعدة و متقاربة, الوان شعبية تراها في المقاهي و المحلات العامة و داخل البيوت على فراش العروس وفوق محمل الحاجات المنزلية و على الزرابي و البسط وقطع النسيج.

ان ريبوار يكشف لنا عن بساطة الجمال و عمقه.. انه يقترح علينا التجوال داخل اسواق كردستان المليئة ببضائع الشرق الساحر.. الشرق المظلوم ايضاً.

5000 ضحية, هو عنوان معرضه الذي أقيم في (بتشابغر مانر كاليري) في ايلنغ برودواي في لندن, من 1/15 – 1998/2/15. – 5000 طائر – 5000 روح – 5000 انسان افناهم طاغية بغداد, "ضحاك" هذا الزمان القذر. 5000 طيف يلتفون حولك, يمسكون بك كي لا تنسى الجريمة, حلبجة, غورنيكا الكرد.

ان جماليات ريبوار تختلط بقبح الواقع المرير للشعب الكردي.. انه يعرض علينا روح الكردي و طموحه مع خسائره و نكباته.. لقد دمر النظام حلبجة و ناسها و نثر عالمها في الفضاء وجاء ريبوار يجمعه, و يقدمه لنا في هذا المعرض الهام.

ريبوار فنان شعبي ملتصق بتربته, لقد قدم لنا الموسيقى الكردية و الرقصات و عيون الفتيات الجميلة و براءة الاطفال, و رائحة أسواق التوابل و الخضروات, الفاكهة و بائعي الزهور و الطيور.. لقد اعاد تكوين حلبجة و احيا ضحاياها.

5000 وجه – 5000 شخص نهضوا من موتهم ليحيوا جمهور المشاهدين و هم يحملون شموعاً مشتعلة.. حيث تذوب المشاعر معها و تنهمر الدموع في ذكرى هذه المجزرة البشعة التي تدين الى جانب النظام العراقي كل من لاذ بالصمت او حاول التهرب من التعبير عنها.. خاصة نحن العراقيين..

في هذا المعرض, عرض الفنان مجموعة من الأعمال المختلفة و التي نفذها بمواد مختلفة ايضاً, لوحات زيتية و قطع خشبية و سيراميك و نحت و اعمال التلصيق و التركيب و الحفر. و تخلل المعرض نشاط حول حلبجة, و اعمال الفنان, و الواقع الكردي المعاصر. و عزفت الموسيقى الشعبية, و تردد صدى اللغة الكردية بصوت شيركو بيكس.

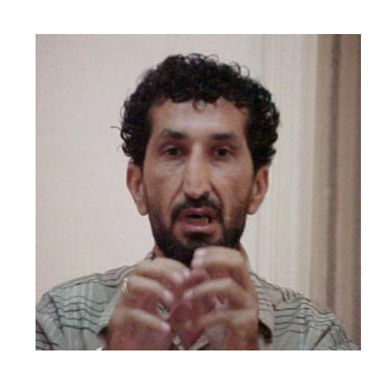
ان تجربة ريبوار تدعو جميع الفنانين الكرد الى الالتفات حول القضية الاساسية.. الا و هي الشخصية و الهوية و الذات التي تميز هذا الشعب عن ذلك.. و الا ما معنى النضال اذن في سبيل الحقوق القومية للشعب الكردي؟

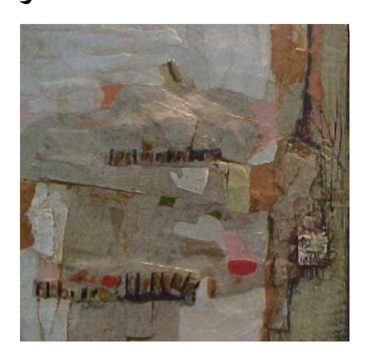
قراءة سريعة في معرض الفنانين
سامان كريم - ريبوار سعيد - ثروت سەوز

السليمانية - قاعة المتحف - عنوان المعرض: البيئة

من 8/22 و لغاية 2003/8/24

كاوه حسن محمد





لوحات سامان كريم

المتأمل لأعمال الفنان سامان كريم في مشواره الفني الطويل يلحظ أن مفردات اعماله الفنية مستوحاة من البيئة الشعبية التي تشبعت روحه بها عبر سنوات, و إن كانت تلك المفردات لا تتغير في شكلها الأدبي كثيراً, إلا انها تأخذ في كل عمل فني مضموناً جديداً تبعاً لما يبغي الفنان التعبير عنه, و برأيي يحتكر سامان كريم (إذا كانت هذه الكلمة مناسبة) فصل الخريف و بامتياز, لأن اللون الأخضر و اللون الأصفر الداكن نلاحظهما بكل سهولة, تأهيل عن أن لوحاته لها طعم و ذوق الخريف, من الناحية الموضوعية, عند ما ترى لوحات سامان ترتبك, لا لأن لوحاته صعبة المنال على المتلقي من الناحية الخيالية و الرؤيوية, بل لأنه يوهبك لوناً لم تشاهده من قبل, و من هنا يتدارك المتلقي بأن لوحات سامان مزيجة من (اللون و اللالون) اللون عندما يرسمه بفرشاته تكون امامك لوحة واضحة و متكاملة الشكل, و هذا يكون سهلاً على المتابع, بالنسبة الى اللالون, و هنا تكمن مشكلة عدم الرؤية و الوضوح عند المتلقي, و عندما أقول عدم

الوضوح و الرؤية هذا لا يعني بأنها معقدة, بل القصد هنا أن الفنان اختار ألواناً لم ترها من قبل, إنها مستوحية و نابعة من خيال الفنان تجاه الأشياء التي لا نراها نحن, و هنا يقلقك سامان و يجعلك في دوامة تفكير, و لا نعرف كيف خلط تلك الألوان و خلق لنا تلك الأعمال, إنها عمل جهيد.

لأول مرة أرى لوحات نائمة أو حالمة, كأنك تعوم في البحار و تغوص في اغوارها و تفتش عن مكامنها و لكنك تدرك أنك لست إلا في حلم خريفي جميل. لوحاته لها علاقة روحية بمكان و زمان سامان كريم, و الذي عرف كيف يتعامل معها بكل إحساس, و كيفية ترجمتها من العين الى ألوان, و هذا بحد ذاته يكون عملية صعبة, إن انتاج الفنان (سامان كريم) آية رائعة من آيات التجارب الصادقة في التعبير الفني تكشفت عنها تلك الصفات التي كونت و لحنت طابعه الخاص بقوانين شكلية مميزة لا نهائيته, مطلقة الرؤية الإنسانية لها قوة الخلق و التركيب الصاحب لعمق الإحساس و سيكولوجية التحليل و فلسفة التفكير و الذي جلب لنا مكانه و زمانه الخاص به و وضعه أمام أعيننا عبر لوحاته النائمة, و قد تفنن بها من خلال اثنتا عشر لوحة.



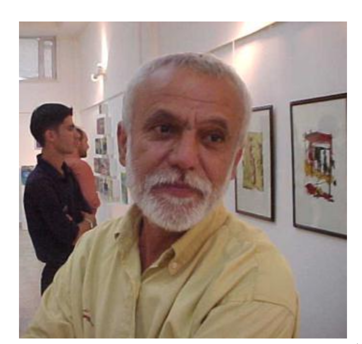
لوحات ريبوار سعيد

لوحات ريبوار سعيد انها ليست لوحات بقدر كونها قطع مربعة ذات خمس عشرة قطعة مكونة من شكل مثلث ضخم الحجم, و من خلال تلك القطع اختار ريبوار الألوان الزاهية أي كان بمثابة الربيع, و عندما يراه المتلقي للوهلة الأولى يتنفس الصعداء و يكون أكثر مساحة لإتساع العين و حبور الوجدان. حتى ولو كان الإنسان أكثر سوداوياً في الحياة, فعندما يدخل المعرض و يشاهد لوحات ريبوار, يكون أكثر تفاؤلاً من دون أنْ يصدق ذلك.

كل جديد يبدو دائماً بعيداً عن التصديق, هذا ما قاله اندريه جيد, فمن يرى هذه الأعمال في المعرض لا يصدق بأن ريبوار قبل ذلك كان منشغلاً برسوم اعمال أخرى خارج إطار أو شكل و أسلوب هذه الأعمال, فمثلاً من 5000 بورتريت 5000 ضحية, تحوله الى هذه الأعمال.

أي من خلال النص و الترحال و التجوال و المتابعة, قد غير ريبوار اسلوبه في العمل الفني, و الجميع يعلم أن ريبوار عندما اختار 5000 بورتريت, كان القصد من ذلك هو مأساة حلبجة البريئة, و اذا ما أمعنا النظر في هذه الـ 5000, لرأينا أن هذه الوجوه كانت ترتسم ملامحهم الكآبة و الحزن و الكدر, و قد تبدلت الآن في هذا المعرض كثيراً, و بإعتقادي, يرجع كل ذلك الى سقوط النظام البعثي القمعي الصدامي, لأن هذه الوجوه الحزينة و الكئيبة قد انفرجت اساريرها و انطلقت حريتهم و بدأوا بالغناء عن طريق و عبر 5000 من الأفواه الجائعة و الشفاه العطش للحرية, و قد تواصلوا بالحديث و بصون واحد.

(نحن لسنا أمواتاً, نحن احياء بينكم, فمنذ سقوط الكيمياوي و الجزراوي و التكريتي و بائع الثلج, نحن نعيش بكامل حريتنا بينكم)



لوحات ثروت سەوز

عندما ترى هذا الكائن و في أي مكان ينتابك شعور غريب, رجل صغير البنية ذات شعر و لحية بيضاء منذ الخليقة, و لكنه قوي لغاية من الناحية الروحية و الأحاسيس بحيث تحسده اينما كان, و تود معرفته و التقرب منه مهما كانت الظروف, و هذا ليس بإطراء أو مبالغة إذا ما قلت ان هذا الرجل نفسه عبارة عن لوحة, لوحة تضحك و تبكي و تتجول و تغني, اينما كان المكان و الزمان فإنه يشد على يديك و يتصافح معك بقوة الروح و بكل مودة, و لا تفارقه ضحكته المعرفة, اذا كان الفن لصيقاً بالحياة فإن هذا الإنسان لصيق بدرجة جنونية بالفن و الحياة, و لا اعرف إذا لم يكن هناك فن ترى ماذا كان يفعل (ثروت) في الحياة, ترى هل كان بمقدوره إختراع الفن, هذا إذا كان الفن من المخترعات.

هناك شخصيات روائية يعذبهم الروائي اشد العذاب, عن طريق الكلمات, و لكن هنا نرى أن عذاب الأشخاص يتم عن طريق الفرشاة, و لكن هذا العذاب ليس عن طريق اللذة أو السادية, بل هذا العذاب يستمد من المعرفة بالأشياء, طالما كان هناك الم و عذاب كانت هناك معرفة أكثر, و لا اعني بالعذاب داخل الزنزانات, بل عذاب العمل و الكفاح و

الإستمرار من أجل هدف سامٍ أو فكـرة جوهريـة تحـدد ماهيـة الإنسـان و دوره في الحيـاة, أو أي طـرح أدبـي أو فـني أو فلسـفي و الـذي يفتقـر إليـه الإنسـان في العصـر الحـديث. و هـذه القـراءة هـي لتسـعة لوحـات في المعـرض (لثروت سـوز) و لـو انـي لم أعـط لها الحق الكافي, و لكن الذي يهمني كثيراً هـو اللوحـة العاشـرة و الـتي استطيع تسميتها - بـالثلج المفحمْ - و أعـرف جيـداً لـيس هنـاك في العالم ثلج مفحـم, و اعـترف بكـل تواضـع أن هـذه اللغـة هـي لغـة (المجاز الأدبـي), و لكـن مـن يـرى هذه اللوحـة لابـد أن يطلق شـيئاً إن لم يكـن مشـابهاً لهـا, فيطلـق عليهـا شـيء قريـب مـن هـذه التسمية.

و كيف اسميها ذلك و هذا هـو الذي اريد أن اوضحه, وجه ابيض وسط بقعة كاملة من السواد, عدا أن هنـاك بعـض الألـوان المتفرقـة الموجـودة علـى يمـين اللوحـة, و التي هي عبارة عن الماضي الأسود القاتم اذ تغذيها الذكريات المريـرة و المفجعة.

الثلج المفحم

اسـتطاع ثـروت في هـذه اللوحـة أن يحطـم جـدار الصـمت بينـه و بـين جمهـوره, و أن هـذه اللوحـة نابعـة مـن ذاتـه, و نابعـة من نفسه و التي تنبض بالصدق, و بإتسـاع الحيـاة و الـتي تحمـل سمـات الفـن الأصـيل, و الجـوهر الذي يطيح بالعمل ككل, و الـذي يحيـي الحـوار الضـروري بـين الفنان و الجمهور, على أيـة حـال أن هـذه اللوحـة تقبـل أكثـر مـن تأويل و قراءة, فالرجل الأبـيض و الـذي سميتـه (بـالثلج المفحـم) سحقته الحياة الحقيقيـة فأوجـد لنفسـه نصـراً رائعـاً في خيالـه و الـذي عـبر عنـه أفضـل تعـبير, و مـن هـذه الرؤيـة فـإن (ثـروت) يسحق الحياة المزيفة المتصنعة, و يدمر كل مـا هـو مقنـع بأشـكال بريئـة كاذبـة, لتخـرج لـه بعـد ذلـك بـذئاب مكشـرة الأنيـاب, و لسان حـال يقـول (في هـذا العـالم أنـاس أشـكالهم عجيبـة و غريبـة حتـى أن المـوت نفسـه يسـخر منهم) فكيـف الحال إذن في هـذه الحياة؟

لوحـة بكـل كينونتهـا تنتمـي الى الطفولـة و الحلـم و البـراءة, و الهـروب مـن الغـدر و الخيانـة و القسوة و التنكيـل و التشـويه و التمزق الإنشطاري داخل تفكير هـؤلاء الـذين لا يعرفـون غـير الجمـل الرخيصـة و الكـلام المبتذل. رواية الساعة الخامسة و العشرين لا تتحدث عـن الكارثـة, بل ما وراء الكارثة, رواية صورة دوريـان جـراي, بأسـم الجمـال ترتكب افظع الجرائم, و هاتـان الروايتان قريبتان جداً من هـذه اللوحـة, و الـتي قـد تكـون يومـاً من الأيام تحفة من التحف, لأنها جـاءت بعـد مخـاض عسـير و في ظـروف قاسـية علـى يـد فنـان, لايحـترم في وطنـه كالأنبيـاء, لـولا الفـن لصـمت (ثـروت) الى الأبـد, لأن اللغة لـن تكـون كافيـة لـه, و اللغة التي خلقها الإنسان لم تكـن لشـيء إلا ليخفـي مشـاعره, امـا عند (ثروت) فمن خلال فرشاته يكشـف عـن نفسـه و يـدعها تنطلـق عليهـا تجـد سـاحلاً أو ضفافاً, ليحكي لهم قسوة و ظلم الإنسان.

نظرة سريعة حول اصل اللغة الكردية

اكرم قرەداغي

القسم الاول

تنتمي اللغة الكردية الى فصيلة اللغات الهندو اوربية قسم اللغات الهندو ايرانية[1] اما الصلة التي تربط اللغة الكردية بهذه المجموعة اللغوية فهي بالاضافة الى وجود الاف من المفردات الآفستية و البهلوية و الفارسية القديمة في اللغة الكردية, هي وجود القواعد اللغوية المتقاربة من حيث تصريف الافعال و تركيب الجمل و كذلك من حيث التغيرات الدلالية و علم الاصوات اللغوية و حتى من ناحية تقسيم الكلام الى مقاطع. الا ان هذا الانتماء الى هذه المجموعة اللغوية لا تعني بأي حال من الاحوال عدم استقلال اللغة الكردية بين لغات العالم الحية, حيث بالرغم من وجود التشابهات الكثيرة بينها و بين لغات هذه المجموعة من النواحي المذكورة الا ان لها اصولها و قواعدها و تطوراتها و دلالاتها و اشتقاقاتها الخاصة, و هي ليست فرعا من اية لغة اخرى. حيث رغم القرابة اللغوية بينها و بين الفارسية الحالية مثلا الا انها لغة خاصة حافظت على استقلاليتها كما دلت جميع الدراسات الصوتية و الاتنوغرافية و الدراسات المقارنة التي قام بها العالمان الالمانيان –روديجر وبوت- عام 1840 حيث اثبتا نتيجة دراسات متواصلة في المقارنة اللغوية بين الكلمات الكردية و اللغات الايرانية, على ان الكردية بقواعدها و مفرداتها و اصولها و اصواتها.. لغة خاصة مستقلة رغم انتمائها الى اللغات الايرانية[2].

و ايد هذا الرأي بعد ذلك المستشرق الروسي بيترليرخ في ابحاثه القيمة التي نشرها بعنوان دراسات عن الكرد باللغتين الروسية و الالمانية عام 1857 و 1858 في سان بطروسبورك – لينينغراد – و كذلك بحثه القيم – دراسات عن كرد ايران عام 1856 – بطرسبورك – باللغة الروسية -.

و ايد هذا الرأى ايضا مستشرقون بارزون امثال رينان و دورن و ارش و ميولر وجابا. يقول الميجر – ادمونس الاخصائي في تأريخ الكرد في مقالة له نشرت في مجلة جمعية اسيا الوسطى العدد 11 مايأتي: اصبح من الوضوح بمكان ان اللغة الكردية ليست عبارة عن لهجة فارسية محرفة مضطربة بل انها لغة ارية نقية معروفة لها مميزاتها الخاصة و تطوراتها القديمة[3]. و كذلك ان مينورسكى البحاثة المختص

باللغات الشرقية ينفي ذلك. و هو يعتقد انه بينما تنتمي اللغة الفارسية الى المجموعة الجنوبية الغربية, فان اللغة الكردية تنتمي الى المجموعة الشمالية الغربية و انها تتصف بشخصية متميزة تماما عن اللغة الفارسية و هو يورد الدلائل اللغوية التي تثبت الفروق القائمة بين كل منها(4).

و في الفروق الجوهرية بين اللغة الكردية و الفارسية يذكر العلامة توفيق وهبي ثلاثة فروق متتالية(5).

1-لا تعرف الفارسية الحديثة كاسعة التي كانت تستعمل لبنائي المتوسط و المجهول في الفارسية القديمة و الآفستية كما انها تركت حتى كاسعة بناء المجهول المتداولة في الفارسية المتوسطة التي كانت بدورها قد تركت كاسعة بنائي المتوسط و المجهول العائدة للفارسية القديمة – انظر دار مستنير – دراسات ايرانية – الاصل الفرنسى – ج1 من 234. اما اللغة الكردية فتحتفظ بكاسعة البناء المتوسط و المجهول – يه – التي لا تعود الى الفارسية الحديثة, و لا اللغات الايرانية المتوسطة كالفرثية و الفارسية بل الى العهد الهندي – الايراني و كون هذه الكاسعة على وشك الاهمال في الافستية و الفارسية القديمة لدليل يثبت قدم الكردية و اصالتها – انظر توفيق وهبي - دراسات كردية- النسخة الانكليزية القسم الاول ص 14-.21

2-نبذت الفارسية الحديثة بناء المفعول في الازمنة الماضية للافعال المتعدية الذي كان متداولا في الفارسية المتوسطة و الفرثية المتوسطة و في الفارسية القديمة. و اما اللغة الكردية فتحتفظ ببناء المفعول في الازمنة الماضية للافعال المتعدية, و قد احتفظت بهذا الغرض بصنفين من الضمائر الشخصية:

أ-الضمائر الملكية.

ب-الضمائر الفاعلية.

انظر –دار مستيتر- دراسات ايرانية – ج1 ص 58-159 ج2 ص 90 – و توفيق وهبي: دستورى زمانى كوردى ج1 ص 83-103 و دراساته في تصريف افعال اللغة الكردية على ضوء تصريف الافعال الفرثية و الفارسية المتوسطة –غير مطبوعة-.

3-تركت الفارسية الحديثة استعمال ضمير الوصل –ى- الاثرى اما اللغة الكردية فتحتفظ به – انظر – توفيق وهبى – دستورى زمانى كوردى – ج1 ص 105-108 اصل تسمية شهرزور – مستل من ص 13- .16

اصل اللغة الكردية:

لدراسة اصل اللغة الكردية تجب مراجعة اقدم المؤلفات المكتوبة باللغات الايرانية و لعل اقدم هذه المؤلفات هو كتاب – افستا- كتاب الدين الزردشتي و الذي كتب في حوالي القرن السابع قبل الميلاد.

ولد –زردشت- في اورمية مدينة الرضائية الحالية – و اصله كردي(6) و هو النبي الارى كان من اهل –ماد- و من طائفة –ماز.(7) و لقد نادى بعبادة اهورا مزدا – الالهة العارف بكل شيء – ليكون الها لجميع الطوائف

البشرية الا انه لقي من قومه عذابا كبيرا, فهاجر شرقا الى بلاط الملك – كشتاسب – في بلخ و ادخل الملك و رعيته في دينه حتى انهم دافعوا في سبيل هذا الدين بضراوة حتى انتشر رويدا رويدا و لكن الايرانيين لم يكونوا كلهم على دين زردشت حتى نهاية عهد –الهخنمتسيين – و – الاشكانيين- و لم تصبح الزردشتية دينا رسميا للدولة الا ايام الساسانيين[8].

و تدل الدراسات التاريخية على ان ما وصلتنا من كتب زردشت نزر قليل مما كانت عليه. فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب[9] ان الابستاق –أي الافستا كتب في اثني عشر الف مجلد بالذهب فيه وعد ووعيد و امر و نهى و غير ذلك من الشرائع و العبادات, فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب الى عهد الاسكندر و ما كان قتله لدارا بن دارا فاحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف الى اردشير بن بابك جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها اسناد-.

اما الدكتور محمد معين يقول بان بلينيوس الروماني من مؤرخي القرن الاول الميلادي نقل عن هرميبوسس المؤرخ اليوناني الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد انه قرأ مذهب الايرانيين بذمة في كتابهم الديني الذي نظمه زردشت في الف بيت[10].

اما تنسر رئيس علماء الدين في عهد اردشير بابك قال في رسالته الى –جسنف شاه- ملك طبرستان بالنص: - تعلم ان الاسكندر احرق كتاب ديننا البالغ اثنا عشر الف جلد بقرة في اصطغر و كان قد بقى منه ثلث الصدور و ذلك ايضا كله قصص و احاديث[11].

اما الشاهنامه فيذكر ان فصول الافستا البالغ عددها الف و مئتي فصل كانت مكتوبة على لوحة من الذهب. و العالم الانجليزي وست يذكر ان الافستا كان يتكون من 345700 كلمة لم يبق منها اليوم غير 83000 كلمة في الافستا الحالى أي اقل من ربع الاصل[12].

و اجزاء الافستا خمسة:

1-يسنا 2-ويسبرد 3- ونديداد

4- يشتها 5- خرده اوستا

و نحن لا يهمنا في هذه العجالة غير جزء يسنا و ذلك لصلته الوثيقة ببحثنا هذا:

ان جزء يسنا يتكون من 72 فصلا من بينها 17 فصلا تعرف ب –كاتها- و تعتبر من اقدم اجزاء الافستا لان من المعتمد بانها من كلام زردشت نفسه. و معنى كلمة – كاتها- و مفردها –كات- النشيد او المنظومة التى تتخلل الشعر فكلها كتبت بلغة الشعر و لكن شعرا ليس كالشعر الايراني الحديث الذي ينظم على اوزان العروض العربية و لكن هو اقرب الى شعر الاقوام الهند و اوروبية[13].

و فصول كاتها تتكون من خمسة اقسام:

1-اهنود او اهونيفهيتى

2-اشتود او اشتافهيتى

3-سبينتمد او سبينتاميو

4-هوخشند او فوهوخشترا

5-هيشتواشت او فوهيشتوات.

اما عدد قطع كاتها فهو 238 قطعة و عدد ابياتها 896 بيتا و كلماتها 5560 كلمة.

تشير الدراسات اللغة الحالية على ان هناك تقاربا لغويا و صلة وثيقة بين اللغة التي كتبت بها –كاتها- و اللغة الكردية الحالية و ذلك نجد الفصول البالغة 17 فصلا كتب باللغة الميدية.

يقول العلامة احسان نوري بان كلمة زردشت نفسها هي كلمة كردية اصيلة فهو يقول – كانوا يسمون زردشت بـزرتوشرا سبى تمه – و يأتي بمعنى زردشت بياض الاصل و هذه الالفاظ التي كانت من لغة قوم زردشت –أي لغة ماد- نسبة الى الميديين – ليست لها فروق اساسية مع اللغة الكردية الحالية..

-زرنوشدا سبى تمه – في اللغة الكردية تعني – الشماع الذهبي للشمس البيضاء[14].

الكرد و الميديا:

تدل جميع الدراسات الانثوغرافية الحالية على ان الامة الكردية هي من السلالات الميدية و لعل من اكبر المستشرقين الذين دافعوا عن هذا الرأي هو العلامة مينورسكى[15].

و يثبت مينورسكي نظريته استنادا الى لغة الكرد و الى طريقة حياتهم فيرى ان لغتهم رغم تعدد لهجاتها هي ايرانية الاصل و انما تأثرت باللغة الميدية و على لغة ميديا الصغرى التي تضم مقاطعتي اذربيجان و دروباتين. و قد درس مينورسكي تاريخ المنطقة التي تقع جنوبي بحيرة اورمياه و التي كان ينتزعها الاشوريون و شعب اورانو في القرن التاسع قبل الميلاد فتبين له ان قبائل عدة قد سكنتها منهم الفرس و الميديون[16].

و يقول المير الاى ويلسن الذي كان يشغل منصب وكالة المندوب السامى بالعراق خلال سنة 1920 م في كتابه القيم – ان الشعب الكردي احفاد الميديين مباشرة و ان لغتة احدى لغات اسيا الغربية[17].

و يرى الاستاذ –سايس- ان الميديين كانوا عشائر وقبائل اكراد ليس الا و انهم من الوجهة اللغوية اريون – هندو اوروبي[18].

و يقول الاستاذ احسان نورى بهذا الصدد: في الحقيقة مع ان الالفاظ و الكلمات الميدية قد اختلطت بالكلمات و الالفاظ الطورانية و السامية من جهة و مرت عليها عصور مختلفة حيث احدثت فيها تغييرات كبيرة لا يمكن نكرانها او اجتنابها من جهة اخرى و لكنها مع ذلك هي اقرب الى اللغة الكردية من اية لغة اخرى[19] و الاستاذ ديرك كينين على هذا الرأي ايضا يقول: بأن اللغة الكردية متفرعة من اللغة الميدية حيث يعتبر الميديين اصلا رئيسيا للكرد[20].

و قد ايد هذا الرأي كثير من المؤلفين العرب ايضا نذكر منهم الدكتور محمد السيد غلاب استاذ الانثروبولوجيا بجامعة القاهرة فهو يقول: و قد ظلت ارض الجزيرة و شمال العراق تستقبل هجرات البدو الهندية – الاوروبية من وسط اسيا بما تحمله من صفة الشقرة و هذه المنطقة هي وطن الكرد في الوقت الحاضر و هم سلالة الميديين

القديمة التي ظهرت في الالف الاول قبل الميلاد و تنشر بينهم صفات الشقرة بشكل واضح و هم يتحدثون لغة هندية اوروبية و يحتلون منطقة الحدود المشتركة بين العراق و ايران و تركيا[21].

و هكذا نتوصل اخيرا الى نتيجة حتمية و هي ان اقدم المؤلفات الكردية قاطبة و التي وجدت حتى الان هي الجزء – كاتها- من كتاب افستا الذي كتب في القرن السابع قبل الميلاد, و استنادا الى ان زردشت نفسه كان ميديا و كان يتكلم لغة الميديين و ان الميديين هم كرد اليوم فقد كتب حول هذا الرأي ايضا ميجر سون – الحاكم البريطاني و المضلع في اللغة الكردية - فقد كتب في تقريره عن لواء السليمانية ما يلي:

"وقد صار من المسلم به ان – زرادشت- الذي كان يتكلم اللغة الميدية الاخيرة قد ولد في شمال مقاطعة –ميدية-. و هي الان معروفة بمقاطعة –مكري- و ان لغة –زردشت- هذه – كما نراها في زند افستا – قريبة جداً من اللهجة المكرية الحالية بل انها – حسبما نذكرها فيما بعد - اللغة المكرية بنفسها[22].

و فيما يلي جدول يبين مدى تقارب اللغة الكردية مع الافستية – نسبة الى اللغة التي كتب بها افيستا[32].

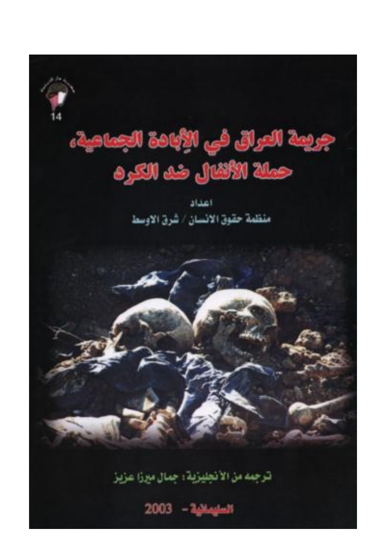
اللغة الكردية		اللغة الافستائية	اللغة الفارسية الحالية	الترجمة العربية
اللهجة الكرمانجية الجنوبية	اللهجة الكرمانجية الشمالية			
بەرز	برز	بەرزا	بلند	رفيع
ماسى	ماسه	ماسيا	ماهي	سمك
تيژ	توژ	تيژ	تيز	حاد
حوشتر	ئوشترا	ئوشترا	شتر	أبل
پرد	پرت, پر	پەرەنا	پل	الجسر
رۆژ	خۆر	خر	افتاب	الشمس
مێش	ميش	مەخشى	مكس	الذباب
بەرخ	بەرخ	وراخا	بره	الخروف
ويستن	ويسو, واشتن	واسى	خواستن	الطلب
زانين	زانين	زان	دانستن	المعرفة

كتب

جريمة العراق في الإبادة الجماعية، حملة الأنفال ضد الكرد

تقرير عن: منظمة مراقبة حقوق الانسان – الشرق الأوسط
الترجمة من الانكليزية: جمال ميرزا عزيز
منشورات: دار الترجمة بوزارة الثقافة – اقليم كردستان.
مطبعة وزارة الزراعة و الري. ط 1, السليمانية, 2003م

عرض: عبد الله قرەداغي



كثير من المثقفين العرب, حتى الذين يعتبرون من المتابعين للشأن العراقي, حين تتحدث معهم عن جرائم النظام البائد يواجهونك, ربما حتى اللحظة هذه, بشيء من الاستهجان او يطالبونك, في الأقل, بما يسمون دليلاً ملموساً على ذلك, و اذ أشدد على عبارة "حتى اللحظة هذه", فانني اتذكر بمرارة أن اكثر من مشاهدٍ واحد قد حاولوا في مكالماتهم التلفونية مع قنوات فضائية عربية, منها"الجزيرة" على سبيل المثال, الايحاء بأن المقابر الجماعية التي تم العثور عليها في العراق هي اما "مختلقة؟" او

"أنها تعود لجنود ايرانيين" أو "تعود لجنود عراقيين فتلتهم قوات الحلفاء" و دفنتهم هكذا, و ايحاءات أخرى لايمكن أن يجد المنطق السليم اليها سبيلاً, ولاسيما لأن عمليات البحث قد ادت الى ايجاد قرائن و دلائل قوية على كون الضحايا عراقيين, و أن عملية دفن معظمهم تعود الى فترات تسبق حتى حرب الخليج الاولى بكثير, كما أن هناك وثائق عديدة تعود لمختلف اجهزة النظام البائد تؤكد بشكل لالبس فيه بأن الاجهزة المشار اليها هي المسؤولة, و بأوامر مباشرة من أعلى الجهات, عن قتل و دفن الضحايا بشكل يرمي الى اخفاء أي دليل ممكن على تلك الجرائم. مهما يكن من أمر, فان السبب الذي دعاني الى عرض هذا الكتاب (التقرير) هو أنه يضع بين يدي القارىء العربي, و باللغة العربية, ادلة دامغة تتراوح بين كونها وثائق من اجهزة النظام البائد نفسها وشهادات شهود عيان نجوا من الموت بقدرة قادر, كما أن التقرير صادر عن منظمة معروفة بكونها أمينة و محايدة و تفضح انتهاكات حقوق الانسان في أي مكان كان, دون أن تراعي في ذلك هذا الطرف أو ذاك.

يتضمن التقرير, في الطبعة الحالية, بالأضافة الى مقدمة المترجم و التعريف بمنظمة مراقبة حقوق الانسان (Human Rights Watch), و ثيقتين يمكن القول بأنهما يتصدران التقرير و يختزلان معاناة مجموعة بشرية قدر عددها بـ(182000) انسان التهمتهم محرقة عمليات عسكرية عرفت بـ"الأنفال". الوثيقة الأولى هي "رسالة التماس" مؤرخة في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) 1990, بعثها (أسير الحرب السابق, الجندي الاحتياط عاصي مصطفى احمد, بدون بيت أو مأوى, يسكن مدينة السليمانية, چمچمال, حي بيكهس/ جامع الحاج ابراهيم) الى رئيس النظام السابق يخبره فيها بأنه بعد أن عاد من الأسر تم اخباره بان افراد عائلته جميعاً "قد سقطوا في أيدي قوات الأنفال اثناء عمليات الأنفال التي جرت في المنطقة الشمالية بقيادة الرفيق علي حسن المجيد", و بعد أن يذكر اسماء زوجته و اطفاله الثلاثة المفقودين الذين لم يكن اكبرهم عمراً يتجاوز, اثناء عمليات الأنفال, التاسعة من العمر, يلتمسه بالقول "آملاً أن تشفقوا لي و تطلعوني على مصيرهم", فيأتيه الرد بعد 25 يوماً, و على لسان (سعدون علوان مصلح/ رئيس ديوان رئيس الجمهورية بـ"شفقة عجيبة" مفادها: "ان زوجتك و أولادك قد فقدوا أثناء عمليات الأنفال التي جرت في المنطقة الشمالية في 1988": و هذه هي الوثيقة الثانية./ ص14 و 15.

يأتي بعد ذلك تقديم مدير مشروع الملفات العراقية بالمنظمة (جوست . آر. هيلترمان) يؤكد فيه بأن المنظمة بحثت و استقصت خلال ثلاث سنوات في شمال العراق و من الأرشيف الوطني في واشنطن في أعوام 1991-1994 لأعداد هذا الكتاب الذي "يجمع ما وجدته بعثات الطب العدلي (تولتها مشاركة مع اطباء حقوق الانسان), و الشهود العيان, و اللقاءات الشاملة, و دراسة 18 طن متري من الوثائق و الكتب الحكومية العراقية, كي يبرهن بأن

حملة أنفال عام 1988 ضد الكرد في شمال العراق شكلت الابادة الجماعية (الجينوسايد): 16

تشكل "مقدمة أولى" – الصفحات (17 الى 31) مدخلاً جيداً من كتابة المدير التنفيذي لمنظمة "مراقبة حقوق الانسان – الشرق الاوسط" اندرو ويتلي, يؤكد فيها جملة مسائل مهمة اهمها أن استخدام الاسلحة العراقية الكيمياوية ضد الكرد يعود الى نيسان 1987, أي قبل احد عشر شهراً من قصف حلبجة و منطقة شهرزور بالاسلحة الكيمياوية في آذار 1988, و "في تقدير HRW/ME – أي منظمة مراقبة حقوق الانسان/ الشرق الاوسط -, ان خمسين الف شخص في الأقل, بل يحتمل أن يكون ما عدده مئة الف شخص, أكثرهم من النساء و الأطفال قد قتلوا بين فيبروري/ شباط و أيلول 1998) ص 21, و أن غالبية القتلى كانوا من غير المحاربين الذين تم قتلهم لسبب بسيط و هو انهم سكنوا المناطق التي أعلنتها الحكومة مناطق محظورة, ص 21. كما تتحدث هذه المقدمة عن اسلوب عمل المنظمة, و المدد التي أمضاها كبار الباحثين في شمال العراق, و الامكانيات المتوفرة حول تجريم النظام العراقي و محاكمته مع بيان نقطة غاية في الاهمية تشكل جواباً عن السؤال: كيف جمعت الأدلة و لماذا تكون HRW/ME واثقة من نفسها بانها ستبرز دعوى ناجحة ضد الحكومة العراقية؟ ثم تتحدث المقدمة بشئ من التفصيل عن اسلوب جمع الادلة و الاشخاص الذين تم التحدث معهم و البحث الميداني و امور مهمة تؤكد كون التقرير, بما يحتوي من حقائق دليلاً دامغاً على تورط نظام صدام حسين في جريمة الابادة الجماعية (الجينوسايد) ضد الشعب الكردي.

لخص التقرير المنهجية المعتمدة في اعداده و مراحل العمل و المواقع التي اختيرت لهذا الغرض في الصفحات (33 الى 42), و في الصفحة التالية نجد الاختصارات المتبعة في التقرير. اما "المقدمة الثانية", فانها مدخل حقيقي للتعريف بـ"عمليات الأنفال" التي على اساسها "يستنتج الكتاب الى (هكذا) أن النظام العراقي قام في تلك السنة بارتكاب جريمة الابادة الجماعية (الجينوسايد)" ص 45. في هذه المقدمة نجد المعنى الاصطلاحي و اللغوي لكلمة (الأنفال) بشيء من النقص – لأن كلمة الأنفال مشتقة من (النفل) التي تعني الزيادة, 4.ق – مع تحديد المسؤول الأول عن تنفيذ هذه العمليات و صلاحياته و القوات العاملة بإمرته, و الانتهاكات الفاضحة التي مورست خلال هذه العمليات, و المناطق التي شملتها, و حجم الدمار الانساني و البيئي الهائل الذي أحدثته, و مراحل تطور العمليات, و الاعمال اللاحقة التي تمثلت في اساليب تصفية المواطنين العزل (النساء, الأطفال و الشيوخ) الذين اعتقلوا خلال تلك العمليات. مع التأكيد على ان عمليات الانفال و غيرها من العمليات القتالية ضد الكرد كانت تدخل ضمن خطة شاملة لإبادة الكرد – ما أمكن ذلك – و اسكان البقية في بؤر استيطانية يسهل احكام السيطرة المطلقة عليها في أي وقت كان. احتلت هذه (المقدمة الثانية) حوالي عشرين صفحة من الكتاب.

يفتتح التقرير الفصل الأول من الكتاب, و المعنون (البعثيون و الكرد) بقول لأحد شيوخ القبائل الكرد هو الشيخ (عبدالقادر عسكري) الذي تعرض و افراد عائلته و أقرباؤه في شهر ايار (مايو) 1988 – اثناء عمليات الأنفال – الى قصف كثيف بالاسلحة الكيمياوية في قرية گويتهپه – منطقة آغجلر – أودى بحياة معظم أهالي القرية, يقول هذا الشيخ "كل عهد مختلف و كل شيء يتغير, لكن صدام حسين أسوأ من تيمور لنگ الذي عاش قبل 600 سنة" ص 67. نجد في هذا الفصل عرضاً سريعاً لوضع الكرد و الحركة الكردية في القرن العشرين, و العوامل التي ساهمت في تعقيد الوضع العام للكرد – و منها جغرافيا كردستان و النفط – يحاول هذا الفصل تصحيح بعض من المعلومات الخاطئة, و منها أن مسؤولية قصف مدينة حلبجة خلال أيام 16 الى 20 آذار (مارس) 1988 كانت مشتركة بين القوات العراقية و الايرانية, فيوضح التقرير بان الدلائل كلها تشير الى ان القوات العراقية وحدها هي المسؤولة عن ذلك.

يتعرض هذا الفصل لحقيقة ان استعمال الغازات الكيمياوية في الحروب, منذ الحرب العالمية الأولى, اعتبر امراً مقيتاً, اذ خطر بروتوكول جنيف – عام 1925 – استعمال الأسلحة الكيمياوية, و يرى التقرير بأن استخدام هذه الأسلحة ضد الكرد فاق في بربريته و في مستواه ايضاً ما شاهدناه طيلة السنوات الثمان للحرب العراقية – الايرانية. و يبدو أن منظمة مراقبة حقوق الانسان - الشرق الاوسط قد وجدت اضافة هذا الفصل الى التقرير امراً ضرورياً جداً بعد ان فحصت الملفات التي كانت بحوزتها حول التعامل مع الكرد, اذ "ان المجموعة النفيسة من الملفات المستولى عليها تظهر بوضوح في عرض مذهل و تفصيلي كيف رتبت بيروقراطية الأدلة العراقية عملية ابادة الكرد" ص 73, و "تظهر الملفات في تفصيلات قوية كيف عالجت بيروقراطية الأمن العراقي مشكلة ازالة آلاف القرى الكردية و قتل عشرات الألوف من ساكنيها بفعالية" ص 74.

اختار التقرير عصباً حساساً للدخول الى مشكلة العلاقة الشائكة بين الكرد و البعثيين, هذا العصب هو "الحكم الذاتي" الذي كان النظام البائد يتبجح به حتى ايامه الأخيرة, فقد حدد التقرير بأن بيان آذار 1970 كان في حقيقته خطوة تكتيكية لارجاء الصراع مع "تمرد مزعج" لمدة اربعة اعوام تم خلالها توقيع معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي –السابق- لمدة (15) عاماً في سنة 1972, و تأميم النفط الذي وصلت عائداته في العراق اثناء الحرب العربية الاسرائيلية – حرب تشرين الاول 1973 – الى عشرات الأضعاف. و قد لاحظ التقرير بأن بيان آذار الخاص بالحكم الذاتي للكرد قد "استثنى على نحو بين مناطق كركوك الغنية بالنفط و خانقين و جبل سنجار" ص 77, كما لاحظ بأنه خلال اعوام 1970-1974 "نفذ النظام العراقي اصلاحاً ادارياً شمولياً, أمكن عن طريقه اعادة تسمية المقاطعات او المحافظات الستة عشرة للبلد – كانت آنذاك أربع عشرة فقط -, و في بعض الحالات

تم تغيير حدودها كذلك. فمقاطعة كركوك القديمة, جرى تقسيمها الى شطرين, و المنطقة التي أحاطت بالمدينة نفسها سميت بالتأميم, كما جرت اعادة ترسيم حدودها لتعطي الاكثرية للعرب" ص 77. هكذا نرى بأن التقرير كان محقاً تماماً اذ جعل عنوان هذا الجزء من الفصل الاول "الحكم الذاتي الكردي و التعريب", كما كان محقاً ايضاً اذ اكد ما يلي: "غير أن الانفال, برغم ما رافقها من رعب و أهوال, فإنَ من الخطأ القول بانه لم يسبق لها مثيل تماماً, حيث سبق أن مرَت فظاعات و اعمال شريرة رهيبة على الكرد نفذها حزب البعث في مناسبات كثيرة في الماضي" ص 75 و 76.

في معرض استعراضه, ضمن هذا الفصل, لأهم المحطات التي حملت بصمات واضحة للتعريب, يعرج التقرير على انتهاء الهدنة بين البعث و الحركة الكردية – أو انهائها من قبل البعث عبر اختلاق ذرائع لذلك – و اندلاع الحرب عام 1974 مع الاشارة الى الاسباب التي ادت الى انتكاسة الحركة الكردية عام 1975. و قد اتخذ البعث من هذا الوضع فرصة ذهبية, اذ "باشرت الحكومة العراقية, في عام 1975, في حملة اكتساحية بتعريب المناطق التي استثنيت من كردستان بموجب عرض الحكم الذاتي – تلك كانت محاولة بدأت بها عام 1963-. تم تدمير مئات القرى الكردية اواسط السبعينيات في محافظات نينوى و دهوك الشمالية, و حوالي 150 قرية اخرى في محافظة ديالى الواقعة في اقصى الجنوب من كردستان العراق, حيث يوجد مخزون نفط كثير الأهمية. و قد فرضت القيود على اشغال و اقامة الكرد في كركوك خلال السنوات التي تلت, و اغريت العشائر العربية في جنوب العراق للانتقال الى الشمال, بمساعدات مالية و عروض بالاسكان. أما الفلاحون الكرد العميقي الجذور, فقد نقلوا الى بيوت جديدة في مخيمات بدائية تحت سيطرة الحكومة في موازاة الطرق العامة الرئيسية" ص 79.

يستمر التقرير في عرض ابرز ملامح سياسة تعريب كردستان بعد ذلك التاريخ, و منها اخلاء المناطق الموازية للحدود الشمالية خلال عامي 1977-1978 الذي ادى الى تدمير حوالي خمسمئة قرية في الوجبة الأولى معظمها من محافظة السليمانية. كما نقل عن صحيفة "الثورة" اعترافها بأن (28.000) عائلة (حوالي 200.000 الف شخص) رحلوا من الشريط الحدودي في شهر واحد فقط خلال صيف 1978.. ص 80. كما تبرز الهيئات و المكاتب و الجهات الخاصة التي شكلها البعث عام 1979 لعمليات التهجير الجماعية القسرية و لأعدام المناوئين لنظام بغداد بعد تحديدهم, دون الرجوع الى بغداد.

يرى التقرير بأن اندلاع الحرب العراقية الايرانية (غزو العراق لمناطق من ايران) قد أدى الى تعثر حملة بغداد ضد الكرد, كما ادى الى انتعاش الحركة الكردية و تحسن ظروفها. الا أن ظروف الحرب لم تكن حائلة تماماً امام سياسة التنكيل بالكرد. ففي عام 1983 (نهايات شهر تموز) داهمت

قـوات النظـام العراقـي مجمـع قوشـتپه الـذي كـان يسكنه البارزانيون الذين رحلوا من منـاطقهم اصلاً عـام 1975 الى محافظـة الديوانيـة, و رحلـوا مـرة اخـرى عـام 1980 الى مجمـع قوشـتپه. و اقتحمـت البيوت و احتجزت جميع الذكور فوق السن الثالثة عشـرة. و قـد قـدر عـددهم بـين الــ(5.000 الى 8.000) رجل مازال مصيرهم مجهولاً.

يعـرج التقريــر بعـد ذلـك الى محاولـة النظـام استثمار الانقسامات الكردية بغية استخدامها سلاحاً للسيطرة على منـاطق كردستان, مـع الاستفادة مـن كل وسائل الخداع و التضليل, كما يعرج على المدد الزمنيـة و الاسـاليب و الطـرق الـتي حـددت لاعـادة شيء من السيطرة التي فقدها النظام خلال الاعوام 1985 الى 1987, ولاسيما بعد انهيار المفاوضات مع الاتحاد الـوطني الكردسـتاني الـذي وجهت قواتـه فيما بعد ضربات موجعـة جـداً الى قـوات النظـام, الا أن الاجراءات فشلت تماماً في تحقيق غاياتها. و قد مهد هذا الفشـل لـدفع النظام باتجاه اعتبـار جميـع منــاطق كردســتان الخارجـة عـن سـيطرته منــاطق محرمة و أرضاً محروقة تباح فيها الدماء و الممتلكات لقواته. شغل هذا الفصل (27) صفحة من الكتاب.

يحمل الفصل الثـاني عنـوان "اسـتهلال للأنفـال" الصفحات (95 الى 137)؛ و هـو في الحقيقـة امتـداد خطير للفصـل الاول (البعثيـون و الكـرد) يمكـن أن نعتبره قمة تصعيد السياسة الهادفة الى ابادة الكرد, قبـل الحـدث الاخـير؛ (الانفـال). اسـتهل هـذا الفصـل بملاحظـة ان كلمـة (الانفـال) تتكـرر في الوثـائق الرسميـة للنظام العراقي, منهـا مـا تشير الى الحملة ذاتهـا, و اخـرى تشـير الى "افتتـاح حقـل نفـط (الانفـال)", و ثالثـة الى تدشـين فـرع لحـزب البعـث باسم "الانفال", و رابعـة الى نـوع آخـر مـن عمليـات أنفال, غير معروفة للأسف حتى يومنا هذا, مورست ضد العرب في اهوار جنوب العراق, اذ نفذت المرحلـة الأخــيرة منهــا شــركة للمقــاولات تم اســتئجارها لـ"تجفيف الأهوار" اسمها "شركة الأنفال".

يـرى التقريـر بـأن الاسـتهلال الحقيقـي للأنفـال كان في عام 1987 و توج بتعيين علي حسن المجيد رئيساً لمكتـب تنظيم الشمال لحـزب البعـث. و كمـا ذهب اليه التقرير بحق, فقـد "كـان لتعـيين المجيـد أهميـة كـبيرة و ذلـك لعـدة أسـباب. لغايـة 1987, كانت السياسة العسكرية ضد البيشمركة توضع مـن قبـل الفـيلقين الأول و الخـامس للجـيش العراقـي المتمركزين في كركوك و أربيل على التوالي. أما الآن, فقـد تـولى حـزب البعـث بنفسـه المسؤولية المباشـرة لجميـع أوجـه السياسـة نحـو الكـرد, و كـذلك فقـد جعلـت سـلطة المجيـد في حـل المسألة الكرديـة, هـم الـدائرة الأعمـق للسـلطة العراقيـة. تمحـورت الشـبكة المغلقة لروابطها العائلية في مدينة تكريت و الرعاية الشخصية للرئيس صدام حسين" ص 96.

بعد الوقوف عند ملاحظة اساسية على علاقة السـلطة و القرابـة ببعضـها عنـد النظـام البائـد و امــتلاك علــي حســن المجيــد "شــهرة خاصــة بالوحشية", بناء على رأي "مستشار سابق شخصي و معترف به", يعرج التقرير على حجم القوات الـتي

أعـدت لتنفيـذ عمليـات الانفـال, و يخلـص الى أن "حملة علي حسن المجيد ضد الكرد قد ذهبت ابعد بكثير من حملة الستة أشهر العسكرية. فمن منظور حقوق الانسان, كانت آلية الجينوسايد قد بدأت بالحركة بتعيين علي حسن المجيد في آذار 1987, و استمرت عجلاتها تدور حتى نيسان 1989.. ص 97. و بعد أن الح التقرير الى محطات مهمة في الحرب العراقية الايرانية, منها احتلال حامية (حاجى عمران) عام 1983, و احتلال شبه جزيرة الفاو في 8 شباط 1986, و عمليات عسكرية ناجحة اخرى لايران, ينقل عن "روايتين في الأقل" تأكيد رئيس النظام في اجتماع للقيادة العامة للقوات المسلحة يومي 14 و 15 آذار 1987 الحرفي على الضعف, اذ "اخبر ضباطه بأنه خشي من "هزيمة بسبب الانهاك" ص 100, و ربما يستطيع هذا السرد أن يوضح الاسباب التي دعت الى تعيين علي حسن المجيد في 18 آذار, من قبل مجلس قيادة الثورة و القيادة القطرية لحزب البعث, أميناً عاماً لمكتب تنظيم الشمال التابع للبعث, مع منحه سلطات جديدة استثنائية "مساوية في منطقة الحكم الذاتي لتلك التي للرئيس نفسه" ص 100. ولاسيما بعد صدور المرسوم رقم (160) لمجلس قيادة الثورة في 29 آذار 1987, الذي "لم يترك أي مجال للشك, و بكل وضوح, جعل علي حسن المجيد, القائد الاعلى و الحاكم المطلق لجميع أوجه الأنفال.. ص 101.

تنقل الصفحات اللاحقة دلائل على الوحشية المفرطة لعلي حسن المجيد, و عدم استعداد أي شخص آخر قطعاً لتنفيذ اوامر صدام حسين (و يذكر منهم طالع الدوري القائد السابق للفيلق الخامس) و "العضو الأقدم في حزب البعث ص 102". فقد كانت الأوامر تنص تدمير القرى بالكامل و ازالة كل مصادر الحياة (الآبار و العيون), مع تفجير الأساسات الاسمنتية, و قد دمرت حتى المساجد و اتلفت مزارع الكروم و طحرت العيون و انتزعت الاسلاك الكهربائية و غيرها.

في موضوع, ضمن الفصل الثاني, بعنوان "بداية الأسلحة الكيمياوية" يسلط التقرير الضوء على حقيقة ان الأسلحة الكيمياوية للنظام قد استخدمت لأول مرة في منتصف نيسان 1987, أي بعد أقل من شهر على تعيين علي حسن المجيد اميناً عاماً لتنظيمات الشمال للبعث, اثر انتصارات كبيرة لقوات الاتحاد الوطني الكردستاني في منطقة (جافتي) – جنوب شرقي بحيرة دوكان – على قوات النظام, كما اعيد استخدامها في اليوم التالي (16 نيسان) ضد سكان قرى باليسان و شيخ وسان. و هذا الأمر يفسر بوضوح سبب تسمية علي حسن المجيد من قبل ابناء كردستان و معظم العراقيين بـ"علي كيمياوي". اوقع القصف الثاني خسائر كبيرة في الأرواح لأن هذه الأسلحة لم تستخدم قبل ذلك ضد المدنيين. و في التقرير عرض مناسب للقصف و وضع القرويين أثناءه و بعده. و مما ذكر, أن الجرحى قد تم ايصالهم الى رانيه فأمضوا ليلة

واحدة تلقوا في مستشفاها علاجاً غير فعال. و "في اليوم التالي جاء عملاء من الأمن الى المستشفى. يقول بعض الشهود بأن رجالاً من الاستخبارات العسكرية كانوا معهم أيضاً – و أمروا كل واحد بالخروج من أسرتهم و الصعود الى عدد من الحافلات المنتظرة و الواقفة خارج المستشفى. و اخبر القرويون بأن هذه الحافلات سوف تنقلهم الى مدينة أربيل للعلاج الطبي, غير أنهم حذروا فيما بعد, في نفس ذلك اليوم, بأنهم سيعالجون فقط في حالة اذا ما اخبروا "الأطباء بأن جروحهم كانت نتيجة غارة من قبل الطائرات الايرانية" ص 109. الا أن الامور لم تنته عند هذا الحد. فقد وصل مسؤولو الأمن الى المستشفى بعد ذلك, و اجبروا الأطباء على ايقاف معالجتهم, و تم نقل جميع المرضى الى أماكن اخرى لم يعرف بعد ذلك مصيرهم, باستثناء امرأة واحدة افلحت في الافلات. و بعد عملية عد و حسابات, خلصت المنظمة الى: "لو سلمنا ببعض الترابط, فان HRW/ME تقدر بأن 225 مدني في الأقل, و ربما 400 من وادي باليسان قد توفوا كنتيجة مباشرة للهجمات الكيمياوية التي شنتها القوة الجوية العراقية على قراهم في 16 نيسان 1987.. ص 116.

لم يقف التقرير عند هذا الحد, فقد تجاوز ذلك الى قصف آخر على خمس قرى في وادي ملكان (شرق باليسان و شيخ وسان), مع العثور على تقرير للاستخبارات السرية العراقية حمل تاريخ 1 حزيران 1987 أوضح "انه خلال الهجوم" فقد ثلاثون شخصاً بصرهم.. ص 117, و كان الهجوم في 27 مايس (مايو) 1987. و في التقرير وصف للهجوم الكيمياوي على لسان شاهد عيان اسمه (كمال).

تحت عنوان جديد: (حملة ربيع 1987.. تدمير القرى و التهجير و الاسكان من جديد) يؤكد تقرير منظمة مراقبة حقوق الانسان/ الشرق الأوسط بأن "بعد خمسة أيام من الهجوم الكيمياوي على وادي باليسان, تقدمت قوات المشاة و البلدوزرات للعمل على هدم مئات القرى في كردستان العراق. و استناداً الى المسح الموثوق لرسول, فقد محا الجيش من الخارطة 703 قرية كردية على الأقل خلال حملات عام 1987.. ص 120. و رغم ما انتابت هذه العمليات من اجراءات وحشية, فان التقرير يراها بعيدة جداً عن أن تقارن بعمليات الأنفال. فهذه العمليات خيرت القرويين بين التوجه الى الأراضي الخاضعة لسيطرة النظام او المناطق الخاضعة لسيطرة البيشمركة, انها "وفرت لهم بدائل واضحة, و ان كانت بغيضة, لكن الأنفال لم تفعل.. ص 120. و للتدليل على استنتاجاتها, تورد المنظمة تفاصيل دقيقة حول وجهة المرحلين من قراهم, و مقدار التعويضات التي تسلموها و غيرها.

هذه القرى كانت قريبة من مراكز المدن أو النواحي, و شكلت عملية تدميرها المرحلة الأولى من سياسة قاسية.

في أقل من صفحتين و نصف يوضح تقرير المنظمة "الاستخدام المبكر لسطات المجيد الخاصة..

التي تجرد "المخربين" من حقوق ملكياتهم, و الحقوق القانونية لسكان القرى المحظورة لأسباب أمنية ص 123, و "اعدام أقارب الدرجة الأولى للمخربين" و "أعدام عوائل من أسر المخربين" و "اعدام المدنيين الجرحى" و "تدمير أحياء من مدن", و قد وثقت المنظمة هذه الحقائق بالاستناد الى رسائل و وثائق باجهزة النظام.

اما "أوامر بالقتل الجماعي" التي اصدرها المجيد عبر وثيقتين في حزيران (يونيو) 1987, هما التوجيه المرقم (28/3650) في 3 حزيران 1987, و الوثيقة الصادرة في 20 حزيران من قيادة مكتب تنظيم الشمال و بتوقيع علي حسن المجيد, هذه الأوامر حددت مناطق واسعة من كردستان اعتبرتها محظورة, و جعلت مختلف مظاهر الحياة فيها محرمة, و حللت دماء الساكنين فيها و أموالهم و ممتلكاتهم, كما حرمت الزراعة و التواجد البشري و الحيواني و النشاط الصناعي, مع اباحة كل الاشياء التي يستولي عليها المستشارون (الميليشيات الكردية الموالية للنظام) لهم, باستثناء الاسلحة الثقيلة و المثبتة و المتوسطة. و قد وجهت نسخ الوثيقة الثانية الى السلطات في حدود جميع محافظات (نينوى, التأميم, ديالى, صلاح الدين, السليمانية, أربيل و دهوك), بغية شل الحياة في جميع المناطق الخاضعة لسيطرة البيشمركة.

من أجل أن تمتلك سياسة الابادة الجماعية للكرد القاطنين في المناطق التي كانت خاضعة لسلطة البيشمركة بعداً رمزياً - يجري من خلاله اعتبار حتى الذين سيبقون أحياء حتى بعد تنفيذ جميع مراحل تلك السياسة, و بعد أن قطعت سياسة الابادة مرحلتها الاولى فعلياً في ربيع 1987, استحدث النظام مفهوماً هو "الصف الوطني" للتمييز بين المناطق الخاضعة لسيطرته و المناطق الخاضعة لسيطرة البيشمركة, و أخذ يعمل من أجل أحصاء جرى بالفعل في 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1987. لاحظ تقرير منظمة مراقبة حقوق الانسان هذه المسألة, و أشار الى اجتماع عقده علي حسن المجيد مع كبار مسؤولي حزب البعث في 6 أيلول (سبتمبر) "لمناقشة الاستعدادات لعملية الاحصاء" و قرر فيه بأن "المخربين الذين يندمون "قبل الاحصاء يسمح لهم العودة الى الحظيرة, أما الذين يتأخرون عن ذلك الموعد, حتى و لو سلموا اسلحتهم, فلن يتم قبولهم. "و في نفس الوقت, فقد اعتبر المجيد بقاء عوائل المخربين غير النادمين في المناطق الخاضعة للحكومة شيئاً غير مقبول. لقد وجب ترحيل هؤلاء الناس مادياً, و ذلك بعد تجريدهم من هوياتهم, و اجبارهم للالتحاق بأقاربهم من المخربين في المناطق المحرمة" ص 131-132.

و قد لاحظ المنظمة بأن هذه المسألة لم تكن بهذه الخطورة فحسب, بل انها كانت أخطر بكثير: اذ أن قيادة مكتب تنظيم الشمال أمرت بتنظيم مؤتمرات جماعية و اجتماعات ادارية يجري التشديد فيها بوضوح على ان الاشخاص الذين تتعذر عليهم المشاركة في الأحصاء بدون عذر مشروع

سيخسرون مواطنيتهم "جنسيتهم" العراقيةو و يعتبرون هاربين من الجيش و عرضة لبنود قرار مجلس قيادة الثورة المرقم 677 في 1987/8/26, الذي ينص على "ان حكم الاعدام سينفذ من قبل المنظمات الحزبية بعد التحقق الواجب, بالهاربين الذين يعتقلون, اذا ما تجاوزت فترة هروبهم او جنحهم على سنة, أو اذا كانوا اقترفوا جريمة الهروب اكثر من مرة.. ص 134.

لاحظ التقرير بأن نتائج هذا الاحصاء لم تعلن قط, كما لاحظ اكثر من ذلك بأن عدد قرى محافظة السليمانية لوحدها كانت في احصاء عام 1977 (1877) قرية, بينما نزل هذا العدد في احصاء عام (1987) الى 186 قرية فقط, أي بنقص (1691) قرية تحديداً.. فكم من سكان هذه المحافظة وحدها يحكم القرار المرقم (677) باعدامهم. هناك المزيد في التقرير من فصل (الاستهلال للأنفال) الا أن ما ذكر - و يستند بالكامل الى الوثائق و الشهود - يكفي لخلق تصور واضح.

عمليات الأنفال نفسها

آثرت أن أتعمد الأطالة في الاقتباس في عرض العناوين السابقة, ولاسيما الفصلين الأول و الثاني لسببين هما: اذا كانت سياسات النظام البائد الاعتيادية و مجرد الخطوات التي استهلت بها للأنفال كانت بتلك البشاعة و الوحشية و الفظاعة, فكيف يمكن أن تكون عمليات الأنفال نفسها التي خصص لها هذا التقرير و جرى التمهيد لها بتلك الفصول؟!, أما السبب الثاني فيكمن في أن الفصول التالية, ولاسيما المخصصة منها لمراحل الأنفال: فصل لكل من عمليات الانفال الاولى و الثانية, و الثالثة و الرابعة, و فصل لعمليات الانفال الخامسة و السادسة و السابعة, و فصل للانفال الأخيرة غنية بالوقائع و الأحداث الى درجة يتعذر عليَ الادعاء بأمكانية عرضها في صفحات قليلة ينبغي أن لا نتجاوزها في عرض أي كتاب كان. و في نظري فإن الشخص الذي يود أن يمتلك تصوراً قريباً من واقع الأمر في عمليات الأنفال, لا يمكنه الاستغناء عن قراءة الكتاب نفسه قط.

في الفصل الثالث المخصص للمرحلة الأولى من عمليات الانفال, التي نفذت في الفترة ما بين 23 شباط (فبراير) حتى 19 آذار (مارس) 1988, يدمج التقرير قصف مدينة حلبجة بالاسلحة الكيمياوية ضمن هذا الفصل, ربما لأن توقيت القصف يتزامن مع هذه المرحلة, أو لأن "القيادة العامة للقوات المسلحة" التابعة للنظام قد جعلت ما اسمته بـ"الأعمال المخزية" للذين "راحوا يؤدون الخدمة المخزية للأجنبي" بـ"تسهيل مهمات قوات الغزو في دخول قصبات و قضاء حلبجة الحدودية الواقعة ضمن السليمانية", كما جاء في بيانها في 19/ آذار, أو لأن هذا القصف كان قد استخدم, في الأساس, كسلاح نفسي لترويع البيشمركة و المدنيين في كل مراحل الأنفال لضرب معنوياتهم, كما ذهب اليه التقرير, حين نقل عن ناجٍ من الهجوم الكيمياوي قوله في مستهل هذا الفصل "كان أشبه بيوم القيامة, و أنت واقف أمام الله", أو حين اكد "كان الهجوم الكيمياوي على حلبجة نذيراً بسياسات

الأنفـال اللاحقـة. فخـلال كـل مرحلـة مـن المراحـل الثمـاني للحملـة العسـكرية, اسـتعملت بمجموعهـا عشـرات مـن تلـك الاسـلحة المحرمـة ضـد القـرى الكردية, (و) كانت كافية لترويع سكانها و تـذكيرهم بما كان حدث لحلبجة.. ص 158.

قسم هذا الفصل الى قسمين الأول بعنـوان (فـرق الاعـدام) و فيـه حـديث عـن ان الاتحـاد الـوطني الكردسـتانى كـان يخطـط أن تسـتولي قواتـه علـى منطقة شاسعة في شهر شباط تشتمل على أقضية رانية و قلعة دزه و دوكان و نواح عديـدة و عشـرات القرى, و منطقة بحيرة و سد دوكان التي تضم محطة (دوكـان) الكهرومائيـة الـتي كانـت تـزود محـافظتي كركـوك و السليمانية بالكهربـاء (آنـذاك), و يبـدو أن هذه الخطوة الطموحة قد أقلقت الدوائر العليا للنظام السابق فبادرت الى تطبيق مبدأ "الهجوم أفضل وسيلة للدفاع", فضلاً عن أن النظام, كما يشير التقرير أيضاً, كـان قـد درج علـى اعتبـار منطقـة جـافتي المحتضـنة مقـرات قيـادة الاتحـاد الـوطني الكردسـتاني (أوك) منطقة محرمة منـذ انهيـار المفاوضات بـين النظـام و هذا الحـزب منـذ (1985). يسـتمر هـذا العنـوان مـن الفصـل الثـالث في سـرد المرحلـة التمهيديـة للـهجوم (القصـف بالراجمـات) في حـدود السـاعة الثانيـة بعـد منتصف الليل (صباح 23 شباط, بعد أن كان قد مهد منـــذ حزيـــران 1987, و بالقصـــف الكيميـــاوي للمنطقة, ثم يعطي وصفاً للهجوم الشامل الذي اعقب ذلـك القصـف (فجـر اليـوم نفسـه), مـع حالـة عـدم الاستعداد للهجوم, كما يذهب اليه التقرير.

يتضمن هذا القسم كذلك وصفاً لانسحاب أهالي القـرى و قـوات (اوك) المـنظم تقريبـاً الى منـاطق الحـدود مـع ايـران, و صعوبة الانسحاب: مـع تصـور المشهد كله, لاسيما لأن النظام قد بنى تصميمه على أسـاس معلومـات اسـتخباراتية كانـت تشـير الى أن "مرتزقة من حرس الثورة الايرانية, ممـن يقومـون بعمليـاتهم مـن القواعـد العسـكرية لـلأوك, كـانوا "ينفذون مهمات مراقبة باتجاه محافظة التـأميم" بمعنـى آخـر, غربـاً نحـو حقـول نفـط كركـوك.. ص 145, كمـا اشـرك النظـام قـوات كـبيرة مـن بينهـا "النخبـة مـن قـوات الحـرس الجمهـوري, الـذين اتضـح أنهـم أسـتخدموا فقـط خـلال المراحـل الاولى مـن الأنفـال" ص 146-147. يتضـمن هـذا القسـم أيضـاً قيـــام قـــوات النظـــام في 22 آذار بقصـــف قريـــة (شاناخسى), التي اقام فيها بعض الناجين من عمليات الأنفـال الأولى مـن قـوات (اوك), مـع الانـزال بطـائرات الهيليكوبتر الذي قـام بـه الجـيش العراقـي علـى خيـام المدنيين الهاربين مـن قـرى المنطقـة الـتي تعرضـت الى الهجوم خـلال تلـك العمليـات, علـى لسـان شـاهد عيـان فقد (كامل) افراد عائلتـه هنـاك, و أخـذ العوائـل, مـع عـدم مشـاهدة أي مـنهم بعـد ذلـك باسـتثناء والـد الشـاهد. كـذلك تعـرض الى ان مصـير جميـع الـذين استسـلموا لقـوات النظـام كـان ممـاثلاً لمصـير تلـك العوائل.

القسـم الثـاني مـن هـذا الفصـل حمـل عنـوان (هجـوم 16 آذار الكيميـاوي علـى حلبجـة", و فيـه يشـير التقريـر الى اهميـة المنطقـة و قـوة فصـائل

البيشمركة التابعين لاحزاب متعددة, مع الحديث عن ماضٍ قريب تمثل في اقدام اجهزة النظام البائد بتدمير اثنين من احياء المدينة في مايس 1987. ثم يعرج على العمليات و اساليب الأغواء التي اعتمدها النظام العراقي, كما نقل عن "مسؤول كبير موثوق" اعترافه لـ"پاتريك تايلور" لأول مرة في تاريخنا نريد من الايرانيين أن يهاجموا. في حلبجة, أجبر الايرانيون على ذلك" ص 151. كما يتحدث عن قيام القوات الايرانية منذ عام 1983 بزيارات استطلاع سرية الى المدينة التي تكمن اهميتها في موقعها الاستراتيجي الذي لا يبعد اكثر من سبعة أميال عن بحيرة "دربنديخان" التي يتحكم سدها على جزء هام من امدادات المياه الى بغداد.

ينقل التقرير وصفاً للهجوم و لحالة القوات العراقية التي بدأت مواقعها بانهيار منذ يوم 13 آذار, و ايضاً لحالة القوات الايرانية التي دخلت الى المدينة بتسلل يوم 13 آذار, لكنها دخلتها بشكل علني ليلة 15 آذار, و وصف آخر لحالة الذهول التي انتابت سكان المدينة. اما عن القصف بقنابل النابالم و الفسفور اولاً, ثم بالقنابل الكيمياوية, ينقل التقرير وصفاً من مقابلة خاصة اجرتها المنظمة في حلبجة يوم 17 مايس (مايو) 1992 هذه الجمل: "لم تكن غارة واحدة و حسب, كي تتمكن من الوقوف و استعادة انفاسك قبل أن تبدأ غارة اخرى. كانت الطائرات في السماء بشكل مستمر, تأتي و تأتي, تنتهي ست منها و تأتي ستة أخرى.. ص 154. يتضمن هذا القسم ايضاً حالة اكتشاف المختفين في الملاجيء الاسلحة الكيمياوية, مع وصف لجثث القتلى الذين ملأوا الشوارع. و وصف للجثث في كل مكان و لحالة الأحياء الذين كانوا يعانون من كل شيء. و أخيراً لم ينس التقرير عملية اللجوء الى ايران, كما لم يهمل ذكر عدد الضحايا في حلبجة حسب مختلف المصادر الايرانية أو الكردية التي يتراوح في حديه الادنى و الأعلى بين 4000 و 7000و لكن المنظمة لا تشك في ان عدد الضحايا الذين كانوا في الغالب الاعظم "اكراداً مدنيين", "العدد الصحيح (3.200), و الذي كان العدد الاجمالي لأسماء الافراد التي جمعت خلال اللقاءات المنظمة مع الناجين.. ص 157.

في القسم الأخير من هذا الفصل, و المعنون "سقوط مركز قيادة الأوك" يربط التقرير بين استخدام الاسلحة الكيمياوية و عدد الضحايا الهائل في حلبجة, و الاثر النفسي الذي أدى الى سقوط قرى "سرگلو" و "برگلو", معاقل قيادة الأوك في يومي 18 و 19/ آذار, مع استخدام كلمة "الانفال" لأول مرة كتسمية اطلقت على سلسلة عمليات في بيان للقيادة العامة للقوات المسلحة العراقية نشر في 19 آذار. وقد أورد التقرير نص البيان في الصفحتين (159 و 160).

يتضمن الفصل الرابع تفاصيل عمليات الأنفال الثانية التي شنت خلال الفترة بين 22 آذار الى 1 نيسان 1988: مستهدفة منطقة (قرەداغ) لأن نشاطات قوات البيشمركة كانت مكثفة فيها, اضافة الى قربها من محافظة كركوك و كونها عمقاً استراتيجياً لمنطقة (گرميان). يتعرض التقرير

بداية للآثار التي تركتها عمليات الانفال الأولى و عمليات القصف بالاسلحة الكيمياوية على القوات في مختلف المناطق و على ساكني القرى, ولاسيما قرية مثل (سيوسينان) التي تعرضت لقصف كيمياوي اعتبره التقرير هجمة "من أكثر الهجمات الكيمياوية هلاكاً في الحملة نفسها", كانت هذه الهجمة في 22 آذار, بينما كان القرويون قبل ذلك بأيام لهم رأي آخر: "كان الناس يقولون, سيكون ذلك كما كان في الماضي, سيقومون بمهاجمتنا و نحن سنهزمهم" ص 166.

في قسم معنون بـ"النزوح من قرەداغ" ينقل التقرير وقائع مروية عما جرى لسكان قرى المنطقة, و منها نزوح معظمهم شمالاً, الى السليمانية, اذ كانوا قد سمعوا شائعات بقرار عفو عام. اذ كانت هذه الشائعات بمثابة فخ, اذ لم ير احد أياً من الذين سلموا انفسهم لقوات النظام بعد ذلك. أما الهاربون الى جنوب گرميان, فقد استسلم بعضهم و آخرون اختاروا الجزء العلوي من منطقة گرميان الذي وصفه التقرير بأنه كان أشبه بـ"مرجل ضخم", كما ينقل التقرير عن شهود عيان أن الجنود كانوا يطلبون من المستسلمين عوائلهم, كما ينقل عنهم أن حوالي (500) شخص سلموا أنفسهم أختفوا و لم يعرف عنهم شيئاً.

عمليات الأنفال الثالثة التي استغرقت الفترة من 7 الى 20 نيسان 1988, قد تكون اكثر العمليات ضراوة و وحشية لأنها شملت منطقة واسعة هي "گرميان" بالكامل (جنوب و جنوب شرق و شرق كركوك عدا المدن و القصبات), و لأن عمليات مقاومة مسلحة كبيرة جرت هناك, و اشتركت فيها قوات كبيرة جداً من النظام و قوات لا يستهان بها من البيشمركة, و كانت المنطقة اثناء العمليات محاصرة تماماً و شغلت من التقرير لوحدها (40) صفحة و كما أن عدد ضحايا هذه المنطقة لوحدها - في تقديري الشخصي - قد تتجاوز عدد ضحايا العمليات الاخرى (من المدنيين الكرد) مجتمعة. في هذا الفصل يلاحظ بوضوح ان مرتزقة النظام لم يكن لهم أي شأن لدى مسؤولي النظام, بل و حتى لدى الجنود العاديين ايضاً. كما يحمل هذا الفصل تفاصيل كثيرة عن عمليات هذه المرحلة, و مناطقها, و الخطط العسكرية, و المقاومة, و اخيراً الموقف العام و النهائي للضحايا, مع التركيز على محاولة رموز النظام بأن الضحايا هم من حراس الثورة الايرانيين او من المخربين (البيشمركة).

شغلت عمليات الانفال الرابعة (وادي الزاب الأسفل من 3-8 مايس (مايو) 1988 الفصل السادس, اما عمليات الانفال الخامسة و السادسة و السابعة فقد شغلت الفصل السابع, و الفصلان يضمان تفاصيل العمليات المذكورة, بما فيها قصف قريتي (گوپتپه) و (عسكر) بالاسلحة الكيمياوية في 3 مايس. و من المهم اذ اية محاولة تلخيصية لا تفي الموضوع حقه, ما لم تشغل اكثر من عشرات الصفحات, فقد آثرت الاشارة اليها, ليس اكثر, و اسجل رجائي بأن تتوفر نسخ هذا الكتاب, بترجمته العربية, امام ايدي القارئ العربي.

في الفصول التالية: الفصل الثامن (المعسكرات), التاسع (فرق الاعدام), العشائر (الانفال الأخيرة), الحادي عشر (العفو العام و استثناءاته) الثاني عشر (الحصيلة), الثالث عشر (الأثر المفقود), يتابع التقرير الخيوط المفقودة من هذه التراجيديا الانسانية الكبيرة المعروفة بالأنفال, و هي تضم جوانب اخرى مكملة للصورة الكلية, بحيث تظهر وحشية و بشاعة الاجهزة التي نفذت مختلف مراحل الانفال, بدءاً من الحملة العسكرية و انتهاء بمعسكرات الاعتقال و القبور الجماعية, مع التركيز على خصائص المعسكرات و التعامل اللاانساني مع السجناء. كما يورد التقرير شهادات بعض من الناجين و الأهوال التي شاهدوها. و كدلالة على موضوع مهم جداً, يورد التقرير في نهاية الفصل الثالث عشر لـ"علي حسن المجيد" رأيه حول ما ينبغي ان يفعله بالعدد الكبير من المعتقلين فيقول: "هل يفترض بي الابقاء عليهم في هيئة جيدة؟ ماذا يفترض بي أن أفعل بهم, هؤلاء المعز؟.. أن أرعاهم؟ كلا سوف ادفنهم بالجرافات تحت الأرض", و يعلق التقرير مبدياً بالتحديد موقفاً مسؤولاً من الموضوع: "و هذا ما فعله" ص 290.

تمتلك "خاتمة" الكتاب استعراضاً اخيراً لمجمل الأسس التي شكلت ارضية عمل منظمة (مراقبة حقوق الانسان/ الشرق الاوسط HRW/ME), و تؤكد: "تعمل HRW/ME الآن من أجل طرح قضية ارتكاب جريمة الابادة الجماعية (الجينوسايد) أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي, و الملفات هي بمثابة ادلة دامغة في هذه القضية تحتوي الدلائل الأخرى على شهادات شهود عيان جمعتها HRW/ME في شمال العراق عامي 1992 و 1993 و دلائل شرعية (طب عدلية - هكذا-) حصلت عليها HRW/ME هناك بالتعاون مع اطباء منظمة حقوق الانسان. تمكنت HRW/ME من عمل مقارنات مهمة بين الوثائقية و الادلة المتعلقة بشهادات - الواحدة تعزز الأخرى - و خصوصاً فيما يتعلق بالاستخدامات العراقية المتكررة للأسلحة الكيمياوية في 1987-1988 ضد السكان المدنيين الكرد.. ص 391-392.

اما حول الكم الهائل من الوثائق التي تم العثور عليها فيؤكد التقرير: "من بين المواد المكتشفة التي تقدم في هذا التقرير, هناك ثلاث وثائق رئيسية, اثنتان منها تتعلق بحملة الأنفال, و الثالثة تتعلق بخطة معركة ضد التمرد في مناطق أهوار جنوب العراق في 1989" ص 392. الوثيقة الثالثة لم يدخل التقرير في تفاصيلها, رغم اعتبارها وثيقة رسمية, لأن التقرير يهتم اساساً بعمليات الأنفال, لكنني أعتقدها مهمة جداً, لأنها قد تكون اشارة, بل وقد تكون متعلقة اساساً بشائعات حول عمليات انفال ضد الأهوار بعد انتهاء الحرب العراقية الايرانية.

تتعلق الصفحات التالية من "خاتمة" بانتفاضة عام 1991, و كيفية الحصول على الوثائق و الملفات, و مصادر هذه الوثائق و مواضيعها, مع ملاحظات مهمة حول طبيعة عمل النظام و حزب البعث و

اجهزة المخابرات و الاستخبارات و الأمن, بالاضافة الى اشرطة الكاسيت و الصور الفوتوغرافية و الخرائط و الأختام و بكرات الافلام. كما تشير "خاتمة" الى وجود وثائق و ملفات بحوزة مواطنين كانوا يبحثون عن المتسببين في اعتقالهم او مطاردتهم أو اعتقال و مطاردة و مقتل افراد قريبين منهم. في هذا القسم كذلك نجد الجهد الاستنتاجي لمنظمة مراقبة حقوق الانسان/ الشرق الاوسط, في تفسير معنى بعض المصطلحات التي تم استخدامها في وثائق النظام, و منها مصطلح "هجمات خاصة" و "عتاد خاص", اذ بربطها بين شهادات الشهود و بالقرائن تبين لها بان المقصود هو (هجمات كيمياوية" و "عتاد كيمياوي". و في القسم ايضاً اشارات واضحة الى جوانب اخرى من سياسة ابادة الكرد, و منها "تغيير الجنسية", كما نجد فيه اساليب النظام المتعددة لإخفاء الحقائق و الحيلولة دون انتشارها, و استخدام صيغ مموهة لأضفاء القانونية على اجراءات قمعية متعددة.

دونت "خاتمة" نص الرسالة التي بعثتها البعثة العراقية الى الامم المتحدة في جنيف الى المقر الخاص لمفوضية الأمم المتحدة حول حقوق الانسان, الرامية الى الطعن في صحة الوثائق, كما نجد فيها تبديداً لمزاعم البعثة العراقية من قبل منظمة مراقبة حقوق الانسان و من قبل المقرر الخاص لمفوضية الامم المتحدة حول حقوق الانسان - ايضاً, و تؤكد في النهاية رأيها بحزم: "من بين الـ 4 ملايين وثيقة التي بحوزة HRW/ME يكاد لا يوجد هناك و لو دليل صغير من انها زورت. و ما عدا الحكومة العراقية, لم يدعِ احد أنها زورت. و حتى الآن لم يقدم العراق دليلاً على أن الكرد فعلوا ذلك" ص 420.

ملاحق هذا الكتاب هي:

أ- (اشرطة علي حسن المجيد),

ب- مرتكبوا جريمة الانفال, دليل مرشد بالاجهزة الرئيسية و المسؤولين.

ج- هجمات كيمياوية معروفة في كردستان العراق 1987-1988,

د- (نموذج الاختفاءات الجماعية أثناء الأنفال - بحسب المنطقة.

هـ- (وثائق الانفال الاصلية).

و هذه الملاحق, شأن كل ما في هذا التقرير مهم لايمكن الاستغناء عنه, الا أنني انقل فقط, ضمن (اشرطة علي حسن المجيد), هذا القول و هو يخاطب مسؤولين بعثيين كبار يوم 26 مايس (مايو) 1988, و يوجه كلامه الى الكرد: "سوف اقتلكم جميعاً بالاسلحة الكيمياوية! من سيعترض على ذلك؟ المجتمع الدولي؟. فليذهب المجتمع الدولي و كل من يهتم بما يقوله هذا المجتمع الى الجحيم" ص 422.

بقي أن أقول بان التقرير قد طبع باللغة الانكليزية مرتين: الاولى عام 1993, و قد اعتبرت آنذاك نتاج جهود منظمتين هما (مراقبة حقوق الانسان) و (مراقبة الشرق الاوسط), و قد ترجم التقرير من تلك الطبعة الى اللغة الكردية من قبل السيد محمد حمه صالح توفيق باسم مستعار هو (سيامند مفتي زاده) و طبع في مدينة السليمانية

عـام 1999. الطبعـة الثانيـة عـام 1995, و فيهـا يبـدو ان منظمـة مراقبـة حقـوق الانسـان/ الشـرق الاوسـط - يبدو أن هذا اشارة الى كون الشرق الاوسـط قسماً او شعبة من المنظمة - هي صاحبة التقريـر. و قـد تـرجم الاسـتاذ جمـال مـيرزا عزيـز عـن هـذه الطبعـة الكتـاب الى اللغـة العربيـة, و هـو الـذي تم عرضه هنا.

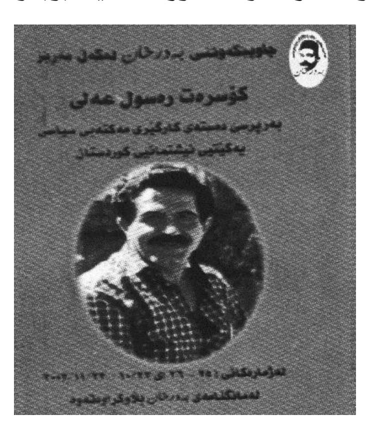
يقع الكتاب بمجمله في (570) صفحة من القطع المتوسط (25 × 17.5 سم), و سوف تساهم ترجمته الى اللغة العربية في التعريف بأمور مهمة اهمها: ان الكرد مازالوا, رغم هذا الظلم الكبير الذي ألحق بهم, يعتبرون النظام البائد المسؤول عن كل معاناتهم, و ليس الشعب العربي في العراق, و أن الدليل, بالصوت و بالصورة و الوثائق الدامغة, لتجريم النظام, كبير الى حد لا يمكن انكاره, و أن موقف بعض المثقفين العرب لا يمكن ان يستند الى منطق واضحة و أسس سليمة, بل يشكل تجاهلاً غير مبرر لحقائق لا يمكن الشك في صحتها.

اصدارات مؤسسة "بدرخان" للطباعة و النشر

عرض: كاروان انور

كانت صحيفة بدرخان من الصحف الأوائل التي صدرت برأسمال أهلي, حيث صدر العدد الأول منها في 2000/10/20, و استمرت في الصدور و بانتظام منذ ذلك التأريخ و الى اليوم, كانت تصاحب صدورها ملحقات باللغة العربية و ملحق بالحروف اللاتينية و ملحق للأطفال..

بعد بدء هذه الصحيفة و بعض الصحف الأخرى في الإصدار و النشر صاحبتها عاصفة من الاصدارات الأهلية الدورية, الا انها لم يكتب النجاح لأغلبها و بقيت في الساحة عدداً قليلاً, فكتب لـ(بدرخان) النجاح.. و لم تكتف لهذا النجاح فقط بل طورت نفسها و أصبحت مؤسسة للطباعة و النشر و قامت بطبع و نشر العديد من الكتب و في شتى المجالات و الاختصاصات و كانت سرعة الطبع و النشر لهذه المؤسسة مثار فرح و عجب المثقفين و القراء, حيث استطاعت أن تطبع في فترة قياسية العديد من الكتب, و هنا نحاول أن نعرض قراءة سريعة لنتاجات بدرخان من الكتب و الاصدارات التي قامت مؤسسة بدرخان للطباعة و النشر بطبعها. صاحب امتياز المؤسسة ومديرها المسؤول: حميد ابوبكر.

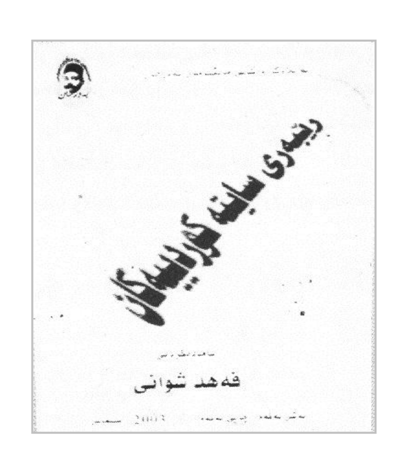


-سيرة كوسرت رسول علي:

هذا الكتاب هو الرقم واحد من سلسلة مطبوعات مؤسسة بدرخان للطباعة و النشر, حيث كان في الأصل لقاءً مطولاً مع السيد كوسرت رسول علي مسؤول الهيئة العاملة للمكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني, نشرت في عددين من صحيفة

بدرخان, و اللقاء هو بمثابة سيرة حياة سريعة, تتمحور الأسئلة منذ الطفولة و جميع جوانب حياة هذا المناضل القيادي من حيث الأمور الشخصية و الأمور التي تتعلق بأيام النضال السري و أيام الكفاح في الثورة الكردية المعاصرة, اضافة الى العديد من الجوانب الشخصية و العائلية للسيد كوسرت رسول علي, كما انه سلط الأضواء على فترة رئاسته لحقيبة الحكومة الكردية التي ترأسها هو في أربيل, و يحوي الكتاب ايضاً على ذكريات للسيد كوسرت مع القادة و البيشمركة الذين التحقوا بركب الخالدين.

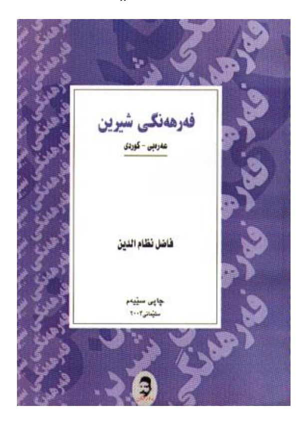
هذا الكتاب طبع على شكل كراسة و هو كفيل بمعرفة هذا الشخص القيادي و التعرف على حياته من جميع جوانبها.



2-دليل المواقع الكردية

الكتاب الثاني هو دليل معلوماتي لجميع المواقع الكردية على شبكة الانترنت, و هو دليل جامع للزائر الكردي في الانترنت كما فيه معلومات حول جميع المواقع و عناوينها, و هذا ما يفيد الناشئة و الشباب ممن يستخدمون و بكثرة هذه الشبكة, فالمواقع الكردية تجعل من الشباب و الزوار أن يزوروها و يستفيدوا من المعلومات و الاخبار التي تحويها تلك المواقع, و لأنها مواقع كردية فقد تستغني الزائر عن البحث في اللغات الأجنبية, كما أن الانترنت صرعة العصر و لغة البشرية فقد لا يقدر أي شعب الاستغناء عنه و هذا الكتاب الصغير يكون بمثابة المدخل أو المقدمة للزائر الكردي و هذا العالم المليء بالمعلومات..

الكتاب من الحجم الصغير و يحتوي على المئات من العناوين للمواقع (سايت – ويب سايت) الكردية جمع من قبل السيد فهد شواني.



3-القاموس (شيرين) عربي – كردي

يقع الكتاب في 850 صفحة من الحجم الكبير, لمعده فاضل نظام الدين في طبعته الثالثة, مجمل هذا القاموس الرقم (3) من مطبوعات مؤسسة بدرخان للصحافة و النشر, قام بتصميم الغلاف الفنان قادر ميرخان, و طبع منه 1500 نسخة بطبعة أنيقة و جميلة.

يقول المعد في مقدمة قاموسه: بأنه أخذ منه سنوات ثلاث من عمره في عمل جدي و متواصل و من ثم نخبة من الاعلام من المتخصصين في اللغة الكردية بمراجعة المسودة, فقد دون في المقدمة بأن اللغة الكردية فقيرة في المصطلحات الحديثة و العلمية منها و لذلك واجه صعوبات جمة.

و اتبع المعد في ترتيب كلمات هذا القاموس الطريقة المتبعة في المنجد و القواميس و لزيادة المعنى و الايضاح لقد وضع امام الكلمة معناها و شرحاً باللغة العربية و بعد ذلك وضع المعنى باللغة الكردية, لذا يمكن الاستفادة من هذا القاموس و كأنه عربي – عربي و تأتي الاستفادة القصوى و هي عربي – كردي. و دون السيد فاضل نظام الدين ملاحظات لكيفية استعمال القاموس و سهولة ايجاد الكلمة المطلوبة و هذا ما يتبع عادة في بناء القواميس و منجد اللغات.

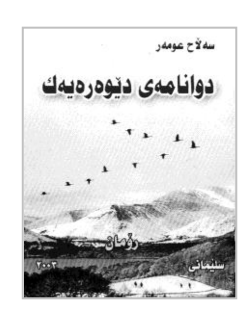
مؤلف هذا القاموس الف قاموساً آخر باسم (ئەستێرە گەشە) حيث طبعه في العام 1973 و هو قاموس كردي – عربي. طبعه عدة مرات و يعد اليوم من المراجع المهمة في القواميس الكردية.

و قاموس (شيرين) غنية بعدد كلماته و شرحه المسهب للكلمات و المعلومات اللغوية الوفيرة التي احتواها هذا القاموس فيظهر أن المعد صرف جل طاقاته و جهوده من أجل اتمام هذا العمل الشاق و لكن المفيد للمكتبة الكردية و طلاب البحث و الناشئة.. فالطبعة الثالثة نراها انيقة و منقحة و نظيفة من حيث الاخطاء الطباعية و اللغوية.



4-أناشيد العشق

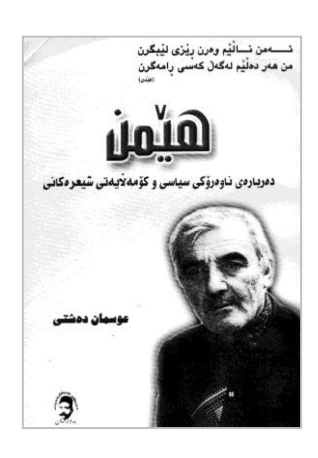
الكتاب من اصدارات مؤسسة (بدرخان) للطباعة و النشر هو ديوان شعري للشاعر هاشم سراج بعنوان (اناشيد العشق).. يقع الكتاب في 160 صفحة من الحجم المتوسط و بغلاف ملون يحوي الكتاب على العديد من قصائد الشاعر هاشم سراج و مطبوع على أوراق زرقاء مما زادت الجمالية و الرونق و الرومانسية لمدلول تلك القصائد, و مما يجدر ذكره أن الديوان الشعري ليس الديوان الأول و الأخير للشاعر.



5-آخر رسالة لبائع متجول

الكتاب الخامس هو رواية للروائي صلاح عمر يحمل عنوان (آخر رسالة لبائع متجول) يقع الكتاب في 100 مئة صفحة من الحجم المتوسط و بتصميم

فني و ملون للغلاف الأول و الأخير, استخدم الروائي لغة جميلة و مبسطة و حبكة تحتوي على الأحداث المتسلسلة حيث تدور الرواية حول موضوعة الهجرة و ترك الوطن الأم و هي جدير بالقراءة و المتابعة لأن هذا الموضوع يحتل حيزاً واسعاً من الفكر البشري منذ الأزل و هو حالة انسانية تصاحب البشر اينما كانوا, فكان للفرد الكردي منه النصيب الأوفر و هو مازال يعاني من الترحال و الهجرة نتيجة للظروف التي مرت بمنطقته و الأحداث الدامية التي جعلت من الكردي مهاجراً دائماً و في هجرة مستمرة.



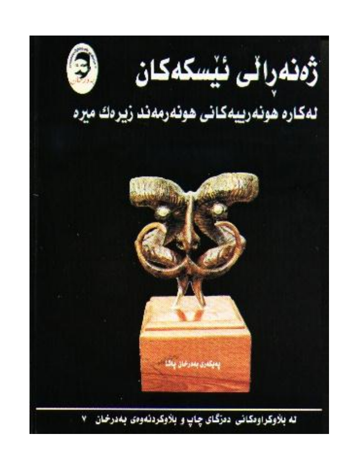
6-هيمن.. حول المفهوم السياسي و الاجتماعي لأشعاره

الكتاب السادس ضمن سلسلة مطبوعات مؤسسة بدرخان هو كتاب للباحث عثمان دهشتى بعنوان (هيمن.. حول المفهوم السياسي و الاجتماعي لأشعاره) الكتاب كان بالأصل أطروحة ماجستير قدمت الى قسم اللغة الكردية – كلية الآداب – جامعة صلاح الدين في أربيل و نالت درجة جيد جداً بعد قبولها.. يقع الكتاب في 200 مئتي صفحة من الحجم الكبير و بغلاف ملون و جميل.

هذا الكتاب دراسة أكاديمية بحتة حول قصائد الشاعر الكردي الكبير (هيمن) و طبع منه 500 نسخة, أشرف على رسالة الماجستير للباحث عثمان دهشتى الدكتور مارف خزندار.

يتناول هذا الكتاب جوانب مهمة من مضامين النتاجات الشعرية للشاعر الكبير (هيمن), و يعد هذا الشاعر من الشعراء المحدثين ولاسيما من حيث المضمون الشعري من الشعر الكردي العمودي, و قد برز هذا الشاعر على مسرح الأدب الكردي كشاعر ثوري و أديب مناضل أمضى جل سنوات عمره في سبيل قضية شعبه العادلة.

يتناول هذا الكتاب عالم الشاعر من حيث النشأة و الولوج في دنيا الأدب و السياسة و قرض الشعر, و حول المضامين السياسية و الأغراض الشعرية المرتبطة بالسياسة في فترات مختلفة من حياة الشاعر و انعكاساتها و نتاجاتها و تبلور الفكرة السياسية في تلك الأشعار السياسية, و من الجانب الآخر أي المضامين الاجتماعية في شعر (هيمن) تناول الباحث عدة قضايا و محاور مهمة في شعره منها: المسألة الفلاحية و قضية المرأة و تحررها و الدعوة الى التعليم و التعلم و التقدم الاجتماعي و الدفاع عن الاصلاح و العدالة الاجتماعية.. الى غير ذلك. و تنتهي الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب بالملاحق و تتضمن بيبلوغرافيا و وثائق و رسائل شخصية للشاعر بالاضافة الى الصور التذكارية له.

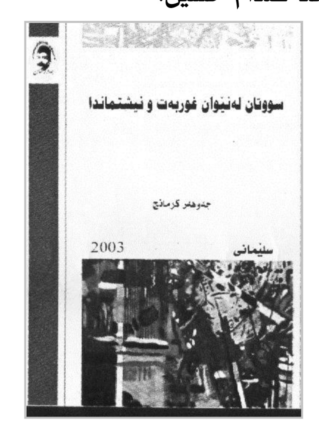


7-جنرالات العظام

الكتاب السابع هو ألبوم فني لصور التماثيل التي نحتها الفنان زيرەك ميره من العظام و بقايا الأحذية العسكرية, و يعد الفنان زيرك ميره أول فنان كردي و عراقي عرض و أنجز عملاً نحتياً في عراق ما بعد صدام حسين, و هذا الكتاب الصوري يغني المكتبة الكردية الفقيرة بالكتب و المصادر الفنية, حيث نعاني كثيراً من قلة المصادر العلمية و الفنية و هذه الخطوة لمؤسسة بدرخان تليها و تتبعها خطوات أخرى بطبع و نشر البوم الفنانين الكرد.

يستخدم الفنان زيرك ميره مادة العظام كمادة خام لإنجاز أعماله و استقى العظام من الواقع المر الذي مرَ به الكرد و العراق فالمقابر الجماعية دليل و خير شاهد على ان التعامل مع العظام هو التعامل مع الواقع المأساوي, استهلت الألبوم بكلمات قيلت و دونت عن الفنان منهم الفنان الكبير مظهر الخالقي و الاستاذ ملا بختيار و الدكتور فرهاد بيربال و الدكتور نيو آندريه خبير الفن الفوتوگرافي, و من ثم تلي عرض التماثيل بشكل فني و دقيق و طباعة على الورق المقوى اللامع بخلفية سوداء مما زاد عن التعبير وضوحاً, بحيث يستغرب المشاهد كثيراً عندما يرى دقة بناء تلك التماثيل و الاحجام المختلفة للعظام و القطع المستخدمة منها في انجاز عمل يكون مادته الخام العظام و العظام فقط.

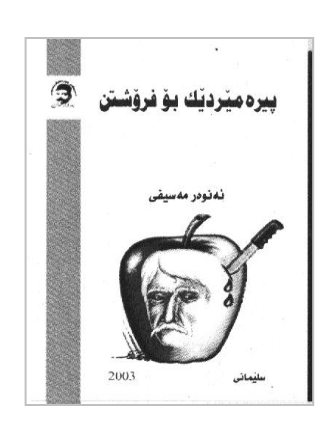
تقع عين لتمثال الطهارة و هو أول تمثال صنعت من بقايا الأحذية و البساطيل العسكرية في مدينة كركوك و على منصة تمثال الدكتاتور صدام حسين و هو بذلك أخذ صدارة الفن بعد الصدامي و كان هذا العمل مصدر اعجاب الكثير من الصحفيين و الوكالات العالمية للأنباء, حيث كتب مراسل الرويترز عن هذا العمل بأنه العمل الأول في عراق الحرية و عراق ما بعد صدام حسين.



8-الاحتراق بين الغربة و الوطن

الكتاب الثامن هو ديوان شعري للشاعر جوهر كرمانج يقع الكتاب في 136 صفحة من الحجم الكبير يحوي على العديد من قصائد الشاعر و غلاف الديوان لوحة من اعمال الفنان التشكيلي الكردي

محمد فتاح و هي لوحة تشكيلية تجريدية تحمل في طياتها تلك التعابير التي توحي الى الغربة و الوطن و الاحتراق بينهما. يحمل هذا الديوان الرقم (8) من مطبوعات مؤسسة بدرخان للطباعة و النشر.



9-عجوز للبيع

هذا هو الكتاب التاسع ضمن اصدارات مؤسسة بدرخان للطباعة و النشر و هو قصص سينمائية للشاعر السبعيني المبدع أنور مصيفي, يحمل عنوان (عجوز للبيع), يقع الكتاب في ستين 60 صفحة من الحجم المتوسط. و تعتبر محتويات هذا الكتاب ابداع آخر من ابداعات الشاعر أنور مصيفي فهي قصص محاكاة أو قصص رؤيوية سينمائية, و يحمل الغلاف لوحة تعبيرية جميلة و طباعة انيقة و ملونة.

10-نێرگز – ملحق بدرخان للأطفال

دورية شهرية تصدر بالألوان في 8 صفحات بحجم الفولسكاب, تحوي على قصص و قصائد و تمارين ذهنية و فكرية مبسطة للاطفال دون سن المراهقة, مجلة نێرگز محاولة لتنمية قدرات الطفل الكردي من خلال الصور و التعابير و جعل الطفل أن يفكر ليجد الحلول البسيطة لتلك العقد التي تواجهه في رسم الصور او تلوينها او ايجاد الطرق الضائعة.

هذه المجلة الشهرية محاولة جريئة من قبل شاب في بداية الطريق و هو مدير تحريرها (بلند مصطفى) و ممالاشك فيه أنها لا تخلو من الأخطاء الاملائية و القواعدية بل حتى الفكرية منها.. لأنها من عادة الدوريات التي تصدر للأطفال ان يشرف عليها المختصون في هذا المجال الشائك و المعقد و الخطر, و لكن التجربة الأولى في هذه المؤسسة التي طبعت أكبر عدد من الكتب و احسنها فشلت في مجال تخصص الأطفال, لأن التجربة الصحافية و طباعة الكتب و نشرها اسهل بكثير من كتابة صفحة واحدة للأطفال و هنا وقعت الفريسة في الشباك, حيث اعتبرت (بدرخان) عالم الأطفال بسيطاً و سطحياً لذا كانت مجلتها للأطفال مثلاً ذريعاً, رغم نجاحها المتواصل في صحيفتها للكبار و عشرات الكتب..





5000 بورتريت ، 5000 ضحية

للفنان التشكيلي: ريبوار سعيد

Vol,1. Autumn 2003

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House



Sardam Printing & Publishing House
www.sardam. net

Kurdistan- Sulaimany